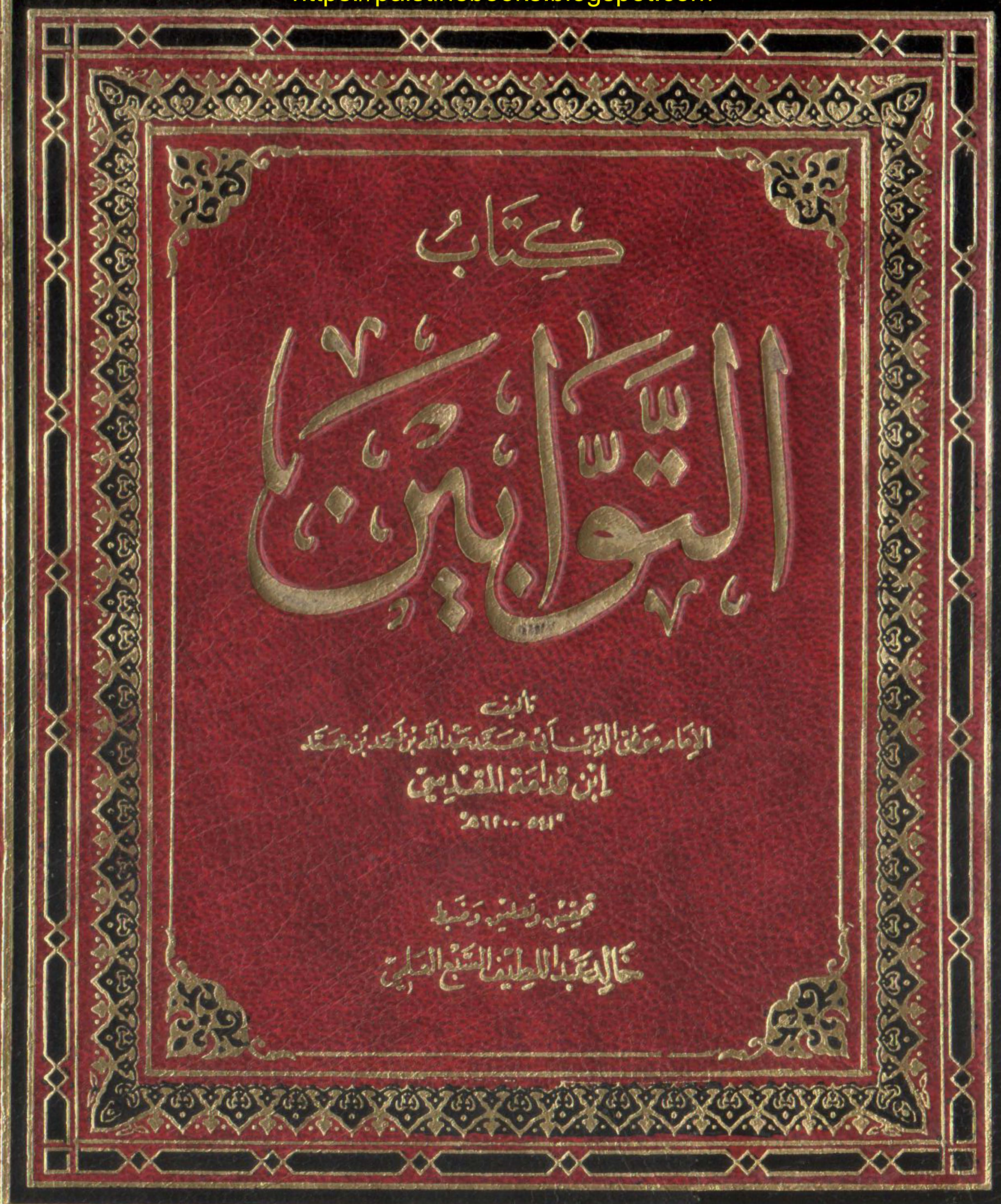


مكتبة المأمون
جدة - هاتف : ٦٤٤٦٦١٤


كتاب
التوابين

قال الله تعالى
وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

كتاب



تأليف
الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي
"٥٤١ - ٦٢٠ هـ"

تحقيق وتعليق وضبط
خالد عبد اللطيف السبع العلمي

الناشر
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

الطبعة السادسة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن - تلفون: 861178 - 800832 - 800811
فاكس: 961-1-805478 - ص.ب. 11-5769 بيروت - لبنان - بريد إلكتروني:academia@dm.net.lb



مقدّمة التحقيق

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرع التوبة لعباده، وبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، وبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيّد المستغفرين وإمام المُنِيبين، عليه صلوات الله وسلامه.

وبعد:

فهذا (كتاب التوَّابين)، للإمام الفقيه الزاهد موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي، نقدّمه للناس في وقت أحوج ما نكون فيه إلى التوبة من الذنوب، بالرجوع والإنابة إلى الله تعالى ستار العيوب وغفار الذنوب.

وقد عرض فيه المؤلف ـ رحمه الله ـ أخبار التائبين وقصص المنيبين ممّن كانوا في مختلف العصور القديمة والحديثة، من عهد آدم عليه السلام إلى أوائل القرن السابع الهجري الذي كان فيه المؤلف.

وقد عرض فيه المؤلف لسرد الأخبار بطريقة مشوّقة، تحكيها صورة جذابة، وتشرحها جمل سهلة مألوفة، يجني القارىء منها العبرة والفائدة في لطف ويسر واشتياق.

ولا شك أن مطالعته بحرارة وشوق توقظ في الإنسان التقوى التي تحمله على التقرّب من الله تعالى، بما يقوم به من إنسلاخ عن الرذائل وبعد عن أسبابها، ومن تحلّ بالفضائل والتماس أسبابها وميسراتها[1].

لكن المصنف ـ رحمه الله ـ قد أغفل عمداً ـ لأن ذلك خارج عن مقصده من هذا الكتاب ـ الكلامَ على التّوبة وشروطها، وما ينبغي لها، ولهذا فأنا أستدرك في هذه المقدمة ما أغفله ـ رحمه الله ـ ليتمّ به النّفْع، وتعمّ به الفائدة، فأقول:

---

(١) من كلام الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط في مقدمته على الكتاب.

محاسبة النفس:

إن التوبة لا يصُار إليها إلاّ بعد محاسبة النفس، لأنه المرء إذا حاسب نفسه عرف ما عليه من الحق، فخرج منه، وتنصّل منه إلى صاحبه، وهي حقيقة التوبة، فكان تقديم المحاسبة عليها لذلك أولى.

ولتأخيرها وجه ـ أيضاً ـ وهو أن المحاسبة لا تكون إلا بعد تصحيح التوبة.

والتحقيق: أن التوبة بين محاسبتين: محاسبة قبلها، تقتضي وجوبها، ومحاسبة بعدها، تقتضي حفظها.

فالتوبة محفوفة بمحاسبتين، وقد دلّ على المحاسبة قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا اتقوا الله ولتنظُر نفسٌ ما قدَّمَتْ لغَدٍ﴾[1]، فأمر سبحانه العبدَ أن ينظر ما قدّم لغده، وذلك يتضمّن محاسبة نفسه على ذلك، والنّظر: هل يصلُح ما قدّمه أن يلقَى الله به أو لا يصلح؟.

والمقصود من هذا النظر: ما يوجبه ويقتضيه من كمال الإستعداد ليوم المعاد، وتقديم ما ينجيه من عذاب الله، ويُبيّض وجهَه عند الله.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: حاسبُوا أنفسكم قبل أن تُحَاسبوا، وزِنوا أنفسكم قبل توزَنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر، ﴿يومئذٍ تُعْرَضون لا تخفى منكم خافية﴾[2].

منزلة التوبة:

فإذا نزل العبد هذه المنزلة، منزلة محاسبة النفس، أشرف منها على مقام التوبة، لأنه بالمحاسبة قد تميّز عنده ماله مما عليه.

ومنزل التوبة أول المنازل، وأوسطها، وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه، ونزل به.

فالتوبة هي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أنّ حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال تعالى: ﴿وتُوبوا إلى اللهِ جَميعاً أيُّها المؤمنونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحون﴾[3]، وهذه الآية في سورة مدنيّة، خاطب الله تعالى بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم، ثم علّق الفلاح بالتوبة تعليق

---

(١) سورة الحشر آية رقم /١٨.

(٢) سورة الحاقة، آية رقم /١٨. وانظر فيما تقدم تهذيب مدارج السالكين ١/١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) سورة النور، آية رقم /٣١.

المسبّب بسببه، وأتى بأداة (لعل) المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تُبْتُم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم.

وقال الله تعالى: ﴿ومَنْ لم يَتُبْ فأولئك همُ الظالمون﴾[1]، فقسّم العباد إلى تائب، وظالم، وما ثَمَّ قِسم ثالث البتة، وأوقع اسم: (الظالم) على مَن لم يَتُب، ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقّه، وبعيب نفسه وآفات أعماله[2].

فاتحة التوبة:

ولما كانت التوبة هي رجوع العبد إلى الله تعالى، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين، وذلك لا يحصل إلا بهداية الله إلى الصراط المستقيم، ولا تحصل هدايته إلا بإعانته وتوحيده. فقد انتظمتها سورة الفاتحة أحسن انتظام، وتضمنتها أبلغ تضمُّن، فمن أعطى الفاتحة حقها ـ علماً وشهوداً وحالاً ومعرفةً ـ علم أنه لا تَصِحُّ له قراءتُها على العبودية إلا بالتوبة النصوح.

فإن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنوب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جَهْلٌ يُنافي معرفة الهدَى، والثاني غيٌّ ينافي قصده وإرادته.

فلذلك لا تصح التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والإعتراف به، وطلب التخلّص من سوء عواقبه أولاً وآخراً[3].

إما الإعتصام بالله، وإمّا الذنوب:

إن من معاني التوبة: أن ينظر العبد إلى ما كان من انخلاعه عن الإعتصام بالله حين إتيان الذنب، وأن الله تعالى منع عصمته عنه، وأن ينظر إلى ما كان من فرحه عند ظفره بذلك الذنب، وقعوده عن تداركه، مُصِرّاً عليه، مع تيقنه نظرَ الحقّ سبحانه وتعالى إليه، فإن العبد لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ باللهِ فقدْ هُدِيَ إلى صراطٍ مُسْتقِيم﴾[4]، فلو كملت عصمته بالله تعالى لم يخذُلْه أبداً، قال تعالى: ﴿واعْتَصِموا باللهِ هوَ مَولَاكُمْ فَنِعْمَ المولَى ونِعْمَ النَّصير﴾[5]، أي: متى اعتصمتم به تولّاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يُفارقان العبد،

---

(١) سورة الحجرات، آية رقم /١١.
(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٥.
(٣) تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٦ ـ ١٨٧.
(٤) سورة آل عمران، آية رقم /١٠١.
(٥) سورة الحج، آية رقم /٧٨.

وعـداوتُهما أضـرُّ من عداوة العـدو الخارجي، فـالنصر على هـذا العدوّ أهمّ، والعبـدُ إليه أحوج.

وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الإعتصام بالله، ونقص هذا الإعتصام يؤدي إلى الإنخـلاع من عصمة الله، وهـو حـقيقة الخـذلان، فمـا خلَّى الله تعـالى بينَـك وبين الذنب إلا بعدَ أن خذلَك، وخلَّى بينك وبينَ نفسك، ولو عصمك ووفَّقك لما وجـد الذنب إليك سبيلاً.

وهكذا ترجع التوبة إلى اعتصامك بالله تعالى، وعصمته لك[1].

الغفلة عند مقارفة الذنب:

وتشتـد الغفلة على مقارِف الـذنب حتى يفرحَ عنـد ظفره بشهـوته المحـرمة، وهـذا الفـرح بالمعصيـة دليل على شـدّة الرغبـة فيها، والجهـل بقَدْر من عصـاه، والجهل بسـوء عاقبتها وعظم خطرها، ففرحُه بها غطَّى عليه ذلـك كلَّه، وفرحُـه بها أشـدُّ ضرراً عليـه من مواقعتها.

والمؤمن لا تتم لـه لذة بمعصيـة أبداً، ولا يكمُـل بها فـرحـه، بـل لا يُبـاشـرهـا إلاّ والحزن مخالط لقلبه، ولكن سُكر الشهوة يحجبُه عن الشعور به.

ومتى خلا قلبُه من هذا الحزن، واشتدت غِبطتـه وسروره، فليتَّهِم إيمـانه، ولِيبْـكِ على موت قلبه، فـإنه لـو كان حياً لأحزنـه ارتكاب الذنب، وغـاظه، وصعب عليـه، ولا يحسُّ القلب بذلك، فحيث لم يُحِسّ به، فما لجُرح بميت إيلام.

وهذه النكتة في الذنب قلَّ من يهتدي إليها أو ينتبه لها، وهي مـوضع مخـوِّفٌ جداً، مترامٍ إلى هلاك إن لم يتدارك بثلاثة أشياء:

- خوفٍ من الموافاة عليه قبلَ التوبة.
- وندم على ما فاته من الله بمخالفة أمره.
- وتشمير للجدّ في استدراكه[2].

شروط التوبة:

وشروط التوبة ثلاثة: الندم، والإقلاع، والعَزْم.

فحقيقة التوبة، هي:

---

(١) أنظر تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٧.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٨.

ـ الندم على ما سلفَ منه في الماضي.
ـ والإقلاع عنه في الحال.
ـ والعزم على أن لا يعاودَه في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت: يندم، ويُقلع، ويعْزم.

فحينئذٍ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.

وهذه الشروط إذا كان الذنب والمعصية بين العبد وبين الله تعالى، وأمّا إن كان ذلك يتعلّق بحق آدميّ، فشروطها أربعة، هذه الثلاثة،

والرابع: أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه، ردّه إليه، وإن كان حدّ قذفٍ ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها[1].

علامات التوبة المقبولة:

وللتوبة المقبولة الصحيحة علامات:

منها: أن يكون العبد بعدَ التوبة خيراً مما كان عليه قبلها.

ومنها: أنه لا يزالُ الخوف مصاحباً له، لا يأمن مكرَ الله طرفةَ عين، فخوفه مستمرّ إلى أن يسمع قول رسول الموت القابض لروحه: **﴿أَنْ لا تخافوا ولا تحزَنوا وأبْشِروا بالجنّةِ التي كنتم توعدون﴾**[2]، فهناك يزول الخوف.

ومنها: انخلاع قلبه، وتقطعه ندماً وخوفاً، وهذا على قدر عِظَم الجناية وصغرها، وهذا تأويل ابن عُيَيْنة لقوله تعالى: **﴿لا يزالُ بُنْيانُهُم الذي بَنَوا رَيْبَةً في قلوبهم إلاّ أن تَقَطَّعَ قلوبُهم﴾**[3]، قال: تقطعها بالتوبة.

ولا ريب أن الخوف الشديد من العقوبة العظيمة يوجب انصداع القلب وانخلاعه، وهذا هو تقطُّعُه، وهذا حقيقة التوبة، لأنه يتقطّع قلبُه حسرةً على ما فَرَط منه، وخوفاً من سوء عاقبته، فمن لم يتقطّع قلبه في الدنيا على ما فرَّط حسرةً وخوفاً، تقطّع في الآخرة إذا حَقّت الحقائق، وعاين ثواب المطيعين، وعقاب العاصين، فلا بُدَّ من تقطع القلب إما في الدنيا، وإما في الآخرة.

---

(١) أنظر تهذيب مدارج السالكين ١/١٨٨، ورياض الصالحين ص.
(٢) سورة فصلت، آية رقم /٣٠.
(٣) سورة التوبة، آية رقم /١١٠.

ومنها: كسرة خاصة تحصل للقلب. لا يُشبهها شيء، ولا تكون لغير المذنب، لا تحصل بجوع، ولا حُبٍّ مجرد، وإنما هي أمرٌ وراء هذا كله تكسِرُ القلب بينَ يدَي الربِّ كسرة تامة، قد أحاطت به مِن جميع جهاته، وألقته بينَ يدي ربّه طريحاً ذليلاً خاشعاً.

فليس شيء أحبَّ إلى الله من هذه الكسرة، والخضوع والتذليل، والإخبات، والإنطراح بين يديه، والإستسلام له[1].

خاتمة:

فهذا وأمثاله من آثار التوبة المقبولة، فمن لم يجد ذلك في قلبه فليتَّهم توبته، وليرجع إلى تصحيحها، فما أصعب التوبة الصحيحة بالحقيقة، وما أسهلها باللسان والدعوَى، وما عالج الصادق بشيء أشقَّ عليه من التوبة الخالصة الصادقة، ولا حول ولا قوّة إلا بالله[2].

هذا ما وفّقني الله سبحانه وتعالى لكتابته في شأن التوبة، وأرجو أن أكون أحطت بالأمر من كثير من جوانبه بما يغني ويفيد، وهناك أمور أخرى كثيرة تتعلق بالتوبة يجب على الإنسان معرفتها، ليس هنا موضع ذكرها[3].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) تهذيب مدارج السالكين ١/١٩٣.

(٣) انظر في ذلك تهذيب مدارج السالكين ١/١٧٥ ـ ٣٠٢.

الإسرائيليات

وقد ذكر المصنِّف في كتابه كثيراً في الروايات الإسرائيلية وقصصهم، ولا سيما في باب ذكر التوّابين من الملائكة، ومن الأنبياء، ومن الأمم السابقة. فكان لزاماً عليَّ في هذه المقدمة أن أبيِّن معنَى الروايات الإسرائيلية، وحُكْم روايتها. فأقول مستعيناً بالله تعالى:

إن المراد بالروايات الإسرائيلية هو ما جاء عن أهل الكتاب - اليهود والنصارى - من قصص وأخبار عن الأمم الماضية السالفة، وما حدث بين أنبيائها وبينها.

ولفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي، إلا أن المراد به ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فالمراد به ما يعمّ اللون اليهودي واللون النصراني معاً.

وقد أطلق العلماء على ذلك لفظ الإسرائيليات من جهة أن عيسى - عليه السلام - أُرْسل إلى بني إسرائيل، فالنصارى بالأصل هم من بني إسرائيل. فأطلق لفظ الإسرائيليات وعُني به كلٌ من اليهود والنصارى. والبعض قال: أن ذلك أطلق من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني، لأن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره وكثُر النقل عنه، وذلك لكثرة أهله وظهور أمرهم، وشدة اختلاطهم بالمسلمين في مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

واليهود يعتمدون في رواياتهم على التوراة - العهد القديم - وما كان بجانبه من السنن والنصائح والشروح التي لم تؤخذ عن موسى - عليه السلام - بطريق الكتابة، وإنما تحمّلوها ونقلوها - مع كثير من الزيادات والإفتراءات - بطريق المشافهة، ثم دوِّنت وعرفت باسم: التلمود. هذا إضافة إلى ما كان لديهم من كتب الأدب، والقصص، والتاريخ، والتشريع، والأساطير.

وأما النصارى فكانت رواياتهم تعتمد على الإنجيل، والأناجيل المعتبرة عند النصارى يطلق عليها وعلى ما انضم إليها من رسائل الرسل: العهد الجديد. كما كان إلى

جوار ذلك ما زاده النصارى من القصص والأخبار والتعاليم التي زعموا أنهم تلقوها عن عيسى ـ عليه السلام.

وإذا نحن أجلنا النظر في التوراة والإنجيل نجد أنهما قد اشتملا على كثير مما ذكر في القرآن الكريم، وبخاصة ما كان له تعلّق بقصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، وذلك على اختلاف كبير في الإجمال والتفصيل فالقرآن إذا عرض لقصة من قصص الأنبياء مثلاً، فإنه ينحو فيها ناحية يخالف بها منحى التوراة والإنجيل، فتراه يقتصر على مواضع العظة، ولا يتعرض لتفصيل جزئيات المسائل، بل يتخير من ذلك ما يمس جوهر الموضوع، وما يتعلق بموضع العبرة.

ومن هنا دخلت الروايات الإسرائيلية على المسلمين، فقد كان بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يسألون بعض أهل الكتاب ـ من أسلم طبعاً مثل كعب الأحبار، وعبد الله بن سلام وغيرهما ـ عن تفصيل بعض القصص، وتبيان بعض الأمور، وهذا جائز قطعاً، وهو مأخوذ من قوله ـ ﷺ ـ : حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. (متفق عليه).

غير أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كلّ شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحاً للقصة، وتفصيلاً لما أجمله القرآن منها. مع توقفهم فيما يُلقى إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، وذلك امتثالاً لقول النبي ﷺ ـ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. (رواه البخاري). كما إنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام.

كذلك كان الصحابة لا يصدقون أهل الكتاب فيما يخالف الشريعة الإسلامية، أو يتنافى مع العقيدة، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردّوا عليهم خطأهم، وبينوا لهم وجه الصواب فيه.

هذا هو مبلغ رجوع الصحابة إلى أهل الكتاب وأخذهم عنهم.

أما التابعون فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب. فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث بني إسرائيل.

ثم جاء بعد عصر التابعين من عظم شغفه بالإسرائيليات، وأفرط في الأخذ منها

إلى درجةٍ جعلتهم لا يردّون قولاً، ولا يحجمون عن أن يلصقوا بالقرآن كل ما يروى لهم، وإن كان لا يقبله الشرع، ولا يتصوره العقل.

واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات، والولع بنقل هذه الأخبار التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة، إلى أن جاء دور تدوين للتفسير، فوُجد من المفسرين من حشا كتبه بهذه القصص الإسرائيلية، الذي كاد ـ أي: هذا العمل، من إدخال هذه القصص على الكتب والتفاسير ـ أن يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

ولقد كانت لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة، بل زادوا على ذلك فردوا كل ما قيل لهم، إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفاسير كثير من القصص الخيالي المخترع المفترى عن أهل الكتاب، مما جعل الناظر في كتب التفسير التي هذا شأنها أن لا يقبل شيئاً مما جاء فيها لاعتقاده أن الكل من واد واحد، ومن هذه التفاسير: تفسير الثعلبي، وتفسير الكلبي والسدّي وغيرها كثير.

كما أن نسبة وافتراء بعض هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن من أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الإتهام والريبة.

قيمة ما يُروَى من الإسرائيليات:

بعد سَبْر الروايات الإسرائيلية، وصحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب، ينقسم خبرهم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يُعلم صحته، بأن نقل عن النبي ـ ﷺ ـ نقلاً صحيحاً، وذلك مثل تعيين صاحب موسى عليه السلام ـ بأنه الخَضِر، فقد جاء هذا الإسم صريحاً على لسان رسول الله ـ ﷺ ـ كما عند البخاري[1]. أو كان له شاهد من الشرع يؤيده، وهذا القسم صحيح مقبول.

الثاني: ما يعلم كذبه، بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا مما جاء في كتاب الله تعالى، أو ورد عن رسول الله ـ ﷺ ـ

الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل، ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني،

---

(١) كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، باب (٤)، حديث رقم (٤٧٢٧) ٨/٤٢٣.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيراً، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم. . . وغير ذلك.

الخلاصة:

وخلاصة ما تقدم: أنه يجوز رواية الإسرائيليات، وذلك بعد صحة إسنادها ونسبتها إلى راويها من أهل الكتاب ـ لأنه قد افترى الزنادقة الكثير الكثير ونسبوه إلى أهل الكتاب ـ، ثم تَعرض الرواية على الشرع، فإن كان في الشرع ما يوافقها عُلم صدقها، وإن كان في الشرع ما يخالفها عُلم كذبها، وإن لم يوجد فيه ما يوافقها أو ما ينفيها، تُوقّف فيها، ولا يُحكم لا بصدقها ولا بكذبها، ويجوز روايتها مع ذلك. والله تعالى أعلم.

ذكر بعض من اشتهر برواية الإسرائيليات:

ـ منهم الصحابي الجليل: أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث، أسلم عند قدوم النبي ـ ﷺ ـ المدينة، وشهد مع عمر ـ رضي الله عنه ـ فتح بيت المقدس والجابية، ووقف إلى جانب عثمان وقت الفتنة. وكان رضي الله عنه واسع العلم، وليس ذلك بالعجيب، فقد اجتمع لديه علم التوراة وعلم القرآن.

ـ أبو إسحاق كعب بن ماتع الحميري، المعروف بكعب الأحبار، وأصله من يهود اليمن، ويقال: أنه أدرك الجاهلية، وأسلم في خلافة أبي بكر، وقيل: في خلافة عمر. وبعد إسلامه انتقل إلى المدينة، وغزا الروم في خلافة عمر، ثم تحوّل في خلافة عثمان إلى الشام فسكنها إلى أن مات بحمص سنة (٣٢) هـ. على أرجح الأقوال، وقد بلغ مائة وأربعين سنة.

روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ مرسلاً، وعن عمر، وصهيب، وعائشة؛ وروى عنه معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم كثير.

وكان كعبْ بن ماتع على مبلغ عظيم من العلم، ولهذا كان يقال له: كعب الحبر، وكعب الأحبار، ولقد نُقل عنه في التفسير وغيره ما يدل على علمه الواسع بالديانة اليهودية وبالإسلام، قال ابن سعد: ذكر أبو الدرداء كعباً فقال: إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً.

ـ وهب بن منبِّه بن سيج بن ذكناز، أبو عبد الله اليماني الصنعاني، من خيار علماء التابعين، ولد سنة (٣٤) هـ، في خلافة عثمان، ومات سنة (١١٠) هـ، وقيل غير ذلك.

روى عن أبي هريرة، وأبي سعيد الحدري، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وجابر، وأنس، وغيرهم. وروى عنه ابناه: عبد الله وعبد الرحمن، وعمر بن دينار وغيرهم كثير.

وكـان رحمه الله واسـع العلم، كثير الإطـلاع على الكتب القديمـة، محيطاً بـأخبار كثيرة وقصص تتعلق بأخبار الأُوَل ومبدأ العالم. وكان يقول: يقولون عبد الله بن سلام أعلمُ أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسه.

ـ عبـد الملك بن عبد العزيز بن جـريـج، أبـو خـالـد أو أبـو الـوليـد، أصله رومي نصراني، كان من علماء مكة ومحـدثيهم، وهو من أول من صنف الكتب بـالحجاز، وهـو قطب الإسرائيليات في عهد التابعين.

روى عن أبيه، وعطاء بن أبي رباح، وزيد بن أسلم، والزهري وغيرهم. وروى عنه ابنـاه: عبد العـزيز ومحمـد، والأوزاعي، والليث بن سعد، ويحيى بن سعيـد الأنصاري، وحماد بن زيد وغيرهم كثير. قال ابن سعد: ولد سنة (٨٠) هـ، وأماوفاتـه فمختلف فيها، فمنهم من قال سنة (١٥٠) هـ، ومنهم من قال سنة (١٥٩) هـ وقيل غير ذلك.

نقلاً وباختصار شديد. وتصرّف كبيـر عن كتاب التفسيـر والمفسرون للدكتـور محمد حسين الـذهبي ص ١٦٥ ـ ٢٠١، وانـظر تفسيـر ابن كثيـر ١/٤، والبـدايـة والنهـايـة ٢/١٢١ ـ ١٢٣. وفتح الباري ٦/٤٩٨ ـ ٤٩٩.

ترجمة وحياة المؤلّف

وتتضمن الأمور التالية :

- العصر والبيئة التي عاش فيهما .
- نسبه .
- أسرته .
- مولده ونشأته .
- طلبه للعلم وعمله .
- مذهبه .
- جهاده .
- صفاته وخُلُقه .
- أقوال العلماء فيه .
- آثاره .
- وفاته .

العصر والبيئة التي عاش فيهما
موفق الدين ابن قدامة

عاش موفّق الدين ـ رحمه الله في الفترة ما بين (٥٤١ ـ ٦٢٠) هـ، وهذه الفترة تولّى الخلافة فيها من بني العباس:

ـ المقتفي بالله أبو عبد الله محمد المستظهر بالله الذي تولى الخلافة عام (٥٣٠) هـ، وتوفي عام (٥٥٥) هـ.

ـ ثم خلفه ابنه المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن محمد المقتفي بالله، الذي تولى الخلافة بعد والده عام (٥٥٥) هـ حتى عام (٥٦٦) هـ.

ـ ثم خلفه ابنه المستضيء بالله أبي محمد الحسن بن يوسف المستنجد بالله، الذي تولّى الخلافة من عام (٥٦٦) هـ حتى عام (٥٧٥) هـ.

ـ وبعد المستضيء بالله تولى الخلافة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضيء الذي تسلّم أمر الخلافة عام (٥٧٥) هـ حتى عام (٦٢٢) هـ.

وهذه الفترة مليئة بالأحداث والتقلبات السياسية، وتطور الأمور مما له أثر بالغ في الحياة الإجتماعية والعلمية والإقتصادية، ففي هذه الفترة انتهت دولة الفاطميين في مصر التي بدأت بتولي المعز لدين الله الفاطمي في عام (٣٥٩) هـ، وانتهت بوفاة العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ أبو محمد عام (٥٦٧) هـ، ومدتها (٢٠٨) سنة. وفي نهاية الدرلة الفاطمية كان الموفق قد بلغ من العمر ستة وعشرين عاماً، وهي سن الشباب والحيوية والإدراك والتأثر بالأحداث عند الرجل.

كذلك شهد الموفق آخر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الذي كسر شوكة الصليبيين في (حطين) وحرر القدس من أيديهم في رجب عام (٥٨٣) هـ، بعد سيطرتهم عليها (٩٢) سنة.

وكانت هذه الفترة من الزمن كلها أحداث وغزوات وغارات وتناحر بين الأمراء على البلاد الإسلامية، إذ الخلافة العباسية في نهاية أمرها تحتضر. ولم تنته بعد من بغداد على أيدي التتار.

وكـان في كل إقليم بـل في كل مـدينة أميـر متسلّط، ولكن قد يتخلل هـذا قـوة في بعض الأحيان من بعض الخلفاء أو الأمراء، كما كان من صلاح الدين، وغيره كـابن هبيرة العالم الورع الزاهد المشهور بالعدل، وقد كان وزيراً (٥٤٤ ـ ٥٦٠) هـ للمقتفي ثم لابنه المستنجد. وكان المقتفي يثني عليه ويقول: ما وزر لبني العباس مثله.

والموفق رحمه الله قدم بغداد سنة (٥٦١) هـ لطلب العلم بعد وفاة ابن هبيرة بسنة، والناس يتحدثون بمآثـره وعلمه وفضله، وابن قـدامة وقتهـا في ريعان الشبـاب له عشـرون سنة، يدفعه مثل هذا لمضاعفة الطلب والجدّ في التحصيل.

فكـل هذه المشـاكل في العـالم الإسلامي من سقـوط دول وقيام أخـرى، ومن نصر على يد صلاح الدين وأمثاله، أو ما حاق بالمسلمين على أيدي الصليبيين، كان لها أثرهـا وصداها في نفسه رحمه الله.

هذا من الناحية السياسية، أما من الناحية العلميـة فقد عـاش رحمه الله في فتـرة من أفضـل الفترات التي غنيت بـالعلماء الأجـلاء لا في الشام وحـده بل في العـالم الإسلامي كله. فـإذا نـظرنـا في صفحـات كتب التـراجم والسيـر في الفتـرة التي عـاشهـا المـوفق (٥٤١ ـ ٦٢٠) هـ. نجد الكثير من علماء المسلمين ومجتهديهم قد عاشوا في هذه الفترة.

وقـد قضى الموفق معـظم حياتـه ـ رحمه الله ـ في دمشق العـاصمة الإسـلاميـة لبني أمية، التي كانت مليئة بالعلم والعلماء، وبأهل التقى والصلاح.

وكل هذا من الواقع السياسي والحالـة العلمية كـان له أثـره في حياة شخصيـة موفق الدين ابن قدامة رحمه الله تعالى.

المؤلّف

نسبه : [1]

هو شيخ الإسلام الإمام الفقيه الزاهد موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله بن حذيفة بن محمد بن يعقوب بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى بن محمد بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، العدويّ القرشي نسباً، الجُمَاعلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي موطناً.

فهو منحدر من سلالة الخليفة الراشد الفاتح العادل الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ، ثم من ذريّة أشهر أولاده الصحابي العالم الجليل عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، ثم من ذرّية أشرف أولاده سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رحمه الله تعالى ـ أحد الفقهاء السبعة، الذي كان يُشبّه بأبيه في الهدى والسّمت.

ـ أسرته :

خرج موفّق الدين من أسرة كريمة مشهورة بالعلم والفضل والتقى والصلاح.

فوالده أحمد بن محمد بن قدامة ـ رحمه الله تعالى ـ (٤٩١ هـ ـ ٥٥٨ هـ) هو من العلماء الصالحين، العبّاد، الزهاد، الفضلاء، وهو خطيب جماعيل قبل هجرته عنها. وهو عميد الأسرة في حياته، وهو الذي درّس أولاده الحديث وغيره من العلوم منذ نعومة أظفارهم.

---

(١) أنظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ١٣/١٥٨ ـ ١٦٠، مرآة الجنان لسبط ابن الجوزي ٩/٦٦ ـ ٦٧، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/١٣٣ ـ ١٣٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٩٩ ـ ١٠٠، شذرات الذهب لابن العماد ٥/٨٨ ـ ٩٢، فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ١/٢٠٣ ـ ٢٠٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ٦/٢٥٦، مرآة الجنان لليافعي ٤/٤٧ ـ ٤٨، هدية العارفين للبغدادي ١/٤٥٩ ـ ٤٦٠، مقدّمة المغني لابن قدامة لعبد القادر بدران ص ٣ ـ ٣٥ ومعجم المؤلفين ٦/٣٠.

وأخوه أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ـ وهو الذي تولّى تربية الموفّق ورعاه في صغره، وكان الموفق يدعو له ويثني عليه ـ . وشهرة أبي عمر لا تقلّ عن شهرة موفق الدين، فهو من العلماء الأجلاء، الزهاد الورعين، ومِن أكثر العلماء إحياءً للسنة وإماتة للبدع.

فمن هذه الأسرة الكريمة العريقة في العلم والمجد خرج الشيخ موفق الدين أبو محمد.

ومن علماء هذه الأسرة.

ـ أبو الحسين أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، ابن أخي الموفق، وقد جمع الله له حسن الخلق والخُلُق والدين والأمانة والمروءة.

ـ وابنه، أحمد بن أحمد بن عبيد الله، العالم الفاضل، سمع من الموفق ـ وهو جدّه لأمه، وعمّ أبيه.

ـ ومنهم: العالم الجليل أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة صاحب الشرح الكبير، ولي القضاء مدّة لا يأخذ شيئاً.

ـ ومنهم: عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (أبو عمر)، وهو عالم فاضل.

ـ ومنهم: ابن الموفق عيسى بن عبد الله بن أحمد، عالم جليل ورع.

ـ ومنهم: ابن ابنه أحمد بن عيسى بن عبد الله، وله يد في العلم والفضل كسلفه.

ـ ومن هذه الأسرة الكريمة ابن خالة الموفق عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي ـ الإمام المعروف ـ ، وهو زميل الموفق، وكانت ولادتهما في سنة واحدة ليس بينهما سوى أشهر.

ـ مولده ونشأته:

ولد الإمام موفق الدين في شعبان سنة (٥٤١) هـ، ببلدة جماعيل ـ وهي بلدة من أعمال نابلس قرب بيت المقدس من أرض فلسطين المقدسة ـ ، وكان الصليبيون في ذلك الوقت قد استولوا على بيت المقدس وما حوله من البقاع، فهاجر والد أبو العباس أحمد بن محمد بن قدامة بأسرته إلى دمشق مع ابنَيه: أبي عمر، وموفق الدين عبد الله، وابن خالتهما عبد الغني حوالي سنة (٥٥١) هـ. فنزلوا في مسجد أبي صالح بدمشق ظاهر الباب الشرقي، فأقاموا فيه مدّة سنتين، ونسبوا إليه فقيل لهم: الصالحيون.

ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون في صالحية دمشق، حيث استقرت أسرتهم هناك.

ـ طلبه العلم وعمله:

عندما استقرت أسرةُ أبي العباس أحمد بن محمد بن قدامة في سفح جبل قاسيون بدأ موفق الدين بالتعلّم، فحفظ القرآن، واشتغل في طلب العلم، وتلقى مبادىء علومه على أبيه، ثم تتلمذ على يد أبي المكارم بن هلال وغيره من شيوخ دمشق وعلمائها، وحفظ (مختصر الخَرقي) في الفقه الحنبلي، وغيره من الكتب.

وما زال منهمكاً في طلب العلم ودرسه حتى بلغ العشرين من عمره، فرحل إلى بغداد بصحبة ابن خالته عبد الغني، سنة (٥٦١) هـ، فأقام في بداية أمره عند الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ رحمه الله ـ بمدرسته مدة يسيرة، وكان الشيخ في التسعين من عمره، فقرأ عليه (مختصر الخرقي) قراءة فهم وتدقيق ـ لأنه كان قد حفظه في دمشق ـ .

ثم توفي الشيخ، فدرس على عدد من المشايخ في بغداد، أشهرهم أبو الفتح ابن المني ـ وكان إمام عصره في مذهب الحنابلة ـ ، وسمع فيها ـ أيضاً ـ من هبة الله الدقاق وغيره.

وبقي في بغداد أربع سنوات، ثم عاد إلى دمشق عن طريق الموصل، فأخذ عن خطيبها أبي الفضل، وأقام في أهله مدّة.

ثم حجّ عام (٥٧٤) هـ، وأخذ عن شيخ الحنابلة في مكة الحافظ المحدّث أبي محمد المبارك بن علي الطباخ البغدادي.

ثم عاد إلى بغداد، ولازم ابن المنّي مرّة أخرى، وقرأ على عدد من المشايخ لمدة عام، ثم رجع إلى دمشق، فاشتغل بالتعليم والتأليف، وبرع في ذلك، فألف (المغني شرح مختصر الخرقي) في الفقه، وهو كتاب غاية في الإتقان والإحكام والضبط، وهو من أعظم الكتب المؤلفة في الفقه الإسلامي عامة، وفي فقه مذهب الإمام أحمد خاصة. حتى قال سلطان العلماء العزّ بن عبد السلام فيه: لم تطبْ لي الفتيا حتى كانت عندي نسخة من (المغني).

وقد عني بالتدريس إلى جانب التأليف، فكان طلبة العلم يتلقون عليه الدروس في الحديث والفقه وغير ذلك من العلوم، وقد تفقه عليه خلق كثير، منهم ابن أخيه شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد، والعماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، وهو ابن خالة الموفق، أخي الحافظ عبد الغني، وغيرهم كثير.

ـ مذهبه:

موفق الدين عبد الله من أبرز علماء الحنابلة، وقد سلك هذا المذهب عن علم

ودرايةٍ، فهو من المجتهـدين، ولكنه في جملة آرائـه حنبلي المذهب، ويخـالف المذهب في بعض المسائل، ويستقلّ فيها برأيه، ويدلل على ذلك.

ويحتلّ الموفق ـ رحمه الله تعالى ـ مكانة بـارزة بين فقهاء الحنـابلة، فهو ضليـع في المـذهب الحنبلي، وقد حفظ مسـائـل الخَـرقي في صغيـره، واطلع على الكثيـر من كتب المذهب، حتى قيل: إنه حامل لواء مذهب الحنابلة في عصره.

وقد تقدّم به علمه حتى بلغ رتبة الإجتهاد، وصـار علماً من أعـلام الإسلام، فـآراؤه وكتبه مقدّمة عند الحنابلة الذين جاؤوا بعده.

ـ جهاده:

ولم يكن الإمـام مـوفق الـدين ابن قـدامـة من العلمـاء الأبـرار فقط، بـل كـان من المجاهدين الأخيار كذلـك، فقد جـاهد بـالسيف والسِّنان كمـا جاهـد بالقلم واللسـان في حروب الصليبيين، تحت إمرة القائد المناضل النـاصر صـلاح الدين الأيـوبي، الذي جنّـد المسلمين سنة (٥٨٣) هـ، لجهاد الصليبيين ودحرهم وقمعهم، ولتطهيـر الأرض المقدسـة من رِجْسِهم ودَنَسهم؛ فقـد شارك هـو وأخوه أبـو عمر وكثيـر من تلاميـذهمـا وبعض أفـراد إسِيرتهما في هذه المعارك تحت ألوية صلاح الدين المظفّرة، وكان لهما ولتلاميذهمـا خيمة يتنقلون بها مع المجاهدين في سبيل الله حيثما حلّوا.

وهكذا علماء الإسلام في الذروة في العلم والعمل والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسوة بأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فرحمـة الله ومغفرتـه على أعلام الإسـلام، وهـداة الأنام، وفّق الله تعـالى علماء زمـاننا إلى الإقتـداء بهؤلاء البررة الأطهـار لنعـود إلى مجدنا الغابر.

ـ صفاته وخلقه:

كان رحمه الله تعالى قوي الشخصية، متميز التفكير، نافذ البصيرة، سليم العقيـدة، حسن الإتبـاع، شديـد التمسك بـالسنة، قـوي على أهل البـاطل، رحيم بـأهل الحق، لا يجامل ولا يخضع لغير سلطان الحق والعلم، مع أدب رفيع، وفهم دقيق، وذوق سليم.

وكان رحمه الله ورعاً زاهداً، كثير الحياء، عـزوفاً عن الـدنيا وأهلهـا، هيناً، لينـاً، متواضعاً، محباً للمساكين. حسن الأخلاق، جواداً سخياً.

وكـان كثير العبـادة، غزيـر الفضل، ثـابت الذهن، شـديـد التثبت في علمـه، دائم السكـون، قليل الكـلام، كثير العمـل، يستأنس الإنسـان برؤيتـه قبل كـلامـه، رحمـه الله تعالى.

ـ بعض أقوال العلماء فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عنه: ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق.

وقال عنه شيخه ابن المنّي عند خروجه من بغداد: اسكن هنا فإن بغداد مفتقرة إليك، وأنت تخرج من بغداد ولا تخلّف فيها مثلك.

وقال ابن الصلاح: ما رأيت مثل الموفق.

وقال سبط ابن الجوزي: من رأى الموفق فكأنما رأى بعض الصحابة، وكأن النور يخرج من وجهه.

ولجلالة قدره قد ألّف الحافظ ضياء الدين عبد الغني المقدسي كتاباً في سيرته. وكذلك الحافظ الذهبي.

ـ آثاره:

خلّف ابن قدامة رحمه الله ثروة علمية ضخمة، كان لها وزنها في العلوم الإسلامية، ومن هذه الكتب:

١ ـ المغني شرح مسائل الخرقي، وهو أوفَى شرح لمسائل الخرقي. وعلى مسائل الخرقي أكثر من ثلاثمائة شرح، أوفاها المغني لابن قدامة رحمه الله، وهو مطبوع متداول بين كثير من العلماء، وهو قاموس في الفقه.

٢ ـ الكافي، وهو فقه سنة مختصر مركّز، ذكر فيه من الأدلّة ما يتوصل الطلبة به للعمل بالدليل.

٣ ـ المقنع، وهو في المذهب، مجرّد من الدليل، يذكر فيه بعض الروايات المعتمدة.

٤ ـ العمدة في الفقه، وهو للمبتدئين، يذكر فيه الدليل من الكتاب والسنة، لا يستغني عنه المبتدىء لسهولة عبارته، وذكر الأدلة فيه.

٥ ـ مختصر الهداية لأبي الخطاب. وأبو الخطاب شيخ شيخه عبد القادر الجيلاني.

٦ ـ روضة الناظر في أصول الفقه.

٧ ـ مختصر علل الحديث لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلاّل.

٨ ـ مختصر في غريب الحديث.

٩ ـ قنعة الأريب في الغريب.

١٠ ـ البرهان في مسألة القرآن.

١١ ـ مسألة العلو (جزآن).
١٢ ـ كتاب التوابين ـ وهو كتابنا هذا ـ .
١٣ ـ كتاب القدر (جزآن).
١٤ ـ فضائل الصحابة.
١٥ ـ المتحابين في الله (جزآن).
١٦ ـ كتاب الرقة والبكاء (جزآن).
١٧ ـ اليقين في نسب القرشيين.
١٨ ـ الإستبصار في نسب الأنصار.
١٩ ـ لمعة الإعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد.
٢٠ ـ ذم التأويل.
٢١ ـ مقدّمة في الفرائض.
٢٢ ـ مناسك الحج.
٢٣ ـ ذم الموسوسين.
٢٤ ـ صفة الفلق.
٢٥ ـ فضائل العشر.
٢٦ ـ مجموعة فتاوى.
٢٧ ـ مشيخة شيوخه.

وله ـ رحمه الله ـ إلى ذلك بعض الرسائل، منها:

٢٨ ـ رسالة إلى الشيخ فخر الدين ابن تيمية في تخليد أهل البدع في النار.
٢٩ ـ جواب مسألة وردت من (صرخد) في القرآن.
٣٠ ـ مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام.

ـ وفاته:

توفي موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ـ رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته ـ يوم السبت، يوم عيد الفطر، سنة (٦٢٠) هـ، ودفن في سفح جبل قاسيون في صالحية دمشق، فوق جامع الحنابلة[١].

---

(١) قد أفدت في هذه الترجمة من ترجمة الأستاذ عبد القادر الارناؤوط للموفّق ومن ترجمة الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن السعيد له، في كتابه ابن قدامة وآثاره الأصولية.

أصل التحقيق

لقد اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة مطبوعة بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله.

وكان قد اعتمد في نسخته على مخطوطتين، ومطبوعة. وقد قارن بينها، وضبط النص ضبطاً جيداً، إلاّ أنه اعتمد أصلاً له مخطوطة رمز لها بـ (أ)، فإن كان هناك خلافاً بين النسخ، اعتمد الأصل (أ) وأثبته، ونوّه في الهامش لما في المخطوطة (ب) والمطبوعة الأخرى.

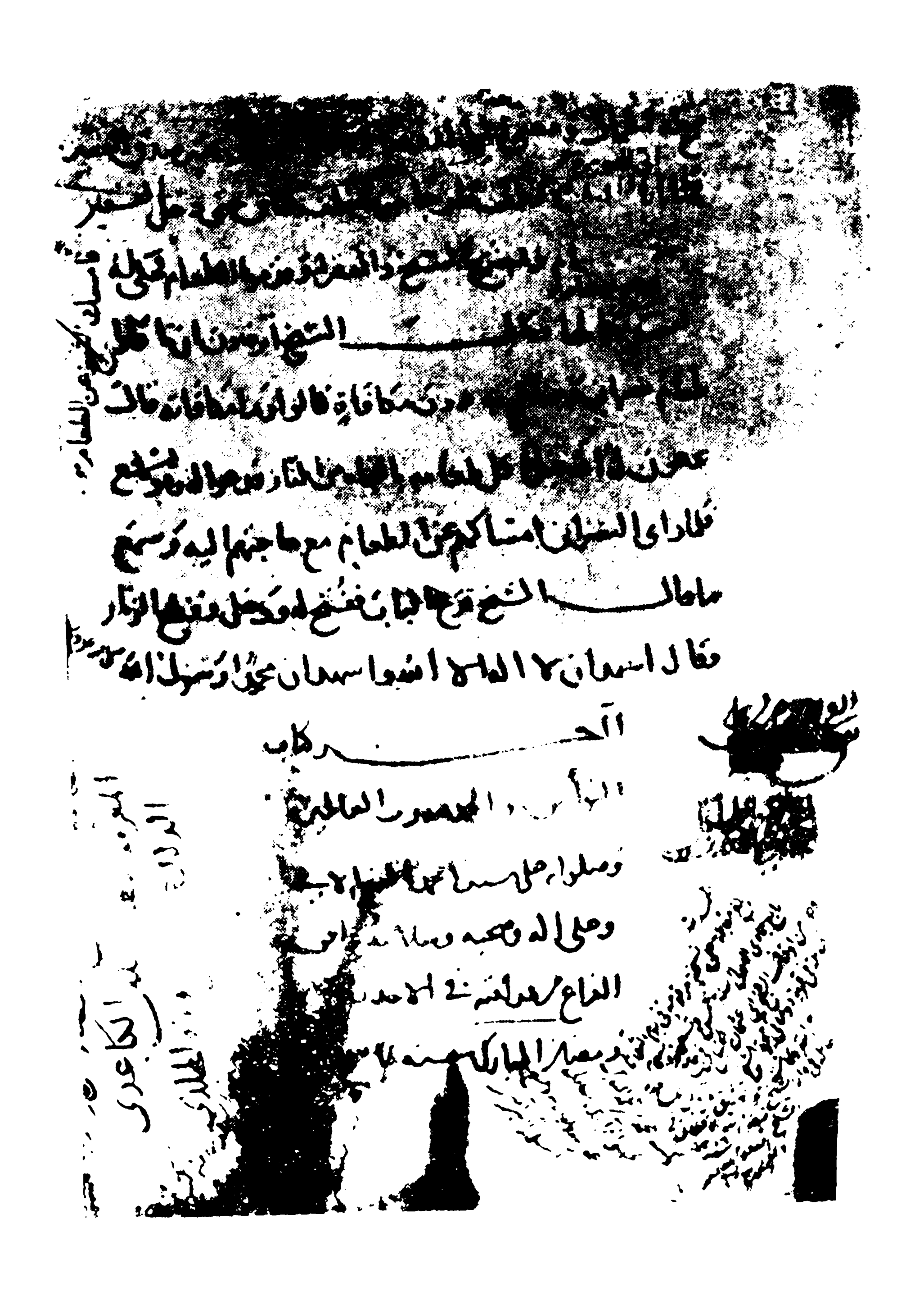
وكنت كثيراً ما أجد أن الصوّاب إنما هو ما في المخطوطة (ب) والمطبوعة. فأُثبته وأنوّه إلى ذلك، من ذلك ما جاء في باب ذكر التوابين من ملوك الأمم الماضية، توبة ملك من الملوك، حيث جاء فيها: ثنا جويبر بن أسماء. وقال الأستاذ عبد القادر في الهامش: «في (ب) والمطبوعة: جويرية». قلت: وجويرية هو الصواب، كما بينته في موضعه، وهناك أخطاء أخرى في الأصول الثلاثة قد نوّهت إليها في موضعها.

وقد قام الأستاذ عبد القادر حفظه الله بوضع عناوين للقصص، وشرح بعض الكلمات الغريبة، وعلّق على بعض القصص التي لا تتفق وما جاء في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ـ ﷺ ـ. وقد استفدتُ من ذلك.

قلت: وقد استدركت بعض العناوين على الأستاد عبد القادر، وغيّرت في بعضها لتكون أكثر تعبيراً عمّا في القصّة.

وهذه صور وريقات من المخطوطتان التي اعتمد عليها الإستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى.

راموز الصفحة الأولى من النسخة «أ»



راموز الصفحة الأخيرة من النسخة «أ»

راموز الصفحة الثانية من النسخة «ب»

بيتي قال فخرج معه من في جانبي بغداد فلم يجد من يسأله في شيء فأخذه الجوع

والتعب فجلس على دكان نصراني والناس عليه خلق عظيم بعضهم

الدواء فقال له النصراني ما بك فلم ير ان يشكو الى نصراني حاله بل مد يده

اليه فسترها فقال النصراني عند ذلك هذه علة انا اعرفها واما انا

غلام امض الى السوق ابتغ برطل خبز ورطل شواء ورطل حلوا فقال الشيخ

هذه العلة باربعين رجلا فقال يا غلام ابتغ باربعين مثل ذلك فاتى

الغلام بذلك فسأله النصراني الى الفقير وقال اسألوه المنزل ذكرت فاخذه

مع الحمال ومضى معه الى الدويرة وقام النصراني بعينه صديق الفقير

الى الدويرة ووقف خارجا منها خلف طاق حتى دخل الفقير موضع

الفقراء واجتمع الشيخ والفقراء وقدموا الطعام فامسك الشيخ عن

[illegible] وقال يا معشر ما قصة هذا الطعام فحكى له القصة بكمالها

فقال الشيخ لترضون ان تاكلوا الطعام نصراني ويحكم به دون دعائه

[illegible] وما مدا ما ذا قال ندعو الله له قبل اكل طعامه بالنجاة من النار

[illegible] يسمع فلما رأى النصراني امساكهم عن الطعام مع حاجتهم

[illegible] الشيخ [illegible] قطع الزنار [illegible]

راموز الصفحة الأخيرة من النسخة «ب»

عملي في التحقيق

لقد بذلت جهدي في أن تخرج هذه الطبعة لهذا الكتاب بحلّة جديدة، ترضي قارئنا العزيز، ولذلك قمت بالخطوات التالية:

- صححت الأخطاء المطبعية والعلمية الموجودة في المطبوعة، وهي قليلة.

- عزوت الآيات إلى السورة التي هي منها، وذكرت رقمها في هذه السورة.

- خرجت الأحاديث تخريجاً - آمل أن يكون دقيقاً -، وبيّنت صحيحها من سقيمها. قدر الطاقة.

- ذكرت بعض الفوائد المستنبطة من الأحاديث الواردة، ليكون النفع أعمّ وأشمل.

- بيّنت صحة أو ضعف أسانيد القصص والروايات التي ذكرها المصنف، ما كان إلى ذلك سبيلاً، لا سيما القصص التي يتعلّق بها أمر مهمّ، كالقصص التي تذكر توبة الأنبياء، وتوبة الصحابة، وتوبة بعض الفضلاء.

- نقضت وعلّقت على ما جاء في بعض القصص من مخالفة لما جاء في كتاب الله تعالى وسنّة رسوله - ﷺ -، ولا سيما فيما يتعلّق بأخبار توبة الملائكة وتوبة الأنبياء.

- ضبطت الأنساب بالشكل في النص، ثم ذكرت ضبطها كتابة في الهامش، وبيّنت أصل هذا النسب، وإلى ماذا يُنسب. وقد تكرّرت بعض الأنساب كثيراً، فاكتفيت بضبطها كتابة أوّل مرة، وضبطتها بالشكل في كل الكتاب.

- شرحت الكلمات الغريبة الواردة في النصوص، وضبطت بالشكل، ما كان منها بحاجة إلى ذلك.

- ترجمت للأعلام المذكورين، ولا سيما لمن تتعلق القصة به، ما كان إلى ذلك سبيلاً، إذ أنّ هناك من لم أعثر له على ذِكْر البتّة.

- قدّمت للكتاب بذكر شيء عن التوبة وما يتعلق بها من الأحكام، لتتم بذلك الفائدة ويعمّ النفع، لأن المصنّف أغفل هذا الأمر - والظاهر أن ذلك عمداً - لأنه يخرجه عن مقصوده من هذا الكتاب، الذي جعله لسرد قصص التوابين لا غير.

ـ ذكرت نبذة عن الروايات الإسرائيلية، وحكم رواياتها، وقيمتها، وذلك لأن المصنف أكثر في ذكر مثل هذه الروايات في كتابه، وقد أشرت إلى هذه الروايات في الكتاب.

ـ ترجمة لمؤلف الكتاب موفق الدين ابن قدامة ترجمةً موجزة، يستبين القارىء منها معالم حياته الشخصية والعلمية.

هذا وما كان في صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمنّي ومن الشيطان.

وأسأل الباري ـ عزّ وجلّ ـ أن يجنّبنا الشطط، وأن يهدينا للأقوم، وأن يسدّد خطانا على الصراط المستقيم.

كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خالد عبد اللطيف السبع العلمي
طرابلس ـ لبنان



تأليف
الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد
ابن قدامة المقدسي
"٥٤١ - ٦٢٠هـ"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

قال الشيخ الامام العالم الأوحد، الصدر الكبير، شيخ الإسلام موفق الدين، أبو محمد، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، رضي الله عنه:

الحمد لله الكريم الوهّاب، الرحيم التوّاب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، يحبّ التوّابين والمتطهّرين، ويغفر للمنيبين والمستغفرين، ويقيل عثرات العاثرين، ويقبل اعتذار المعتذرين، فله الحمد كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما ينبغي لكرم وجهه، وعزّ جلاله.

وصلى الله على نبيّه وصفّيه محمّدٍ خاتم الأنبياء، وسيّد الأصفياء، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

هذا كتاب، ذكرت فيه بعضَ أخبار التوّابين، تشويقاً إلى أخبارهم، وترغيباً في أحوالهم، والإقتداء بهم.

بدأتُ فيه بذكر توبة الملائكة، ثم الأنبياءِ عليهم السلام، ثمّ ملوكِ الأمم الخالية، ثمّ الأمم، ثمّ الآحادِ منهم، ثمّ أصحاب نبيّنا عليه الصلاة والسلام، ثمّ ملوك هذه الأمّة، ثمّ سائرهم.

ونسأل الله تعالى أن يَقْبَلَ توبتنا، ويغفر حَوْبَتَنَا[1]، ويسدِّدَ ألسنتنا، ويَسُلَّ سخيمةَ قلوبنا[2].

---

(١) قال محمد بن أبي بكر الرازي في مختار الصحاح ص ٢٢: «الحُوْب ـ بالضمّ، والحاب: الإثم وقد حاب بكذا، أي: أثم.. وحَوْبة ـ أيضاً ـ بفتح الحاء ٢٢» أ هـ.
ويطلق الحوب أيضاً على الذنب ـ وهو الذي استوجب الإثم ـ، ولهذا قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٩٨: «ما يأثم الرجل إن لم يُرْاعه» أ هـ.
ومنه قوله تعالى في سورة النساء، أية رقم (٢)، عن أكل أموال اليتامى: ﴿إنّه كان حوباً كبيراً﴾. أي: ذنباً كبيراً، وإثماً عظيماً.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤١١: «السخيمة: السواد، والأسخم: الأسود، والسُّخام ـ بالضم ـ: سواد القدر، وسخّم الله وجهه تسخيماً، أي: سوّده» أ هـ.
وقال في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «سلَلْتُ سخيمته باللطف والترضّي، وفي قلوبهم سخائم ٢٢ أ هـ.
والمقصود هنا: هو سؤال الله تعالى أن يُسلّ ـ أي يَرُدّ ـ سواد قلوبنا، أي: ما فيه من الحقد والحسد والضغينة وما إلى ذلك عن قلوبنا.

ذكر التوّابين من الملائكة عليهم السلام

١ ـ [قصة هاروت وماروت][1]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ـ رحمه الله ـ ، أنبأ الأمين أبو طالب عبد القادر بن محمّد اليُوسُفي[2]، أنبأ ابن المذهب، أنبأ أبو بكر القَطِيعيُّ[3]، ثنا

---

(١) ذكر المصنف في هذا الباب قصة هاروت وماروت. وقبل الدخول في هذه القَصة وما فيه، يجب أن نعلم أن حاصل هذه القصة راجع في تفصيله إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤١/١: «قد روي قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين، كمجاهد السدّي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيّان وغيرهم.

وقصّها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى.

وظاهر سياق القرآن إجمال القصة، من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى.

والله أعلم بحقيقة الحال» أ هـ.

وأما قصتهم كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في سورة البقرة، آية رقم /١٠٢، حيث قال عن بعض أهل الكتاب: **﴿واتَّبعوا ما تَتْلوا الشياطين على مُلْك سليمان، وما كفر سليمان، ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناسَ السحر، وما أُنْزِل على الملَكَين ببابِل وهاروت وماروت، وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلّمون منهما مايفرّقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلّمون ما يضرُّهم ولا ينفعُهُم.. الآية﴾.**

فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، من غير زيادة ولا نقصان.

(٢) اليُوْسُفيّ: بضمّ الياء، وسكون الواو، وضمّ السين المهملة، وبعدها فاء. وهذه النسبة إلى أبي يوسف الإسفراييني، خازن دار العلم ببغداد، كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٤٢٠/٣.

(٣) القطيعيّ: بفتح القاف، وكسر الطاء، وسكون الياء، وبعدها عين مهملة.

هذه النسبة إلى القطيعة، وهو اسم لعدّة محالّ ببغداد.

منها: قطيعة الربيع مولى المنصور، نسبت إليه لأن المنصور أقطعه إياها...

ومنها: قطيعة الدقيق، ينسب إليها أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي ـ قلت: وهو الرواي=

عبد الله بن أحمد، ثنا أبي[1] رحمه الله، ثنا يحيى ابْن أبي بُكَيْر، ثنا زهير بن محمّـد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن عبـد الله بن عمر، أنّـه سمع نبيّ ﷺ يقـول: «إنّ آدم عليه السلام لمّا أهْبَطَه الله إلى الأرض، قالت الملائكة: أي ربّنا. ﴿أتَجعلُ فِيها مَنْ يُفسِدُ فِيها ويسفِكُ الدِّماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بِحمدِكَ ونُقدِّسُ لكَ؟ قال: إنِّي أعلمُ ما لا تعلمُونَ﴾[2].

قالوا: ربّنا! نحن أطوع لك من بني آدم.

قال الله تعالى للملائكة:

هلمّوا ملَكين من الملائكة، حتّى نهبطهما إلى الأرض، فتنظروا[3] كيف يعملان.

قالوا: ربّنا! هاروت وماروت.

فأُهبطا إلى الأرض؛ ومُثّلت لهما الزُّهرةُ امرأةً من أحسن البشر، فجاءتهما، فسألاها نفسها. قالت: لا والله! حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك.

فقالا: لا والله! لا نشرك بالله شيئاً أبداً.

فـذهبتْ عنهما، ثم رجعتْ بصبيّ تحمله، فسـألاها نفسهـا. فقالت: لا والله! حتّى تقتُلا هذا الصّبيَّ. فقالا: لا والله! لا نقتله أبداً.

فـذهبت، ثمّ رجعت بِقَدَحِ خَمْـر تحمله، فسألاهـا نفسها. فقـالت: لا والله! حتى تشربا هـذا الخمر، فشـرِبا حتّى سكـرا. فوقَعَـا عليها، وقتـلا الصَّبيّ. فلما أفـاقا، قـالت المرأة: والله ما تركتما شيئاً مما أبيتماه إلاّ فعلتماه حين سَكِرْتُمَا، فخُيِّـرا بَيْن عذاب الـدنيا والآخرة، فاختارا ـ عذاب الدنيا[4].

= هنا ـ ، يروي عن إسحاق، وإبراهيم الحرميين، وعبدالله بن أحمد بن حنبل وغيرهم.

روى عنه الحاكم أبو عبدالله، وأبو نعيم الحافظ وغيـرهما، وكـان مكثراً، مـات في ذي الحجّة، سنـة ثمان وستين وثلاثمائة...

كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٤٨.

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المـرزوي، نزيـل بغداد، أبـو عبدالله، أحـد الأئمة الكبـار، صاحب المـذهب، ثقة حـافـظ فقيـه حجّة، ولـد سنـة (١٦٤ هـ) وتـوفي سنـة (٢٤١ هـ)، وله سبع وسبعون سنة.

أنظر تهذيب الكمال ١/٤٣٧ ـ ٤٧٢، والتقريب ١/٢٤.

والحديث في مسنده كما سيأتي.

(٢) سورة البقرة آية رقم /٣٠.

(٣) في المسند ٢/١٣٤: حتى يُهبط بهما إلى الأرض فننظر.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/١٣٤.

وابن حبّان في صحيحه، في كتاب التفسير، تفسير سورة البقرة، موارد الـظمآن حـديث رقم (١٧١٧) ص ٤٢٥. =

أخبرنا أبو العباس: أحمد بن المبارك بن سعد، أنا جدّي لأمّي أبو المعالي ثابت بن

= وابن السني في عمل اليوم والليلة، كما في المقاصد ص ٤٥٥ وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٣٨/١ وعزاه لأحمد وابن حبان، ثم قال:

«وهذا حديث غريب من هذا الوجه، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين: إلا موسى بن جبير. . . وهو الأنصاري. . . ذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ولم يحكِ فيه شيئاً من هذا ولا من هذا، فهو مستور الحال.

وقد تفرّد به عن نافع ـ مولى ابن عمر ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ .

وروي له متابع من وجه آخر عن نافع: كما قال ابن مردويه، حدثنا دملج بن أحمد، حدثنا هشام بن علي بن هشام، حدثنا عبدالله بن رجاء، حدثنا سعيد بن سلمة، حدثنا موسى بن سرجس، عن نافع، عن ابن عمر سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول، فذكره بطوله.

وقال أبو جعفر بن جرير ـ رحمه الله ـ [هو الإمام الطبري المفسِّر، وذكر ذلك في تفسير ٣٦٤/١ ـ ٣٦٥]:

حدثنا القاسم، أخبرنا الحسين وهو: سنيد بن داود صاحب التفسير ـ: أخبرنا الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع، قال سافرت مع ابن عمر، فلما كان في آخر الليل، قال يا نافع انظر طلعت الحمراء؟.

قلت: لا، مرّتين أو ثلاثاً. ثم قلت: قد طلعت.

قال: لا مَرْحباً بها ولا أهلاً. قلت: سبحان الله نجم مسخّر سامع مطيع. قال: ما قلت لك إلا ما سمعت من رسول الله ـ ﷺ ـ .

أو قال: قال لي رسول الله ـ ﷺ: إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال: فاختاروا ملكين منكم، قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا، فاختاروا هاروت وماروت.

وهذان أيضاً غريبان جداً.

وأقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبدالله بن عمر، عن كعب الأحبار، لا عن النبيّ ـ ﷺ ـ، كما قال عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار. . . [فذكره نحوه]» أ هـ.

ثم ذكر إسناداً آخر عن موسى بن عقبة عن سالم، أنه سمع عبدالله، يحدّث عن كعب الأحبار فذكره.

ثم قال: **«فهذا أصحّ وأثبت ألى عبدالله بن عمر، من الإسنادين المتقدّمين، وسالم أثبت في أبيه من مولاه نافع.**

فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل، والله أعلم» أ هـ.

والزُّهرة: هي الكوكب المعروف، وفي الحديث الذي ذكره المصنف أنها تمثلت لهارُوت وماروت امرأة من أحسن البشر، لكن الحديث ضعيف كما تقدم. لكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ١٤٠/١:

«وأقرب ما ورد في ذلك، ما قال ابن أبي حاتم، أخبرنا عصام بن رواد، أخبرنا آدم، أخبرنا أبو جعفر حدثنا الرّبيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: . . . فذكر القصة=

= بمعناها، وفيه:
وفي ذلك الزمان امرأة حُسْنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب. .
ثم قال: وقد رواه الحاكم في مستدركه مطولاً: عن أبي زكريا العنبري. عن محمد بن عبد السلام، عن إسحاق بن راهويه، عن حكام بن سلم الرازي ـ وكان ثقة ـ، عن أبي جعفر الرازي به: **ثم قال**: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.
فهذا أقرب ما روي في شأن الزهرة والله أعلم» أ هـ.
قلت: قول الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. غير مسلّم به، **فهذا إسناد ضعيف فيه**:
١ ـ أبي جعفر الرازي: مشهور بكنيته، واسمه: عيسى بن أبي عيسى، وأصله من مرو، صدوق سيء الحفظ، كما في التقريب ٢/٤٠٦.
٢ ـ الربيع بن أنس: صدوق له أوهام، كما في التقريب ١/٢٤٣.
فأنّى للحديث الصحّة، والله تعالى أعلم.
قلت: **وملخص ما سبق، هو ما قاله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/٤٣.** حيث قال عن هاروت وماروت: «**وقد ورد في قصتهما وما كان من أمرهما، آثار كثيرة غالبها إسرائيليات.**
وروى الإمام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر، وصححه ابن حبان في تقاسيمه، وفي صحته عندي نظر، **والأشبه أنه موقوف على عبدالله بن عمر ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار. . .**
وفيه: أنه تمثّلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر.
وعن علي وابن عباس وابن عمر ـ أيضاً ـ: أن الزهرة كانت امرأة، وأنهما لما طلبا منها ما ذُكِر، أبت إلا أن يعلماها الإسم الأعظم فعلماها، فقالته، فارتفعت إلى السما، فصارت كوكباً.
وروى الحاكم في مستدركه عن ابن عباس، قال: **وفي ذلك الزمان امرأة حسنها في النساء كحسن الزهرة في سائر الكواكب. وهذا اللفظ أحسن ما ورد في شأن الزهرة.**
ثم قيل: كان أمرهما وقصتهما في زمان إدريس، وقيل: في زمان سليمان بن داود ـ كما سيأتي.
وبالجملة فهو خبر إسرائيلي مرجعه إلى كعب الأحبار، كما رواه عبد الرزاق في تفسيره عن الثوري، عن موسى بن عقبة، عن سالم، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار بالقصة.
وهذا أصح إسناداً، وأثبت رجالاً، والله أعلم» أ هـ.
ولكن يعكّر على هذا ما قاله الحافظ ابن حجر في القول المسدّد ص ٤٨: «وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها، وقوة مخارج أكثرها، والله أعلم» أ هـ.
وأنت ترى في قول الحافظ: يكادَ الواقف. . . إلخ أنه لم يقطع بصحتها، على الرغم من كثرة طرقها وجودة أكثرها كما ذكر، وهذا يوحي بشكّه في ذلك، والله أعلم.
ولم أحصلْ على هذا الكتاب ليتسنّى لي الإضطلاع عليه، ولكن ـ والله أعلم ـ أنَّ كَثْرة الطرق وقوتها إنما هي راجعة للموقوف من أقوال بعض الصحابة وغيرهم، وليس للمرفوع.
وقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/١٣٩ ـ ١٤١ الكثير منها.
وإن ثبت ما ذهبنا إليه من قصد ابن حجر، فيرجع بنا الحال إلى ما ذكره ابن كثير مِن أنَّ مَنْ روى هذا الحديث إنما تلقى ذلك عن كعب الأحبار، وهو نقلها عن كتب بني إسرائيل.
والله تعالى أعلم.

بندار، أنا أبو عليّ بن دَوما، أنا أبو عليّ البَاقَرْحي[1]، أنا الحسن بن علويّه، أنا إسماعيل، أنا إسحاق بن بِشْر، عن جويبر، عن الضحّاك، عن مكحول، عن معاذ[2]، قال:

= وقد ذكر عبدالله محمد الصديق في تعليقه على المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ قول الحافظ ابن حجر، ثم قال: «وأطنب السيوطي في الحبائك، وفي الدر المنثور في ذكر طرقها، حتى زاد عدة طرق على ما أورده الحافظ».

ولكنها مع ذلك قصة شاذة تخالف القرآن وقواعد العلم، وبيان ذلك في كتابنا قصص القرآن» أ هـ.

وأنظر المقاصد الحسنة ص ٤٥٥ ـ ٤٥٦.

(١) البَاقَرْحي: بفتح الباء والقاف، وسكون الراء، وفي آخرها الحاء المهملة.

هذه النسبة إلى باقَرْح، وهي قرية من نواحي بغداد.

كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ١/١١٢.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً عن معاذ، هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:

١ ـ إسحاق بن بشْرِ، أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب (المبتدأ)، قال الذهبي عنه في ميزان الإعتدال ١/١٨٤: «تركوه، وكذّبه عليّ بن المديني. وقال ابن حبان: لا يحلّ حديثه إلا على جهة التعجب، وقال الدارقطني: كذّاب متروك.

قلت: ـ أي الذهبي ـ: يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري.

قال إسحاق الكوسج: قَدِم علينا أبو حذيفة فكان يحدِّث عن ابن طاووس وكبار من التابعين ممّن مات قبل حُميد الطويل، فقلنا له: كتبت عن حُميد الطويل؟ ففزع، وقال: جئتم تسخرون بي؟! جَدِّي لم يَرَ حميداً. فقلنا له: فأنت تروي عمن مات قبل حُميد! فعلمنا ضَعْفَه، وأنه لا يدري ما يقول» أ هـ.

وقال ـ أيضاً ـ في المغني في الضعفاء ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقداتهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذّاب» أ هـ.

وأنظر الضعفاء الكبير للعقيلي ١/١٠٠. ولسان الميزان ١/٣٥٤ ـ ٣٥٥.

٢ ـ جويبر، وهو ابن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب.

قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/١٢٣ ـ ١٢٤: «قال عمرو بن علي: ما كان يحيى ولا عبد الرحمن يحدِّثان عنه، وكذا قال أبو موسى. وقال أبو طالب، عن أحمد: ما كان عن الضحاك فهو أيسهر، وما كان يُسْنِد عن النبي ـ ﷺ ـ فهو منكر».

وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: كان وكيع إذا أتى على حديث جويبر، قال: سفيان، عن رجل، لا يسمّيه، استضعافاً له.

وقال الدوري وغيره عن ابن معين: ليس شيء.

... وقال عبدالله بن علي بن المديني سألته ـ يعني أباه ـ عن جويبر، فضعّفه جداً قال: وسمعت أبي يقول: جويبر أكثر على الضحاك، روى عنه أشياء مناكير.

.. وقال النسائي، وعلي بن الجنيد والدراقطني: متروك. وقال النسائي في موضع آخر: ليس بثقة.

وقال ابن عدّي: والضعف على حديثه ورواياته بيّن.

وقال أبو قدامة السرخسي: قال يحيى القطان: تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثقونهم في الحديث ثم ذكر الضحاك وجويبراً، ومحمد بن السائب، وقال: هؤلاء لا يحمل حديثهم، ويكتب التفسير عنهم. =

لمّا أن أفاقا جاءهما جبريل ـ عليه السلام ـ مِنْ عندِ الله ـ عزّ وجلّ ـ وهما يبكيان، فبكى معهما، وقال لهما: ما هذه البليّة التي أُجْحَفَ بكما[1] بلاؤها وشقاؤها؟.

فبكيا إليه، فقال لهما: إنّ ربَّكما يخيِّركما بين:

عذاب الدنيا، وأن تكونا عنده في الآخرة في مشيئته، إن شاء عذّبكما، وإن شاء رحمكما.

وإن شئتما عذاب الآخرة.

فَعَلِمَا أنّ الدّنيا منقطعة، وأن الآخرة دائمة، وأنّ الله بعباده رؤوف رحيم. فاختارا عذاب الدنيا، وأن يكونا في المشيئة عند الله.

قال: فهما ببابل فارس معلَّقَينِ بين جَبَلَيْن، في غار تحت الأرض، يُعذَّبان كلَّ يومٍ طَرَفَي النّهار إلى الصيحة.

ولمّا رأت ذلك الملائكة خَفَقَتْ بأجنحتها في البيت، ثم قالوا: اللهمّ اغفر لولد آدم، عجباً كيف يعبدون الله ويطيعونه على ما لهم من الشهوات واللذّات!.

وقال الكَلْبي[2]: فاستغفرت الملائكة بعد ذلك لولد آدم، فذلك قوله سبحانه:

وقال أحمد بن سيار المرزوي: جويبر بن سعيد كان من أهل بلخ، وهو صاحب الضحاك، وله رواية ومعرفة بأيام الناس، وحاله حسن في التفسير، وهو لين في الرواية.

وقال ابن حبان: يروي عن الضحاك أشياءَ مقلوبة.

وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث.

وقال الحاكم أبو عبدالله: أنا أبرأ إلى الله من عهدته» أ هـ.

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب ١/١٣٦: «ضعيف جداً» أ هـ.

وأنظر تهذيب الكمال ٥/١٦٧ ـ ١٧١.

٣ ـ وإسماعيل ـ الراوي عن إسحاق بن بشر ـ هو ابن عيسى البغدادي العطار، مختلف فيه، قال الذهبي في الميزان ١/٢٤٥: «ضعَّفَه الأزدي، وصححه غيره، وهو الذي يروي (المبتدأ) عن أبي حذيفة البخاري.

وثقه الخطيب: ومات سنة ٢٣٢ هـ» أ هـ.

وقال ابن حجر في لسان الميزان ١/٤٢٦: «وذكره ابن حبان في الثقات».

وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: «كتبنا عنه» أ هـ.

(١) أُجْحَف بكما، أي: ذهبَ بكما واستأصلكُما.

وقال في مختار الصحاح ص ٢٨٦: «اجحف به: ذهب به» أ هـ.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٥٢: «أجحف بهم الدهر، واجْتَحَفَهُم: استأصلهم» أ هـ.

(٢) هو أبو النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو الكلبي، صاحب التفسير، كوفي، صاحب بدعة، متهم بالكذب، ورُمِيَ بالرفض.

﴿والملائكةُ يُسبِّحونَ بِحَمْدِ ربِّهِمْ ويَسْتَغْفِرُوْن لِمَنْ في الأَرضِ﴾[1].

ورُوِي عن ابن عبّاس، أنَّ الله ـ تعالى ـ قال للملائكة: انتخبوا ثلاثة من أفاضلكم. فانتخبوا عزراً، وعزرايل، وعزويا. فكانوا إذا هبطوا إلى الأرض كانوا في حدِّ بني آدم وطبائعهم. فلما رأى ذلك عزرا وعرف الفتنة، علم أن لا طاقة له، فاستغفر ربَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ واستقاله، فأقاله.

فرُوِي أنَّه لم يرفع رأسه بعدُ حياءً من الله تعالى[2].

= ومما قاله العلماء فيه:

قول أبي حاتم: الناس مجمعون على ترك حديثه، هو ذاهب الحديث، لا يشتغل به.

وقال النسائي: ليس بثقة، ولا يُكتب حديثه.

وقال عليّ بن الجنيد، والحاكم أبو أحمد والدراقطني: متروك.

وقال الجوزجاني: كذاب ساقط.

وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، روى عن أبي صالح التفسير، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، لا يحل الإحتجاج به.

وقال الساجي: متروك الحديث، وكان ضعيفاً جداً لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع.

أنظر تهذيب التهذيب ٩/١٧٨ ـ ١٨١، والتقريب ٢/١٦٣، واللباب في تهذيب الأنساب ٣/١٠٤ ـ ١٠٥.

(١) سورة الشورى آية رقم /٥.

وقصة استغفار الملائكة لولد آدم ذكرها الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/١٤٠. ضمن ذكره لقصة هاروت وماروت عن ابن عباس، حيث جاء فيها بعد الخطيئة ـ وبين أهل السماء. فنظرت الملائكة إلى ما وقعا فيه، فعجبوا كل العجب، وعرفوا أنّه من كان في غيب فهو أقلّ خشية، فجعلوا بعد ذلك يستغفرون لمن في الأرض، فنزل في ذلك **﴿والملائكة يسبّحون بحمد ربهم ويستغفرون لِمَن في الأرض﴾**.

وعزاه للحاكم، من طريق أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن قيس بن عباد، عن ابن عباس به، ثم ذكر قول الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

قلت: بل إسناده ضعيف، فيه أبو جعفر الرازي صدوق، سيء الحفظ، كما في تقريب التهذيب ١/٤٠٦ والربيع بن أنس؛ صدوق وله أوهام، كما في التقريب ١/٢٤٣.

وقوله تعالى: **﴿لِمَن في الأرض﴾**.

المقصود هنا المؤمنين فقط، وليس كل مَن في الأرض ويؤكد هذا قوله تعالى: **﴿الذينَ يحملون العَرْش ومَنْ حوله يسبحون بحمد ربِّهم ويؤمنون به، ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كلّ رحمة وعلماً﴾**. أنظر تفسير ابن كثير ٤/١٠٦.

(٢) روى هذه القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/١٤٠ من طريق ابن أبي حاتم، عن أبيه، بإسناده عن ابن عباس أنّ أهل سماء الدنيا أشرفوا على أهل الأرض فرأوهم يعملون المعاصي، فقالوا: يا رب أهل الأرض كانوا يعملون بالمعاصي فقال الله: أنتم معي وهم في غيب عنّي. فقيل لهم: أختاروا =

قال الرَّبيع بن أنس[1]: لما ذهب عن هاروت وماروت السكر عَرَفا ما وقعا فيه من الخطيئة وندما، وأرادا أن يَصْعدا إلى السّماء، فلم يستطيعا، ولم يُؤذَن لهما. فبكيا بكاءً طويلاً، وضاقا ذَرْعاً بأمرهما.

ثم أتيا إدريس ـ عليه السلام ـ[2] وقالا له: أُدْعُ لنا ربّك، فإنّا سمعنا بِكَ تُذْكَر بخير في السماء. فدعا لهما، فاستُجيب له، وخُيِّرا بين عذابِ الدّنيا والآخرة.

ورُوِي أنَّ الملائكة، لما قالوا لله تبارك وتعالى: ﴿أتجعلُ فِيها منْ يُفسِدُ فِيها ويَسفِكُ الدِّماءَ﴾[3]، طافوا حول العرش أربعة آلاف عام، يَعْتَذِرون إلى الله ـ عز وجلّ ـ من اعتراضهم[4].

منكم ثلاثة. فاختاروا منهم ثلاثة على أن يهبطوا إلى الأرض، على أن يحكموا بين أهل الأرض، وجعل فيهم شهوة الآدميين، فأمِروا أن لا يشربوا خمراً، ولا يقتلوا نفساً، ولا يزنوا، ولا يسجدوا لوثن.
فاستقال منهم واحد، فأُقِيل.
فأُهْبِط إثنان إلى الأرض فأتتهما امرأة من أحسن الناس.. القصة.
ثم قال الحافظ ابن كثير: «وهذا السياق فيه زيادة كثيرة، وإغراب، ونكارة، والله أعلم بالصواب» أ هـ.

(١) هو الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي بصرّي، نزل خراسان، صدوق له أوهام، رُمِيَ بالتشيع، من صغار التابعين مات سنة مائة وأربعين. أو قبلها التقريب ٢٤٣/١.

(٢) هكذا ذكره الربيع بن أنس أنه إدريس ـ عليه السلام.
وجاء في رواية ابن عباس ـ التي فيها: اختاروا ثلاثة منكم.. وقد تقدمت ـ: وأما هما ـ أي: هاروت وماروت ـ فأرسل اليهما سليمان بن داود فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة...
فهنا ذُكر بأنه سليمان ـ عليه السلام ـ.
وجاء في رواية مجاهد عن ابن عمر كما في تفسير ابن كثير ١٣٩/١: «وفي الأرض نبيٌّ يدعو بين الجمعتين: فإذا كان يوم الجمعة أجيب، فقالا: لو أتينا فلاناً فسألناه، فطلب لنا التوبة، فأتياه، قال: رحمكما الله كيف يطلب التوبة أهل الأرض لأهل السماء، قالا: إنا قد ابتُلينا..».
وجاء في رواية عن مجاهد ـ ابن كثير ١٤١/١ ـ: «فاستغاثا برجل من بني آدم، فأتياه فقالا ادع لنا ربّك، فقال: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ قالا: سمعنا ربك يذكرك بخير في السماء..».
فهنا ذُكِر دون تسمية.
والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) سورة البقرة، آية رقم /٣٠.

(٤) لم أجد من ذكر هذه القصة، لكن المصنف ـ رحمه الله ـ أشار إلى تضعيفها، حيث صدّر الكلام بقوله: رُوِي ـ بصيغة المجهول ـ، وتصدر الكلام بصيغة المجهول يفيد التضعيف كما هو مقرر عند علماء الحديث.
=

= قلت؛ وقد ورد عن هاروت وماروت غير ما تقدّم، وأنهما أُنْزِلَا ليحكُما في الأرض، بالعدل، بعدما طعنا على أهل الأرض في أحكامهم، ثم حدث معهما ما حدث.
أنظر القصّة بتمامها في تفسير ابن كثير ١/١٤١.
قلت: وملخّص ما تقدّم ـ وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ـ أن قصة هاروت وماروت رُوِيت عن جماعة من التابعين، وقصّها خَلْق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين. وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق ـ ﷺ ـ أنظر تفسير ابن كثير ١٤١.

ذكر التوابين من الأنبياء عليهم السلام

٢ ـ تَوْبَةُ آدم عليه السلام(*)

أخبرنا أبـو الفضل مسعـود بن عبيد الله بن النّـادر، قال: أخبـرنا أبـو بكر محمـد بن

(*) ذكر المصنف في هذا الباب قصة آدم ـ عليه السلام ـ وأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها.

وهذه القصة، قد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز في ثلاثة مواضع، وسأذكرها هنا حتى يظهر للقـارىء ما جاء به القرآن جلياً، وما أخبر به، حتى نؤمن بمـا جاء فيـه، وكما أخبـر الله تعالى، من غيـر زيادة ولا نقصان.

قال تعالى في سورة البقرة الآيات (٣٥ ـ ٣٧): ﴿وقلنا يـا آدم اسكُنْ أنت وزوجُكَ الجنّـةَ وكُلا منهـا رَغداً حيثُ شِئتما ولا تقربا هذه الشجرَةَ فتكونا من الظالمين. فأزَلَّهُما الشيطان عنها فأخـرَجَهُمَا ممّـا كانا فيه، وقُلْنا اهبِطُوا بعضُكم لبعض عدوّ، ولكم في الأرضِ مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين. فتلقّى آدمُ من ربّه كلماتٍ فتابَ عليه، إنه هو التّوابُ الرّحيم﴾.

وقال تعالى في سورة الأعراف، الآيات (١٩ ـ ٢٣):

﴿ويـا آدمُ اسكُنْ أنت وزوجُـكَ الجنّـةَ فكُـلا من حيثُ شئتُمـا ولا تقرَبـا هـذه الشجـرةَ فتكـونَـا منْ الظالمينَ، فَوَسْوَسَ لهما الشيطانُ لِيُبْدِيَ لهما ما وُورِيَ عنهمـا من سوءاتِهمـا وقال مـا نهاكُمـا ربُكما عن هذه الشجرةِ إلاّ أن تكـونا ملَكَيْنِ أو تكـونا من الخـالدين، وقاسمهما إنّي لكُمـا لِمنَ النّاصحين. فدلاّهما بغرور، فلمّا ذاقـا الشجرةَ بَـدَتْ لهما سَوْءاتُهما وطَفِقَـا يَخْصِفان عليهمـا من ورقِ الجنّة، وناداهما ربُهمـا ألم أنهكُما عن تِلْكُمـا الشجرةِ وأَقُـلْ لكما إنّ الشيـطان لكما عـدوٌ مبين، قالا ربَّنـا ظلمنا أنفُسَنا وإنْ لم تغفِرْ لنا وترحَمْنَا لَنَكونَّن مِنَ الخاسرين﴾.

وقال تعالى في سورة طه: الآيات (١١٥ ـ ١٢٢):

﴿ولقد عَهِدنَا إلى آدمَ من قبلُ فنسيَ ولم نجد له عزماً، وإذ قلنا للملائكـة اسجدوا لآدمَ فسجـدوا إلاّ إبليس أبىَ، فقلْنـا يا آدمُ إن هـذا عدوٌ لـك ولزوجـك فلا يُخـرجَنَّكُما من الجنّـة فتشقى، إنّ لك ألاّ تجوع فيها ولا تعرى، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحَى، فوسوس إليه الشيـطانُ قال يـا آدمُ هل أدُلُّـك على شجرةِ الخْلد ومُلْكٍ لا يبلىَ. فأكلا منها، فَبَدَتْ لهما سوءاتُهما وطَفِقَا يخصفانِ عليهما من ورَق الجنّةِ، وعصَى آدمُ ربَّهُ فغوَى، ثم اجتَباهُ ربُّهُ فتابَ عليه وهدَىَ﴾.

قلت: فنحن نؤمن بمـا جاء في كتـاب الله تعـالى من غيـر زيـادة ولا نقصـان، ونؤمن بمـا جـاء بـه =

= النبي - ﷺ - بما صحّ عنه، ولا حاجة بنا إلى سوى ذلك من الروايات والقصص المأخوذة عن بني إسرائيل.

وذكر المصنف هنا قصة آدم - عليه السلام - وأكله هو وزوجه من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عنها.

قلت: وقد اختلف العلماء في هذه المسألة اختلافاً كبيراً - ليس في ثبوتها، فهي ثابتة بإخْبَار الله عزّ وجلّ ذلك - ، لكن كان مثار الخلاف حول أكل آدم وزوجه من الشجرة، وقد نهاهما الله تعالى عن الأكل منها، مع عصمة ادم من اقتراف الذنوب، وأن وقوع ذلك منه مخالف للعصمة.

وأجابوا عن ذلك بأجوبة كثيرة، سأذكرها موجزة مع بيان الرأي الصواب منها إن شاء الله تعالى.

١ - فقال بعضهم: إن ذلك وقع قبل النبوة، وإليه ذهب ابن فورك، واستدلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ثمّ اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى﴾. فذكر أن الإجتباء والهداية كانا بعد العصيان، وإذا كان هذا قبل النبوّة فجائز عليهم - أي الأنبياء - الذنوب وجهاً واحداً - أي على رأي من يقول بأن الأنبياء غير معصومين قبل النبوة - .

واعترض على هذا بأنه وقع بعد صدور الأمر والنهي إليه، وقد ذكر الله تعالى في كتابه أنه خاطبه بلا واسطة وشرّع له في ذلك الخطاب، فأمره ونهاه، وأحلّ له وحرّم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً، وهذا هو معنى النبوة.

وأما قوله تعالى ﴿ثم اجتباه﴾ أي: اصطفاه. وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها. ﴿فتاب عليه﴾ فقبل توبته، ﴿وهدى﴾ أي: وهداه إلى الثبات على التوبة والتشبث بأسباب العصمة.

٢ - وقال البعض أنه تأوّل فيما فعل، إذ فهم أن الأمر والنهي ليسا جازمين: فظنّ أن الأمر أمر إرشاد، ولا إثم بتركه، أو تأوّل النهي للتنزيه وليس للتحريم.

واعتُرض بأن الله تعالى عندما نهاهما عن الشجرة قال لهما: ﴿فتكونا من الظالمين﴾، والظلم والنهي عنه لا يكون من جهة الندب، بل من جهة الوجوب، والنهي للتحريم.

٣ - أنه تأول فيما فعل: نظنّ أن المراد العَيْن، وكان المراد الجنس. . أي أنّه عليه السلام أقدم عليه بسبب اجتهاد أخطأ فيه، فإنه ظن أن النهي لعين الشجرة فتناول من غيرها من نوعها.

وهذا منقوض بقوله عزّ وجلّ في سورة الأعراف: ﴿ولا تقربا من هذه الشجرة﴾. ثم قال على لسان إبليس: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾. فقد أشار آليها وعرّفها.

٤ - أن ما حصل منه هو ترك الأولى.

واعترض بأنه كيف يكون عمله تركاً للأولى، وقد زجره الله عن ذلك، ونبهه بأنه يكون من الظالمين إذا أقدم عليه.

٥ - إن المعصية منه كانت في الجنة، والعصمة تكون في الدنيا.

واعترض بأن هذه دعوى تحتاج إلى دليل. وأنه كان نبياً، والنبي معصوم قبل النبوة وبعدها عن الكبائر، فكيف يتميّز؟!.

٦ - أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان - أي أكلها ناسياً - ، لقوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبلُ فنسي ولم نجد له عزماً﴾.

ولكن لمّا كان الأنبياء - عليهم السلام - يلزمهم من التحفظ والتيقظ والحذر لكثر معارفهم، وعلو منازلهم، وعظم قدرهم، ولعله - والله تعالى أعلم - وإن حطّ عن الأمة العتاب في حالة النسيان لم يحطه عن الأنبياء. . كما قال - ﷺ - : أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل. =

الحسين، أنا أبو بكر محمد بن عليّ الخيّاط، أنا أبو عبد الله بن دُوست، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا ابن أبي الدنيا[1]، ثنا يعقوب بن إسحاق بن دينار، ثنا محمّد بن معاذ العَنْبَرِيّ[2]، عن ابن السمّاك قال: حدّثني عمر بن ذرّ عن مجاهد:

إنّ آدم ـ عليه السّلام ـ لما أكل من الشجرة، تساقط عنه جميع زينة الجنّة، ولم يبقَ عليه من زينتها إلا التاجُ والإكليل. وجعل لا يستتر بشيء من ورق الجنّة إلّا سقط عنه، فالتفت إلى حواء باكياً، وقال: استعدِّي للخروج من جوار الله، هذا أول شؤم المعصية. قالت: يا آدم! ما ظَنَنْتُ أنْ أحداً يَحْلِف بالله كاذباً، ـ وذلك أنّ إبليس قاسمهما على الشجرة ـ ، وآدم في الجنّة هارباً استحياءً مِنْ ربِّ العالمين، فتعلّقت به شجرةٌ ببعض

= ولما كان النبيّ كأحد الناس، وكان التنّبه والحذر ـ كما قلنا ـ في مخالفة الله لازماً، فإذا نسي عدَّ ذلك خطيئة في حقه، وإن كان غير خطيئة في حق غيره. ولقد أحسن الجنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وقال القرطبي: وهذا هو الصحيح. وقاله البيضاوي ـ أيضاً ـ ويكفينا أن الله تعالى أورده في كتابه الكريم، فنكون ـ بحمد الله ـ قد فسّرنا القرآن بالقرآن. والله تعالى أعلم.

وهنا يطرح سؤال، وهو: كيف يجوز لنبي نهاه الله ـ عزّ وجلّ ـ وحذره أن يكون من الظالمين أن ينسى.

نقول ـ بعون الله تعالى ـ : بأن إبليس قد شدّد الإغراء؛ وكان قد عرف نقاط الضعف التي يدخل فيها على المؤمن، أو على أي إنسان ـ منها حب الخلود، وحُبُّ الملك ـ وشيئاً آخر، هو كما قال الله تعالى: ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين﴾. فغرّهما باليمين. قاله ابن عباس.

وكان يظن آدم أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذباً، فغرّهما بوسوسته وقسمه لهما.

وقال قتادة: حلف بالله لهما حتى خدعهما، وقد يُخدع المؤمن بالله.

وكان بعض العلماء يقول: من خادعنا بالله خدعنا. والله تعالى أعلم وأحكم.

نقلا ـ وبتصرّف كبير ـ عن رسالة: (النبوة والعصمة) لشيخي المفضال، الشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، ويسّر الله طبعها.

وأنظر كتاب (عصمة الأنبياء) للرازي ص ٢٦ ـ ٣٢، و(النبوة والأنبياء) لمحمد علي الصابوني ص ٦٥ ـ ٦٨.

(١) هو عبدالله بن محمد بن عبيد القرشي، الأموي مولاهم. البغدادي، معروف: بابن أبي الدنيا، محدث حافظ، صاحب تصانيف، أدّب غير واحد من أولاد الخلفاء، توفي ببغداد سنة مائتين واحدى وثمانين، وله ثلاث وسبعون سنة.

أنظر تاريخ بغداد ١٠/٨٩ ـ ٩١، والفهرست لابن النديم ١/١٨٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٧/١٥٥ وتهذيب التهذيب ٦/١٢ ـ ١٣، وتقريب التهذيب ١/٤٤٧، ومعجم المؤلفين ٦/١٣١.

(٢) العَنْبَرِيّ: بفتح العين، وسكون النون، وفتح الباء الموحدة، وفي آخرها راء. هذه النسبة إلى العنبر بن عمرو بن معجم، ويقال لهم بلعنبر أيضاً، وينسب إليها كثير الناس. كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣٦٠.

أغصانها، فظنّ آدم أنه قد عُوجِلَ بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العَفْوَ! العَفْوَ. فقال الله ـ عزّ وجلّ ـ : يا آدم! أفراراً منّي؟.

قال: بل حياءً منك سيِّدي[1].

فأَوحَى الله إلى المَلَكين: أن أخرجا آدم وحوَّاء من جواري، فإنهما قد عصياني.

فنزع جبريل ـ عليه السّلام ـ التّاج عن رأسه، وحلّ ميكائيل ـ عليه السلام ـ الإكليل عن جَبِينه.

فلمّا هَبَطَ من ملكوت القُدُس إلى دار الجوع والمَسْغَبَة[2]، بكى على خطيئته مائة سنة، قد رَمَى برأسه على ركبتيه حتى نبتت الأرض عشباً وأشجاراً من دموعه، حتى نَقَعَ الدَّمْع في نُقْر الجَلاَمِيد[3] وأَقْعِيَتها.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون، أنا أبو عليّ بن شاذان، أنا أبو عليّ عيسى بن محمد الطُّومَارِيّ[4]، أنبأ محمّد بن أحمد بن البراء، أنبأ عبد المنعم بن إدريس، أنبأ أبي، عن وَهْب بن مُنَبِّه[5]:

---

(١) أنظر كتاب (الزهد) للإمام أحمد ص ٦٣ وتفسير ابن كثير ١/٨٠، والبداية والنهاية له ١/٧٢ ـ ٧٣.

(٢) المسغبة: المجاعة، والسَغَب: الجوع، تقول: به سَغَب ومَسْغَبَة، وسَغابة، أي: جوع مع تعب، أنظر مختار الصحاح ص ٢٧، وأساس البلاغة ص ٢١١.
ومنه قوله تعالى في سورة البلد آية رقم /١٤: ﴿أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي: ذي مجاعة:

(٣) النقع، هو: الغبار، وهو أيضاً: ما اجتمع في البئر في الماء. يقال: استنقع الماء في الغدير: اجتمع وثبت، مختار الصحاح ص ٢٠٩.
في نُقر الجلاميد:
نقر الشيء: ثقبه بالمنقار، والنقرة: حفرة صغيرة في الأرض. مختار الصحاح ص ١٨٥.
والجلاميد جمع جلمود، وهو الصخر. مختار الصحاح ص ٩٢ والمعنى أنه بكى حتى اجتمع الدمع في ثُقَبِ الصخر وإِقْعِيَتها.

(٤) قال في اللباب ٢/٢٨٩: «الطُّوماري: بضم الطاء وسكون الواو، وفتح الميم، وبعد الألف راء.
هذه النسبة إلى الطومار، وهو لقب رجل. واشتهر بها أبو عليّ عيسى بن محمد بن أحمد.. الطوماري البغدادي، ـ قلت: وهو الراوي هنا ـ، وإنما لقب بذلك لأنه اشتهر بصحبة أبي الفضل بن طومار الهاشمي.
... وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة اثنتين وستين ومائتين، ومات في المحرم، أو صفر، سنة ستين وثلاثمائة، ولم يكن ثقة، كان مخلّطاً في رواياته» أ هـ.

(٥) هو أبو عبد الله الصنعاني، عالم أهل المين، ولد سنة أربع وثلاثين، روى عن أبي هريرة يسيراً، وعن عبدالله بن عمر، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبدالله وغيرهم. =

أن آدم ـ عليه السلام ـ لبث في السَّخْطَة سبعة أيام: ثمّ إنّ الله تعالى أطلعه في اليوم السابع، وهو منكس محزون كظيم. فأوحَى الله إليه: يا آدم! ما هذا الجهد الذي أراك فيه اليوم، وما هذه البلِيّة التي قد أَجْحَفَ بك بلاؤها وشقاؤها[1]!.

قال آدم: عَظُمَت مصيبتي يا إلهي، وأحاطت بي خطيئتي، وخرجت من ملكوت ربِّي، فأصبحت في دار الهَوَان بعد الكرامة، وفي دار الشقاوة بعد السعادة، وفي دار العناء والنَّصَب بعد الخَفْض والدَّعَة، وفي دار البلاء بعد العافية، وفي دار الظَّعْن والزَّوال بعد القرار والطمأنينة، وفي دار الفناء بعد الخلد والبقاء، وفي دار الغُرُور بعد الأمن. إلهي! فكيف لا أبكي على خطيئتي، أم كيف لا تحزنني نفسي، أم كيف لي أن أَجْتَبِرَ هذه البليّة والمصيبة يا إلهي؟.

قال الله تعالى له: ألم اصطفك لنفسي، وأحللتُكَ داري، واصطفيتك على خَلْقي، وخَصَصْتُكَ بكرامتي، وألقيت عليك محَبَّتي، وحذّرتك سَخَطي؟ ألم أُبَاشِرك بيدي، وأنفخ فيك من روحي، وأسْجِدْ لك ملائكتي؟ ألم تكُ جاري في بحبوحة جنّتي، تتبوأ حيث تشاء من كرامتي؛ فعصيتَ أمْري، ونسيت عهدي، وضيّعت وصيّتي؟ فكيف تستنكر نقمتي، فوعزّتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك: ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ والنّهارَ لا يفتُرُونَ**﴾[2] ثُمَّ عصوني لأنزلتهم منازل العاصين، وإنّي قد رحمت ضَعْفك، وأَقَلْتُك عَثْرَتَكَ، وقبلت توبتك، وسمعت تضرّعك، وغفرت ذنبك. فَقُلْ: لا إله إلا أنت، سبحانك اللَّهُمّ وبحمدك، ظلمتُ نفسي، وعملت السّوء، فَتُبْ عليَّ إنك أنت التوّاب الرّحيم. فقالها آدم.

ثم قال له ربه: قُلْ: لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم وبحمدك، ظلمتُ نفسي، وعملت السّوء، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرّحيم. فقالها آدم.

ثُمَّ قال له ربّه، قُلْ: لا إله إلا أنت، سبحانك اللهمّ وبحمدك، ظلمتُ نفسي،

= وعنده من علم أهل الكتاب شيء كثير، فإنه صرف عنايته ألى ذلك وبالغ، وحديثه في الصحيحين عن أخيه همّام.

وكان ثقة واسع العلم، يُنْظَر بكعب الأحبار في زمانه.

قال العجلي: كان ثقة تابعياً على قضاء صنعاء.

وعن وهب قال: يقولون: عبدالله بن سلام أعلم أهل زمانه، وكعب أعلم أهل زمانه، أفرأيت من جمع علمهما؟ يعني نفسة.

أنظر تذكرة الحفّاظ ١/١٠٠ ـ ١٠١.

(١) أي ذهب بك، واستأصلك بلاؤها وشقاؤها.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم /٢٠.

وعملت السّوء، فارحَمْني إنك أرْحَمُ الرّاحمين[1].

قال: وكان آدم قد اشتدّ بكاؤه وحُزْنه لما كان من عِظَم المصيبة، حتّى إن كانت الملائكة لتحزن لحزنه، وتبكي لبكائه. فبكى على الجنّة مائتي سنة، فبعث الله إليه بِخَيْمَةٍ من خيام الجنّة، فوضعها له في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة[2].

٣ ـ تَوْبة نوح عليه السّلام(*)

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساكر، أنا عبد القادر بن محمد، أخبرنا الحسن بن

---

(١) ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره ١/٨١، وفي البداية والنهاية ١/٧٥ نحو هذا الدعاء عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد.
وابن أبي نجيح، اسمه: عبدالله، وهو ثقة، رمي بالقدر، أكثر عن مجاهد، وكان يدلِّس عنه، وصفه بذلك النسائي، أنظر تقريب التهذيب ١/٤٥٦، وطبقات المدلسين ص ٩٠.

(٢) لا تخلو هذه القصة وسابقتها، وكلّ ما سيذكره المصنف من قصص الأنبياء من زيادات ومبالغات، وقد تقدّم ذكر قصة آدم ـ عليه السلام ـ كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، فنحن نؤمن بما جاء من غير زيادة ولا نقصان، ولا حاجة بنا إلى روايات أهل الكتاب وقصصهم.
وأنظر مقدمتي على هذا الكتاب، فقد ذكرت فيها حكم رواية الإسرائيليات.

(*) ذكر المصنف هنا توبة نوح ـ عليه السلام ـ من سؤاله الله تعالى في ابنه وأنه من أهله
وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز.
في سورة هود، الآيات (٤٠ ـ ٤٧)، هكذا، قال تعالى:
﴿حتّى إذا جاءَ أمرُنا وفار التّنُّورُ قُلْنا: أحمل فيها من كُلٍّ زوجينَ اثنين، وأهلك إلا من سبقَ عليه القولُ، ومن آمنَ، وما آمنَ معهُ إلاّ قليل.
وقال: ارْكبوا فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساهَا إنّ ربّي لغفورٌ رحيم. وهيَ تَجْري بهم في موج كالجبالِ، ونادَى نوحٌ ابْنَهُ، وكانَ في مَعْزِلٍ: يا بُنَيَّ أرْكبْ معَنا ولا تكُنْ مع الكافرين، قال: سآوي إلى جبل يَعْصِمُني منَ الماء، قال: لا عاصِمَ اليومَ من أمرِ اللّهِ إلاّ من رَحِمَ، وحَالَ بينهما المَوْجُ فكان من المُغرقينَ.
وقيل: يا أرضُ ابْلعي ماءَكِ ويا سماءُ أقْلِعي، وغِيضَ الماءُ، وقُضِيَ الأمرُ، واستوت على الجُوديِّ. وقيل: بُعداً للقومِ الظالمينَ.
ونادَى نوحٌ ربَّهُ، فقال ربِّ إنَّ ابني من أهْلي وإنَّ وعدَكَ الحقُّ وأنت أحكم الحاكمين. قال: يا نوحُ إنّه ليسَ من أهلِكَ أنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صالحٍ، فلا تسألْني ما ليس لك به علمٌ، إنّي أعِظُكَ أن تكون من الجاهلين، قال: ربِّ إنّي أعوذُ بكَ أنْ أسألَكَ، ما ليس لي بِهِ علمٌ وإلاّ تغفرْ لي وترحمْني أكُنْ من الخاسِرين﴾.
وقال تعالى في سورة المؤمنون، آية رقم (٢٨): ﴿فأوحَيْنا إليهِ أنِ اصنع الفُلكَ بأعيُننا ووحينا، فإذا =

عليّ، أنا أبو بكر القطيعيّ، ثنا عبد الله، حدّثني أبي، ثنا عبد الرزّاق، ثنا وُهَيْب بن الوَرْد، قال:

لما عاتب الله تعالى نوحاً في ابنه، فأنزل عليه: ﴿إنّي أعِظُكَ أنْ تكُونَ مِنَ الجاهِلِين﴾[1]، قال: فبكى ثلاثمائة عام، حتى صار تحت عينيه مثل الجداول من البكاء[2].

= **جاء أمرُنا وفار التنورُ، فأسلك فيها من كلٍّ زوجينِ اثنين، وأهلك إلاّ من سبق عليه القولُ منهم، ولا تُخاطبني في الذين ظلموا إنّهم مُغرقون﴾.**

والشبهة الواقعة هنا والتي منها تاب عليه السلام، هي: كيف جاز له ـ عليه السلام ـ أن يسأل نجاة ابنه ـ الكافر ـ والله تعالى قال له: **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مُغرقون﴾**، ثم قال تعالى مؤنباً: **﴿لا تسألني ما ليس لك به علم، إنّي أعظُك أن تكون من الجاهلين﴾**، فسؤاله معصية؟! إذا كانت الهاء في قوله تعالى: **﴿إنه عملٌ غير صالح﴾**، عائدة للسؤال، أي: إن سؤالك عمل غير صالح.

والجواب على ذلك من وجهين:

١ ـ قال أبو محمد بن حزم: وهذا لا حجة فيه، لأن نوحاً ـ عليه السلام ـ تأوّل وعدْ الله تعالى أن يخلّصه وأهله، فظنّ أن ابنه من أهله على ظاهر القرابة، وهذا لو فعله أحد كان مأجوراً، ولم يسأل نوحٌ تخليص من أيقن أنه ليس من أهله، فتفرع على ذلك نهي أن يكون من الجاهلين، فندم عليه السلام وفزع، وليس ههنا عمد للمعصية البتة.

٢ ـ قال القرطبي: قال علماؤنا: وإنما سأل نوحٌ ربّه ابنه لقوله: **﴿وأهلك﴾**، وترك قوله: **﴿إلا من سبق عليه القول﴾**، فلما كان عنده من أهله قال: **﴿ربِّ إنَّ ابني من أهلي﴾**، يدلّ على ذلك قوله: **﴿ولا تكن مع الكافرين﴾** أي لا تكن ممن لست منهم، لأنه كان عنده مؤمناً في ظنه، ولم يك نوح يقول لربه: **﴿إنَّ ابني من أهلي﴾** إلا وذلك عنده كذلك، إذ مُحال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم، أو أن يسأل نجاة الكافر الظالم بعد نهي الله تعالى: **﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا﴾**، وكان ابنه يُسّر الكفر ويُظهر الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحاً بما هو منفرد به من علم الغيوب، أي: علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

وقال الحسن: كان منافقاً، ولذلك استحل نوحٌ أن يناديه.

والله تعالى أعلم.

نقلاً ـ وبتصرّف ـ عن رسالة (النبوة والعصمة) للشيخ المفضال: فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، ويسر الله طبعها.

وأنظر (عصمة الأنبياء) للرازي ص ٣٧ ـ ٤٢.

(١) سورة هود، آية رقم /٤٦.

(٢) **هذا الأثر رواه الإمام أحمد في الزهد ص ٦٦، قلت: وهذا إسناد صحيح عن وُهَيب بن الورد.**
ووُهَيب بن الورد: ثقة عابد، وهو من تابع التابعين انظر التقريب ٢/٣٣٩. فلعله أخذ الحديث عن الحسن أو غيره ممن يروي عن أهل الكتاب، والله تعالى أعلم.

٤ ـ تَوْبَةُ موسى عليه السّلام(*)

أخبـرنا أحمـد بن المبارك، أنـا جدّي ثـابت، أنـا أبـو عليّ بن دَومـا، أنـا مخلد بن

(*) ذكر المصنف هنا توبة موسى ـ عليه السلام ـ في طلبه رؤية الله تعالى.

وهذه القصة كما أخبر بها الله تعالى في سورة الأعراف، آيـة رقم (١٤٣) هكذا، قـال تعالى: **﴿ولمَّا جاءَ موسىَ لميقاتِنا وكلَّمه ربُّهُ، قال: ربِّ أرِنِي أنظرْ إليكَ، قال: لنَ تـراني ولكنِ أنظُرْ إلى الجبـلِ فإنِ آسْتَقَرَّ مكانه فسوف تراني، فلمَّا تجلَّى ربُّهُ للجبلِ جعلَهُ دكاً وخرَّ موسى صَعِقاً، فلمّا أفاقَ قال: سبحانكَ تُبتُ إليكَ، وأنا أوّلُ المؤمنين﴾**.

وقد تأوّل الزمخشريّ طلب موسى ـ عليه السلام ـ الرؤية بوجهين:

١ ـ أنه إنما سـأل ذلك تبكيتـاً لمن خرج معـه من بني إسرائيـل الذين طلبـوا لرؤيـة، فقالـوا: أرِنَا الله جهرة، فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع.

٢ ـ أن معنى **﴿أرني أنظر إليك﴾**، عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً.

قال القرطبي: «وعند المبتدعة: سأل لأجل القوم، ليبين لهم أنها غير جائزة.. وهذا لا يقتضي التوبة» أ هـ.

والبعض ذكر كلامِ الزمخشري بشكل آخر، فقالوا: إن موسى كان عالماً بـأن الله لا يُرى، ولكن طلب قومه أن يريِهم ربَّه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: **﴿لن نؤمنَ لك حتى نـرى الله جهرة﴾**. فـطلب الرؤية ليبّين الله تعالى لهم أنه ليس بمرئي.

وهذا باطل، إذ لو كان كما زعموا لقال موسى: أرِهم ينظروا إليك، ثم يقول له: لن يروني.

ـ وأمّا التأويل الثاني للزمخشري في طلب الرؤية، بأن المقصود عرّفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً.

فهذا أضعف وأبعد، فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له تعالى: **﴿انظُر إلى الجبل.. الآية﴾**.

والصواب ـ والله تعالى أعلم ـ أن موسى ـ عليه السلام ـ في لقائه في الموعـد المحدد، وفي كـلام الله إياه، لم يكتفِ بأن يكلمه الله تعالى، بل أراد أن يستكثر من الخير، كعادة الإنسان الذي لا يقف عن طلب المزيد من النعم، إذا أُعطي بعضاً منها فسأل ربه في أن يظهر عليه بجلاله، وأن يمكنـه من أن يراه رؤية بصرية.

فموسى ـ عليه السلام ـ في خِضَمِّ تلقّيه كلام الله تعالى، وتشـوق روحه واستشـراقها، ينسى من هـو، وينسى ما هو ويطلب ما لا يكون لبشر في هذه الأرض، وما لا يطيقه بشـر في هذه الأرض.. يـطلب الرؤية.

ولم يدر موسى ـ عليه السلام ـ: أنه تجاوز بهذا السؤال الحدود التي يجب أن يبقى فيها مع الله تعالى جلَّ في علاه، فليس هو مع إنسان مثله، انما هو مع موجود متفوق في وجوده وكماله.. هو مع ربّه، ربّ العالمين سبحانه وتعالى. ومهما قرّبه ربه إليه فسيظل الفرق قائمـاً بين طبيعة الإنسـان المقرّب، وخصائص الإله المعبود الأعلى.

ولـذا كان ردّ المـولى سبحانـه على سؤال موسى هـو النفي المؤكّد بقـولـه: **﴿لن تـراني﴾**. ثم قـال: **﴿ولكن انظر إلى الجبل.. الآية﴾**. فحدث مع موسى مـا حدث ـ كمـا ذكر الله تعـالى ـ إلى أن أفاق فقال: **﴿سبحانك تبت إليك، وأنا أوّل المؤمنين﴾**.

قيل: تبت عن تجاوزي للمدى في سؤالك. =

جعفر، أنا الحسن بن عَلَوِيَّة، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا أبو إلياس، عن وَهْب بن مُنَبِّه[1]، قال:

لما سمع موسى ـ عليه السلام ـ كلام ربّه ـ عزَّ وجلَّ ـ طَمِعَ في رؤيته، فقال: **﴿رَبِّ أرني أَنْظُرْ إليكَ، قال لن تراني لكنِ آنْظُرْ إلى الجبلِ فإنَ استقرَّ مكانَهُ فسوفَ تراني﴾**[2].

قال محمد بن إسحاق[3]: حدَّثني بعض من لا أتَّهم قال: قال الله تعالى: يا ابن عمران! إنه لا يراني أحدٌ فيحيا. قال موسى: رب لا شريك لك، إنّي أن أراك وأموت أحبّ إليّ من أن لا أراك وأحيا، ربِّ أَتْمِم عليّ نعماك وفضلك وإحسانك بهذا الذي أسألك، وأموت على أثر ذلك.

قال: وأخبرنا جُوَيْبِر، عن الضَّحاك، عن ابن عباس[4]، قال: لما رأى الله ـ الرَّحيم بخلقه ـ من حِرْص موسى على أن يعطيَه سؤله، قال: انطلق فانظر الحَجَر الذي في رأس الجبل، فاجلس عليه، فإنّي مهبط عليك جندي، ففعل موسى.

فلما استوى عليه، عرض الله تعالى عليه جنود سبع سماوات، فأمر ملائكة سماء

= وقيل: عن مسألة الرؤية في الدنيا، قاله مجاهد.
وقيل: سأل من غير استئذان، فلذلك تاب
وقيل: على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له وعند ظهور الآيات.
وقوله: **﴿وأنا أول المؤمنين﴾**. قال ابن كثير في تفسيره ٢/٢٤٥: «أي أنه لا يراك أحد، وكذا قال أبو العالية، قد كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بك أنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة.
وهذا قول حسنٌ له اتجاه» أ هـ.
والله تعالى أعلم.
نقلاً ـ بتصرف ـ عن رسالة: (النبوة والعصمة) للشيخ فواز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى.
وأنظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٥، والبداية والنهاية له ١/٢٦٤ ـ ٢٦٦ للأهمية.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن وَهْب فيه: إسحاق بن بشر، أبو حذيفة البخاري، صاحب كتاب المبتدأ، قال عنه الذهبي في المغني ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقد اتُّهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذّاب» أ هـ. وقد تقدمت ترجمة إضافية له أول الكتاب.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم /١٤٣.

(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسير ٢/٢٤٥: «وقد ذكر محمد بن جرير ـ أي الطبري ـ في تفسيره ههنا ـ أي: في تفسير هذه الآية: ربِّ أرني أنظر إليك.. ـ أثراً طويلاً فيه غرائب وعجائب عن محمد بن إسحاق بن يسار، وكأنه تلقّاه من الإسرائيليات، والله أعلم» أ هـ.

(٤) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه: جويبر، وهو ابن سعيد الأزدي، نزل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً، كذا في التقريب ١/١٣٦، وقد تقدمت ترجمة ضافيه له أول الكتاب.

الدنيا أن يعرضوا عليه. فمروا بموسى ـ عليه السلام ـ ولهم أصوات مرتفعة بالتسبيح والتهليل كصوت الرعد الشديد ثم أمر ملائكة السماء الثانية أن يعرضوا عليه ففعلوا، فمروا به على ألوان شتى، ذوو وجوه وأجنحة، منهم ألوان الأُسد، رافعي أصواتهم بالتسبيح. ففزع موسى منهم، وقال: أي ربِّ! إنّي ندمت على مسألتي، ربِّ! هل أنت منجيٍّ من مكاني الذي أنا فيه؟

قال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبِر على ما سألت، فقليل من كثير ما رأيت.

ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى، فأَقْبَل ما لا يحصى عددهم على ألوان شتّى، ألوانهم كلهب النار، لهم بالتسبيح والتهليل زَجَل[1]. فاشتدَّ فزع موسى ـ عليه السلام ـ، وساء ظنّه، ويئِس من الحياة.

فقال له رأس الملائكة: يا ابن عمران، اصبِر حتى ترى ما لا تصبر عليه.

ثمّ أوحى الله تعالى إلى ملائكة السماء الرَّابعة أن اهبطوا إلى موسى بالتسبيح، فهبطوا، ألوانهم كلهب النار، وسائر خلقهم كالثلج، لهم أصوات عالية بالتسبيح والتقديس، لا تشبه أصوات الذين مرّوا به.

فقال له رأس الملائكة: يا موسى، اصبر على ما سألت.

فكذلك أهل كل سماء إلى السماء السابعة ينزلون إليه بألوان مختلفة، وأبدان مختلفة، وأقبلت ملائكة يخطَفُ نورهم الأبصار ومعهم حِراب، الحَرْبة: كالنخلة الطويلة العظيمة، كأنها نار، أشدّ ضوءاً من الشَّمْس. وموسى ـ عليه السلام ـ يبكي رافعاً صوته، يقول: يا ربِّ، اذكرني ولا تنسني أنا عبدك، ما أظن أن أنجو ممّا أنا فيه، إن خرجت احترقت، وإن مكثت متّ.

قال له رأس الملائكة: قد أوشكت أن تَمْتَلِىء خوفاً وينخلع قلبك، هذا الذي جلست لتنظر إليه.

قال: ونزل جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومن في سبع سماوات، وحملة العرش والكرسيّ، وأقبلوا عليه، يقولون: يا خاطىء ابن الخاطىء، ما الذي رقاك إلى ها هنا! وكيف اجترأت أن تسأل ربّك أن تنظر إليه؟ وموسى ـ عليه السلام ـ يبكي، وقد اصطكّتْ ركبتاه[2]، وتخلّعت مفاصله.

---

(١) زَجَل: بفتحتين: الصوت، كذا في مختار الصحاح ص ٣٦٣، وانظر أساس البلاغة ص ١٨٩.
(٢) أصطكّت ركبتاه، أي: ضربت أحداهما بالأخرى من شدّة الخوف.

فلما رأى الله ـ عزّ وجلّ ـ ذلك من عبده، أراه قائمة عرشه، فتعلّق فاطمأنّ قلبه.

فقال له إسرافيل: يا موسى! والله ـ إنّا لنحن رؤساء الملائكة ـ لم نرفع أبصارنا نحو العرش منذ خُلِقْنا خوفاً وفَرْقاً[1]، فما حملك أيها العبد الضَّعيف على هذا؟

فقال موسى: يا إسرافيل، ـ وقد اطمأن ـ أحببت أن أعرف من عظمة ربّي ما عرفت.

ثم أوحى الله ـ عزّ وجلّ ـ للسماوات: إني متجلٍّ للجبل. فارتعدت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والنجوم والسّحاب والجنّة والنّار والملائكة والبحار، وخرّوا كلهم سجداً، وموسى ينظر إلى الجبل: ﴿**فلمّا تَجلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جعلَهُ دكّاً، وخرَّ مُوْسَى صَعِقاً**﴾[2] ميّتاً من نور رَبّ العزّة جلّ وعلا، فوقع عن الحجر، والقلب عليه، فصار عليه مثل القبة لئلا يحترق.

قال الحسن: فبعث الله تعالى جبريل ـ عليه السلام ـ، فقلب الحجر عن موسى وأقامه. فقام موسى ـ عليه السلام ـ، فقال: ﴿**سبحانك! تبت إليك**﴾[3] ممّا سألت، ﴿**وأنا أول المؤمنين**﴾ أي: أنا أوّل من آمن أنه لا يَنْظُر إليك أحدٌ إلا مات، وقيل: أنا أوّل من آمن أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا[4].

٥ ـ توبة داود عليه السّلام(*)

أخبرنا أحمد بن المبارك، قال: أنبأ ثابت، أنا أبو عليّ، أنا مَخْلَد، أنا الحسن بن

---

(١) الفرَقُ: الخوف، مختار الصحاح ص ٣٢٩.

(٢) سورة الأعراف، آية رقم /١٤٣.

(٣) سورة الأعراف، آية رقم /١٤٣.

(٤) أنظر تفسير ابن كثير ٢/٢٤٥. وقد تقدّم الكلام على هذا فيما ذكرته في الكلام على توبة موسى ـ عليه السلام ـ.

(*) ذكر المصنف هنا، قصتان عن داود ـ عليه السلام.
أما الأولى: فظاهرة البطلان، لا يجوز نسبتها إلى نبّي أبداً، إذ فيها أنه أحبّ امرأة، رجل، ثم سعَى في قتله، ثم تزوجها بعد ذلك، وهذا مما لا يجوز نسبته لآحاد المسلمين، فكيف لنبّي؟!.
وأما الثانية: فذكر فيها قصته ـ عليه السلام ـ مع الخصمين الذَيْنَ تَسَوّرا عليه المحراب، وذكر فيها أن الخصمينَ ملكَان وإنما أتوا لابتلائه وغير ذلك.
والقصة وكما ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ذكرها المصنف. فلا حاجة إلى ذكرها هنا.
ويكفينا أن نذكر قول الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية له ٢/١٢: «**وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا أيرادها في كتابنا قصداً، إكتفاءاً واقتصاراً على مجرّد تلاوة القصة في القرآن العظيم، والله يهدي من** =

عليّ، أنا إسماعيل، أنا إسحاق، قال: وأنبأ الأوزاعي[1]، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ[2] قال:

كـان داود ـ عليه السـلام ـ قد قسَّم الـدَّهر على أربعـة أقسام، فيـوم لبني إسـرائيـل يُدَارِسهم العلم ويدارسونه، اويوم للمحراب، ويوم للقضاء، ويوم للنساء.

فبينا هو مع بني إسرائيـل يدارسهم، إذ قـال بعضهم: لا يأتي على ابن آدم يـومٌ إلا يصيب فيه ذنباً.

فقال داود في نفسه: اليوم الذي أخلو فيه للمحراب تتنحى عني الخـطيئة. فـأوحى الله إليه: يا داود! خذ حَذَرَك حتى ترى بلاءك.

قال إسحاق: وأخبرنا ابن بشر، عن قتادة، عن الحسن[3]، قال: فبينا هو في محرابه مُنْكَبٌّ على الزَّبُور[4] يقـرؤها، إذ دخـل عليه طـائر من الكُـوَّة فوقـع بين يديـه، جسده من

= يشاء إلى صراط مستقيم» أ هـ.

وسيأتي مزيد بيان لذلك ضمن تعليقنا على القصّة.

(١) كذا في المطبوعة: أنا إسحاق، قال وأنبأ الأوزاعي ـ هكذا بالواو: وأنبأ ـ فلعل إسحاق كـان يحدّث، فيقول: أنبأ فلان كذا، وأنبأ فلان كذا، وأنبأ الأوزاعي عن يحيى كذا.
أو كان يحدّث عن الأوزاعي نفسـه، فكان يقـول: أنبأ الأوزاعي عن فـلان كذا، وأنبـأ الأوزاعي عن فلان كذا، وأنبأ الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كذا.
والله تعالى أعلم.
والأوزاعي هو: عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو: فقيه، ثقة، جليل. مات سنـة سبع وخمسين ومـائة التقريب ٤٩٣/١.

(٢) قلت: هذا إسناد ضعيف جداً ـ متروك ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ هذا إن لم يكن موضوعاً، فيه:
١ ـ إسحـاق، وهو ابن بشـر، قال عنه الـذهبي في المغني ٦٩/١: «مجمـع على تـركـه، وقـد اتُّهم بالكذب، وقال: ابن المديني كذاب» أ هـ.
وقد تقدّمت ترجمة ضافية له أول الكتاب، باب ذكر التّوابين من الملائكة.
٢ ـ الإنقطاع بين يحيى بن أبي كثير، وأبي هريرة، فإنه ـ أي يحيى ـ لم يدرك أبا هريرة.
قال أبو حاتم الرازي: يحيى بن أبي كثير لم يدرك أبا هريرة. وقال مرة أخرى: يحيى بن أبي كثيـر لم يدرك أحداً من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ، إلا أنساً فإنه رآه رؤية، ولم يسمع منه.
أنظر المراسيل لابن أبي داود ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤.

(٣) هذا إسناد ضعيف جداً ـ متروك ـ عن الحسن، فيه:
١ ـ إسحاق، وهو ابن بشر: مجمع على تركه، كما تقدّم.
٢ ـ ابن بشر، واسمه: محمد: قال عنه الحاكم أبو عبدالله: ليس بالقوي. ميزان الإعتدال ٤٩١/٣.

(٤) أي ملازمٌ للزّبور لا يفارقه يقرؤه، أنظر أساس البلاغة ص ٣٨٤.
والزّبور: هو الكتاب الذي أُنْزل على داود عليه السلام، قال تعالى في سورة الإسراء آيـة رقم (٥٥): =

ذهب، وجناحاه من ديباج مُكَلَّل بالدرّ، ومنقاره زَبَرْجَد، وقوائمه فيروزج.

فوقع بين يديه، فنظر إليه، فحسب أنه من طير الجنّة، فجعل يتعجّب من حُسْنه، ـ وكان له ابن صغير ـ، فقال: لو أخذتُ هذا فنظر إليه ابني. فأهوى إليه فتباعد منه، ويُطَمِّعه أحياناً من نفسه حتى تكاد تقع يده عليه، فتباعد منه أيضاً. فما زالَ كذلك يَدْنو ويتباعد حتى قام من مجلسه وأطبق الزَّبور.

فطلبه[1] فوقع في الكوة، فطلبه في الكوّة، فرمَى بنفسه في بستان، فاطلع داود فإذا بامرأة تغتسل.

قال قتادة[2]، عن بلال بن حسّان: فأخرج رأسه من الكوّة، فإذا هو بامرأة تغتسل، فنظر إلى أَحْسَنَ خَلْق الله. ونظرت المرأة وإذا وجه رجل، فنشرت شعرها فغطّت جسدها.

رجع إلى حديث الحسن قال: فزاده ذلك بها إعجاباً. فرجع إلى مكانه وفي نفسه منها ما في نفسه.

فبعث لينظر من هي؟ فرجع إليه الرسول فقال: هي تَشَايع ابنة حَنَانَا، وزوجها أُوْريا ابن صورا، ـ وهو في البلقاء، مع ابن أخت داود محاصرين قلعة ـ.

فكتب داود إلى ابن أخته كتاباً: إذا جاءك كتابي هذا فمُرْ أوريا بن صورا فليحمل التابوت وليتقدّم أمام الجيش، ـ وكان الذي يتقدّم لا يرجع حتى يُقتَل أو يفتح الله عليه ـ.

فدعا صاحب الجيش أوريا فقرأ عليه الكتاب، فقال: سمعاً وطاعة، فحمل التابوت وسار أمام أصحابه فقُتل.

وكتب ابن أخت داود بذلك إلى داود.

فلما انقضت عدّة المرأة أرسل إليها داود فخطبها فتزوّجها[3].

= ﴿وآتينا داود زبوراً﴾.

(١) أي: طلب الطير.

(٢) هو موصول بالإسناد السابق، أي عن إسحاق بن بشر، عن محمد بن بشر، عنه، وهذا إسناد ضعيف جداً كما تقدّم.

(٣) هذه القصة ـ وكما تقدم ـ ظاهرة البطلان، ويكفينا ردّاً لها، أنها لم تثبت من ناحية الإسناد، فهي كلها تعود إلى إسحاق بن بشر، وفيه من الكلام ما قد عرفت.
قال الإمام ابن الجوزي في زاد المسير ١/١١٥.
وما رُوي من أنه نظر إلى المرأة فهويها، وقدّم زوجها للقتل، فإنه وجه لا يجوز على الأنبياء، لأن =

قال[1]: وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: إن داود لما تزوّج تشايع بنت حنانا، وكان يخلو للعبادة في المحراب، فبينا هو في الحراب، إذ سمع صوتاً عالياً، ثم تسوّر عليه رجلان حتى اقتحما عليه، فلما رآهما فزع منهما قالا: ﴿لا تخف، خَصْمَان بَغَى بعضنا على بعض﴾ يعني، اعتدَى بعضنا على بعض فظلمه، ﴿فاحكُمْ بينَنَا بالحقِّ ولا تُشطِطْ﴾ يعني: لا تَجُر، ﴿واهدِنا إلى سَوَاءِ الصِّراط﴾[2] - يعني إلى قصد السبيل.

فقال داود: قِصَّا عليّ قصّتكما قال: ﴿إنّ هـذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعُون نَعْجَةً، ولي نَعْجَةٌ واحدةٌ، فقال: أكْفِلْنِيها وعَزَّني في الخِطاب﴾ يعني: قهرني وظلمني، وأخذ نعجتي فضمّها إلى نعاجه ﴿وعزّني في الخِطَاب﴾[3] يعني: إذا تكلّم كان أبلغ في المخاطبة منّي، وإذا دعا كان أسرع إجابة منّي، وإذا خرج كان، - يعني: أكثر تبعاً مِني - .

فقال داود: ﴿لَقَد ظَلَمكَ بِسُؤَلِ نَعْجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ وَإنَّ كثِيراً من الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتَ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[4].

قال: فضحك المدّعَى عليه. فقال داود. تظلم وتضحك؟ ما أحوجك إلى قدوم يرضّ[5] منك هذه وهذه، يعني: جبهته وفاه.

قال الملَك: بل أنت أحوج إلى ذلك منه، وارتفعا.

وفي رواية قال: فتحوّلا في صورتهما، وَعَرَجَا وهما يقولان: قضى الرَّجل على نفسه[6].

= الأنبياء لا يأتون المعاصي مع العلم بها» أ هـ.
وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١٠٠: «إن الذي حكاه المفسرون عن داود، وهو انه عشق امرأة أوريا، فاحتال حتى قتل زوجها، لا يليق بالأنبياء، بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكراً» أ هـ.
وقد تقدم قول الحافظ ابن كثير الذي ذكره في البداية والنهاية ١٢/٢ أنه «قد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة..» أ هـ.

(١) أي: إسحاق بن بشر، وهو متروك، كما تقدّم فالإسناد ضعيف جداً عن الحسن.

(٢) سورة ص، آية رقم /٢٢، وتمام هذه الآية، مع سابقتها - آية رقم /٢١ -: ﴿وهَلْ أتاكَ نبأُ الخصم إذ تسوَّرُوا المِحرابَ، إذ دخَلو على داوُد فَفَزِعَ منهم، قالوا: لا تَخَفْ خصمان..﴾ الآيات.

(٣) سورة ص، آية رقم /٢٣.

(٤) سورة ص، آية رقم /٢٤. وتمام هذه الآية مع ما بعدها - آية رقم /٢٥ -: ﴿وظنّ داوُد أنّما فتنّاه فاستغفرَ ربَّهُ، وخرّ راكعاً وأناب. فغفرنْا له ذلك، وإنّ له عندنا لَزُلفَى وحُسْنَ مآب﴾.

(٥) أي: يَكْسُرُ ويقطعُ منك هذه وهذه، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٦) ممّا تقدم يظهر أن الخَصْمَين هما ملكَان. وقد ردّ الإمام ابن حزم هذا، فيما ذكره في كتابه الفصل. =

= فقال ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر الايات: وهذا قول صادق صحيح لا يدلّ على شيء مما قاله المستهزؤون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولّدها اليهود ـ وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بَغى أحدهما على الآخر على نصّ الآية.
ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعرّضِين بأمر النّساء.
ـ (قلت: هناك قصة أخرى غير التي ذكرها المصنف من زواج داود بزوجة أوريا، وهي باختصار؛ أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبته، وكانت لهم عادة في ذلك لا ينكرونها. فاتفقت أن وقعت عين داود عليه السلام على امرأة رجل فأعجبته، فسأله النزول عنها، ففعل، وتزوجها داود عليه السلام وكان لداود عليه السلام تسع وتسعون زوجة غيرها فأنزل الله ملكان بصورة رجلين يسألانه عن النعاج، بشكل تعريض لما حدث معه، أي: أن تسع وتسعون نعجة إشارة تسع وتسعون زوجة التي لداود عليه السلام، والنعجة الأخرى إشارة إلى زوجة الرجل الذي لم يكن عنده غيرها. . وبالتالي فحكمه لصالح صاحب النعجة الواحدة، على صاحب النعاج التسع والتسعون، كان حكماً على نفسه بأنه قد ظلم الزوجة الواحدة.
فعلم داود عليه السلام، فخرّ راكعاً وأناب.
هذه هي القصة. وهي من الروايات الإسرائيلية التي لا يثبت فيها شيء عن النبيّ ـ ﷺ ـ وسيأتي نقضها من الإمام ابن حزم).
يعود الكلام إلى الإمام ابن حزم: ومن قال أنهم كانوا ملائكة مُعرّضِين، وزاد في القران ما ليس فيه، وكذّب الله عزّ وجلّ، وقرّ على نفسه الخبيثة أنه كذب على الملائكة. لأن الله تعالى يقول: ﴿**هل أتاك نبأ الخصم**..﴾، فقال هو: لم يكونوا قط خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قط لأحدهما تسع وتسعون نعجة، ولا كان للآخر نعجة واحدة، ولا قال له أكفلنيها.
فأعجبُ لما يقيمون فيه أهل الباطل أنفسهم، ونعوذ بالله من الخذلان، ثم كلّ ذلك بلا دليل، بل الدّعوى المجرّدة.

ثم قال: وأما استغفاره وخروره ساجداً ومغفرة الله تعالى له، فالأنبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الأفعال الكريمة، والإستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا نبيّ ولا من مذنب ولا من غير مذنب، فالنّبي يستغفر الله لمذنبي أهل الأرض والملائكة، كما قال الله تعالى: ﴿**ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**﴾.
ويحتمل أنه حصل منه على سبيل الإنقطاع إلى الله تعالى والخضوع والتذلل بالعبادة والسجود:
كما حكى الله سبحانه عن ابراهيم عليه السلام يقول: ﴿**والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين**﴾.
وأما قوله تعالى: ﴿**فغفرنا له ذلك**﴾، فالمعنى إنّا قبلناه منه وأثبتناه عليه، فأخرجه على لفظ الجزاء.
وتابع ابن حزم فقال: وأما قوله تعالى عن داود ـ عليه السلام ـ: ﴿**وظنّ داود أنما فتنّاه**﴾، وقوله ﴿**فغفرنا له ذلك**﴾، فقد، ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عزّ وجلّ من سعة الملك العظيم فتنة.
ـ فقد كان يدعو رسول الله ﷺ في أن يثبت الله قلبه على دينه ـ فاستغفر الله تعالى في هذا الظنّ، =

وعَلِمَ داود أنه إنما عُني به هو. فخرّ ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلّا لحاجة لا بدّ منها، ثمّ يعود فيسجد، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتّى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربّه ـ عزّ وجلّ ـ ويسأله التّوبة[1].

وكان يقول في سجوده: سبحان خالقِ النّور الحائلِ بين القلوب، سبحان خالق النّور؛ إلهي خلّيت بيني وبين عدوّي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النّور؛ إلهي لم أفارق الزَّبُور، ولم أتّعظ بما وعظتُ به غيري. إلهي أمرتني أن أكون لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزَّوج الرَّحيم، فنسيتُ عهدك، سبحان خالق النور، إلهي! بأيّ عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنّما ينظر الظّالمون من طرف خفيّ، سبحان خالق النور، إلهي! الوَيْل لداود مَن الذّنب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النّور، إلهي الويل لداود إذا كُشِفَ عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطىء سبحان خالق النور، إلهي أنت المغيث وأنا المستغيث، فمن يدعو المستغيث إلا المغيث؟ سبحان خالق النور؛ إلهي إليك فَرَرْت بذنوبي، واعترفت بخطيئتي، فلا تجعلني من القَانِطِين، ولا تُخزني يوم الدّين ـ في مناجاة كثيرة.

قال: فأتاه نداء: أجائع أنت فتُطعَم؟ أظمآن أنت فتُسقَى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ ولم يجبه في ذكر خطيئته.

قال: فصاح صيحة هاج ما حوله، ثمّ نادى: يا ربّ! الذنبَ الذي أصبتُ؟

فنُودي: يا داود! ارفع رأسك فقد غفرتُ لك.

= فغفر الله تعالى له هذا الظن. إذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة» أ هـ.

نقلاً عن رسالة (النبوة والعصمة) لشيخي المفضال، فوّاز أحمد زمرلي حفظه الله تعالى، ويسّر الله طبعها.

وقال الحافظ بن كثير في تفسير ٤/٣١: «قوله تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك﴾ أي: ما كان منه، مما يقال فيه: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين» أ هـ.

وكان قد قال ـ رحمه الله تعالى ـ : «قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده، لأنه من رواية يزيد الرقاشي، عن أنس رضي الله عنه ـ ، ويزيد وان كان من الصالحين لكنه ضعيف عند الأئمة، فالأولى أن يُقتصر على مجرّد تلاوة هذه القصة، وأن يُرَدّ علمها إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ فإن القرآن حقّ، وما تضمّن فهو حقّ أيضاً» أ هـ.

وقد تقدّم ذكر ما قاله ـ رحمه الله تعالى ـ في البداية والنهاية.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٣١: «وقد ذُكر ـ بصيغة المجهول ـ أنه استمر ساجداً أربعين صباحاً» أ هـ.

وأنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ ـ ٩١.

قال[1]: وأخبرنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنَبِّه. أنَّ داود أتى قبر أوريا، فقام عنده وجعل التراب على رأسه، ثمّ نادى فقال: الويل لداود، ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثم الويل لداود إذا نصبت الموازين، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثمّ الويل الطويل لداود يوم يُقتَصُّ للمظلوم من الظالم، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثمّ الويل الطويلِ لداود يومَ يُسحَب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور؛ الويل لداود، ثمّ الويل الطويل لداود!.

قال: فأتاه نداء من السماء: يا داود! قد غفرت لك ذنبك، ورحمت بكاءَك، وأقلت عثرتك.

قال: يا ربِّ! كيف تعفو عنّي وصاحبي لم يعف عنّي؟

قال: يا داود أعطيه يوم القيامة من الثواب ما لم ترَ عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول: رضي عبدي؟ فيقول: يا ربِّ! من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول له: هذا عوض من عبدي داود، فأستوهبك منه، فيهبك لي.

قال: يا ربِّ! الآن عرفت أنك قد غفرت لي[2].

---

(١) أي: إسحاق بن بشر، وهو: مجمعٌ على تركه، فالإسناد ضعيف جداً عن وهب.

(٢) أنظر الزهد للإمام أحمد ص ٩٠ ـ ٩١.

ويكفينا في هذه القصة أن نقرأ القرآن. ونردّ علمها إلى الله تعالى، إذ أن القرآن حقّ وما تضمّنَ فهو حق، كما ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره.

وقال ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية ٢/١٢. وكما تقدّم ـ: «وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا إيرادها في كتابنا قصداً، إكتفاءاً واقتصاداً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» أ هـ.

[٦] توبة سليمان عليه السَّلام(*)

قال إسحاق: وأخبرنا جُوَيْبِر، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاس[١]، قال: كان سليمان ـ عليه السلام ـ رجلاً غزّاءً، يغزو في البرّ والبحر، فسمع بملك في جزيرة من جزائر البحر، فركب سليمانُ الرِّيحَ وجنوده من الجنّ والإنس، حتى نزل تلك الجزيرة، فقتل ملِكها، وسبى من فيها، وأصاب جارية لم يُرَ مثلها حُسْناً وجمالاً، وكانت ابنة ذلك الملك، فاصطفاها لنفسه. فكان يجد بها ما لا يجد بأحد، وكان يؤثرها على جميع نسائه.

فدخل عليها يوماً، فقالت: إني أذكر أبي وملكِه، وما أصابه، فيحزنني ذلك، فإنْ رأيت أن تأمر بعض الشّياطين فيصوِّرون لي صورة أبي في داري فأراه بُكْرَةً وعَشِياً، رَجَوْت أن يذهب عنّي حزني، ويسلي عنّي بعض ما أجد في نفسي.

فأمر سليمان صَخْراً المارد، فمثَّل لها أباها في هيئته في ناحية دارها، لا تنكر منه شيئاً، إلاّ أنه لا روح فيه.

فعمدت إليه فزيَّنته وألبسته حتى تركته في هيئة أبيها ولباسه. فإذا خرج سليمان ـ عليه السلام ـ من دارها تغدو عليه كلَّ غدوة مع جواريها فتطيّبه، وتَسْجُد له،

(*) ذكر المصنف هنا قصة سليمان عليه السلام. مع إحدى زوجاته التي عبدت الأصنام في داره دون علمه، وذكر قصته كذلك مع صَخْر، ذلك المارد الذي أخذ منه الخاتم، فسُلب بذلك سليمان مُلْكَه. .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٣٦: «وقد رويت هذه القصة مطوّلة عن جماعة من السلف ـ رضي الله عنهم ـ كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم، وجماعة آخرى، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب» أ هـ.

وقال في البداية والنهاية ٢/٢٤: «ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات. وفي كثير منها نكارة شديدة. . .» أ هـ.

وقال الرازي في (عصمة الأنبياء) ص ١١٨: «فأما الذي يذكره الأكثرون من القصاص من حديث الخاتم وآصف، فتلك الحكاية باطلة لم يدّل على صحتها شيء، فلا يجوز الإلتفات إليها» أ هـ.

وقال النسفي في تفسيره ٤٥/٤٢: «وأما ما يُروَى من حديث الخاتم والشيطان، وعبادة الوثن في بيت سليمان عليه السلام ـ فمن أباطيل اليهود» أ هـ.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، وفيه:

١ ـ إسحاق، هو: ابن بشر، أبو حذيفة البخاري، قال عنه في المغني ١/٦٩: «مُجمع على تركه، وقد أتّهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذّاب» أ هـ.

٢ ـ جُوَيبر وهو: ابن سعيد الأزدي: راوي التفسير، ضعيف جداً، التقريب ١/١٣٦.

وقد تقدمت ترجمة صافية له ولإسحاق أوّل هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة

وتُسْجِدُ جواريها، وتروح بمثله، ـ وسليمان لا علم له بذلك ـ .

حتى أتى لذلك أربعون يوماً، وبلغ النّاس، وبلغ آصف بن برخيا ـ وكان صديقاً له ـ ، فدخل عليه. فقال: يا نبيّ الله! قد أحببت أن أقوم مقاماً أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأثني عليهم بعلمي فيهم.

قال: فجمع سليمان الناس، فقام فيهم فذكر من مضى من أنبياء الله، وأثنى على كلّ نبيّ بما فيه، وذكر ما فضّلهم الله به، حتّى انتهى إلى سليمان، فذكر فضله وما أعطاه الله في حَدَاثةِ سنّه وصِغره ثمّ سكت. فامتلأ سليمان غيظاً. فلما دخل، أرسل إليه فأتاه. فقال: يا آصف! ذكرتَ من مضى من أنبياء الله، فأثنيت عليهم بما كانوا عليه في زمانهم كلّه، فلمّا ذكرتني جعلت تثني عليّ بخير في صِغَري وسكتّ عما سوى ذلك من أمري في كِبَري، فما الذي أحدثتُ في كبري؟.

قال: أحْدَثْتَ أنَّ غَيْرَ الله يُعْبَدُ في دارك منذ أربعين يوماً في هوى امرأة.

قال: في داري؟ قال: في دارك.

قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، عرفتُ، ما قلتَ هذا إلّا عن شيء بَلَغَك. ثم رجع إلى داره، وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها. ثمّ دعا بثياب الطُّهْر فلبسها، ثمّ خرج إلى فلاة من الأرض، ففرش له الرماد. ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، فجلس على ذلك الرّماد يتمعّك فيه[1] متذللاً متضرّعاً، يبكي ويستغفر الله ويقول: يا ربِّ! ما هذا بلاؤك عند آل داود أن يعبدوا غيرَك، وأن يقرّوا في دارهم وأهلهم عبادة غيرك؟!. فلم يزل كذلك حتى أمسى. ثمّ رجع.

وكانت له جارية سمّاها: الأمينة. وكان إذا أتى الخلاء، أوأراد إتيان امرأة، وضع خاتمه عندها، وكان لا يمسّه إلا وهو طاهر، وكان الله تعالى جعل ملكه في خاتمه.

قال وهب: فجاء يوماً يريد الوضوء، فدفع الخاتم إليها. وجاء صخر المارد، فسبق سليمان فدخل المتوضأ، فدخل سليمان لحاجته، وخرج الشيطان على صورة سليمان ينفض لحيته من الوضوء، لا تنكر من سليمان شيئاً. فقال: خاتمي يا أمينة! فناولته إياه. لا تَحْسب إلّا أنه سليمان، فجعله في يده. ثمّ جاء حتّى جلس على سرير سليمان. وعَكَفَ عليه[2] الطير والجنّ والإنس.

---

(١) يتمعّك فيه، أي: يتمرغ فيه. مختار الصحاح ص ٣٤٢.

(٢) وعكف عليه، أي: أقبل عليه مواظباً، وبابه: دخل وجلَس: قال الله تعالى: ﴿ويعكفون على أصنام =

وخرج سليمان، فقال للأمينة: خاتمي، قالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود. ـ وقد تغيّر عن حاله، وذهب عنه بهاؤه ـ، قالت: كذبت، إنّ سليمان قد أخذ خاتمه، وهو جالس على سريره في ملكه.

فعرف سليمان أنّ خطيئته قد أدركته.

قال الحسن: فخرج سليمان هارباً مخافةً على نفسه. فمضى على وجهه بغير حَذاءٍ ولا قلنسوة، في قميص وإزار.

فمرّ بباب شارعٍ على الطريق[1]، ـ وقد جهده الجوع والعطش والحرّ ـ، فأتى الباب فقرعه، فخرجت امرآةً، فقالت: ما حاجتك؟ فقال: ضيافة ساعة، فقد ترين ما أصابني من الحرّ والرَّمْضَاء[2]، قد احترقت رجلاي، وبلغ مجهودي من الجوع والعطش.

قالت المرأة: زوجي غائب، وليس يسعني أن أُدخل رجلاً غريباً عليّ. فأدْخُل البستان، فإنّ فيه ماءً وثماراً، فأَصِب من ثماره، وتبرّد فيه، فإذا جاء زوجي استأذنته في ضيافتك، فإن أذن لي فذاك، وإن أبى أصبتَ ما رزق الله ومضيت.

فدخل البستان فاغتسل، ووضع رأسه فنام، ـ فآذاه الذباب ـ، فجاءت حيّة سوداء، فأخذت ريحانة من البستان بفيها، وجاءت سليمان، فجعلت تذبّ عنه الذباب[3]، حتّى جاء زوج المرأة، فقصّت عليه القصة، فدخل إلى سليمان. فلما رأى الحيّة وصنيعها، دعا امرأته فقال لها: تعالي فانظري إلى العجب! فنظرَت، ثمّ مشيا إليه فأيقظاه، ثمّ قالا له: يا فتى! هذا منزلنا، لا يسعنا شيء يعجزك، وهذه ابنتي قد زوجتكها، ـ وكانت من أجمل نساء زمانها ـ، فتزوّجها، وأقام عندهم ثلاثاً، ثم قال: لا يسعني إلا طلب المعيشة لي ولأهلي.

فانطلق إلى الصيّادين، فقال لهم: هل لكم في رجل يكون معكم يعينكم، وترضخون له[4] من صيدكم، وكلٌ يأتيه الله برزقه؟.

= **لهم﴾.**

مختار الصحاح ص ٣٠٢.

(١) أي: مفتوح على الطريق، أنظر مختار الصحاح ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٢) الرَّمَض: شدّة وقع الشمس على الرمل وغيره، والأرض رمضاء بوزن حمراء وقد رمَض يومنا اشتدّ حرّهُ. . ورمضت قدمه أيضاً من الرمضاء، أي: احترقت.

كذا في مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) تذبُ عنه الذباب، أي: تدفعه عنه.

(٤) ترضخون له، أي: تعطونه قليلاً. أنظر مختار الصحاح ص ٨٤.

فقالوا: قد انقطع عنّا الصيد، وليس عندنا فضل نعطيكه.

فمضى إلى غيرهم، فقال لهم مثل هذه المقالة. فقالوا له: نعم، وكرامة[1]: نواسيك بما عندنا.

فأقام عندهم يختلف كل ليلة إلى أهله بما أصاب من الصيد حتى أنكر الناس قضاء سليمان وفعاله. فلمّا رأى الخبيثُ أنّ النّاس قد فطنوا له، انطلق بالخاتم فألقاه في البحر.

قال الحسن: أمسك الخاتم أربعين يوماً. ورُوِي أنّه قعد على كرسيّ سليمان، فاجتمع له الجنّ والإنس والشياطين. ومُلِّك كلّ شيء كان يملكه سليمان ـ عليه السلام ـ، إلاّ أنّه لم يُسلّط على نسائه.

وخرج سليمان يسأل الناس ويتضيَّفهم، ويقوم على باب الرجل والمرأة، ويقول: أطعموني فإنّي سليمان بن داود. فيطردونه، ويقولون له: ما يكفيك ما أنت فيه حتّى تكذب على سليمان، وهذا سليمان على ملكه حتى أصابه الجهد واشتدّ عليه البلاء.

فلمّا تمّ عليه أربعون يوماً، قال آصف: يا معشر بني إسرائيل! هل رأيتم من خلاف حكم ابن داود ما رأيت؟ قالوا: نعم فعمد عند ذلك الخبيث فألقى الخاتم في البحر.

فاستقبله جِرِّيٌّ[2] فابتلع الخاتم، فصار في جوفه مثل الحريق من نور الخاتم. فاستقبل جِرْيَةَ[3] الماء، فوقع في شِباك الصيّادين الذين كان سليمان معهم. فلما أمسوا قسَّموا السَّمك، فأسقطوا الجِرِّيَّ فجعلوه لسليمان. فذهب به إلى أهله، فأمرهم أن يصنعوه. فلما شقُّوا بطنه أضاء البيت نوراً من خاتمه. فدعت المرأة سليمان، فأرته الخاتم، فتختَّم به، وخرّ لله ساجداً، وقال: إلهي! لك الحمد على قديم بلائك، وحُسْن صنيعك إلى آل داود. إلهي! أنت ابتدأتهم بالنِّعَم، وأورثتهم الكتاب والحُكْم والنّبوّة، فلك الحمد. إلهي! تجود بالكبير، وتلطف بالصغير، فلك الحمد؛ نعماؤك ظهرت فلا تَخْفَى، وبَطَنَت[4] فلا تُحْصَى، فلك الحمد. إلهي! لم تسلّمني بذنوبي، فلك الحمد تغفر الذنوب، وتستجيب الدعاء، فلك الحمد إلهي! لم تسلّمني بجريرتي، فلك الحمد

---

(١) أي: قالوا: نعم، وزيادة على ذلك كرامة، وهي نواسيك بما عندنا.

(٢) هو: ضرب من السمك.

(٣) في المطبوعة: جرْية الماء ـ بفتح [illegible] ـ وهو خطأ، [illegible] جِرية، بالكسر، قال الرازي في مختار الصحاح ص ٢٩٤.

ما أشدّ جِرْيه هذا الماء، بالكسر، أهـ.

والمقصود: وجهة الماء.

(٤) أي كثرة وعظمت فلا تُحصى. أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

ولم تخذلني بخطيئتي، فلك الحمد. إلهي فأتمّ نعمتك عليّ، واغفر لي ما سَلَف، وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. فذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسداً ثُمَّ أَنَابَ**﴾[1].

ورُوي عن عكرمة، أنّ سليمان، لما أصاب المُلْك، أمر بحمل أهل ذلك البيت، فوضعهم في وسط المملكة، ولم يكن سليمان ـ عليه السلام ـ نال تلك المرأة حتى ردَّ الله عليه ملكه[2].

---

(١) سورة ص، آية رقم /٣٤.

(٢) روى هذه القصة بنحوها ابن كثير في تنسيره ٤/٣٤ ـ ٣٦. من وجوه وطرق.

وقد تقدم ذكر أقوال العلماء في هذه القصة، وأن مآلها إلى بني إسرائيل، قال الحافظ ابن كثير ٤/٣٥: «وأرى هذه كلها من الإسرائيليات» أ هـ.

وهنا نذكر الردّ على بعض ما جاء في هذه القصة من الإفتراءات.

قال عبد الوهّاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء) بعدما ذكر شيئاً من هذه القصص:

«هذه أقوال لم يرد بها قرآن، ولا نقل صحيح عن رسول الله ـ ﷺ ـ ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة، فهي حَرِيَّة بالردّ، وقد ردّ عليها العلماء بوجوه:

الأول: إن الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والخلقة بالإنبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع، فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وموسى وعيسى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ما كانوا أولئك، بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة، لأجل إغواء الناس وإضلالهم. ولمّا كان ذلك باطلاً لأنه يؤدي إلى إبطال الدِّين بالكلية كان ما أدّى إليه باطلاً بالكنية.

الثاني: لو قدر ـ الشيطان ـ على سليمان أن يعامله هذه المعاملة، لقدر على مثلها من العلماء والزهّاد، فيقتلهم، ويمزِّق كتبهم ويمحوها، ويثبت فيها، شيئاً آخر، ولمّا كان المُشَاهد خلاف ذلك، وإنه لم يقدر من أحد منهم على هذا، فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى.

الثالث: لو قلنا أن المرأة عبدت صورة أبيها، فلا يخلو الأمر إمَّا أن يكون ذلك بأمر سليمان، وحينئذ يكون كافراً، وهذا محال.

وإما أن يكون بدون أمره وعلمه، وحينئذ لا جريرة صدرت منه، ولا عقاب عليه.

الرابع: يقولون أن الشيطان لما جلس على كرسي سليمان اجتمعت عليه الطير والإنس والجن. وقائل هذا في غفلة عمّا جاء في كتاب الله الكريم من أنّ تسخير الجن لسليمان إنما كان بعد الفتنة لا قبلها، بدليل قوله تعالى: ﴿**ولقد فتَنّا سليمان، وألقيْنا على كرسيِّه جَسَداً ثم أناب. قال: ربِّ اغفر لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنَّك أنتَ الوهاب. فسخَّرْنا له الريح تجري بأمرِهِ رُخاءً حيث أصاب. والشياطين كُلَّ بنّاءٍ وغوّاص، وآخرِين مُقَرَّنين في الأصفاد**﴾» أ هـ.

وقد ذكر المفسرون في تفسير آية توبته عليه السلام غير ذلك، ليس هنا موضع ذكرها. فلينظر في التفاسير وغيرها من الكتب التي تكلمت على حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

[٧] تَوْبة يونس عليه السّلام(*)

قال إسحاق بن بشر: وأخبرنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن(١) أنّ يونس ـ عليه السلام ـ كان مع نبي من أنبياء بني إسرائيل، فأوحَى الله إليه أن أبعث يونس إلى أهل نينوى يحذّرهم عقوبتي.

قال: فمضى يونس على كَرْهٍ منه، وكان رجلاً حَدِيداً شديد الغضب.

قال: فأتاهم فحذّرهم وأنذرهم، فكذّبوه وردّوا عليه نصيحته، ورمَوْه بالحجارة وأخرجوه، فانصرف عنهم.

فقال له نبيّ بني إسرائيل: إرجع إلى قومك. فرجع إليهم، فرمَوه بالحجارة وأخرجوه. فقال له النبي: إرجع إلى قومك، فرجع فكذّبوه، وأوعدهم العذاب، فقالوا: كَذَبْت. فلما كذّبوه وكفروا بالله وجحدوا كتابه، دعا عند ذلك ربّه على قومه، فقال: يا ربّ! إنّ قومي أَبوا إلاّ الكفر، فأَنْزِلْ عليهم نقْمَتَك.

فأوحى الله تعالى إليه: إنّي أنْزِل بقومك العذاب.

قال(٢): فخرج عنهم يونس، وأوعدهم العذاب بعد ثلاثة أيام. وأخرج أهله وانطلق، فَصَعِد جبلاً ينظر إلى أهل نينوى، ويترقّب العذاب.

(*) ذكر المصنف هنا قصة يونس ـ عليه السلام ـ في دعوته للقوم الذين أرسله الله إليهم، ثم دعائه عليهم، ثم سفره في السفينه وإلتقام الحوت له..

وهذه القصة مما اتفق عليها المفسرون، وقد أوردها الحافظ ابن كثير في تفسيره من غير تعليق عليها، ونقضي لها كالمواقف لها، لكن في قصة المصنف هنا الكثير الكثير من الزيادات والتوسعات ويكفينا ردّاً عليها ضعف سندها كما سيأتي.

وأنظر هذه القصة على الشكل الصحيح في تفسير الحافظ ابن كثير ٣/١٩١ ـ ١٩٣، و٤/٢٠ ـ ٢٢، والبداية والنهاية له ١/٢١٦ ـ ٢٢١.

وهذه القصة كما ذكرها الله تعالى في كتابه ـ سورة الأنبياء آية رقم (٨٧ ـ ٨٨) ـ: **﴿وذا النّون إذ ذَهب مُغاضباً فظنّ أن لن نقدِر عليه، فنادى في الظلمات أن لا إله إلا انتَ سبحانَك إنّي كنتُ من الظالمين. فاستجبنا له ونجّيناهُ من الغمِّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾**.

وقال تعالى في سورة الصّافات، آية رقم (١٣٩ ـ ١٤٧):

﴿وإن يونُسَ لمنَ المرسلين. إذ أَبَقَ إلى الفلك المشحون. فَساهم فكان من المدحضِين، فالتقمه الحوتُ وهو مُلِيم. فلولا أنّهُ كان من المسبّحينن. للبث في بطنِهِ إلى يوم يُبْعَثون. فنبذناه بالعراء وهو سَقِيم، وأَنْبَتْنا عليه شجرةً من يقطِين وأرسلناهُ إلى مائةِ الفٍ أو يَزِيدُون﴾.

(١) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه إسحاق بن بشر: مجمع على تركه وبعضهم اتهمه بالكذب، كما سبق مراراً.

(٢) أي: الحسن.

فجاءهم العذاب وعاينوه، فتابوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب.

فلما رأى ذلك، جاءَه إبليس، فقال: يا يونس! إنَّك إنْ رجعت إلى قومك اتَّهَموك وكذّبوك. فذهب مغاضباً لقومه.

فانطلق حتى أتى شاطىء دجلة، فركب سفينة، فلما توسطت به الماء، أوحى الله إليها أن اركدي، فركدت السفينة، والسفن تمرّ يميناً وشمالاً. فقالوا: ما بال سفينتكم؟ فقالوا: لا ندري. قال يونس: أنا أدري. قالوا: فما حالها؟ قال: فيها عبدٌ آبقٌ من ربّه، فلا تسير حتّى تُلقوه في الماء. قالوا: ومن هو؟ قال: أنا. وعَرِفُوه. قالوا: أمّا أنت فليس نُلقيك، والله ما نرجو النَّجَاة منها إلاّ بك. قال: فاقترعوا، فمن قرع فألقوه في الماء. قال: فاقترعوا، فقرعهم يونس. فأبَوا أن يلقوه، قال: فاقترعوا الثانية، فقرعهم. فقال: فاقترعوا الثالثة، فقرعهم. قال: ألقوني في الماء.

وفي رواية قال: يا قومِ! اطرحوني في الماء وانجوا. فقام القوم، فاحتملوه شبه المشفقين عليه. فقال: ائتوا بي صدر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا ليلقوه، فإذا الحوت فاتح فاه. فلما رأى ذلك، قال: يا قومِ! ردّوني إلى مؤخّر السفينة. ففعلوا، فلما أشرفوا، ذهبوا يطرحونه، فاستقبله الحوت فاتحاً فاه. فلما رأى جوفه وَهَوْلَهُ، قال: يا قومِ! ردّوني إلى وسط السفينة. ففعلوا، فاستقبله، فقال: ردّوني إلى الجانب الآخر. فاستقبله فاتحاً فاه ليأخذه. فقال: إطرحوني وانجوا، فلا مَنْجَا من الله. فطرحوه، والتقمه الحوت قبل أن يبلغ الماء، وتَصَوَّب به[1].

رجع الحديث إلى الحسن، قال: فانطلق به الحوت إلى مسكنه من البحر، ثمّ انطلق به إلى قرار الأرض، فطاف به البحار أربعين يوماً. فسمع يونس تسبيح الحصى وتسبيح الحيتان.

قال: فجعل يسبّح ويهلّل ويقدّس؛ وكان يقول في دعائه: سيدي! في السماء مسكنُك، وفي الأرض قدرتُك وعجائبك. سيّدي! من الجبال أَهْبَطْتَني، وفي البلاد سَيَّرتني، وفي الظلمات الثلاث حبستني. إلهي سجنتني بسجن لم تسجن به أحداً قبلي. إلهي! عاقبتني بعقوبة لم تعاقب بها أحداً قبلي. فلما كان تمام أربعين يوماً وأصابه الغَمّ: **﴿فَنَادَى في الظُّلُماتِ أَنْ لَا إلهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾**[2] قال: فسمعت

---

(١) الصَّوْب، في الأصل: نزول المطر، كما في مختار الصحاح ص ٣٠، والمقصود هنا، نزل به إلى قعر الماء.

(٢) سورة الأنبياء، آية رقم /٨٧.

الملائكة بكاءه وعرفوا صوته، وبكت الملائكة لبكاء يونس، وبكت السماء والأرض والحيتان.

فقال الجبَّار: يا ملائكتي! مالي أراكم تبكون؟ قالوا: ربّنا! صوت ضعيف حزين نعرفه في مكان غريب. قال: ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر. فقالوا: يا ربّ! العبد الصَّالح الذي كان يَصْعَدُ له في كل يوم وليلة العملُ الصّالحُ الكثير؟.

قال ابن عبّاس: قال الله تعالى: نعم. قال: فشفعت له الملائكة والسماوات والأرض. فبعثَ الله تعالى جبريل ـ عليه السلام ـ، فقال: إنطلق إلى الحوت الذي حبست يونس في بطنه، فقل له: إنّ لي في عبدي حاجة، فانطلقْ به إلى الموضع الذي ابتلعْتَه فيه فاقذفه به.

فانطلق جبريل إلى الحوت فأخبره. فانطلق الحوت بيونس، وهو يقول: يا ربّ! استأنست في البحر بستبيح عبدك، واستأنَسَتْ به دوابّ البحر، وكنت أزكى شيء به، وجعلتُ بطني له مصلًّى يقدّسك فيه، فقدّستَ به وما حولي من البحار. فتخرجه عنّي بعد أُنْس كان به؟

قال الله تعالى: إنّي أَقَلْته عَثْرَتَهُ، وَرَحِمْتُه، فَأَلْقِهِ.

قال: فجاء به إلى حيث ابتلعه ببلد على شاطىء دجلة. فدنا جبريل من الحوت وقرّب فاه من فم الحوت، فقال: السلام عليك يا يونس، ربّ العزّة يقرئك السّلام. فقال يونس: مرحباً بصوتٍ كنت خشيت أن لا أسمعه أبداً، مرحباً بصوت كنت أرجوه قريباً من سيّدي.

ثمّ قال جبريل للحوت: إقذف يونس بإذن الله الرَّحمٰن، فقذفه مثل الفرخ الممعوط[1] الذي ليس عليه ريش، فاحتضنه جبريل ـ عليه السلام ـ.

قال الحسن: فأنبت الله عليه شجرة من يقطين، وهو الدُّبَّاء[2]، فكان لها ظلّ واسع

---

(١) يقال: اسقط شعره. أي تساقط. أنظر مختار الصحاح ص ٢٥٢. والمقصود هنا ـ وكما في القصة ـ: قذفه مثل الفرخ الذي ليس عليه ريش.

(٢) الدُّبَّاء، هو: القرع، والقرع: حمل ـ أي: ثمر ـ اليقطين. أنظر مختار الصحاح ص ٢٧٤، وأساس البلاغة ص ١٢٥.

وقد فسّر اليقطين بالدّبّاء الذي هو القرع غير واحد، قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢٢/١ عن قوله تعالى: ﴿وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾. قال: «قال ابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، وسعيد بن جبير، ووَهْب بن منبه، وهلال بن يساف، وعبدالله بن طاووس، والسّدي، =

يستظلّ به، وأمرت أن تُرْضِعَهُ أَغْصَانها، فكان يرضع منها كما يرضع الصَّبِيّ.

وعن الحسن، قال: بعث الله إلى يونس وعِلَةً من وُعُوْل[1] الجبل، يدرّ ضرعها لبناً، حتى جاءت إلى يونس، وهو مثل الفرخ، ثمّ رَبَضَتْ[2]،وجعلت ثَدْيَها في في يونس. فكان يمصّه كما يمصُّ الصبيّ، فإذا شبع انصرفت. فكانت تختلف إليه حتى اشتدّ، ونبت عليه شعره خلقاً جديداً، ورجع إلى حاله قبل أن يقع في بطن الحوت.

فمرّت به مارّة فكسوه كساء. فبينا هو ذات يوم نائم، إذ أوحى الله إلى الشمس أن احرقي شجرة يونس، فأحرقتها. فأصابت الشَّمْس جلده فَأحرقته، فقال: يا ربّ! نجّيتني من الظُّلمات، ورزقتني ظلَّ شجرة كنت أستظلّ بها، فأحرقتها، أفتحرقني[3] يا رب؟ وبكى.

فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ، فقال: يا يونس! إنّ الله تعالى يقول: أنتَ زرعتَها أم أنتَ أنبتّها؟ قال: لا. قال: فبكاؤك حين تعلم أنّ الله قد أعطاكها، فكيف دعوت على مائة ألف وزيادة عشرين ألفاً أردت أن تهلكهم؟.

وقال ابن عباس: قال نه جبريل: أتبكي على شجرة أنبتها الله لك، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن تهلكهم في غداة واحدة؟!.

فعند ذلك عرف يونس ذنبه، واستغفر ربّه فغفر له.

وعن الزهري، قال: لمّا قوي يونس، كان يخرج من الشّجرة يميناً وشمالاً، فأتى

= وقتادة، والضحاك، وعطاء الخراساني: وغير واحد: هو القرع.
ثم تابع الحافظ قوله، فقال: قال بعض العلماء: في إنبات القرع عليه حِكَم جمّه، منها: إن ورقه في غاية النعومة، وكثير، وظليل، ولا يقربه ذباب، ويؤكل ثمره من أوّل طلوعه إلى اخره نيّاً ومطبوخاً، وبقشره وببزره أيضاً، وفيه نفع كثير وتقوية للدماغ وغير ذلك» أ هـ.
وأنظر التفسير له ـ رحمه الله ـ ٤/٢١ ـ ٢٢.

(١) قال في مختار الصحاح ص ٣٩٢: «الوَعِل ـ بكسر العين ـ: الأرويّ ـ قلت: وهو نوع من الحيوانات الثدية، أي: ذات الثدي، وجمعه: وعْوْل وأوْعال» أ هـ.
وانظر مختار الصحاح أيضاً ص ٥١٠.
وذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/٢١٩ نحو هذه القصة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، حيث ذكر عنه أنه قال: طُرِح بالعراء، وأنبت اللهُ عليه اليقطينة، قال شجرة الدّباء. قال أبو هريرة. وهيأ الله له أُرْوِية وحشيّة تأكل من حشاش الأرض، أو قال: هشاش الأرض. قال: فتنفشخ عليه، فترويه من لبنها كل عشيّة وبكرة، حتى نَبَتَ.
ثم قال الحافظ بن كثير ١/٢٢٠: «وهذا غريب ـ أيضاً ـ من هذا الوجه..» أ هـ.

(٢) أي: بَرَكَت، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.

(٣) في المطبوعة: أفتحرمني، وهو خطأ، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، والله تعالى أعلم.

على رجلٍ يصنع الجِرار، فقال يونس: يا عبد الله ما عملك؟ قال: أصنع الجِرار وأبيعها وأطلب فيها فضل الله. فأوحى الله إلى يونس: أن قُلْ له يكسر جِراره، فقال يونس ذلك له، فغضب الجرّار، وقال: إنك رجل سوءٍ تأمرني بالفَسَاد، وتأمرني أن أكسر شيئاً صنعته، وعملته، ورجوت خبره.

فأوحى الله إلى يونس: ألا ترى إلى هذا الجَرَّار كيف غَضِبَ حين أمرتَه بكسر ما صنع؟ وأنت تأمرني بهلاك قومك! فما الذي عليك أن يصلح من قومك مائة ألف أو يزيدون! قال الله سبحانه: ﴿فلَوْ لا أَنَّهُ كانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ يعني من المصلِّين من قبل أن تنزل البلّية[1]، ﴿لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يوْمِ يُبْعثون﴾[2].

قال ابن عبّاس: من كان ذاكراً لله في الرّخاء. ذكره الله في الشدّة واستجاب له، ومن يغفل عن الله في الرّخاء وذكره في الشدّة، لم يستجب له. وقال الله تعالى: ﴿وذَا النُّونِ إذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى في الظُّلُماتِ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمينَ﴾[3]. فقال الله ـ عزَّ وجلّ: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي المُؤمنين﴾[4]. يقول الله تعالى: كذلك نفعل بالصَّالحين، إذا وقعوا في الخطيئة، ثمَّ تابوا إليّ، قبلت منهم.

قال ابن عباس: قال رسول الله ـ ﷺ: «دعا أخي يونس بهذه الدّعوة في الظلمات،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير ٤/٢١ في تفسير الآية: «قيل: لولا ما تقدّم له من العمل في الرخاء، قاله الضحاك بن قيس، وأبو العالية، ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير. وقد ورد في الحديث.. ما يدّل على ذلك إن صحّ الخبر، وفي حديث ابن عباس: تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة.
وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وسعيد بن جبير، وعطاء بن السائب، والسدّي، وقتادة: ﴿فلولا أنّه كان من المسبحين﴾ يعني: المصلين.
وصرّح بعضهم بأنه كان من المصلّين قبل ذلك.
وقال بعضهم: كان من المصلين في جوف أبويه.
وقيل: المراد ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ هو قوله ـ عز وجلّ ـ: ﴿فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ، كذلك نُنجي المؤمنين﴾، قاله سعيد بن جبير وغيره» أ هـ.

(٢) سورة الصافات، آية رقم /١٤٣.

(٣) سورة الأنبياء، آية، رقم /٨٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم /٨٨.

فأنجاه الله. فلا يدعو بها مؤمن مكروب إلّا كشف الله ـ عزّ وجلّ ـ ذلك عنه. إنها عـدة من الله لا خُلْف لها»[1].

---

(١) رواه عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً بلفظ: دعوة ذي النون إذا دعا ،وهو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين﴾. فإنه لم يدْعُ بها رجلٌ مسلم في شيء قطّ إلا استجاب الله له.

الترمذي في كتاب الدعوات، باب (٨٢)، حديث رقم (٣٥٠٥) ٥/٥٢٩. واللفظ له.

والنسائي في كتاب (عمل اليوم والليلة)، باب ذكر دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٦) ص ٤١٦.

وأحمد في المسند ١/١٧٠ ضمن حديث طويل.

والحاكم في المستدرك ١/٥٠٥ و ٢/٣٨٣.

قال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/١٦٩: «صحيح» أهـ.

ورواه عن سعيد بن أبي وقاص ـ أيضاً ـ مرفوعاً بلفظ: كنا جلوساً عند رسول الله ـ ﷺ ـ قال: ألا أخبركم أو أحدثكم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلاء الدنيا دعابه فُرِّج عنه؟ فقيل له: بلى، قال: دعاء ذي النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾.

النسائي في (عمل اليوم والليلة). باب دعوة ذي النون، حديث رقم (٦٥٥) ص ٤١٥. وإسناده ضعيف.

ورواه ابن السني أيضاً بهذا اللفظ في (عمل اليوم والليلة) له رقم (٣٤٥)، وإسناده ضعيف جداً، فيه عمرو بن الحُصَين: متروك، كما في التقريب ٢٠/٦٨.

ذكر التوّابين
من
ملوك الأمم الماضية

٨ ـ [توبة طالوت]

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو علي بن دوما، أخبرنا مَخْلَد بن جعفر، أنا الحسن بن علويه، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا أبو إلياس، عن وهب بن مُنَبِّه[1]: أنَّ داود ـ عليه السلام ـ لمَّا قتل جالوت، وانصرف طالوت ببني إسرائيل مظفَّراً، فزوّج ابنته من داود، وقاسمه نصف ملكه، واجتمعت بنو إسرائيل، وقالوا: نخلع طالوت ونجعل علينا داود، فإنه من آل يهوذا وهو أحقّ بالملك. فلمّا أحسّ طالوت بذلك، وخاف على ملكه، أراد أن يغتال داود فيقتله.

فأشار عليه بعض وزرائه: إنّك لا تقدر على قتله إلاّ أن تساعدك ابنتك. فدخل طالوت على ابنته، فقال لها: يا بنيّة! إنّي أريد أمراً وأحبّ أن تساعديني عليه. قالت: وما ذاك؟ قال: أريد أن أقتل داود، فإنّه قد فرّق عليَّ الناس.

فقالت: يا أبتِ إنّ داود له صَوْلَة، شديد الغضب، فلستُ آمن عليكَ إن لم تستطع

---

(١) هذا إسناد ضعيف جداً، عن وهب بن منبه، فيه: إسحاق بن بشر، قال عنه الذهبي في المغْني ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقداتّهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذّاب» أ هـ. وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول هذا الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة.
وذكر هذه القصة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٨ ـ ٩. مختصرة، وعزاها لابن جرير في تاريخه، من طريق السدّي بإسناده.
قلت: والسدّي، واسمه محمد بن مروان: متهم بالكذب، كما في التقريب ٢/٢٠٦ فلا تقوم به حجة.
قلت: فعدم ثبوت إسناد هذه القصة يردّ ما جاء فيها من غير تكلّف. وهذا حَرِيٌّ بها، إذ أن فيها إتهام لملِك اختاره الله تعالى ليكون على رأس بني إسرائيل في قتال جالوت، بالحقد والسّعي في قتل نبيّ الله داود وغير ذلك.
ولهذا قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٩: «. . وفي بعض هذا نظر ونكارة، والله أعلم» أ هـ.
وأنظر التفسير له ١/٣٠٣ حيث ذكر أوّل هذه القصة، وابتدأ كلامه ـ رحمه الله ـ بقوله: ذكروا في الإسرائيليات. .

قتله أن يظفر بك فيقتلك، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود، وعجبٌ منك ومما أعرف من حلمك، وسَدَاد رأيك، كيف أسلمك إلى هذا الرأي القصير، وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود، وأنت تعلم أنه أشدُّ أهل الأرض نفساً، وأبسلهم عند الموت؟!.

فقال طالوت: إنّي لا أسمع قول مفتونة بزوج، قد منعها حبّها إيّاه أن تقبل من أبيها وتُنَاصِحَهُ، وأعلمي إنّي لم أدْعُكِ إلى ما دعوتك إليه إلاّ وقد وطّنت نفسي على قطع صهري[1]. إمّا أن أقتلكِ، وإما أن تقتليه.

قالت: فأمْهِلْني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك.

قال[2]: وأخبرنا جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عباس، أنها انطلقت فأخذت زِقًّا[3]، ثمّ ملأته خمراً، ثم طيّبته بالمسك والعنبر وأنواع الطيب، ثمّ أَضْجَعَتِ الزقّ على سرير داود، ولحّفته بلحاف داود، وأَفْشَت[4] إلى داود ذلك، وأدخلته المُخْدَعَ[5]، وأعلمت طالوت، وقالت: هلمّ إلى داود فاقتله.

فجاء حتّى دخل البيت ومعه السيف. ثم قالت: هو ذلك، فشأنك وشأنه. فوضع السيف على قلبه، ثمّ اتكأ عليه حتّى أنفذه، فانتضح الخمر، ونفخ منه ريح المسك والطيب.

وقال: يا داود! ما أطيبك ميتاً، وكنت وأنت حي أطيب منك ميتاً، وكنت طاهراً نقيّاً.

ونَدِم، فبكَى، وأخذ السَّيْف فأهوى به إلى نفسه ليقتلها، فآحتضنته ابنته، وقالت: يا أبتِ مالك؟ قد ظفرتَ بعدوّكَ وقتلته، وأراحكَ الله منه، وصفا لك المُلْك. قال: يا بنيَّة! قد علمتِ أنّ الحسد والغيرة حملاني على قتله، وصِرْتُ من أهل النّار، وإنّ بني

---

(١) في المطبوعة: على قطع صهره، وهو خطأ، والمقصود هنا: إلا وق. وطّنت نفسي على قتل داود صهري.
والصهر والصهورة، هو: حُرمة الزواج، وفلان صهْر فلان: لمن يتزوج إليه، وهم أصهار بني فلان: لأهل بيتِ مَن تزوّج إليهم، وقد يقال لأهل بيت الزوجين جميعاً. أنظر أساس البلاغة ص ٢٦٠.
(٢) أي: إسحاق بن بشر، وهو مجمع على تركه، كما تقدم. وفي الإسناد أيضاً ـ: جويبر، وهو: ابن سعيد: ضعيف جداً، كما في التقرير ١/١٣٦.
فهذا إسناد لا يصح عن ابن عباس ـ رضي الله عنه.
(٣) الزّق، هو: السّقاء، وهو المعروف اليوم بالجرّة. أنظر مختار الصحاح ص ٣١٩ و ص ٥١٤.
(٤) أي: أخبرته بالأمر.
(٥) المُخدع: بضمْ الميم، وكسرها: الخزانة. وأصله الضمّ إلا أنهم كسروه استثقالاً.

إسرائيل لا يرضون بذلك، فأنا قاتل نفسي. قالت: يا أبت أفكان يسرك أن لم تكن قتلته؟ قال: نعم. قال: فأخرجت داود من البيت، فقالت: يا أبت! إنك لم تقتله، وهذا داود.

قال: ونَدِم طالوت.

قال إسحاق[1]: وأخبرنا ابن سمعان، عن مكحول، قال: زعم أهل الكتاب أن طالوت طلب التوبة إلى الله تبارك وتعالى، وجعل يلتمس التنصّل من ذنوبه، وإنّه أتى عجوزاً من عجائز بني إسرائيل كانت تحسن الإسم الذي به يدعَى الله فيجيب. فقال لها: إني قد أخطأت خطيئة لا يخبرني عن كفارتها إلا إلْيَسْع[2]، فهل أنت منطلقة بي إلى قبره فتدعين الله ـ عزّ وجلّ ـ ليَبْعَثَهُ حتى أسأله عن خطيئتي ما كفّارتها؟ قالت: نعم. فانطلق بها حتى أتى قبره. قال: فصلّت ركعتين، ثم دعت الله ـ عزّ وجلّ ـ، فخرج إليه إلْيَسْع، فقال: يا طالوت! ما بلغت خطيئتك أنْ أخرَجْتني من مضجعي الذي أنا فيه؟!.

قال: يا نبي الله، ضاق عليَّ أمري فلم يكن لي بدّ من مسألتك عنه. قال: فإنَّ كفّارة خطيئتك أن تجاهد بنفسك، وأهلِ بيتك، حتى لا يبقى منكم أحد. ثمّ رجع إلْيَسْع إلى مضجعه، وفعل ذلك طالوت حتى قُتِل هو وأهل بيته.

٩ ـ [توبة ابن ملك من ملوك بني اسرائيل]

أخبرنا أبو المعالي عبد الله بن عبد الرحمن بن صابر السّلمي، أنا أبو القاسم عليّ بن إبراهيم بن العباس الحسنِيّ[3]، أنا أبو الحسن رشأ بن نظيف المقرىء، أنا أبو

---

(١) هو ابن بشر المُجمع على تركه. كما تقدم.

(٢) كذا في رواية إسحاق بن بشر أنه إلْيسع، وكذا في رواية السدّي، ورواية محمد بن إسحاق، كما في البداية والنهاية ٢/٩، لكن ذكر الثعلبي: أنها أتت به إلى قبر أشمويل، فعاتبه على ما صَنع بعده من الأمور. ذكره في البداية والنهاية ٢/٩، ثم قال: «وهذا أنسب، ولعله إنما رآه في النوم لا أنه قام من القبر حياً. فإن هذا إنما يكون معجزة لنبي، وتلك المرأة لم تكن نبيّة، والله أعلم» أهـ.

(٣) الحسني. بفتح الحاء والسين المهملتين، وفي اخره نون.

وهذه النسبة إلى رجلين وامرأة وقرية.

أما الرجلان، فأولهما: الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ، ينسب إليه خلق كثير من العلويين.

والثاني: جعفر بن عيسى بن عبدالله بن الحسن بن أبي الحسن البصري، نُسب إلى جده الحسن البصري.

وأما المرأة، فهي. حسَنة أم شرحبيل بن حسنة، وينسب إليها جماعة.

وأما القرية، فهي: حسَنة، من أعمال البيضاء في بلاد فارس.

كذا في اللباب في تهذيب الإنساب ١/٣٦٦.

محمد الحسن بن إسماعيل الضَّرَّاب[1]، أنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا مروان بن معاوية بن عمرو، ثنا أبو بكر العِجْلي، ثنا أبو عَقِيل الدَّوْرَقيّ[2]، عن بكر بن عبد الله المزني، قال:

كان رجل من ملوك بني إسرائيل، قد أُعْطِي طول عمرٍ، وكثرة أموال، وكثرة أولاد. وكان أولاده إذا كبر أحدهم لبس ثياب الشَّعَر[3]، ولحق بالجبال، وأكل من الشجر، وساح في الأرض حتى يأتيه الموت. ففعل ذلك جماعتهم رجل بعد رجل، ثم تتابع بنوه على ذلك.

وأصاب ولداً بعد كِبَر، فدعا قومه، فقال: إنّي قد أصبت ولداً بعد ما كبِرْت، وتَرَوْن شفقتي عليكم، وإنّي أخاف أن يتبع هذا سُنَّة إخوته. وأنا أخاف عليكم إن لم يكن عليكم أحد من ولدي بعدي أَنْ تهلكوا، فخذوه الآن في صِغَرِ سِنِّه، فحبِّبوا إليه الدنيا، فعسى أَنْ يبقى من بعدي عليكم. فبنوا له حائطاً فَرْسخاً في فَرْسَخ، فكان فيه دَهْراً من دَهْرِه.

ثم ركب يوماً، فإذا عليه حائطٌ مُصْمت[4]، فقال: إني أحسب أن خلف هذا الحائط ناساً وعالماً آخر، فأخرِجُوني أَزْدَدْ علماً وألقى النَّاس.

فقيل ذلك لأبيه، ففزع، وَخَشِيَ أن يتبع سُنَّة إخوته، فقال: اجمعوا عليه كل لهو ولعب، ففعلوا ذلك.

ثم ركب في السَّنة الثانية، فقال: لا بدّ من الخروج. فأُخبر بذلك الشيخ، فقال: أخرجوه.

فجُعِل على عَجَلَةٍ[5] وكلِّل بالزَّبَرْجَد والذَّهب، وصار حوله حافَّتان من النَّاس. فبينا هو يسير إذا هو برجل مبتلىً. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجلٌ مبتلى. فقال: أيصيب ناساً دون ناس، أو كلًّ خائف له؟ قالوا: كل خائف له. قال: وأنا فيما أنا فيه من السُّلطان؟ قالوا:

---

(١) الضَّرَّاب، قال في اللباب ٢/٢٦٢: «بفتح الضاد، وتشديد الراء، وفي آخرها الباء الموحدة؛ هذه النسبة إلى ضرب الدنانير والدراهم» أ هـ.

(٢) الدَّورقي: بفتح الدال، وسكون الواو، وفتح الراء وفي آخرها قاف. وقد تقدّم التعريف بهذا النسب وأبو عقِيل اسمه: بشير بن عقبة؛ ثقة. كما في التقريب ١/١٠٣.

(٣) أي: المصنوع من الشعر. أنظر أساس البلاغة ص ٢٣٦، وهذا إشعاراً بالزهد، والتخلّي عن زخارف الدنيا وزينتها.

(٤) حائط مُصْمَت، أي؛ لا جوف له، كذا في أساس البلاغة ص ٢٥٨. والحائط البستان. والمقصود هنا: أنه علا يوماً، وأطَلّ من مكانه فوجد حوله بستاناً خالياً لا أحد فيه، فقال:...

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٧١: «العَجَلَة ـ بفتحتين ـ: التي يجرها الثور» أ هـ. أي مركبة يجرّها الثور ـ.

نعم. قال: أفٍّ لعيشكم هذا، هذا عيشٌ كَدَر[1]. فرجع مغموماً محزوناً.

فقيل لأبيه، فقال: انشروا عليه كل لهو وباطل حتى تنزعوا من قلبه هذا الحزن والغمّ.

فلبث حولاً، ثمّ قال: أخرجوني. فَأُخْرِج على مثل حاله الأول. فبينا هو يسير إذا هو برجل قد هَرِم، ولعابُه يَسِيل من فِيه[2]. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل قد هَرِم. قال: يصيب ناساً دون ناس، أو كلّ خائف له إن هو عُمِّر؟ قالوا: كلّ خائف له. قال: أفٍّ لعيشكم هذا، هذا عيش لا يَصْفُو لأحد.

فأُخْبِر بذلك أبوه، فقال: أحشروا عليه كلّ لهو وباطل. فحشَروا عليه.

فمكث حولاً، ثمّ ركب على مثل حاله. فبينا هو يسير إذا هو بسرير تحمله الرجال على عواتقها. فقال: ما هذا؟ قالوا: رجل مات.

قال لهم: وما الموت؟ إيتوني به[3]: فأَتَوْه به. فقال: أَجْلِسُوه. فقالوا: إنه لا يجلس. قال: كلّموه. قالوا: إنّه لا يتكلم. قال. فأين تذهبون به؟ قالوا: ندفنه تحت الثّرى.

فال: فيكون ماذا بعد هذا؟ قالوا: الحَشْر. قال لهم: وما الحَشْر؟ قالوا: **﴿يومَ يقومُ النّاسُ لِرَبِّ العَالمين﴾**[4]، فيجزي كلّ واحدٍ على قدر حسناته وسيئاته.

قال: ولكم دار غير هذه تُجازُوْن فيها؟ قالوا: نعم. فرمى بنفسه من الفرس، وجعل يُعَفِّر وجهه في التراب[5]، وقال لهم: مِنْ هذا كنت أخشى، كاد هذا يأتي عليّ وأنا لا أعلم به، أمّا وربٍّ يُعْطِي ويَحْشُر ويُجازي، إنّ هذا آخر العهد بيني وبينكم، فلا سبيل لكم عليّ بعد هذا اليوم.

فقالوا: لا ندعك حتى نردّك إلى أبيك.

قال: فَرَدّوه إلى أبيه، وكاد ينزَف دمه. فقال: يا بنيَّ! ما هذا الجَزَع[6]؟ قال: جزعي

---

(١) الكدر: ضدّ الصفو، أي: هذا عيش حزن وبؤس وشقاء. أنظر مختار الصحاح ص ١٧٨.

(٢) أي: من فمه.

(٣) أي: بالمّيت.

(٤) سورة المطففين، آية رقم /٦.

(٥) أي: يُمَرِّغ وجهه بالتراب، قال في مختار الصحاح ص ١٦٦: «عفره في التراب تعفيراً، أي: مرَّغه» أ هـ.

(٦) أي: الخوف.

ليومٍ يعطَى فيه الصغير والكبير مجازاتهما ما عملا من الخير والشرّ.

فدعا بثياب فلبسها، وقال: إنّي عازِمٌ في اللّيل أن أخرج. فلما كان في نصف اللّيل، أو قريباً منه، خرج. فلما خرج من باب القصر، قال: اللهمّ! إنّي أسألك أمراً ليس لي منه قليل ولا كثير، قد سَبَقَتْ فيه المقادير: إلهي! لَوَدَدْتُ أنّ الماء كان في الماء، وأنّ الطين كان في الطين، ولم أنظر بعينيَّ إلى الدنيا نظرة واحدة.

قال بكر بن عبد الله: فهذا رجلٌ خرج من ذَنْبٍ واحد لا يعلم ماذا عليه، فكيف بمن يذنب وهو يعلم ما عليه فيه، ولا يتحرّج ولا يَجزَعُ ولا يتوب؟!

١٠ - [توبة صاحب الخورنق][1]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن، أنا عليّ بن إبراهيم، أنا رشأ، أنا الحسن بن إسماعيل، أنا أحمد بن مروان، قال: ثنا محمد بن عبد العزيز، ثنا أبي، عن بَهْلول بن حسّان، عن إسحاق بن زياد، عن شبيب بن شبة، عن خالد بن صفوان بن الأهتم، قال:

إنّ مَلِكاً من الملوك خرج إلى الخَوَرْنَقْ والسَّدِير[2] في عام قد بَكّر وَسْمِيُّه وتتابع وليُّه[3]، وأخذت الأرض فيه زخرفها وزينتها. وكان قد أُعْطي بَسْطَةً في الملك مع الكثرة والغَلَبَة والقهر.

فنظر فأبعد النظر، فقال لجلسائه: لمن هذا؟ قالوا: للملِك. قال: فهل رأيتم أحداً أُعْطِي مثل ما أُعْطِيت؟

قال: وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الحجة، ولم تخلِ الأرض من قائم لله بِحُجَّتِه في عباده، فقال: أيُّها الملك! إنّك قد سألت عن أمر، أفتَأْذَنُ لي بِالجواب عنه؟ قال: نَعَمْ.

قال: أرأيت ما أنت فيه، أشيءٌ لم تزل فيه، أم شيء صار إليك ميراثاً، وهو زائِلٌ عنك، وصائِرٌ إلى غيرك كما صار إليك؟ قال: كذلك هو.

---

(١) الخورنق: اسم قصر بالعراق، بناه النعمان الأكبر وهو فارسيّ معرّب. كذا في مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ١٤٨: «السدّير: نهر، وقيل: قصر» أ هـ.
وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: «السدير: نهر، وقيل: قصر قريب من الخورنق، كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك الأعاجم» أ هـ.

(٣) الوَسْمِيّ: مطر الربيع الأول، سُمِّي بذلك لأنه يَسِم الأرض بالنبات، أنظر مختار الصحاح ص ٤٣٥.
قوله: وتتابع وليُّه: أي الذي يليه ويأتي بعده.

قال: فلا أُرَاكَ إلا أُعْجِبْت بشيء يسير، لا تكون فيه إلا قليلاً، وتُنْقَل عنه طويلاً، فيكون غداً عليك حساباً. قال: وَيْحَك! فأين المهرب وأين المطلب؟ وأخذته القَشْعَرِيرة.

قال: إمّا أنْ تقيم في ملكك، فتعمل فيه بطاعة الله على ما ساءك وسرَّك وأَمَضَّك[1] وأَرْمَضَكَ[2]، وإمّا أن تَنْخَلِع عن مُلْكك وتضع تاجك وتلقي عليك أَطْمَارَك[3]، وتعبد ربك في هذا الجبل، حتى يأتيك أجلك.

فقال: إنّي مفكِّر الليلة، وأوافيك في السّحر، فأخبرك بإحْدَى المنزلتين.

فلمّا كان في السّحر قَرَع عليه بابه، فقال: إني اخترت هذا الجبل، وفَلَوَات الأرض، وقَفْر البلاد، وقد لبستُ عليّ أَمْسَاحي[4]، ووضعت تاجي، فإن كنت رفيقاً فلا تخالف.

فلزما واللهِ الجبلَ حتى أتاهما أجلهما جميعاً.

وهو الذي يقول فيه أخو بني تميم: عديّ بن زيد العبادي[5]:

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بِالدَّهـ ـرِ أأَنْتَ المُبَرَّأُ الموفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأيّـ ـامِ بَلْ أنتَ جاهلٌ مغْرورُ
مَنْ رَأَيتَ المنون خَلَّدْنَ أَمْ مَنْ ذَا عَلَيْهِ مِن أنْ يُضامَ خَفِيرُ
أينَ كِسرَى كسرى الملوكِ أنوشِر وان أمْ أيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الأصفَر الكرامُ مُلوك الـ ـرُّوم لَمْ يَبقَ مِنْهُمُ مَذكُورُ

---

(١) أي: أوجعك، تقول: أمضّه الجرح: أوجعه. والمضض: وجع المصيبة. أنظر مختار الصحاح ص ٢٤١.

(٢) أي: أحرقك، وآذاك، والرَّمَض ـ بفتحتين ـ: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره. تقول: رمض يومنا: اشتد حرّه، ورمَضَت قدمه: أي احترقت أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٥.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: . . الطِمر ـ بالكسر ـ: الثوب الخَلِق. والجمع أَطْمار» أ هـ.

(٤) أي لباسي وثيابي. أنظر مختار الصحاح ص ٨٠ ـ ٨١.

(٥) هو عدي بن زيد بن حمّاد بن زيد بن مناة بن تميم، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية، ولا يُعدّ من الفحول، قال ابن قتيبة: وكان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف، فثقل لسانه، واحتمل عنه شيء كثير جداً. وعلماؤنا لا يَرَوْن شعره حجّة. وله أربع قصائد غُرر.
أنظر ترجمته في الأغاني ٢/٩٧ ـ ١٥٦.
والشعر والشعراء ١/١٧٦ ـ ١٨٠. والأبيات المذكورة موجودة في الأغاني ٢/١٣٨ ـ ١٣٩، وفي الشعر والشعراء ١ /١٧٦ ـ ١٧٧.
نقلاً عن هامش المطبوعة، وغالب ما سيأتي من تعليق على الأشعار والشعراء مأخوذ من هامش المطبوعة.

وأخو الحضر[1] إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجبى إليه والخابور[2]
شاده مرمراً وجلله كلـ ... ـساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشـ ... ـرف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يمـ ... ـلك والبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ ... ـطة حي إلى الممات يصير

قال أحمد بن مروان: وحدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا محمد بن سلام الجُمَحِيّ[3]، عن الأصْمَعي[4]، أنّ النّعمان بن امرىء القيس الأكبر، وهو الذي بنى الخَوَرْنَق، ركب يوماً، فأشرف على الخورنق، فنظر إلى ما حوله فقال لمن حضره: هل علمتم أحداً أُوتِيَ مثل ما أوتيتُ؟ فقالوا: لا. إلاّ رجل منهم ساكت لا يتكلم، وكان من حكمائهم. فقال له: مالَكَ لا تتكلم؟ فقال: أيها الملك، إن أذنت لي تكلّمت. فقال: تكلّم.

قال: أرأيت ما جمعتَ، أشيء هو لك لم يزل ولا يزول، أم هو شيء كان لمن كان قبلك وزال عنه وصار إليك، وكذلك يزول عنك؟ قال: لا بَلْ كان لمن قبلي فزال عنه وصار إليَّ، وكذلك يزول عنّي.

قال: فسررتَ بشيء تزول عنك لذَّتُه غداً، وتبقى تَبِعَتُه عليك، تكون فيه قليلاً، وتُرتَهَنُ فيه كثيراً طويلاً!.

قال: فبكى. وقال له: أين المَهْرَب؟

قال: إلى أحدِ أمرين: إمّا أن تقيم فتعمل بطاعة ربك، وإمّا أن تلقي عليك أمْسَاحاً، ثم تلحق بجبل، وتفر من الناس، وتقيم وحدك، وتعبد ربك، حتّى يأتيك أجلك.

---

(١) الحَضر، بفتح الحاء، وسكون الضاد: مدينة بازاء تكريت، كانت مبنية بالحجارة المهندمة المزخرشة.
(٢) الخابور. اسم لنهر كبير في أرض الجزيرة.
(٣) الجُمَحِيّ. قال في اللباب ١/٢٩١: «بضم الجيم، وفتح الميم، وفي آخرها الحاء المهملة. هذه النسبة إلى بني جُمَح وهم بطن من قريش..
واشتهر بهذه النسبة: محمد بن سلاّم بن سالم، ـ قلت: وهو الراوي هنا ـ، أبو عبدالله الجُحمي، الأخباري الأديب... كان صدوقاً، قيل: إنه كان قدرياً. وتوفيّ سنة اثنتين وثلاثين ومائتين» أ هـ.
(٤) هو عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد، الباهلي، الأصْمَعي البصري، صدوق سنّي، مات سنة ست عشرة بعد المائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين، كذا في التقريب ١/٥٢١ ـ ٥٢٢. وانظر اللباب في تهذيب الأنساب ١/٧٠.

قال: فإذا فعلتُ ذلك فما لي؟ فقال: حياة لا تموت، وشباب لا يَهرم، وصحة لا تسقم، ومُلْكٌ جديد لا يبلى.

فقال له: أيها الحكيم! فكلّ ما أرى إلى فناءٍ وزوال؟ قال: نعم. قال: فأي خير فيما يفنَى؟ والله لأطلبنّ عيشاً لا يزول أبداً.

قال: فَٱنْخَلَع من ملكه، ولبس الأَمْسَاح، وسار في الأرض، وتبعه الحكيم. فعبدا الله جميعاً حتى ماتا.

وهو الذي يقول فيه عديّ بن زيد الشاعر:

وَتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذْ أَشْـ ـرَفَ يَوْماً وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْـ ـلِكُ والْبَحرُ مُعْرِضاً والسَّدِيرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ فقالَ وَمَا غِبْـ ـطَةُ حَيٍّ إلى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

وفيهم يقول الأسود بن يَعْفُر[1]:

مَاذا أُؤَمِّلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقٍ تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وبَعدَ إيَادِ
أهْلَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارقٍ والقَصرِ ذي الشُّرُفاتِ منْ سِنْدَاد[2]
نَزَلُوا بأنْقِرَةٍ[3] يَسيلُ عليهِمُ مَاءُ الفُراتِ يَجيءُ مِنْ أطْوَاد[4]
أرْضٌ تخَيَّرها لِطيبِ مَقيلِها كَعْبُ بنُ مَامَةَ وابنُ أُمِّ دُؤَاد[5]
جَرَتِ الرِّياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ فَكَأنَّما كانُوا عَلَى مِيعَادِ
فَأرَى النَّعيمَ وَكلَّ مَا يُلْهَى بهِ يَوْماً يَصيرُ إلَى بِلًى وَنَفَادِ

١١ - [توبة ملك من الملوك]

وذكر محمَّد بن أحمد بن البراء - في كتاب: الرَّوْضة - قال: حدثنا أحمد بن

---

(١) هو الأسود بن يعفر بن عبد الأسود بن جندل بن نهشل، التميمي، وهو أحد العشي، هو أعشى بني نهشل، يكنّى أبا الجراح، شاعر جاهلي مقدّم، فصيح فحل، كان ينادم النعمان بن المنذر، ولما أسنّ كفَّ بصره.
والأبيات من قصيدة طويلة رائعة، معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها، وهي في المفضليات ص ٢١٦ - ٢٢٠، ومنتهى الطلب ١ /٨١ - ٨٢ وشعراء الجاهلية ص ٤٨٠ - ٤٨٣.

(٢) سنداد: نهر أسفل الحيرة.

(٣) أنقرة: بكسر القاف وضمها: بلد بالحيرة، بالقرب من الشام، وهي غير أنقرة التي في بلاد الروم.

(٤) الأطواد: الجبال.

(٥) كعب بن مامة، هو: الإيادي، أحد أجواد العرب في الجاهلية.
وابن أم دؤاد. نقل الإنباري عن أحمد بن عبيد أنه يعني به أبا دؤاد الإيادي، وهو الشاعر المعروف.

إبراهيم، جُوَيْرِيَّة بن[1] أسماء، عن أبي معدان، عن عون بن عبدالله بن عتبة[2]، قال: حَدَّثتُ عمر بن عبد العزيز بحديث ـ فكأنَّ معناه وقع منه.

حدّثته أنّ ملكاً ممّن كان قبلنا ابتنى بُنْيَةً فَتَنَوَّق[3] في بنائها، ثمّ صنع طعاماً ودعا النّاس إليه، وأقعد على أبوابها ناساً يسألون كلّ من خرج: هل رأيتم عيباً؟ فيقولون: لا.

حتّى جاء ناس في آخر ما جاء، ـ عليهم أَكْسِية ـ، فسألوهم: هل رأيتم عيباً؟ قالوا: عَيْبَيْن اثنين.

قال: فحبسوهم، ودخلوا على الملك فقالوا: قد دخل النّاس فسألناهم، فذكروا أنّهم لم يرَوْا عيباً، حتّى جاء قوم عليهم أكسية ـ أظنّه قال: شباب ـ فسألناهم، فقالوا: رأينا عيبين اثنين. قال: ما كنت أرضى بواحد، فائتوني بهم.

قال: فأدخلوهم عليه، قال: هل رأيتم عيباً؟ قالوا: عَيْبَيْن اثنين. قال: وما هما؟ قالوا: تَخْرَبْ، ويموت صاحبها.

قال: وهل تعلمون داراً لا تخرب ولا يموت صاحبها؟ قالوا: نعم قال: وما هي؟ قالوا: دار الآخرة، قال: فدعوه، فاستجاب لهم.

قال: فقال لهم: إن جئت معكم علانية لم يَدَعْني أهل مملكتي، ولكن ميعادكم موضع كذا وكذا.

قال: فكان معهم زماناً. ثمّ قال لهم ذات يوم: عليكم السّلام. قال: فقالوا: ما لك؟ أرأيت مِنّا شيئاً تكرهه؟ قال: لا، قالوا: فما حملك على هذا؟ قال: أنتم تعرفوني، فأنتم تكرمونني لحالي التي كنت عليها.

قال: فكأنّ معناه وقع من عمر موقعاً، فذهبت إلى مسلمة[4] فأخبرته.

---

(١) في المطبوعة: جويبر، وهو خطأ إنما هو جويرية بن أسماء بن عُبيد، الضُّبَعي، البصري، صدوق، مات سنة ثلاث وسبعين بعد المائة التقريب ١/١٣٦.
وانظر تهذيب الكمال ٥/١٧٢، وتهذيب التهذيب ٢/١٢٤ ـ ١٢٥، والكاشف ١/١٥٠.
وهو على الصواب: أي جويرة، في مخطوطة، كما أشار إليه محقق المطبوعة.

(٢) هو: عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهُذَلي، أبو عبدالله، الكوفي، ثقة عابد، من التابعين، مات قبل سنة عشرين ومائة، التقريب ٢/٩٠.

(٣) بُنية ـ بضم وكسر الباء ـ: بناء ـ فتنَوّق، أي: فتأنّق.
أنظر أساس البلاغة ص ٣١، ومختار الصحاح ٣٣٣.

(٤) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، ابن عمّ عمر بن عبد العزيز. ذكره ابن سميع في الطبقة الرابعة من تابعي أهل الشام. وقال الزبير بن بكّار: وكان من رجالهم ـ أي الإشدّاء =

قال: فدخل مسلمة على عمر وقد كان حدّثه بهذا الحديث.

قال: فقال: ويحك يا مسلمة! أرأيت رجلاً حُمّل مالا يطيق ففرّ إلى ربّه - عزّ وجلّ -، فهل ترى عليه بذلك بأساً؟.

قال: فاتق الله يا أمير المؤمنين في أمّة محمد ﷺ، فوالله لئن فعلت ليقتتلُن بأسيافهم.

قال: ويحك يا مسلمة! حُمّلت مالا أطيق! فردّدها وجعل مسلمة يناشده حتى سكن.

١٢ - [توبة امرىء القيس الكِنْدي][1]

وروى المَرْزُبانيّ[2]، عن الأَزْدِيّ، قال: كان امرؤ القيس الكِنْدي، وهو مخرق الأول، طويل المصاحبة للّهو واللذّات، كثير العكوف على اللعب، فركب يوماً إمّا مُتَبَدِّياً[3]

المعروفين - وكان يلقّب: الجرادة الصفراء، وله آثار كثيرة في الحروب، ومكانة في الروم، وقال غيره: ولّاه أخوه يزيد إمرة العراقين، ثم أرمينية.

مات سنة عشرين ومائة في المحرم، وقيل: سنة إحد وعشرين ومائة.

تهذيب التهذيب ١٠/١٤٤.

(١) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار. الشاعر الجاهلي المعروف، يماني الأصل، وُلد بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، واشتهر بلقبه، واختَلَفَ النَسابون في اسمه، وقيل: لقبه اسمه، وكان أبوه ملِك أسد وغطفان، وأمّه أخت المهلهل الشاعر، وعنه أخذ الشعر، ثم ثار بنو أسد على أبيه فقتلوه، وثأر لأبيه من بني أسد وقال في ذلك شعراً كثيراً، وكانت حكومة فارس ساخطة على بني آكل الدار، فأوعزت إلى المنذر ملك العراق بطلب امرىء القيس فطلبه، فأبتعد، وانتهى إلى السّموأل، فأجاره، ثم رأى. أن يستعين بالروم على الفرس، فسار إلى قيصر الروم يوستينياس في القسطنطينية، فوعده ومطله، ثم ولّاه أمرة فلسطين، فرحل يريدها، فوافاه أجله بأنقرة، مسموماً على الأرجح، وقد جُمع بعض ما ينسب إليه من الشعر في ديوان صغير.

أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ١/٣٥١ - ٣٥٢، والأغاني للأصفهاني ٩/٧٧ - ١٠٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ص ٧٧٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٢٠٣. ومعجم المؤلفين ٢/٣٢٠.

(٢) المَرْزُبَاني: قال في اللباب ٣/١٩٥: «بفتح الميم وسكون الراء، وضم الزاي، وفتح الباء الموحدة، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى المَرْزُبان، وهو جدّ المنتسِب أليه وفيهم كثرة منهم... وأبو عبيدالله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد - قلت: وأظن أنه الراوي هنا -، الكاتب المرزباني، بغدادي، صاحب أخبار ورواية للآداب، وله تصانيف كثيرة حسنة.. ولد سنة ست وتسعين ومائتين، ومات سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شوال» أ هـ.

(٣) مُتَبَدِّياً، أي: ذاهباً إلى البادية، قاصداً لها، أنظر مختار الصحاح ص ٤٨٩.

وإمّا متصيّداً، فانقطع عن أصحابه، فإذا هو برجل جالس قد جمع عظاماً من عظام الموتى وهي بين يديه يقلّبها.

فقال: ما قصتّك أيّها الرجل، وما بلغ بك إلى ما أرى من سوء الحال، وشُسُوف الجسم[1]، وتلويح اللون، والإنفراد في هذه الفلاة؟.

فقال: أمّا ذلك فلأني على جناح سفر بعيد، وبي موكلّان مزعجان يَحْدُوَان[2] بي إلى منزلٍ ضنكِ المحلّ، مظلم القَعْر، كَرِيه المقرّ. ثم يسلماني إلى مصاحبة البلَى، ومجاورة الهلكى، تحت أطباق الثرى، فلو تُركتُ بذلك المنزل مع جفائه وضيقه ووحشته، وآرتِعَاء خشاش[3] الأرض في لحمي وعصبي، حتى أعود رُفَاتاً، وتصير أعظمي رَمَماً، كان للبلاء انقضاء، وللشقاء نهاية؛ ولكنّي أُدْفَع بعد ذلك إلى صبيحة الحشر وأرد لهول مواقف الجزاء، ثم لا أدري إلى أيّ الدَّارَينَ يؤمَر بي، فأيّ حال يلتذّ به من يكون إلى هذا الأمر مصيره.

فلماً سمع الملك كلامه ألقى نفسه عن فرسه وجلس بين يديه، وقال: أيّها الرجل! لقد كدّر مقالك عليّ صفو عيشي، وملك الإشفاقُ قلبي، فأَعِدْ عليّ بعض قولك، واشرح لي دينك.

فقال له: أما ترى هذه التي بين يدّي؟ قال: بلى. قال: هذه عظام ملوك غرّتهم الدنيا بزخرفها، واستحوذت على قلوبهم بغرورها، فألهتهم عن التأهُّب لهذه المصارع، حتى فاجأتهم الآجال، وخذلتهم الآمال، وسلبتهم بهاء النعمة. وستُنْشَرُ هذه العظام فتعود أجساداً، ثم تُجازَى بأعمالها، فإمّا إلى دار القرار، وإمّا إلى محل البوار.

ثمّ آخْتَلَسَ الرجلُ[4] فلم يُرَ له أثر، وتلاحق أصحاب المَلِك، وقد آمتَقَع لونه، وتواصلت عبراته، وركب وقيذاً[5]. فلمّا جَنّ عليه اللّيل، نزع ما عليه من لبالس المُلْك،

---

(١) شَسَف، أي، نحل وهزل، أنظر أساس البلاغة ص ٢٣٥.

(٢) أصل الحدو: الغناء للإبل لكي تسير سريعاً، واستعمالها هنا في المجاز، والمقصود: يبعثان بي، قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٧٧: «ومن المجاز: . . وحدوتُه على كذا: بعثته» أ هـ.

(٣) الإرتعاء: من الرّعي.
وخشاش الأرض هي: صغار الطير والدوابّ أنظر أساس البلاغة ص ١١١. والمقصود: تأكل من حشرات الأرض وديدانها.

(٤) أصل الإختلاس: الإستلاب، تقول: فلان اختلس فلان: أي استلبه. أنظر مختار الصحاح ص ٢٠٣، وأساس البلاغة ص ١١٨. والمقصود هنا: أن الرجل اختلسَ غفلةَ أمرؤ القيس عنه، فَذَهب، فلم يُر له أثر.

(٥) أي: مريضاً عليلاً، وذلك من أثر كلام الرجل.

ولبس طِمْرَيْن[1]، وخرج تحت الليل، فكان آخر العهد به[2].

١٣ - [توبه ملِك من ملوك اليمن]

ورُوي أنّه احترب مَليكان من ملوك اليمن، فغلب أحدهما صاحبه وقتله وشرّد أصحابه، وزُيِّنَت له السرّر ودارُ المُلْك، وتلقّاه النّاس لِيُدْخَل، فبينا هو في بعض السكك يقصد دار الإمارة بها، وقف له رجل ـ كان يُنْسَب للجنون ـ، فأنشده:

تَسمَّعْ مِنَ الأيَّام إنْ كُنْتَ حازماً ... فإنَّكَ فيها بَيْنَ نَاهٍ وآمِر
فكم مَلِكٍ قَدْ رُكِمَ التُّرْبُ فَوقَهُ ... وَعَهْدِي به بالأمْسِ فَوق المنابر
إذَا كُنتَ في الدُّنْيا بَصِيراً فإنَّما ... بَلاغُكَ منها مثلُ زَادِ المُسافر
إذَا أبْقَتِ الدُّنيا عَلَى المَرءِ دِينَهُ ... فَما فَاتَهُ منْها فَلَيْسَ بضَائِرِ

فقال له: صَدَقْت، ونزل عن فرسه، وفارق أصحابه، ورَقِيَ الجبل، وأقسم على أصحابه أن لا يتبعه أحد، فكان آخر العهد به.

وبقيت اليمن شَاغِرَة[3] أيّاماً حتى اختير لها من عقدوا له المُلْك عليها.

١٤ - [توبة ملك من ملوك بني إسرائيل]

وقرأتُ في «الملتقط» عن عبد الواحد بن زيد، قال: كان في بني إسرائيل عابد لم يكن له إلاّ جبّة صوف، وقُرْبة يستقي فيها الماء للناس.

فلمّا حضره الموت، قال لأصحابه: إنّي لم أدَع من الدّنيا شيئاً إلاّ جبّتي في هذه القُرْبة [و] ما أطيق حملها يوم القيامة، فإذا متّ فادفعوهما إلى فلان المَلِك ليحملهما مع ما تحمَّل من دنياه[4].

فلّما مات العابد أخبروا المَلِك بما قاله.

فقال الملك: هذا العابد عجز عن حمل جبّة وقربة، وأنا تحمّلت من الدنيا ما

= والوقذ: هو الضرب حتى الأسترخاء، والإشراف على الموت، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٠، وأساس البلاغة ص ٥٠٦.

(١) قال في مختار الصحاح ص ١٥٩: «الطِمر ـ بالكسر ـ: الثوب الخَلِق. والجمع أطمار» أ هـ.

(٢) كذا ذكر هنا في وفاته، أنه ذهب تائباً ولم يُعرَف عنه شيئاً بعد ذلك، وقد تقدم في ترجمته كيف مات، وهو الأرجح. والله أعلم.

(٣) أي: خالية. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) في المطبوعة: حملها. فادفعوها، ليحملها، هكذا بالإفراد والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، حيث أن الكلام عن جبّة وقربة، وهما مثنّى، والله تعالى أعلم.

تحمّلته! فأخذ الجبّة فلبسها وأخذ القربة، وخرج من مُلْكِه، فجعل يستقي للناس الماء.

* * *

١٥ - [توبة مِلك من ملوك بني إسرائيل]

أخبرنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح بن عبدالله الجيلي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن المظفر بن سوسن التمّار، أنا أبو علي بن شاذان، أنا أبو بكر محمّد بن العبّاس بن نجيح البزّاز، ثنا يعقوب بن يوسف القَزْوِيني، ثنا محمّد بن سعيد، ثنا عمرو بن أبي قيس، عن سِمَاك، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبي، عن عبدالله بن مسعود، عن رسول الله ﷺ[1]، قال:

---

(١) قلت: هذه قصة لا تصح عن رسول الله - ﷺ -، وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه:

١ - يزيد - والد عبد الرحمن -، وهو ابن معاوية بن أبي سفيان.

قال عنه الحافظ بن حجر في التقريب ٢/٣٧١: «ولي الخلافة سنة ستين، ومات سنة أربع وستين، ولم يكمل الأربعين، وليس بأهل أن يروَى عنه» أ هـ.

٢ - وفيه أيضاً عمرو بن أبي قيس، قال عنه في التقريب ١/٧٧: «صدوق له أوهام» أ هـ. وقال الذهبي في الكاشف ٢/٢٩٣: «وثّق، وله أوهام» أ هـ.

فلعل رفع الحديث إلى النبي - ﷺ - من أوهام عمرو، أو من ضعف يزيد، إذ أن الحديث يروَى عن عبدالله بن مسعود من قوله. رواه الإمام أحمد في المسند ١/٤٥١.

قال: ثنا يزيد بن هارون، قال: أنا المَسْعودي، عن سماك بن حرب، عن عبد الرحمن بن عبدالله، عن أبيه عبدالله بن مسعود، قال: بينما رجل فيمن كان قبلكم كان في مملكته فتفكّر، فعلم أنّ ذلك منقطع عنه، وأن ما هو فيه قد شغله عن عبادة ربّه، فتسرّب فانساب ذات ليلة من قصره، فاصبح في مملكة غيره، وأتى ساحل البحر، وكان به يضرب اللبن بالآجر، فيأكل ويتصدّق بالفضل، فلم يزل كذلك حتى رقِي أمره إلى ملكهم وعبادته، وفضله، فأرسل ملكهم إليه أن يأتيه، فأبىَ أن يأتيه، فأعاد، ثم أعاد إليه، فأبىَ أن يأتيه، وقال: ماله ومالي، قال: فركب المِلك، فلمّا رآه الرجل ولّى هارباً، فلما رأى ذلك الملك ركض في إثره، فلم يدركه، قال: فناداه، يا عبدالله إنه ليس عليك مني بأس، فأقام - حتى أدركه، فقال له: مَن أنت رحمك الله؟ قال: أنا فلان بن فلان صاحب مُلْك كذا وكذا، تفكّرت في أمري فعلمتُ أن مّا أنا فيه منقطع، فإنه قد شغلني عن عبادة ربّي، فتركته وجئت ههنا أعبد ربيّ - عزّ وجلّ -، فقال: ما أنت أحوج إلى ما صنعت مني. قال: ثم نزل عن دابته، فسيَّبها، ثم تبعه، فكانا جميعاً يعبدان الله عزّ وجلّ -، فدعوا الله ان يميتهما جميعاً، قال: فماتا، قال عبدالله: لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورهما بالنعت الذي نعت لنا رسول الله - ﷺ -.

قلت: وهذا سياق أحسن من سياق المصنف.

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا إنه منقطع، إذ أن عبد الرحمن بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه إلا أربعة أحاديث فقط نصّ عليها العلماء، وهذا ليس منها. =

«إنّ بني إسرائيل استخلفوا خليفة عليهم بعد موسى، فقام يصلّي في القمر فوق بيت المَقْدِس. قال: فذكر أموراً كان يصنعها. قال فخرج فتدّلى بسبب، فأصبح السَّبب متعلّقاً في المسجد وقد ذهب.

قال: فانطلق حتى أتى قوماً على شاطىء البحر بديار مصر، فوجدهم يصنعون لَبِناً، فسألهم كيف يأخذون هذا اللَّبِن؟ قال: فأخبروه، فلبَّن معهم، وكان يأكل من عمل يده، فإذا كانَ حين الصّلاة تطّهر فصلّى، فَرفِعَ ذلك العمّالُ إلى قَهْرَمَانِهم[1] أنّ فينا رجلاً يفعل كذا وكذا، فأرسل إليه، فأبى أن يأتيه ثلاث مرّات.

ثمّ إنَّه جاءه بنفسه، يسير على دابتّه، فلما رآه فرّ، واتّبعه فسبقه، فقال: أنظرني أكلّمْك، قال: فقام حتى كلّمه، فأخبره خَبَره، فلمّا أخبره خبره، وأنّه كان ملكاً، وأنّه فرّ من رهبة ربّه ـ عزّ وجلّ ـ، قال: إنّي لأظنّ أنّي لاحق بك.

قال: فلحقه فعبدا الله ـ عزّ وجلّ ـ حتى ماتا بـ «رميلة» مصر.

قال عبدالله: إنّي لو كنت ثمَّ لاهتديت إلى قبريهما، من صفة رسول الله ﷺ التي وَصَفْ.

١٦ ـ [توبة حفيدُ نبيّ هو ولد عابد]

أخبرنا أبو العبّاس بن المبارك، قال: أخبرنا أبو المعالي بن بندار، قال: أخبرنا أبو عليّ النِّعَاليّ[2]، أخبرنا مخلد بن جعفر الباقر حيّ، أنا الحسن، أنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر، أنا عليّ بن عاصم، عن داود بن أبي هند، عن عبدالله بن عبيد بن عمير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس[3]، قال:

كان في بني إسرائيل عابد قد أُعجبوا به، فذكروه يوماً عند نبيّهم، فأثنوا عليه،

= أنظر تهذيب التهذيب ٦/٢١٥ ـ ٢١٦، والتقريب ١/٤٨٨، وطبقات المدلسين ص ٩١ ـ ٩٢. والله تعالى أعلم. وأنظر البداية والنهاية ٢/١٣١

(١) أي: إلى رئيسهم.

(٢) النِّعالي: بكسر النون، وفتح العين، نسبة إلى عمل النِّعَال، واشتهر بها جماعة. أنظر اللباب ٣/٣١٦.

(٣) هذا إسناد ضعيف جداً ـ متروك ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، فيه:

١ ـ إسحاق بن بشر: قال عنه الذهبي في المغني في الضعفاء ١/٦٩: ١١ مجمع على تركه، وقد أُتهم بالكذب: وقال ابن المديني: كذّاب» أ هـ.

٢ ـ علي بن عاصم، قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب ٢/٣٩: «صدوق يخطىء ويصرّ» أ هـ. أي: ويصرّ على خطأه إذا نصح.

فقال: إنّه لَكَما تقولون، لكنّه تارك لشيء من السنّة.

فبلغ العابد، فقال: فعلام أُدْئِب[1] نفسي؟!.

قال: فهبط من مكانه، فأتى النبيّ وعنده النّاس، والنبيّ لا يعرفه بوجهه. فسلّم عليه، ثمّ قال: يا نبيّ الله! بلغني أنّي ذُكِرْتُ عندك، فقلت: إنّه لكذلك، لولا أنّه تارك لشيء من السنّة، ففيم أُدْئِب نفسي بالليل والنهار، وأعتزل الناس، وإنّما أطلب سنّة الرب ـ عزّ وجلّ ـ.

قال: أنت فلان؟ قال: نعم.

قال: أما والله ما هو شيء أحدثتَه في الإسلام، ولكنّك لم تتزوّج، قال له العابد: وليس إلّا هذا؟ قال: لا.

قال فلّما رأى النبيّ استهانته، قال: رأيت لو فعل الناس مثل الذي فعلت من كان يتقي العدوّ عن المسلمين، ومن كان يأخذ للمظلوم من الظالم؟ قال: وذكر الصّلاة.

قال له العابد: صدقت يا نبيّ الله، ما أحرمّه، ولكني أكره أن أتزوّج إمرأة مسلمة وأنا فقير فأَعْضِلُهَا[2]، وليس عندي ما أُنفق عليها، وأمّا الأَغنياء فلا يزوّجونني.

فقال له النبيّ: ما بك إلّا هذا؟ قال: فما بي إلّا هذا، قال: أنا أزوّجك ابنتي، قال: قد فعلت. قال: فزوّجه، فولدت له غلاماً.

قال ابن عباس: فوالله ما وُلد في بني إسرائيل مولود ذكر قطّ كانوا أشد فرحاً به من ذلك الغلام.

قال: قالوا: ابن نبيّنا وابن عابدنا! إنّا لنرجو أن يبلغ بنا ما بلغ رجل.

قال: فلمّا بلغ الغلام انقطع إلى عَبَدَةَ الأوثان، وانقطعوا إليه، وكثروا عنده، قال: فبيناهم عنده يوماً، إذ قال: إنّي أراكم كثيراً، فما بال هؤلاء القوم قاهِرين لكم.

فقالوا: إنّ لهم رأساً يجمعهم وليس لنا رأس. قال: فما يمنعكم إلّا هذا؟ قالوا: نعم. قال: فأنا رأسكم. قالوا: وتفعل؟ قال: نعم. قال: فخرج وخرجوا معه.

قال: فبلغ ذلك النّبي، وبلغ أباه، فاجتمع بنو إسرائيل إلى النبيّ وأبوه معهم،

---

(١) أي: أُتعبها، قال في مختار الصحاح ص ٢٣: «دأب في عمله: جدّ وتعب» أ هـ.

(٢) أي: فأضيق عليها، قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٢٠٥: «عضَلْت على فلان: ضيّقت عليه أمره وحُلْتُ بينه وبين ما يُريد. ومنه: ﴿ولا تعضُلوهُنّ﴾» أ هـ.
وأنظر مختار الصحاح ص ٣٧٣.

فأرسل إليه يذكّره بالله، وأن يرجع إلى الإسلام، فأبى.

فخرج إليه النبيّ، وخرج أبوه معه، فالتقى القوم واقتتلوا حتى كثرت الدماء فيهم، وقُتِل النّبي وقُتِل أبوه مع النبيّ. وانهزم بنو إسرائيل، واتبعهم يفنيهم ويبعث في آثارهم يقتلهم.

قال: فلحق أحبارهم بالجبال، واستقام له الناس. قال: فجعلت نفسه لا تَدَعه، وظنّ أنّ ذلك المُلْك لا يستقيم له حتّى يُفْنِيَ بني إسرائيل. قال: فجعل يبعث في طلبهم في الجبال يُقَتِّلهم، فاستقام له النّاس، واشتدّ ملكه.

فلمّا رأى أحبارُ بني إسرائيل ما يفعل لهم، قالوا: خلّينا عن هذا الرّجل وعن ملكه، وليس يَدَعنا، لقد بُؤْنَا[1] بغضب من الله، فَرَرْنا عن نبيّنا وعابِدَنا حتّى قُتلا وليس يَدعنا، فتعالَوا نتوب إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ، ونلقى هذا الرّجل فنقاتل ونحن تائبون.

قال: فولّوا رجلاً منهم أمرهم، وبايعوا له، وهبطوا وقد وطّنوا أنفسهم على الموت، وتابوا إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ.

قال: فخرج إليهم، فاقتتلوا أوّل يوم من أوّل النّهار حتّى حال بينهم الليل، ثمّ غدَوْا فاقتتلوا حتّى كثرت الدماء في الفريقَيْن، حتّى حال بينهم الليل.

قال ابن عباس: فغدوا اليوم الثالث وقد صَبّروا أنفسهم لله فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقال لهم صاحبهم: إنّي لأرجو أن يكون الله قد تاب عليكم وقَبِل توبتنا، فإنّي أرى الصبر قد أُنزل علينا، وصارت الرِّيح لنا، فإن ظَفِرتم به، فإن استطعتم أن تأخذوه سليماً فلا تقتلوه.

قال: فاقتتلوا إلى قريب من اللّيل، لا هؤلاء يفرّون ولا هؤلاء يهربون. فلمّا كان في آخر النّهار، وعرف الله منهم الصّدق، أنْزَل عليهم النَّصر، فهزموهم بإذن الله، وقتلوهم، وأخذوه سليماً، فأتَوْا به.

قال: فاجتمع بنو إسرائيل إلى صاحبهم، فقال لهم: ما جزاء رجل من أنفسنا قَتَل نبيّنا، وقتل والده، وأدخل علينا عَبَدَة الأوثان حتّى قتلونا، وشرّدونا في البلاد؟ فقائل يقول: أحرقوه. وقائل يقول: قطّعوه. وقائل يقول: عذّبوه. فكلّما قالوا له شيئاً من هذا قال: هذا يأتي على نفسه. قالوا: فأنت أعلم.

قال: فإنّي أرى أن نأخذه فنصلبه حيّاً، ولا نطعمه، ولا نسقيه، ولا نقتله. ونَدَعه

---

(١) أي: رجعنا. أنظر مختار الصحاح ص ٧ ـ ٨.

حتّى يموت. قالوا له: إفعل، فصُلب حيّاً وجعلوا عليه الحَرَس.

قال: فمكث يومه، ومن الغد، واليوم الثالث، حتّى أمسى، فلمّا أمسَى رأى الموت. فدعا آلهته التي كان يعبد من دون الله ـ عزّ وجلّ ـ. قال: فبدأ بأفضلها في نفسه، فيدعوه، فإذا لم يجبه، جاوزه ودعا الاخر فأتى على آلهته جميعاً يدعوهم فلا يجيبونه، وذلك في جوف الليل.

قال: اللّهمّ إله جدّي وأبّي! إنّي قد ظلمت نفسي، ودعوتُ هذه الآلهة التي كنت أعبدها من دونك، فلو كان عندها خير لإجابتني، فاغفِرْ لي، وخلّصني مما أنا فيه، فتحلّلت عنه العُقَد فإذا هو في أسفل الجذع.

وفي حديث آخر، قال: فجعل يدعو صنماً صنماً، فلا يجيبه أحد، قال: فنظر إلى السماء، وقال: يا حنّان! يا منّان! أشهد أنّ كلّ معبود من لَدُنَ عرشك إلى قرار أرضك باطل إلا وجهك الكريم أنت فأغثني.

قال: فبعث الله ـ عزّ وجلّ ـ ملكاً، فحلّه عن خشبته فأنزله.

قال ابن عباس: فأخذه الحَرَس فأتَوْا به صاحبهم، واجتمع بنو إسرائيل، فقال: ما تأمرون في هذا؟ قالوا: ما ترى فيه، الله ـ عزّ وجلّ ـ حلَّهُ، وتقول لنا: ما تأمرون فيه؟!

قال: صدقتم، ولكن أحببت أن أستأمركم. قال: فخلُّوا عنه.

قال سعيد بن جبير: سمعت ابن عبّاس يقول: والله ما كان في بني إسرائيل بعده رجل خيراً منه ولا أفضل.

١٧ ـ [توبة ملك من الملوك وقومٌ لا يعبدون الله].

أخبرنا الإمام أبو الحسين عليّ بن عساكر بن المرّحب البطائحي المقرىء[١]، أنبأ أبو طالب اليُوْسُفي[٢]، أنبأ أبو بكر القَطِيعيّ، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا هُدْبَة، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت وحميد، عن بكر بن عبدالله المزني[٣]، قال:

---

(١) هو عليّ بن عساكر بن المرحب بن العوّام البطائحي، أبو الحسن، ضرير، مقرىء، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي سنة (٥٧٢) هـ. في شعبان. له كتاب في القراءات.
أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي (جـ ١٢، ق ٢٧٦ ـ ٢٧٧)، وطبقات القراء لابن الجزري ١/٥٥٦. ومعجم المؤلفين ٧/١٥٠.

(٢) اليُوسُفي: بضم الياء، وسكون الواو، وضمّ السين المهملة، وبعدها فاء، هذه النسبة إلى أبي يوسف الإسفراييني، خازن دار العلم ببغداد. اللباب ٣/٤٢٠.

(٣) هذا اسناد صحيح عن بكر بن عبدالله المزني، ولعله تلقى هذه القصة عن بعض أهل الكتاب، أو عن =

كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان متمرّداً على ربّه ـ عزّ وجلّ ـ ، فغزاه المسلمون، فأخذوه سليماً، فقالوا: بأيّ قِتْلَة نقتله؟ فأجمع رأيهم على أن يجعلوا قُمْقُماً عظيماً، ويؤجّجوا تحته النار، ولا يقتلوه حتى يذيقوه طَعْم العذاب، ففعلوا ذلك به.

قال: فجعل يدعو آلهته واحداً واحداً: يا فلان! بما كنت أعبدك به، وأصليّ لك، وأمسح وجهك، فأنْقِذْني مما أنا فيه، فلمّا رآهم لا يغنون عنه شيئاً، رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله؛ ودعا مخلصاً فصَبّ الله عليه مَثْعَباً[1] من السماء، فأطفأ تلك النّار.

وجاءت ريح فاحتملت ذلك القُمْقُمْ، فجعلت تدور بين السّماء والأرض، وهو يقول: لا إله إلاّ الله، فقذَفَه الله إلى قوم لا يعبدون الله ـ عزَّ وجلّ، وهو يقول: لا إله إلاّ الله؛ فاستخرجوه، فقالوا: ويحك، ما لك؟ فقال: أنا مَلِك بني فلان، كان من أمري، وكان من أمري . . . ، فقصّ عليهم القصّة، فآمنوا.

١٨ ـ [توبة ملك يقال له: كنعان، وقومه من بعده].

أخبرنا أحمد بن المبارك، أنا ثابت، أنا أبو عليّ بن دوما، أنا مخّلد، أنا الحسن، ثنا إسماعيل بن عيسى، أنا إسحاق بن بشر قال: وحُدّثت عن ابن سمعان، عن بعض أهل العلم بالكتب[2]:

أنّ ذا الكفل كان إليسع بن خطوب الذي كان مع إلياس، وليس باليَسَع الذي ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن، وإليسع ذو الكفل كان قبل داود[3].

= بعض مَن اطلع على كتبهم، والله أعلم.

(١) أي: ماء غزيراً مَسيلاً من السماء، تقول: ثعبت الماء: فجّرته، والثعب سبيل الماء. أنظر مختار الصحاح ص ١٨، وأساس البلاغة ص ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً، فيه:

١ ـ إسحاق بن بشر، قال في المغني ١/٦٩: «مجمع على تركه، وقد اتهم بالكذب، وقال ابن المديني كذّاب» أ هـ. وقد تقدمت ترجمة ضافية له أول الكتاب، باب ذكر التوابين من الملائكة.

٢ ـ الإنقطاع بينه وبين ابن سمعان، وهذا ظاهر من سياق النص، وحُدِّثت عن ابن سمعان. وهو في روايات أهل الكتاب كما هو ظاهر جلياً من قوله: عن بعض أهل العلم بالكتب، أي بالكتب القديمة.

(٣) كذا قال: ومقتضاه أن ذا الكفل كان اسمه إليسع بن خطوب، وهو الذي كان مع إلياس وليس هو باليَسْع الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، وأن ذا الكفل كان قبل داود.

وقد روى إسحاق بن بشر بإسناد عن الحَسَن البصري ما يخالف هذا، كما في البداية والنهاية ٢/٥. حيث ذكر عنه أنه قال: كان بعد الياس اليسع عليهما السلام ـ ، فمكث ما شاء الله أن يمكث، =

وذلك أنَ ملكاً جبّاراً يقال له: كنعان، وكان لا يُطاق في زمانه لظلمه وطغيانه، وكان ذو الكفل يعبد الله سرّاً منه، ويكتم إيمانه وهو في مملكته، فقيل للملك: إنّ في مملكتك رجلاً يُفْسِد عليك أمَرك، يدعو النّاس إلى غير عبادتك، فبعث إليه ليقتله، فأتيَ به، فلمّا دخل عليه، قال لهُ الملك: ما هذا الذي بلغني عنك أنّك تعبد غيري؟.

فقال له ذو الكفل: إسمع منّي وتَفَهَّمْ ولا تغضب، فإنّ الغَضَب عدوّ للنفس، يحول بينها وبين الحقّ، ويدعوها إلى هواها، وينبغي لمن قدر ألاّ يغضب، فإنّه قادر على ما يريد.

قال: تكلّم.

قال: فبدأ ذو الكفل وافتتح الكلام بذكر الله ـ عزّ وجلّ ـ، والحمد لله، ثم قال ذو الكفل: أتزعم أنّك إلّه؟ فإله مَنْ تَمْلِك؟ أو إلّه جميع الخَلْق؟ فإن كنت إلّه مَنْ تَمْلِك، فإن لك شريكاً فيما لا تملك، وإن كنت إلّه الخلق، فمن إلّهك؟

قال له: ويحك، فمن إلّهي؟.

قال: إلّه السماء والأَرض، وهو خالقهما، وهذه الشّمس والقمر والنجوم، فاتّقِ الله، واحذر عقوبته، فإن أنت عبدته ووحّدته، رَجَوْتُ لك ثواباً، والخلودَ في جواره.

قال له الملك: أخبرني، مَنْ عَبَدَ إلّهك فما جزاؤه؟ قال: الجنّة إذا مات.

قال: وما الجنَّة؟ قال: دار خلقها الله ـ تبارك وتعالى ـ بيده، فجعلها مسكناً لأوليائه، يبعثهم يوم القيامة شباباً مُرْداً أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فيدخلهم الجنّة في نعيم وخلود شباب لا يهرمون، مقيمون لا يَظْعَنون[1]، أحياء لا يموتون، في نعيم وسرور وبهجة.

قال: فما جزاء من لم يعبده وعصاه؟.

قال: النّار؛ مقرونين مع الشياطين، مُغَلْغَلِين بالأَصْفَاد[2]، لا يموتون أبداً، في

= يدعوهم إلى الله متمسكاً بمنهاج الياس وشريعته حتى قبضه الله ـ عز وجل ـ ثم خلف فيهم الخلوف، وعَظُمت فيهم الأحداث والخطايا، وكثرت الجبابرة، وقتلوا الأنبياء، وكان فيهم ملك غير طاغ، ويقال: إنه الذي تكفّل له ذو الكفل أن هو تاب ورجع دخل الجنة، فسمّي ذا الكفل.
وهذا إسناد ضعيف جداً أيضاً بسبب إسحاق لكن المقصود أنه ذكر هنا أن اليسع النبي جاء بعد الياس، وذا الكفل جاء بعدهما، وليس كما ذكر في القصة الأولى، والله تعالى أعلم.
وأنظر البداية والنهاية ١/ ٢١٠ ـ ٢١٢، و٢/ ٤ ـ ٥

(١) ظعن: سار، كذا في مختار الصحاح ص ٤٦٠، والمقصود هنا: لا يخرجون منها.
(٢) أي: بالقيود: مختار الصحاح ص ١٠٢.

عذابٍ مقيم، وهَوَانٍ[1] طويل، تضربهم الزَّبانِيَةِ[2] بِمَقَامِع[3] من حديد، طعامهم الزَّقُّوم[4] والضريع[5] وشرابهم الحَمِيْم[6].

فَرَقّ الملك وبكى لما كان قد سَبَقَ له. فقال له: إن أنا آمنت بالله فما لي؟ قال: الجنّة. قال: فمن لي بذلك؟ قال: أنا لَكَ الكَّفِيل، وأكتب لك على الله - تبارك وتعالى - كتاباً، فإذا أتيته تَقَاضَيْته بما في كتابك، وفَّى لك، فإنّه قادر قاهر يوفيك ويزيدك.

ففكّر المَلِك في ذلك، - فأراد الله به الخير - فقال له: أُكْتب لي على الله - عزَّ وجلَّ - كتاب.

فكتب: بسمِ الله الرّحمٰن الرّحيم، هذا كتاب كتبه فلان الكَفِيل على الله تعالى لكنعان الملك، ثقةً منه بالله - تبارك وتعالى -، إنّ الله لا يُضِيع أَجر مَن أَحسن عملاً[7]، ولكنعان على الله - عزّ وجلّ - بكفالة فلان، إن تاب ورجع عَبَدَ الله، أن يدخله الجنّة، يبوِّئه[8] منها حيث يشاء، وإنّ له على الله ما لإوليائه، وأن يجيره من عذابه، فإنّه رحيم بالمؤمنين، وواسع الرَّحمة، سبقت رحمته غضبه. ثمّ ختم الكتاب، ودفعه إليه.

ثمّ قال له: أرشدني كيف أصنع، قال: قُمْ فاغتسل، والبس ثياباً جُدُداً، ففعل. ثم أمره أن يَتَشَهّد، بشهادةِ الحقّ، وأن يبرأ من الشرك، ففعل.

ثمّ قال له: كيف أعبد ربّي؟ فعلَّمه الشرائع والصلاة، فقال له: يا ذا الكفل! استر هذا الأمر ولا تظهره حتّى ألحق بالنُسّاك.

قال: فخلع المُلْك، وخرج سرّاً، فلحق بالنُسَّاك، فجعل يسيح في الأرض.

---

(١) أي: ذلّ وضعف واستخفاف، مختار الصحاح ص ٤٧٥.

(٢) الزّبانية: سمّي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار، وأصل الزبن الدفع» كذا في مختار الصحاح ص ٤٥٣.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٢٧٥: «المقْمعة - بالكسر، واحدة المقامع - من حديد، كالمحجن، يضرب بها على رأس الفيل» أ هـ.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٤١٠: «الزقوم: اسم طعام لهم، فيه: تمر وزبد، قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: لما نزل قوله تعالى: ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾، قال أبو جهل: التمر بالزبد نتزقّمه، أي نتلقمه - فأنزل الله تعالى: ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾» أ هـ.

(٥) أي: الشوك. قال في مختار الصحاح ص ٢٧١: «الضريع يبيس الشِّبْرق» أ هـ.

(٦) أي: الماء الحار. أنظر مختار الصحاح ص ٤٠٣.

(٧) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف، آية رقم / ٣٠: ﴿إنّا لا نُضِيعُ أجْرَ مَنْ أحسنَ عملاً﴾.

(٨) قال في مختار الصحاح ص ٨: «تبوأ منزلاً نزله. وبوّأ له منزلاً، وبوّأه منزلاً هَيَّأه ومكّن له فيه» أ هـ.

وفقده أهل مملكته فطلبوه، فلمّا لم يقدروا عليه، قالوا: أُطْلُبوا ذا الكفل! فإنّه هو الذي غرّ إلّهنا. قال: فذهب قوم في طلب المَلِك، وتوارىَ ذو الكفل. فقدِرُوا على الملك على مسيرة شهر من بلادهم، فلمّا نظروا إليه قائماً يصلّي خرّوا له سجَّداً، فانصرف إليهم، فقال: أُسْجُدوا لله، ولا تسجدوا لأحد من الخلق؛ فإنّي آمنت بربّ السماوات والأرض والشمس والقمر، فَوَعَظَهُم وخوَّفَهم.

قال: فعرض له وَجَع، وحضره المَوْت. فقال لأصحابه: لا تبرحوا، فإنّ هذا آخر عهدي بالدّنيا، فإذا متّ فادفنوني.

وأخرج كتابه فقرأه عليهم حتّى حفظوه، وعَلِموا ما فيه، وقال لهم: هذا كتاب كتبه لي على ربّي ـ عزَّ وجلَّ ـ، أستوفي منه ما فيه، فادفنوا هذا الكتاب معي. فلمّا مات جهّزوه، ووضعوا الكتاب على صدره، ودفنوه، فبعث الله ـ تبارك وتعالى ـ ملَكاً، فجاء به إلى ذا الكفل، فقال: يا ذا الكفل! إنّ ربّك قد وفّى لكنعان بكفالتك، وهذا الكتاب الذي كتبته له، وإن الله ـ عز وجل ـ يقول: هكذا أُفعل بأهل طاعتي.

فلمّا أن جاءه الملك بالكتاب، ظَهَرَ للنّاس، فأخذوه، فقالوا له: أنت الذي غَرَّرْتَ[1] مَلِكنا وخَدَعْتَه؟ فقال لهم: لم أغرَّه ولم أخدعه، ولكن دعوته إلى الله، وتكفّلت له بالجنّة، وقد مات مِلَكُكم اليوم في ساعة كذا وكذا، ودفنه أصحابكم. وهذا الكتاب الذي كنت كتبته له على الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بالوفاء، وقد وفّاه الله ـ عزّ وجلّ ـ حقّه. وهذا الكتاب تصديق لما أقول لكم. فانتظروا حتّى يرجع أصحابكم.

فحبسوه حتّى قدم أصحابهم فسألوهم، فقصّوا عليهم القصة.

فقالوا لهم: تعرفون الكتاب الذي دفنتموه معه؟ قالوا: نعم. فأخرجوه إليه، فقرؤوه، فقالوا: هذا الكتاب الذي كان معه، ودفنّاه في يوم كذا وكذا. فنظروا وحَسَبُوا، فإذا ذو الكفل كان قد قرأ عليهم الكتاب وأعلمهم بموت الملك في اليوم الذي مات فيه.

فآمنوا به واتّبعوه، فبلغ من آمن به مائة ألف وأربعةً وعشرين ألفاً.

وتكفّل لهم مثل الذي تكفّل لملكهم على الله ـ عزَّ وجلّ ـ، فسمّاه الله: ذا الكفل[2].

---

(١) أي: خدعت. تقول: منه اغترّ الرجل، واغتر بالشيء: خدُع به مختار الصحاح ص ١٧٠.

(٢) سبق أن هذا الإسناد ضعيف جداً، فلا تقوم فيه حجة على ما ذكر هنا.
وقد ذكر الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ١/٢١٠ ـ ٢١١ أسباباً أخرى لتسميته بذي الكفل.

ذكر التوّابين من الأمم

١٩ ـ [توبة قوم موسى عليه السلام]

وبه[1] عن إسحاق بن بشر، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن[2]، قال:

أقبل موسى ـ عليه السّلام ـ يسأل ربّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يتوب على قومه من عبادة العِجْل، فقال: يا موسى! لا توبة لهم إلاّ أن يقتلوا أنفسهم.

فرجع موسى ـ عليه السلام ـ إلى قومه، فقال: يا قوم! إنّ الله أبىَ أن يقبل منكم توبتكم إلاّ أن تقتلوا أنفسكم، فتِلك توبتكم: ﴿ذٰلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾[3] ـ يعني: خالقكم.

قالوا: يا موسى، نصبر لأمر الله ـ عزّ وجلّ ـ ونَدِم القوم على ما صنعوا.

فأخذ موسى ـ عليه السّلام ـ منهم الميثاق لَيَصْبُرُن للقتل والقضاء. فقالوا نعم. فأصبحوا غدوة[4] بأفنية البيوت، كل بني أبٍ على حِيَالهم[5].

---

(١) وبه: أي بالإسناد السابق في القصة السابقة.

(٢) هذا إسناد ضعيف جداً عن الحسن، فيه:

١ ـ إسحاق بن بشر، مجمع على تركه، وقد اتُّهم بالكذب، وقال ابن المديني: كذّاب، كذا في المغني في الضعفاء للذهبي ١/٦٩.

جويبر، وهو: ابن سعيد: ضعيف جداً، كذا في التقريب ١/١٣٦.

لكن ورد نحو هذه القصة عن غير واحد من التابعين.

أنظر تفسير ابن كثير ١/٩٢ ـ ٩٣، والبداية والنهاية ١/٢٦٩ ـ ٢٧١. وهي من باب الرواية عن أهل الكتاب وكتبهم.

(٣) سورة البقرة آية رقم /٥٤، وتمام هذه الآية: ﴿وإذ قال موسىٰ لقومِه: يا قوم إنكم ظلمتُم أنفسَكم باتخاذِكُمُ العجلَ، فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسَكم، ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكُم فتابَ عليكُم إنّه هو التّوابُ الرحيم﴾.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٥٣٠: «الغدوة: ما بين صلاة الغداة ـ أي: الفجر ـ وطلوع الشمس» أهـ.

(٥) قال في مختار الصحاح ص ٣٥٦: «قعد حيا له وبحياله، أي: بإزائه» أهـ. والمقصود: أن أهل كل =

فأمر موسى الذين لم يكونوا عبدوا العجل من بني إسرائيل أن يأخذوا السّيوف فيقتلوا من لَقُوا. فَمَشَوْا في العسكر، فقالوا: رحم الله من يحلّ حَبْوَتَه[1]، ولم يرفع بصره، ولم يمتنع بيده ولا رجله، ولم يقم من مجلسه حتّى يقضي الله قضاءه.

قال: فَقُتِّلوا، حتّى إنْ كان الرَّجل من بني إسرائيل ليأتي قومه وهم بأَفْنِيَة بيوتهم جلوس، فيقول: إنّ هؤلاء إخوانكم أتوكم شاهرين السُّيوف، فاتّقوا الله واصبروا، فإنّ لعنة الله وملائكته على رجل حَلّ حَبْوَته، أو قام من مجلسه، أو حدّد إليهم طرفه، أو اتّقاهم بيد أو رِجل، فيقولون: آمين.

وعن ابن عبّاس[2]، قال: قال القوم حين أُمروا أن يَقْتُل بعضهم بعضاً: يا رسول الله، كيف نقتل الآباء والأبناء والإخوة؟ قال: فأنزل الله عليهم ظلمة لا يرى بعضهم بعضاً فقتلوهم.

فقالوا: يا موسى! ما آية توبتنا؟ قال: أن تقوم السّيوف والسِّلاح فلا تَقْتُل، وتُرفَع عنكم الظُّلْمة.

قال: فقتلوا حتّى بلغت الدِّماء المئزر، وخاضوا فيها، وصاح الصبيان إلى موسى يقولون: يا موسى! العَفْوَ العَفْوَ! وبكى موسى إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ الرَّحمة وقام السّلاح.

ونادى موسى أن ارفعوا عن إخوانكم، فقد نزلت الرّحمة، وارتفعت عنهم الظلمة، فتكشّفت عن القتلى.

قال ابن عبّاس: فقتلاهم شهداء، وأحياؤهم مغفور لهم[3].

٢٠ ـ [توبة قوم يونس عليه السّلام].

قال إسحاق: وأخبرنا جويبر ومقاتل، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس[4]، قال:

= بيت اجتمعوا قرب بعضهم.

(١) الحَبْو: الزَّحْف. تقول: حبا الصبيُّ يحبو: إذا زحف. إساس البلاغة ص ٧٢ ـ ٧٣، ومختار الصحاح ص ٤٩٦ والمقصود هنا: من لم يحاول الهرب.

(٢) أنظر تفسير ابن كثير ١/٩٢.

(٣) وذكر هذا القول عن قتادة أيضاً ـ، أنظر تفسير ابن كثير ١/٩٢.

(٤) هذا إسناد ضعيف جداً عن ابن عباس، فيه:

١ ـ إسحاق، وهو: ابن بشر، مجمع على تركه ومنهم من اتهمه بالكذب، كما تقدّم مراراً.

٢ ـ جويبر، وهو ابن سعيد: ضعيف جداً. كما تقدم مراراً كذلك، لكن تابعه عليه مقاتل، فيغني عنه، إلا أن يكون وهو مقاتل بن سليمان ـ وهو الأرجح ـ فقد كذّبوه وهجروه، التقريب ٢/٢٧٢. =

لمّا أَيِس يونس ـ عليه السلام ـ من إيمان قومه دعا ربّه عليهم، فقال: يا ربِّ! إنَّ قومي أَبَوْا إلاّ الكفر، فأنزِل عليهم نَقْمتك[1].

فأوحى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إليه: إنِّي أنزل بقومك العذاب. قال: فخرج عنهم يونس وأَوْعَدَهم العذاب بعد ثلاثة أيام، وأخرج أهله ومعه ابناه صغيران، فانطلق حتّى خرج عنهم، فَصَعِدَ جبلاً ينظر إلى أهل «نينوَى» ويترقّب العذاب.

وبعث الله ـ عزّ وجلّ ـ جبريل، فقال: انطلق إلى مالك ـ خازنِ النّار ـ فقل له يُخْرِج من سموم جهنّم على قَدْرِ مثقال شعيرة، ثمّ انطلِق به فَأَحطْ به أهل مدينة «نينوى».

قال: فانطلق جبريل ففعل ما أمره ربّه ـ عزَّ وجلَّ ـ وعاين قوم يونس العذاب لما هبط للوقتِ لهم يونس.

قال أبو الجَلْد[2]: إنّ العذاب لّما هبط على قوم يونس فجعل يحوم على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم.

قال ابن عبّاس: فلمّا استيقنوا بالعذاب، سُقِط في أيديهم[3]، وعلموا أنّ يونس قد صَدَقَهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه. فقالوا: نجتمع إلى الله ونتوب إليه.

قال: فخرجوا إلى موضع يُقال له: تلّ الرّماد، وتلّ التَّوْبة.

= وقصة توبة قوم يونس ـ عليه السلام ـ ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، وسيذكرها المصنف قريباً فلا داعي إلى ذكرها هنا.

(١) أي: عقابك. أنظر مختار الصحاح ص ٤٣٤.

(٢) بفتح الجيم وسكون اللام، وهو: جيلان بن أبي فروة الأسدي البصري، ويقال: ابن فروة، ذكره الإمام البخاري في التاريخ الكبير ١/٢/٢٥١ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
وذكره ابن حبان في الثقات ٤/١١٩. وقال: «كان يقرأ الكتب، روى عنه أبو عمران الجوني» أ هـ.
وذكره أبو حاتم في الجرح والتعديل ٢/٥٤٧، وقال: «صاحب كتب التوراة ونحوها، روى عن قتادة وأبو عمران الجوني».
«ثم نقل بإسناده عن أحمد أنه قال عنه: ثقة» أ هـ.
وأنظر لسان الميزان ٢/١٤٤.
قلت: فهو كما تقدم [illegible] بالأخذ عن كتب أهل الكتاب.

(٣) أي: ندموا، وهذا من المجاز، إذ أن السقوط: الوقوع ونحوها وليس الندم. قال الزمخشري في أساس البلاغة ص ٢١٤: «ومن المجاز... وسُقِط في يده، وأُسْقِط وسَقَط ـ على المبنّي للفاعل ـ: ندم، وهو مسقوط في يده، وساقط في يده: نادم» أ هـ.

وإنّما سُمّيَ: تلّ الرماد، لإنّهم خرجوا جميعاً: الرِّجال والنِّساء والعواتِق[1]، وأخرجوا معهم أنعامهم وبهائمهم، فميّزوا بين المراضع وأولادها، والبهائم وأولادها، وجعلوا الرَّماد على رؤوسهم، ووضعوا الشّوك من تحت أرجلهم، ولبسوا المُسُوح والصُّوف، ثمّ اسْتَجارُوا بالله، ورفعوا أصواتهم بالبكاء والدُّعاء، فعلم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ منهم الصِّدق.

فقالت الملائكة؛ يا ربّ! رحمتك وَسِعَت كلّ شيء، فهؤلاء الأكابر من ولد آدم تعذّبهم، فما بال الأصاغر والبهائم؟ فقال الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: يا جبريل! ارفع عنهم العذاب، فقد قبلت توبتهم، يقول الله عزَّ وجلَّ: **﴿فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إيمانُها إلاّ قَوْمَ يُونُس لما آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ في الْحَياةِ الدُّنْيا وَمَتَعْنَاهُم إلَى حِينٍ﴾**[2].

أخبرنا عليّ بن عساكر، أنا أبو طالب، أنا أبو عليّ التميمي، أنا أبو بكر القَطِيعي،

---

(1) قال الزمخشري ص ٢٩٣: «هي عاتِق من العواتِق: للشابّة أوّل ما أدْركت» أ هـ.

(2) سورة يونس، آية رقم /٩٨.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٢/٤٣٢ ـ ٤٣٣: «يقول الله تعالى فهلاّ كانت قرية آمنت بكمالها من الأمم السالفة الذين بعثنا إليهم الرسل بل ما أرسلنا من قبلك يا محمد من رسول إلاّ كذبه قومه أو أكثرهم، كقوله تعالى: **﴿يا حَسْرة على العباد ما يأتيهم من رسولٍ إلا كانوا به يستهزؤون﴾**، **﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلاّ قالوا ساحر أو مجنون﴾**، **﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذيرٍ إلا قال مُترَفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مقتدون﴾**.

وفي الحديث: عرض عليَّ الأنبياء، فجعل النّبي يمرّ ومعه الفئام من الناس، والنّبي يمرّ معه الرجل، والنبيّ معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد؛ ثم ذكر كثرة أتباع موسى عليه السلام ـ ثم ذكر كثرة أمته ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ سدّت الخافقين الشرقيّ والغربي.

والغرض أنه لم توجد قرية أمنت بكمالها بنبيهم ممن سلف من القرى إلا قوم يونس، وهم أهل نينوى، وما كان إيمانهم إلاّ خوفاً من وصول العذاب الذي أنذرهم به رسولهم بعد ما عاينوا أسبابه وخرج رسولهم من بين أظهرهم، فعندها جأروا إلى الله واستغاثوا به وتضرّعوا له، واستكانوا، وأحضروا أطفالهم ودوابّهم ومواشيهم، وسألوا الله تعالى أن يرفع عنهم العذاب الذي أنذرهم به نبيهم، فعندها رحمهم الله وكشف عنهم العذاب، وأُخروا، كما قال تعالى: **﴿إلا قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾**.

واختلف المفسرون هل كُشف عنهم العذاب الأخروي مع الدنيوي، أو إنما كشف عنهم في الدنيا فقط؟ على قولين:

أحدهما: إنما كان ذلك في الحياة الدنيا، كما هو مقيد في هذه الآية.

والثاني: فيهما، لقوله تعالى: **﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون، فآمنوا فمتّعْنَاهم إلى حين﴾**، «فأطلق عليهم الإيمان، والإيمان منقذ من العذاب الأخروي وهذا هو الظاهر، والله أعلم» أ هـ.

ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا هاشم[1]، ثنا صالح، عن أبي عمران الجَوْنِي[2]، عن أبي الجَلْد[3]، قال:

إنْ العذاب لمَّا هبط على قوم يونس فجعل يَحُوْمُ على رؤوسهم مثل قطع الليل المظلم، فمشى ذَوُو العقول منهم إلى شيخ من بقيَّة علمائهم، فقالوا: إنَّا قد نزل بنا ما ترى، فعلِّمنا دعاءً ندعو به، عسى الله أن يرفع عنَّا العقوبة.

فقال: قولوا: يا حيّ حين لا حيّ، ويا حيّ محيي الموتى، ويا حيّ لا إله إلاّ أنت.

قال: فكشف الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عنهم.

وعن الحسن، أن يونس ـ عليه السّلام ـ بعد ما أنجاه الله من بَطْن الحوت رجع فمرَّ براعٍ من رعاة قومه، وهو من برِّيَّة يرعى غنماً، فقال يونس للراعي: من أنت يا عبدالله؟ قال: أنا من قوم يونس بن مَّتى. قال يونس: فما فعل يونس؟ قال: لا ندري ما حاله، غير أنَّه كان خير النّاس، وأصدق النّاس، أخبرنا عن العذاب، فجاءنا على ما قال، فَتُبْنَا إلى الله فرحمنا، فنحن نطلب يونس، ولا ندري أين هو، ولا نسمع له بذكر.

---

(١) في المطبوعة: ثنا هُشَيم، وهو خطأ، والمثبت كما في كتاب الزهد للإمام أحمد ص ٤٤.
ويؤكد أن الذي أثبتناه هو الصواب، أن الذي يروي عن صالح، وهو المرّي إنما هو هاشم، وليس هُشَيم. أنظر تهذيب الكمال ١٣/١٦ ـ ١٧.
وهاشم، هو: ابن القاسم بن مسلم الليثي مولاهم، البغدادي، أبو النَّضر، مشهور بكنيته، ولقبه: قيصر، ثقة ثبت، مات سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وسبعون. التقريب ٢/٣١٤.

(٢) هو: عبد الملك بن حبيب، مشهور بكنيته، تابعي ثقة، التقريب ١/٥١٨.

(٣) تقدم قريباً أنه كان يقرأ التوارة وكتب أهل الكتاب.
وروى هذا الأثر الإمام أحمد في الزهد ص ٤٤ ـ ٤٥ وإسناده ضعيف، فيه: صالح، وهو: ابن بشير بن وادع المُرّي.
قال عنه يحيى بن معين: ليس به بأس، وقال مرّة أخرى: ضعيف وقال ثالثه: ليس بشيء. وقال رابعة: كان قاصاً، وكان كل حديث يحدِّث به عن ثابت باطلاً.
وقال ابن المديني: ليس بشيء، ضعيف ضعيف.
وقال عمرو بن علي: ضعيف الحدث، يمُدّ بأحاديث مناكير عن قوم ثقات..
وقال الجَوْزجاني: كان قاصّاً، واهي الحديث.
وقال البخاري: منكر الحدث.
وقال أبو عبيد الآجُرِّي: قلت لأبي داود: يُكْتب حديث صالح المُرّي؟ قال: لا.
وقال النّسائي: ضعيف الحديث، له أحاديث مناكير، وقال في موضع آخر: متروك الحديث.
أنظر تهذيب الكمال ١٣/١٦ ـ ٢٣. وتهذيب التهذيب ٤/٣٨١، وقال عنه في التقريب ١/٣٥٨: «زاهد، ضعيف» أ هـ.

قال يونس: هل عندك من لبن؟ قال: لا، والذي أكرم يونس ما مطرت السَّماء ولا أعْشَبَتِ الأرض منذ فارقنا يونس. قال: ألا أراكم تحلفون بإله يونس؟ قال: لا نحلف بغير إله يونس، من فعل في مدينتنا فحلف بغير إله يونس نُزع لسانه من قفاه. فقال له يونس: متى استحدثتم هذا؟ قال: لما كَشَفَ الله عنَّا العذاب.

قال يونس: ائتني بنعجة، قال: فأتاه بنعجة مَسْلُوبة[1]، فمسح يده على بطنها، ثم قال لها: دِرِّي بإذن الله، فدرَّت، فاحتلبها يونس، فشرب يونس والراعي.

فقال الرَّاعي: إن كان يونس حيًّا فأنت هو.

قال: أنا يونس، فأْتِ قومك فأقرئهم مِنِّي السَّلام. قال: إنَّ الملِك قال: من أتاني فأعلَمَني أنَّه رأى يونس، وجاءني ذلك ببُرْهان، خلعت له ملكي، وجلعته مكاني، ولحقت بيونس، فلا أستطيع [أن] أبلغه ذلك إلاَّ بحجَّة، فإنِّي أخاف أن يُقال لي: إنَّما قلتَ هذا لقول الملك، وطمعت في ملكه وكذَبْت، وليس أحدٌ منّا يكذب اليوم كذبة إلاَّ قتلوه، وأنت أعظم في أعينهم من ذلك أن أجيئهم بما بكذّبوني ويقتلوني.

قال يونس: تشهد لك الشاة التي شربنا منها لبناً، وهو مستند إلى صخرة، فقال للصخرة: اشهدي له.

قال ابن سمعان: إنْ يونس قال للرّاعي: إنطلِق إلى قومك فبلِّغهم عنِّي السَّلام، وأخبرهم أنَّك قد رأيتني، قال: فانطلق الرّاعي فأخبرهم، فكذَّبوه. فلما شهدت الصخرة والشَّاة، اجتمعوا فبكوا على ذِكْر يونس ولم يروه.

وقالوا للرّاعي: أنت خيرنا وسيِّدنا حين رأيت يونس فملَّكوه عليهم، وقالوا: لا ينبغي أن يكون فينا أحدٌ أرفع منك، ولا نعصى لك أمراً بعدما رأيت يونس رسول الله. فكان ذلك آخر العهد بيونس.

قال: وملَكهم الرَّاعي أربعين سنة.

٢١ ـ [توبة قوم نبي من الأنبياء]

أخبرنا عبد الرحمن بن جامع الفقيه، أنا أحمد بن أحمد المتوكِّلي، أنا أبو بكر الخطيب[2]، أنا محمّد بن موسى بن الفضل، أنا محمَّد بن عبد الله الصفّار، أنا ابن [illegible]

(١) أي: ضامِرَة، ليس فيها حليب.

(٢) هو الإمام أحمد بن علي بن ثابت، المعروف بالخطيب البغدادي، مُحَدث، مؤرِّخ، أصولي، ولد بَدْرْ زيجان من قرى العراق سنة (٣٩٢) هـ. وقيل: سنة (٣٩١). ونشأ في بغداد، ورحل [illegible]

الدنيا، أنّ[1] سعيد بن سنان الحِمْصِيّ، قال:

أوحى الله - عزّ وجلّ - إلى نبيّ من الأنبياء: إنَّ العذابَ حَائِقٌ[2] بقومك.

قال: فذكر ذلك النبيُّ لقومه، وأمرهم أن يُخرِجوا أفاضلهم فيتوبوا. قال: فخرجوا. فأمرهم أن يُخرجوا ثلاثة من أفاضلهم وفداً إلى الله تعالى.

قال: فخرج[3] الثلاثة أمام القوم.

قال: فقال أحد الثلاثة: اللَّهمَّ إنَّك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عَبْدك موسى أن لا نردَّ السؤَّال إذا قاموا بأبوابنا، وإنا سؤَّال من سؤَّالِك قمنا بباب من أبوابك فلا تردَّ سؤَّالك.

وقال الثاني: اللَّهمْ إنَّك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعفو عَمَّن ظَلَمَنا، وإنا ظلمنا أنفسنا فاعفُ عنا.

وقال الثالث: اللَّهمّ إنَّك أمرتنا في التوراة التي أنزلت على عبدك موسى أن نعتق أرِقَّاءنا، وإنّا عبيدك وأرقّاؤك فأوجب لنا عتقنا.

فأوحى الله إلى نبيِّه أنه قبل منهم، وعفا عنهم.

= الحديث، وتوفي ببغداد سنة (٤٦٣) هـ.

له تصانيف كثيرة منها: تاريخ بغداد، الكفاية في معرفة علم الرواية، الفقيه والمتفقه، الجامع لأداب الراوي والسامع، وشرف أصحاب الحديث، وغيرهم كثير.

أنظر في ترجمته: تذكرة الحافظ للذهبي ٣/٣١٢. ووفيات الأعيان لابن خلِّكان ١/٣٢-٣٣، والبداية والنهاية لابن كثير ١٢/١٠١-١٠٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ١٠/٢٣-٢٤، ومعجم المؤلفين ٢/٣-٤.

(١) في المطبوعة: أنا سعيد بن سنان، ومعناها أنبأنا أي: أن ابن أبي الدنيا سمع من سعيد بن سنان وهذا غير مسلّم به، إذ أن سعيد بن سنان توفي سنة ثلاث أو ثمان وستين بعد المائة، كما في التقريب ١/٢٩٨.

وابن أبي الدنيا، واسمه عبدالله بن محمد بن عُبَيْد، مات سنة إحدى وثمانين ومائتين، وله ثلاث وسبعون كما في التقريب ١/٤٤٧، فيكون مولده سنة ثمان ومائتين.

فأنّى له أن يسمع منه، والله تعالى أعلم.

وسعيد بن سنان قال عنه في التقريب ١/٢٩٨: «الحنفي، أو الكندي، أبو مهدي الحمصي، متروك، ورماه الدارقطني وغيره بالوضع» أ هـ.

وابن أبي الدنيا، هو الحافظ المعروف صاحب التصانيف وقد سبقت ترجمته فيما مرّ.

(٢) أي: حائط بهم، ونازل بهم، مختار الصحاح ص ٣١٤.

(٣) في المطبوعة: فخرجت، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، والله أعلم.

ذكر التوّابين
من
آحاد الأمم الماضية

٢٢ - [توبة أصحاب الغار]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق اليوسفي، أنا أبو الحسن بن العلّاف، أنا أبو القاسم بن بشران، أنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عليّ الكندي، أنا أبو بكر محمَّد بن جعفر السامريّ، ثنا نصر بن داود بن مهران، ثنا داود بن عبد الرحمن العطّار، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ:

بينما ثلاثة نفر يمشون إذ أخذهم المَطَر، فأوَوْا إلى غار في جبل، فانحطَّتْ عليهم في غارهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم باب الغار.

فقال بعضهم لبعض: أنظروا أعمالاً عملتموها صالحة فادعوه بها.

فدَعَوُا الله عِزَّ وجلَّ.

فقال بعضهم: اللَّهمَّ إنّه كان لي أبوان شيخان كبيران وامرأة وصبيان، فكنتُ أرعَى عليهم، فإذا رُحْتُ إليهم حلبت فبدأت بوالديَّ أسقيهما قبل بنيّ. وإنّه نأىَ بي طلب الشجر[1]، فَلَم آت حتَّى أمسيت، فوجدتهما قد ناما. فحَلَبْت كما كنت احلب، فجئت فقمت عند رؤوسهما أكره أن أُوقظهما، وأكْرَهُ أن أبدأ بالصِّبْيَةِ قبلهما. فجعلوا يتضاغون[2] عند قدميّ. فلم أزل كذلك دَأْبي ودأبهم حتَّى طلع الفجر. فإن كنت تَعْلَم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُج[3] عنّا فُرْجَةً نرى منها السَّماء، ففَرَج الله - عزّ وجلَ - لهم فرجة.

وقال الآخر: اللَّهم إنّه كانت لي ابنةُ عمّ فأحببتها كأشدِّ ما يحب الرّجل النساء

---

(١) أي: بَعُدَ بي طلب المرعَى. أي: أنه استطرد مع غنمه في الرعي، ألى أن بعد عن مكانه زيادة على العادة، ولذلك أبطأ أنظر فتح الباري ٦/٥٠٨.

(٢) بتضاغون: أي: يصيحون ويبكون، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٥٠٦: «الضغاء - بالمدّ -: الصياح ببكاء» أ هـ.

(٣) قال في الفتح ٦/٥٠٨: «فافرُج: بوَصْل - أي: بهمزة وصل - وضم الراء، من الثلاثي، وضبطه بعضهم بهمزة، وكسر الراء من الرباعي - أي فأفْرِج» أ هـ.

والفرجة: الفتحة؛ وافرُج لنا: فافتح لنا.

فطلبتُ إليها نفسها، فأبَتْ عليَّ حتَّى آتيها بمائـة دينار. فسعيت حتَّى جمعت مـائة دينـار، فجئتها بها. فلمَّا قعدتُ بين رِجْلَيْهـا، قالت: يـا عبد الله! إتَّقِ الله، ولا تَفُضَّ الخـاتَمَ إلاّ بحقِّه[1]. فَقُمْتُ عنها. فإن كنتَ تعلم أنّي فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فَـافْرُج لَنـا فُرْجَـةً نرى منها السَّماء! ففرج الله لهم فرجة.

وقـال الآخر: اللَّهمّ إنّي استـأجرت أجيـراً، فلمّا قضى عمله قـال: أعـطني حقّي. فعرضته عليه فتركه ورغب عنه، فثمَّـرته. حتى اشتـريت به بقـراً ورِعَاءهـا. فجاءني بعـد حين، فقال: اتقِ الله ولا تظلمني حقّي، فقلت: انـطلق فخذ تلك ورعـاءها، فقـال: اتقِ الله ولا تستهزىء بي. فقلت: إنّي لا أستهزىء بك. فخذ تلك البقـر ورعاءهـا. فأخـذها وذهب. فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرُجْ لنا ما بقي.

ففرجها الله عنهم[2].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٥٠٩: «ولا تفضّ، أي: لا تكسر، والخاتم: كناية عن عـذرتها، وكـأنها كـانت بكراً، وكَنّت عن الإفضـاء بالكسـر، وعن الفرج بـالخاتم، لأن في حـديث النعمـان. ـ وهو أحد الصحابة الذين رووا الحديث كما سيأتي بيانه ـ ما يدلّ على أنها لم تكن بكراً. .
وقولها: بحقِّه، أرادت به الحلال، أي: لا أحل لك أن تقربني ألاّ بتزويج صحيح . . .» أ هـ.

(٢) للحديث طرق عن ابن عمر:
ـ فرواه من طريق موسى بن عقبة، عن نافع عن ابن عمر نحوه:
البخاري في كتاب البيوع، باب (٨ م) إذا اشترى شيئاً لغيره بغير إذنـه فرضِيَ، حـديث رقم (٢٢١٥) ٤/٤٠٨ ـ ٤٠٩.
وفي كتاب الحرق والمزارعة، باب (١٣) إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم، وكـان في ذلك صـلاحٌ لهم، حديث رقم (٢٣٣٣) ٥/١٦.
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثـلاثة، والتـوسل بصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٤/٢٠٩٩ ـ ٢١٠٠.
والنسـائي في كتاب الـرقائق، من سننـه الكبرى، كمـا في تحفة الأشـراف بمعرفـة الأطراف ٦/٢٣٦ للحافظ المزي.
ـ ورواه من طريق عبيدالله بن عمر، عن نافعٌ، عن ابن عمر نحوه:
البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٣) حديث الغار، حديث رقم (٣٤٦٥) ٦/٥٠٥ ـ ٥٠٦.
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار بـاب (٢٧) قصة أصحـاب الغار الثـلاثة، والتـوسل بصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٤/٢١٠٠.
ـ ورواه من طريق إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر نحوه:
البخاري في كتاب الأدب، باب (٥) إجابة دُعاء من بَرَّ والديه، حديث رقم (٥٩٧٤) ١٠/٤٠٤.
ـ ورواه من طـريق محمد بن مسلم بن شهـاب الـزهـري، عن سـالم بن عبـدالله بن عمـر، عن أبيـه عبدالله بن عمر نحوه: =

= البخاري في كتاب الإجارة، باب (١٢) من استأجر أجيراً فترك أجره، فعمل فيه المستأجر فزاد، أو مَنْ عمل في مال غيره فاستفضل، حديث رقم (٢٢٧٢) ٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠.
ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، باب (٢٧) قصة أصحاب الغار الثلاثة، والتوسل بصالح الاعمال، حديث رقم (٢٧٤٣) ٤/٢١٠٠ ـ ٢١٠١.
* قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٥١٠: «تنبيه: لم يخرِّج الشيخان هذا الحديث إلَّا من رواية ابن عمر، وجاء بإسناد صحيح عن أنس أخرجه الطبراني في الدعاء من وجه اخر حسن.
وبإسناد حسن عن أبي هريرة، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه الطبراني من وجه أخر عن أبي هريرة وعن النعمان بن بشير، من ثلاثة أوجه حسان، أحدها عند أحمد والبزار، وكلها عند الطبراني.
وعن عليّ، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفة.
وقد استوعب طرقه أبو عَوانه في صحيحه، والطبراني في الدعاء.
واتفقت الروايات كلها على أن القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين، إلَّا حديث عقبة بن عامر ففيه بدل الأجير أن الثالث قال: كنت في غنم أرعاها، فحضرت الصلاة فقمت أصلّي، فجاء الذئب، فدخل الغنم فكرهت أن أقطع صلاتي، فصبرت حتى فرغت، فلو كان إسناده قوياً لحمل على تعدد القصة. ـ قلت: لكن إسناده ضعيف، كما سبق ذكره ـ.
ووقع في رواية الباب من طريق عبيدالله العمري ـ قلت: هو عبيدالله بن عمر، قد تقدم ذكر روايته، عن نافع، تقديم الأجير، ثم الأبوين، ثم المرأة، وخالفه موسى بن عقبة من الوجهين، فقدم الأبوين ثم المرأة، ثم الأجير، ووافقته رواية سالم.
وفي حديث أبي هريرة المرأة، ثم الأبوين، ثم الأجير.
وفي حديث أنس: الأبوين، ثم الأجير، ثم المرأة.
وفي حديث النعمان: الأجير، ثم المرأة، ثم الأبوين.
وفي حديث عليّ وابن أبي أوفى معاً: المرأة، ثم الأجير، ثم الأبوين.
وفي اختلافهم دلالة على أن الرواية بالمعنى عندهم سائغة شائعة، وأن لا أثر للتقديم والتأخير في مثل ذلك.
وأرجحها في نظري رواية موسى بن عقبة لموافقة سالم لها، فهي أصحّ طرق هذا الحديث، وهذا من حيث الإسناد.
وأما من حيث المعنى فينظر أيّ الثلاثة كان أنفع لأصحابه، والذي يظهر أنه الثالث، لأنه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلَّا فالأول أفاد أخراجهم من الظلمة.
والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإمكان التوسل إلى الخروج بأن يمرّ مثلاً هناك من يعالج لهم.
والثالث هو الذي تهيأ لهم الخروج بسببه، فهو أنفعهم لهم، فينبغي أن يكون عمل الثالث أكثر فضلاً من عمل الأخيرين.
يظهر ذلك من الأعمال الثلاثة:
فصاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه، لأنه أفاد أنه كان بارّاً بأبويه.
وصاحب الأجير نفعه متعدّ، وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة.
وصاحب المرأة أفضلهم، لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربّه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأنه

٢٣ - [توبة الكِفْل]

قال محمَّد بن جعفر: وأخبرنا عبد الرزَّاق بن منصور الضَّرير، ثنا أسباط بن محمَّـد، عن الأعمش، عن عبد الله بن عبد الله، عن سعـد مولى طلحـة، عن ابن عمر قـال: لقد سمعت مِنْ رسول الله - ﷺ - حديثاً، قال:

كـان الكِفْل من بني إسـرائيل لا يَتَـوَرَّع من ذَنْبٍ عَمِلَهُ. فأتتـه امرأة فـأعطاهـا ستين ديناراً على أن يَطَأها. فلمّا قعد منها مَقْعد الرَّجل من امرأته ارتعدت وبَكَت. فقال لها: ما يبكيك؟ أَكْرَهْتُكِ؟ قالت: لا، ولكن هذا عملٌ لم أعمله قطُّ.

قال: فتم تفعلين هذا ولم تكوني فعلتيه قطُّ؟

قالت: حملتني عليه الحاجة.

قـال: فتركهـا، ثمَّ قال: إذهبي والـدَّنانيـر لك. ثمّ قـال: واللهِ لا يعصي الله الكفل أبداً. فمات من ليلته، فأصبح مكتوماً على بابه: غفر الله للكفل[1].

الجنة. حيث قال: ﴿وأمّا من خافَ مقام ربِّه ونهى النفس عن الهوى، فإنَّ الجنَّة هي المأوى﴾. وقد اضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدّي، ولا سيما وقد قال: إنها كانت بنت عمه، فتكون فيه صلة رحم أيضاً، وقد تقدم أنَّ ذلك كان في سنة قحط، فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى.

فيترجح عندي هذا رواية عبيدالله، عن نافع. وقد جاء قصة المرأة أيضاً أخيرة في حديث أنس والله أعلم» أ هـ

وكان قد قال - أي الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى ٦/٥٠٩ - ٥١٠ فيما يؤخذ من هذا الحديث من الفوائد: «وفي هذا الحديث: استحباب الدعاء في الكرب، والتقرب إلى الله تعالى بذكر صالح العمل، واستنجاز وعده بسؤاله، واستنبط منه بعض الفقهاء استحباب ذكر ذلك في الإستسقاء..

وفيه فضل الإخلاص في العمل، وفضل برّ الوالدين، وخدمتهما، وإيثارهما على الولد والأهل وتحمل المشقة لأجلهما.

وفيه فضل العفة، والانكفاف عن الحرام مع القدرة، وأن ترك المعصية يمحو مقدمات طلبها، وأنّ التوبة تجبّ ما قبلها.

وفيه: جواز الإجارة بالطعام المعلوم بين المتأجرين، وفضل أداء الأمانة وإثبات الكرامة للصالحين.

واستدل به على جواز بيع الفضولي..

وفيه: أن المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصاحب الوديعة..» أ هـ.

(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب (٤٨) حديث رقم (٢٤٩٦) ٤/٦٥٧ - ٦٥٨، وفي أوله أن ابن عمر قال: سمعت النبي - ﷺ - يحدِّث حديثاً لو لم أسمعهُ إلا مرّة أو مـرَّتَيْن، حيت عدّ سبع مرات، لكنّي سمعته أكثر من ذلك، سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: كان الكفل.. فذكره نحـوه ثم قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن، قد رواه شيبان وغير واحد عن الأعمش نحـو هذا ورفعـوه، وروى بعضهم عن الأعمش فلم يرفعه، وروى أبـو بكر بن عياش هذا الحـديث عن الأعمش فأخطأ =

٢٤ - [توبة العابد والمرأة البغي]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ الإمام[1]، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، قال: أنا محمد بن عليّ بن عُمَيْر، أنا محمد بن محمد بن عبد الله الفَامِيّ[2]، أنا

= فيه، وقال: عن عبدالله بن عبدالله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر، وهو غير محفوظ.
وعبدالله بن عبدالله الرازي، هو كوفيّ، وكانت جدته سُرِّيَّة لعليّ بن أبي طالب، وروَى عن عبدالله بن عبدالله الرازي عبيدة الضبِّي، والحجاج بن أرطأة، وغير واحد من كبار أهل العلم» أ هـ
وزاد الحافظ المزي في تحفة الأشرافِ ٥/٤٢٠ - ٤٢١ أنه قال: «وقال أبو أسامة، عن الأعمش؛ طلحة مولى سعد، والأول أصح» أ هـ.
والحاكم في المستدرك ٤/٢٥٤ - ٢٥٥، ثم قال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» أ هـ. ووافقه الذهبي.
ورواه ابن حبان في صحيحه، في كتاب التوبة، باب (٤) في الندم على الذنب والتوبة منه، موارد الظمآن حديث رقم (٢٤٥٣) ص ٦٠٨، من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عبدالله بن عبدالله، عن سعيد بن جبير، عن ابن عمر قال: سمعت النبيّ - ﷺ - أكثر من عشرين مرة يقول: . .
أمّا رواية ابن حبان فضعيفة، إذ أن أبو بكر أخطأ فيها، فقال: عن عبدالله بن عبدالله، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر؛ والمحفوظ عن عبدالله بن عبدالله، عن سعد مولى طلحة، عن ابن عمر، كما قال الترمذي كما سبق.
وأما رواية الترمذي والحاكم، فضعيفة أيضاً، فيها سعد مولى طلحة، قال في التقريب ١/٢٩٠: «سعد مولى طلحة، أو سعيد، ويقال: طلحة مولى سعد: مجهول» أ هـ.

(١) هو الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي القرشي، التيمي، البكري، البغدادي، الحنبلي، المعرف بابن الجوزي، أبو الفرج، محدّث، حافظ، مفسّر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ، مشارك في أنواع العلوم، ولد ببغداد سنة (٥١٠) هـ. تقريباً وقيل: سنة (٥٠٨) هـ.، وقيل: سنة (٥٠٩) هـ. وتوفي بها، ودفن بباب حرب.
له مؤلفات كثيرة جداً، قال في شذرات الذهبي: سئل ابن الجوزي عن عدد تصانيفه؟ فقال: زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً أو أقل.
من مؤلفاته: المغني في علوم القرآن، زاد المسير في علم التفسير. تذكرة الأريب في اللغة، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المنتظم في تاريخ الأمم، وبستان الواعظين ورياض السامعين، وغيرها كثير، وما ذكرناه غيض من فيض.
أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/١٣١، طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٧، البداية والنهاية لابن كثير ١٣/٢٨ - ٣٠، شذارت الذهب لابن العماد ٤/٣٢٩ - ٣٣١، الكامل لابن الأثير ١١/٦٧. ومعجم المؤلفين ٥/١٥٧ - ١٥٨.

(٢) هذه النسبة إلى شيئين:
الأول: نسبة إلى بيع الفواكه اليابسة، ويقال لبائعها: البقّال أيضاً.
الثاني: نسبة إلى فامية، قرية من قرى واسط من ناحية فم الصلح.
أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٤١٠.

محمد بن أحمد المرواني، قال: حدَّثني محمد بن المنذر شُكر، قال: حدَّثني الفضل بن عبد الجبار البَاهِلي، أنا إبراهيم بن الأشعث، ثنا معتمر بن سليمان، عن أبي كعب ـ صاحب الحرير ـ[1]، عن الحسن[2]، قال:

كانت امرأةٌ بغِيٌّ، لها ثلث الحسن، لا تُمكِّن من نفسها إلاّ بمائة دينار. وإنّه أبصرها عابدٌ فأعجبتْه. فذهب فعمل بيديه وعالج فجمع مائة دينار. ثمّ جاء إليها، فقال: إنّك أعجبتِني فانطلقتُ فَعَمِلْتُ بيديَّ، وعالجتُ حتّى جمعتُ مائة دينار. فقالت له: أدخل. فدخل، وكان لها سرير من ذَهَب، فجلستْ على سريرها، ثمّ قالت له: هلمّ. فلمّا جلس منها مجلس الخاتن[3]، ذكر مُقامه بين يدَي الله، فأخذته رِعْدة. فقال لها: اتركيني أخرج ولك المائة دينار. قالت: ما بدا لكَ وقد زعمتَ أنّك رأيتني فأعجبتُك، فذهبتَ فعالجتَ وكَدَدْتَ حتّى جمعت مائة دينار، فلمّا قدِرْتَ عليّ فعلتَ الذي فعلتَ؟ فقال: فرَقاً[4] من الله، ومن مقامي بين يدَيه، وقد بَغُضْتِ إليّ، فأنتِ أبغضُ النّاس إليّ.

فقالت: إن كنتَ صادقاً فما لي زوج غيرك. فقال: دَعيني أخرج. فقالت: لا، إلاّ أن تجعل لي أن تزوَّج بي. قال: لا، حتّى أخرج. قالت: فلي عليك إن أنا أتيتُك أن تتزوَّجني؟ قال: لعلّ.

فتقنّع بثوبه، ثمّ خرج إلى بلده. وارتحلتْ تائبةً نادمةً على ما كان منها حتّى قدمتْ بلدَه. فسألت عن اسمه ومنزله، فدُلّتْ عليه فقيل له: إنّ المَلِكةَ قد جاءتك. فلمّا رآها شَهِقَ شَهْقَةً فمات، وسقط في يدها. وقالت: أمّا هذا فقد فاتني، فهل له من قريب؟ قالوا: أخوه رجل فقير. قالت: فإنّي أتزوجه حبّا لأخيه. فتزوّجتْه، فنَشَرَ الله منهما سبعة أنبياء.

٢٥ ـ [توبة القصّاب]

أخبرنا الفقيه أبو محمّد عبد الرحمن بن جامع بن غنيمة بن البنّا، حدثنا أبو السّعادات أحمد بن أحمد المتوكّليّ، أنا أبو بكر الخطيب[5]، أنا أبو سعيد محمّد بن

---

(١) هو: عبد ربّه بن عُبيد الإزدي، أبو كعب، ثقة، التقريب ١/٤٧١.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن البصري، الإمام المعروف.

(٣) أي: مجلس الزوج، وإلتقاء الختانين، أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٩.

(٤) أي: خوفاً.

(٥) هو الإمام المعروف: بالخطيب البغدادي، صاحب التصانيف المفيدة، منها: تاريخ بغداد وغيره كثير، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

موسى بن الفَضْل، أنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الصَفَّار[1]، أنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الحسن بن الصَّباح، ثنا زيد بن الحُبَاب، ثنا محمّد بن نشيط الهِلاليّ[2]، ثنا بكر بن عبد الله المُزنيّ[3].

أن قصّاباً وُلع بجارية لبعض جيرانه. فأرسلها أهلها في حاجة لهم إلى قرية أخرى، فتبعها، فراودَها عن نفسها. فقالت: لا تفعل، لأنا أشدّ حبّاً منك لي، ولكنّي أخاف الله. قال: فأنت تخافينه وأنا لا أخافه؟! فرجع تائباً، فأصابه العَطَشْ حتَى كاد ينقطع عنقه. فإذا هو برسول لبعض أنبياء بني إسرائيل، فسأله، قال: ما لك؟ قال: العطَش. قال: تعالَ حتّى ندعوَ الله حتّى تظلَّنا سحابة حتّى ندخلَ القرية. قال: ما لي من عمل. قال: فأنا أدعو وَأمِّنْ أنتَ. قال: فدعا الرسول، وأمَّنَ هو. فأظلّتْهم سحابةٌ حتّى انتهوا إلى القرية.

فأخذ القصّاب إلى مكانه، ومالت السحابة، فمالت عليه. فرجع الرّسول، فقال: زعمتَ أنْ ليس لك عمل، وأنا الذي دعوتُ وأنتَ الذي أمَّنْتَ، فأظلّتْنا سحابة ثمّ تبعتْك، لَتُخْبِرَنِّي ما أمرك. فأخبره، فقال الرسول: التائِب إلى الله بمكان ليس أحد من النّاس بمكانه.

٢٦ ـ [توبة صاحب الرَّغيف]

أخبرنا أبو الفتح محمّد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان، أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد، ثنا أبو نعيم الحافظ[4]، ثنا عبد الله بن محمد بن شبل، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة،

---

(١) الصَّفَّار: قال في اللباب ٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤: «بفتح الصاد، وتشديد الفاء، وفي آخرها الرا، هذه اللفظة تقال لمن يبيع الأواني، وفي آخرها الراء. اللفظة تقال لمن يبيع الأواني الصفرية، واشتهر بها جماعة، منهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أحمد الزاهد ـ قلت: وهو الراوي هنا ـ ، الأصبهاني، الصفَّار، من أهل أصبهان، سكن بنيسابور، كان زاهداً حسن السيرة ورعاً. . سمع أبا إسماعيل الترمذي، وأسيد بن عاصم، وأحمد بن مهدي وغيرهم، روى عنه الحاكم أبو عبدالله، وأبو علي الحسين بن علي النيسابوري الحافظ وغيرهما، وصنَّف كتباً في الزهد، وتوفي في يوم الإثنين لثمان بقين من ذي العقدة، سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة» أ هـ.

(٢) هو: محمد بن نشيط الفارسي، أبو النعمان الهلالي. ذكره ابن حبان في الثقات ٧/٤٢٩ ـ ٤٣٠.
وقال الإمام البخاري في التاريخ الكبير ١/١/٢٥٤: «قال زيد بن الحباب: حدثنا محمد بن نشيط الهلالي، سمع بكر بن عبدالله. مرسل» أ هـ.

(٣) هذا إسناد ضعيف عن بكر بن عبدالله، بسبب الإنقطاع بين محمد بن نشيط وبينه، نصّ عليه الإمام البخاري في تاريخه الكبير، كما تقدّم في الترجمة السابقة، والتصريح بالتحدث هنا هي وهم من أحد الرواة، أو من محمد بن نشيط فهو غير معروف العدالة، لم يوثقه إلا ابن حبان، والله أعلم.

(٤) هو الإمام أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني، الشافعي، محدِّث، مؤرخ، زاهد، ولد سنة =

ثنا مُعْتَمِر بن سليمان، عن أبيه، ثنا أبو عثمان، عن أبي بردة، قال:

لما حضرت أبا موسى الوفاة، قال: يا بَنيّ! أُذكروا صاحب الرّغيف، كان رجل يتعبَّد في صومعة، أُراهُ سبعين سنة لا ينزل إلاّ في يوم واحد. قال: فشبَّه - أو شَبَّ - الشيطان في عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليالٍ، ثم كُشف عن الرجل غطاؤه، فخرج تائباً.

وكان كلّما خطا خطوة صلّى وسجد. فآواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً. فأدركه العياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم. وكان ثَمّ راهبٌ يبعث إليهم كلّ ليلة أرغفة فيعطي كلّ إنسان رغيفاً. فجاء صاحب الرّغف، فأعطَى كلّ إنسان رغيفاً، ومرّ على ذلك الرجل الذي خرج تائباً فظنّ أنّه مسكين فأعطاه رغيفاً، فقال له المتروك: مالك لم تعطني رغيفي؟ فقال: تراني أمسكتُ عنك؟ سلْ هل أعطيتُ أحداً منكم رغيفَيْن؟ قالوا: لا. فقال: والله أعطيك الليلة شيئاً! فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرَّجل الذي تُرك، فأصبح التائب ميتاً، قال: فوُزنت السبعون بالسبع لبالٍ فرجحت الليالي. فوُزن الرغيف بالسبع ليالٍ فرجح الرغيف.

فقال أبو موسى: يا بَنيّ! أذكروا صاحب الرغيف.

٢٧ - [توبة راهب من بني اسرائيل]

أخبرنا أبو الحسن عليّ بن عساكر البَطَائحيّ، أنا الأمين أبو طالب اليوسُفِيّ، أنا ابن المذهب، أنا القَطِيعيّ، ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني أبي، ثنا أبو معاوية، ثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن مُغِيث بن سُمَيّ[1]، قال:

تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، فنظر يوماً في غبّ سماءٍ، فأعجبته الأرض. فقال: لو نزلتُ فمشيتُ في الأرض ونظرتُ فيها.

قال: فنزل معه برَغيف. فعرَضَتْ له امرأة فتكشَّفَت له، فلم يملِك نفسه أن وقع عليها.

= (٣٣٦) هـ.، وقيل: سنة (٣٣٤) هـ. وتوفي بأصبهان سنة (٤٣٠) هـ. من مؤلفاته: حلية الأولياء، تاريخ أصبهان، دلائل النبوة، معرفة الصحابة، والمستخرج على الصحيحين وغيرهم.
أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/٢٧٥ - ٢٧٩، شذرات الذهب لابن العماد ٣/٢٤٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٤٥، لسان الميزان لابن حجر ١/٢٠١ - ٢٠٢. طبقات الشافعية للسبكي ٣/٧ - ١١ معجم المؤلفين ١/٢٨٢ - ٢٨٣.

(١) هو: تابعي ثقة. التقريب ٢/٢٦٨. وهذا إسناد صحيح عنه.

فأدركه الموت على تلك الحال.

قال: وجاء سائل فأعطاه الرَّغيف ومات.

قال: فجيء بعمل ستين سنة فوُضع في كفَّةْ. قال: وجيء بخطيئته فوُضعت في كفّة، فرَجَحت بعمله.

قال: وجيء بالرَّغيف فوُضع مع عمله، فرجح بخطيئته[1].

٢٨ - [توبة عابد من العبدة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن محمد بن محمد الخطيب الأَنْبَاريّ[2]، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو عليّ بن صفوان، أنا ابن أبي الدنيا، ثنا المثنّى بن معاذ العنبريّ، ثنا أبي[3]، عن شعبة، عن منصور، عن إبراهيم[4]:

أنّ رجلاً من العُباد كلّم امرأة، فلم يَزَل حتى وضع يدَهُ على فخذها. فذهب فَوَضَع يده في النّار حتى نَشَت[5].

٢٩ - [توبة ذي الرِّجل]

أخبرنا محمد، أنا عليّ بن محمد، أنا عليّ بن محمد بن عبد الله بن بشران، أنا الحسين بن صفوان، أنا عبد الله بن محمد، حدّثني محمد بن الحسين، عن موسى بن داود، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه[6]، قال:

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، موارد الظمآن حديث رقم (٨٢٠) ص ٢٠٩ - ٢١٠. عن أبي ذر مرفوعاً بنحوه. وفي إسناده: طالب بن وزير، لم أجد من ترجم له فيما بين يديّ من مراجع ومصادر الرجال، وهي كثيرة. والله أعلم.

(٢) هذه النسبة إلى ثلاثة أماكن:
الأول: نسبة إلى بلدة قديمة على الفرات، على عشرة فراسخ من بغداد.
الثاني: نسبة إلى سكّة الأنبار، وهي سكة بأعلى البلدان بمرو.
الثالث: نسبة إلى الأنبار، قرية من قرى جوز جاناني والراوي هنا منسوب إلى هذه القرية.
أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ١/٨٦.

(٣) هو: معاذ بن معاذ بن نصر بن حسّان العنبري، أبو المثنى البصري، القاضي، ثقة متقن، التقريب ٢/٢٥٧.

(٤) هذا إسناد صحيح عن إبراهيم، وهو: ابن يزيد النخعي، أبو عمران الكوفي، ثقة فقيه، التقريب ١/٤٦.

(٥) أي: احترقت، وجفّت.

(٦) هذا إسناد ضعيف عن زيد بن أسلم، فيه: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ضعّفه أحمد، وقال: روى حديثاً منكراً: أحلت لنا ميتتان وديتان. =

كان في بني إسرائيل رجل يتعبد في صومعته، فمكث بذلك زماناً طويلاً. فأشرف يوماً، فإذا هو بامرأة فافْتُتِنَ بها وهمّ بها. فأخرج رجْله لينزل إليها، فأدركه الله بسابقة. فقال: ما هذا الذي أريدُ أن أصنع؟ ورجعتْ إليه نفسه، وجاءَتْه العصمة، فندم.

فلما أراد أن يُعيد رجْله في صومعته، قال: هيهات! هيهات! رِجل خرجت تريد أن تعصيَ الله، تعود معي في صومعتي؟ لا يكون والله ذلك أبداً! فتركها واللهِ معلّقة من الصَّوْمعة تصيبها الرِّياح، والأمطار، والشمس، والثلج، حتى تقطّعت فسقطت.

فشكر الله ـ عزّ وجلّ ـ له، فأنزل في بعض الكتب: «وذو الرِّجل»، يذكره بذلك.

٣٠ ـ [توبة برخ العابد]

وذكر ابن البراء في «الروضة»: أنبأنا الفضل بن حازم، حدّثني يوسف بن عزولا، حدّثني مخلد بن ربيعة الرَّبعيّ، عن كعب، قال:

قحطت بنو إسرائيل على عهد موسى ـ عليه السلام ـ، فسألوه أن يستسقي لهم. فقال: أُخْرُجوا معي إلى الجبل. فخرجوا، فلما صَعِد الجبل، قال موسى: لا يتبعْني رجلٌ أصابَ ذنباً. فانصرف أكثر من نصفهم. ثمّ قال الثانية: لا يتْبعني من أصاب ذنباً، فانصرفوا جميعاً إلاّ رجلاً واحداً أعورَ يقال له: برْخُ العابد.

فقال له موسى: ألم تسمع ما قلت؟ قال: بلى. قال: فلم تصب ذنباً؟ قال: ما

= وقال ابن معين: ليس حديثه بشيء.
وقال البخاري وأبو حاتم: ضعفه عليّ بن المديني جداً.
وقال النسائي: ضعيف.
وقال ابن عبد الحكم: سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً، فقال: إذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدّثك عن أبيه عن نوح.
وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل، وإسناد الموقوف، فاستحق الترك.
وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، ضعيف جداً.
وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، فهو رجل صناعته العبادة والتقشّف ليس أهلا الحديث.
وقال الحاكم وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة.
وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه.
أنظر تهذيب التهذيب ٦/٧٧ ـ ١٧٩. وقال عنه في التقريب ١/٤٨٠: «ضعيف» أ هـ.
وأما والده زيد، فهو: زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبدالله، وأبو أسامة، مدني، ثقة عالم، من التابعين مات سنة ست وثلاثين بعد المائة. التقريب ١/٢٧٢.

أعلمه، إلاّ شيئاً أذكره، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ. قال: ما هو؟

قال: مررت في طريق، فإذا باب حجرة مفتوح، فلمحتُ بعيني هذه الذَّاهبة شخصاً لا أعلم ما هو[1]. فقلت لعيني: أنتِ من بَيْن بدني سَارَعْت إلى الخطيئة، لا تصحبيني بعدها، فأدخلت أصبعي فَقَلَعْتُها، فإن كان هذا ذنباً رجعتُ.

فقال موسى: ليس هذا ذنباً.

قال له: استسقِ يا بَرْخ، فقال: قدّوس، قدّوس، ما عندك لا ينفد، وخزائنك لا تفنَى، وأنت بالبخل لا تُرْمَى، فما هذا الذي لا تُعرَف به؟ اسقِنا الغيث السّاعةَ السّاعةَ.

قال: فانصرفا يخوضان الوحل.

٣١ - [توبة العبد العاصي]

ورُوي[2] أنّه لحق بني إسرائيل قحط على عهد موسى - عليه السّلام، فاجتمع النّاس إليه، فقالوا: يا كَلِيم الله، أُدْعُ لنا ربّك أن يسقينا الغيث، فقام معهم، وخرجوا إلى الصّحراء وهم سبعون ألفاً ويزيدون. فقال موسى - عليه السلام -: إلهي! إسْقِنا غيثك، وانشُر علينا رحمتَك، وارحمنا بالأطفال الرُضَّع، والبهائم الرُتَّع، والمشايخ الرُكَّع. فما زادت السَّماء إلاّ تقشُّعاً، والشمسُ إلاّ حرارة.

فقال موسَى: إلهي إن كان قد خَلُق[3] جاهي عندك، فبجاه النبيّ الأميّ محمد ﷺ - الذي تبعثه في آخر الزمان. فأوحى الله إليه: ما خَلُقَ جاهُك عندي، وإنّك عندي وَجِيه، ولكن فيكم عبدٌ يبارزني منذ أربعين نسة بالمعاصي، فنادِ في النّاس حتى يخرج من بين أظهركم، فيه مَنَعتُكم.

فقال موسى: إلَهي وسيدي! أنا عبدٌ ضعيف، وصوتي ضعيف، فأين يبلغ وهم سبعون ألفاً أو يزيدون؟ فأوحى الله إليه: منك النّداء، ومنّي البلاغ.

فقام منادياً، وقال: يا أيّها العبد العاصي الذي يبارِزُ الله منذ أربعين سنة، أخرج من بين أظهرنا، فبكَ مُنِعْنا المطر.

فقام العبد العاصي، فنظر ذات اليمين وذات الشمال، فلم يرَ أحداً خرج، فعلم أنه

---

(١) أي: لم أميزه، أرجل كان أم امرأة، أو غير ذلك.

(٢) هذه الصيغة، صيغة المبني للمجهول: رُوِيَ، تفيد التضعيف عند علماء الحديث، فكأن المصنف أشار إلى ذلك بهذه اللفظة، والله أعلم.

(٣) أي: بَلِي وذهب، أنظر أساس البلاغة ص ١١٨ - ١١٩.

المطلوب، فقال في نفسه: إنْ أنا خرجتُ من بين هذا الخلق افتُضِحْتُ على رؤوس بني إسرائيل، وإن قعدتُ معهم مُنِعوا لأجلي. فأَدْخل رأسه في ثيابه نادماً على فِعاله، وقال: إلّهي وسيدي! عصيتُك أربعين سنة وأمهلتني، وقد أتيتُك طائعاً فاقبلني. فلم يستتمَّ الكلام حتى ارتفعتْ سحابة بيضاء، فأمطرت كأفواه القِرَب[1].

فقال موسى: إلّهي وسيدي! بماذا سقيتنا وما خرج من بين أظهرنا أحد؟ فقال: يا موسى، سقيتُكم بالذي به مَنَعْتُكم.

فقال موسى: إلّهي! أرني هذا العبد الطائع. فقال: يا موسى! إنّي لم أفضحه وهو يعصيني، أَفْضَحُهُ وهو يطيعني؟! يا موسى، إنّي أبغُضُ النّمامين، فأكون نمّاماً؟!

٣٢ - [توبة شابٍ مُسْرِفٍ على نفسه].

وعن وَهْب بن مُنَبِّه، قال:

كان في زمن موسى - عليه السلام - شابّ عَاتٍ مُسْرف على نفسه، فأخرجوه من بينهم لسوء فعله، فحضرته الوفاة في خربة على باب البلد، فأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام -: إنّ وليّاً من أوليائي حضره الموت، فاحضره وغسِّله وصلِّ عليه، وقل لمن كثر عصيانه يحضر جنازته لأُغفرَ لهم، واحمله إليَّ لأُكرم مثواه.

فنادى موسى في بني إسرائيل، فَكَثُرَ النّاس، فلما حضروه عَرفَوه، فقالوا: يا نبيَّ الله! هذا هو الفاسق الذي أخرجناه. فتعجب موسى من ذلك. فأوحى الله إليه: صَدَقُوا وهم شهدائي، إلاّ أنه لما حضرته الوفاةُ في هذه الخربة نظر يَمْنَةً ويَسْرَةً فلم يَر حميماً ولا قريباً، ورأى نفسه غريبةً وحيدة ذليلة، فرفع بصره إليّ، وقال: إلهي! عبدٌ من عبادك غريب في بلادكَ، لو علمتُ أنّ عذابي يزيد في ملكك، وعفوك عني ينقص من ملكك لما سألتك المغفرة، وليس لي ملجأ ولا رجاء إلّا أنت وقد سمعتُ فيما أنزلتَ أنك قلتَ: إني أنا الغَفُورُ الرَّحيمُ، فلا تُخيِّبْ رجائي، يا موسى! أفكان يحسن بي أن أردَّه، وهو غريب على هذه الصفة، وقد توسل إليّ بي وتضرّع بين يديّ!؟ وعزتّي، لو سألني في المذنبين من أهل الأرض جميعاً لَوَهَبْتُهم له، لِذُلّ غُربته، يا موسى، أنا كهف الغريب وحبيبه وطبيبه وراحمه.

---

(١) أي: أمطرت ماءً غزيراً كأنه مصبوب من أفواه القرب.

٣٣ - [توبة رجلَيْن من بني إسرائيل]

أخبرتنا شُهدة ابنة أحمد بن الفرج الإِبَريّ[١]، قالت: أنا أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة، أنا أبو الحسن محمد بن عبيدالله الحِنَّائي[٢] أنا ابن السماك، أنا أبو القاسم إسحاق بن إبراهيم الخُتَّلي[٣]، أنا عليّ بن مسلم، ثنا سيار، ثنا جعفر، ثنا مالك بن دينار، عن معبد الجُهَنّي، عن أبي العوّام - سَادِنِ بيت المَقدِس -[٤]، عن كعب الأحبار، قال:

انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم، فدخل أحدهما، وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل ببيت الله وقد عصيت الله، فكُتب صدِّيقاً.

قال: وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً، فحزن عليه، وجعل يجيء ويذهب ويجيء، ويقول: بم أرضي ربّي؟ بم أرضي ربّي؟ فكُتب صدّيقاً.

٣٤ - [توبة عاصٍ من العصاة].

أخبرنا الشيخ أبو الفرج[٥]، فيما كتبَ إلّي به، أنا عبد الملك بن أبي القاسم، أنا محمد بن عليّ بن عُمَيْر، أنا محمد بن محمد بن عبدالله القاضي، ثنا محمد بن أحمد المرواني، قال: حدّثني محمد بن المنذر، أنا الربيع بن سليمان، أنا عبدالله بن وهب، قال: حدّثني ابن زيد، عن ربيعة بن عثمان التيميّ[٦]، قال:

---

(١) الإِبَريّ، بكسر الألف، وفتح الباء المنقوطة بواحدة، وفي آخرها الراء المهملة، هذه النسبة إلى بيع الإبَر وعملها، وهي جمع إبرة، وهي التي يُخاط بها، كذا في اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٥.

(٢) الحِنّائي: بكسر الحاء، وفتح النون المشددة، وبعد الألف ياء هذه النسبة إلى بيع الحنّاء، واشتهر بها جماعة، كذا في اللباب ١/٣٩٥.

(٣) قال السمعاني صاحب الأنساب: الختليّ، بعضهم يقول: هي نسبة إلى خُتُّلان. وهي بلاد مجتمعة وراء بَلْخ، وهي بضمّ الخاء، والتاء المثناة، من فوقها المشددة. حتى رأيت الخُتُل - بضم الخاء والتاء -، وهي: قرية على طريق خراسان، إذا خرجت من بغداد بنواحي الدَّسكرة.
قال ابن الأثير: قلت: الصحيح أن النسبة إلى الولاية التي بخراسان - قلت: أي: إلى ختلان - هو المراد متى أطلق، ولا يناقضه كون بعض من ينسب الختلي أن يقال: بغدادي، فإنه يكون أصله خُتُلّياً من خراسان، ثم أقام ببغداد أو ولد بها، أو بالعكس، وهذا كثير الوقوع جداً.
أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ١/٤٢١.

(٤) أي: خادم بيت المقدس، أنظر مختار الصحاح ص ٤٥٥.

(٥) أي: ابن الجوزي، الإمام المعروف، وقد تقدمت ترجمة ضافية له رحمه الله تعالى.

(٦) هو: ربيعة بن عثمان بن عبدالله بن الهُدَير، القرشي التيمي، أبو عثمان المدني، صدوق له أوهام، تابع تابعي، مات سنة أربع وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين كذا في التقريب ١/٢٤٧، وانظر تهذيب الكمال ٨/١٣٢ - ١٣٦، وتهذيب التهذيب ٣/٢٥٩ - ٢٦٠.

كان رجل على معاصي الله تعالى، ثمّ إنّ الله أراد بـه خيراً وتـوبة. فقـال لزوجتـه: إنّي لملتمس شفيعاً إلى الله تعالى.

فخرج إلى الصحراء، فجعل يصيح: يا سماء إشفعي لي، يـا جبال اشفعي لي، يـا أرض اشفعي لي، يا ملائكة اشفعي لي.

فأدركه الجهد فخرّ مغشياً عليه، فبعث الله إليه ملَكاً، فـأجلسه ومسـح رأسه، وقـال له: أَبْشِر، فقد قبل الله توبتك.

قال: رحمك الله! من كان شفيعي إلى الله عزَّ وجلَّ؟ قال: خشيتُك شَفعت لك إلى الله تعالى.

٣٥ ـ [توبة الخارج من القرية الظالمة]

أخبرنا أبو القاسم يحيى بن ثابت، أنا طراد بن محمد الزَّيْنَبِي[١]، أنا أبـو الحسين بن بشـران، أنا إسمـاعيل بن محمـد الصفار، ثنـا أحمد ابن منصـور، أنا عبـد الرزّاق[٢]، أنَـا مَعَمر، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود ـ[٣]رضي الله عنه ـ قال:

---

(١) الـزَّيْنبِي قال في اللبـاب ٢/٨٧ ـ ٨٨ «بفتح الـزاي، وسكون اليـاء، وفتـح النـون، وفي آخـرهـا بـاء موحدة، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس.
.. ينسب إليها كثير، منهم: أبو نصر محمد، وأبو الفوارس طرّاد ـ وهو الراوي معنا ـ ابنا محمـد بن علي بن أبي تمّام بن ... بن علي بن عبدالله بن العباس.
... روى طـرّاد عن هلال الحفـار وأبي الحسين بن بشران وغيـرهما، وروَى عنه ابنـاه محمـد وعليّ وغيرهما» أ هـ.

(٢) هـو: الإمام عبـد الـرزاق بن همّـام بن نـافـع الصنعـاني، الحميـري، اليمني، أبـو بكـر، ولـد سنـة (١٢٦) هـ. محـدّث، حـافظ، فقيـه، أخـذ عنـه الإمـام البخـاري، تـوفي في نصف شـوّال، سنـة (٢١١) هـ. وله من العمر (٨٥) سنة، له مصنفات كثيرة، منهـا: السنن في الفقه، المغـازي، تفسير القرآن، الجامع الكبير في الحديث المعروف بالمصنَّف، وتزكية الأرواح عن مواقع الإفلاح.
أنـظر ترجمتـه في: تذكـرة الحفاظ للذهبي ١/٣٣١، وميـزان الإعتدال لـه ٢/١٢٦ ـ ١٢٩، البـدايـة والنهاية لابن كثير ١٠/٢٦٥، وشذارت الذهب لابن العماد ٢/٢٧.

(٣) هـذا إسناد ضعيف عن ابن مسعـود ـ رضي الله عنه ـ، فيـه: أبي إسحاق، وهـو: عمـرو بن عبـدالله السبيعي، ثقـة عابـد، اختلط بآخـرة، أنظر التقـريب ٢/٧٣، والإغتباط بمعـرفة من رمي بـالإختلاط ص ٨٧ (تحقيق فواز أحمد زمرلي).
وهو إلى ذلك مشهور بالتدليس، كما في طبقات المدلسين لابن حجر ص ١٠١، وقد عنعنه. فلذلك الإسناد ضعيف.
والقصة الواردة هنا هي بمعنى الحديث المرفوع الآتي وهو صحيح.
وأبو الأحوص ـ هو الجُشَمِيْ، واسمه: عـوف بن مالـك بن نَضْلة، الكوفي، مشهـور، بكنيته، تـابعي =

كانت قريتان: إحداهما صالحة، والأخرى ظالمة، فخرج رجل من القرية الظالمة يريد القرية الصالحة، فأتاه مَلك الموت حيث شاء الله عزّ وجل، فاختصم فيه الملَك والشيطان، فقال الشيطان: والله ما عصاني قطّ! فقال المَلك: إنه خرج يريد التوبة، فقُضي بينهما أن يُنظر إلى أيهما هو أقرب، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة بشبر، فغُفر له.

٣٦ - [توبة من قتل مائة نفس]

أخبرنا أبو بكر بن النقور، أنا أبو طالب اليوسُفيّ، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القَطِيعيّ، ثنا عبدالله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا يزيد، ثنا همام بن يحيى، ثنا قتادة، عن أبي الصدّيق الناجيّ، عن أبي سعيد الخدري، قال: لا احدّثكم إلاّ ما سمعت من رسول الله ﷺ - سمعَتْه أُذنايَ، ووعاه قلبي:

أنّ عبداً قتل تسعةً وتسعين نفساً، فعرضت له التوبة، فسأل عن أُعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجل[1]، فأتاه، فقال: إني قتلتُ تسعةً وتسعين نفساً، فهل لي من توبة؟ فقال: بعد قَتْل تسعة وتسعين نفساً؟!.

قال: فانتضى سيفه فقتله به، فأكمل به المائة.

ثمّ عرضت له التوبة، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجل، فأتاه فقال: إني قتلتُ مائة نفس، فهل لي من توبة؟ قال: ومن يحولُ بينك وبين التوبة؟ أخرج من القرية الخبيثة التي أنت فيها إلى القرية الصالحة[2]. [قرية كذا وكذا فاعبد ربك فيها. قال: فخرج إلى القرية الصالحة][3] فعرض له أجله في الطريق.

قال: فاختصمَتْ فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب، قال: فقال إبليس: أنا أولَى

= ثقة، قتل في ولاية الحجاج على العراق، التقريب ٢/٩٠.

(١) في رواية عند مسلم: فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُل على راهب، وفي رواية البخاري: فأتى راهباً.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٥١٧/٦: «فيه إشعار بأن ذلك كان بعد رَفع عيسى - عليه السلام -، لأن الرهبانية إنما ابتدعها أتباعه كما نصّ عليه في القرآن الكريم» أ هـ.

قلت: إشار بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ورهبانيَّةً ٱبتدعوها﴾.

(٢) قال في الفتح ٥١٧/٦: «ووقعت لي تسمية القريتين المذكورتين، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعاً في المعجم الكبير للطبراني، قال فيه: إن اسم الصالحة: نصره، واسم القرية الأخرى: كفره» أ هـ.

(٣) زيادة من مسند الإمام أحمد.

به، إنه لم يعصني ساعة قط، قال: فقالت ملائكة الرّحمة: إنه خرج تائباً.

قال همام: فحدّثني حُميد الطويلُ، عن بكر بن عبدالله المُزَني، عن أبي رافع، قال فبعث الله ـ عز وجل ـ [له][1] ملَكاً، فاختصموا إلَيه.

ثم رجع إلى حديث قتادة، قال: فقال: انظروا إلى أي القريَتَين كان أقرب إليها، فألحقوه بأهلها.

قال قتادة: فحدثنا الحسن أنه لما عرف الموت، احتفز بنفسه[2] فقَرَّب الله منه القرَية الصالحة، وباعد منه القرية الخبيثة، فألحقوه بأهل القرية الصالحة[3].

---

(١) زيادة من مسند الإمام أحمد.

(٢) أي: دفع نفسه إلى الإمام، نحو القرية الصالحة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩٢.

(٣) رواه هكذا الإمام أحمد في المسند ٣/٢٠ ـ ٢١.
وابن ماجه في كتاب الدِّيات، باب (٢) هل لقاتل مؤمنٍ توبة، حديث رقم (٢٦٢٢) ٢/٨٧٥.
ورواه بنحوه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٧٠) ٦/٥١٢.
ومسلم في كتاب التوبة، باب (٨) قبول توبة القاتل، وإن كثر قتله، حديث رقم (٢٧٦٦) ٤/٢١١٨ ـ ٢١١٩.
وأحمد في المسند ٣/٧٢.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٥١٧ ـ ٥١٨: وفي الحديث مشروعية التوبة من جميع الكبائر حتى قَتْل الأنفس، ويحمل على أنّ الله تعالى إذا قبل توبة القاتل تكفّل برضا خصمه.
وفيه: أن المفتي قد يجيب بالخطأ، وغفل من زعم أنه إنما قتل الأخير على سبيل التأول لكونه أفتاه بغير علم، لأن السياق يقتضي أنه كان غير عالم بالحكم حتى استمّر يستفتي، وأن الذي أفتاه استبعد أن تصح توبته بعد قتله لمن ذكر أنه قتله بغير حق، وأنه إنما قتله بناء على العمل بفتواه، لإن ذلك اقتضى عنده أن لا نجاة له، فيئس من الرحمة، ثم تداركه الله فندم على ما صنع فرجع يسأل.
وفيه إشارة إلى قلَة فطنة الراهب، لأنه كان من حقه التحرّز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادة، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنوناً.
وفيه: أن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً، وأنهم يختصمون في ذلك حتى يقضي الله بينهم.
وفيه: فضل التحوّل من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية كما يغلب بحكم العادة على قتل ذلك، أما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضّه عليه، ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أنَ التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والإشتغال بغيرها. وفيه: فضل العالم على العابد، لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له، غلبت عليه العبادة، فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب، ودلّه على طريق النجاة. =

٣٧ - [توبة لصّ من بني إسرائيل]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبـو الفضل أحمـد بن أحمد الحـدّاد، أنا أحمد بن عبدالله بن إسحاق، ثنا أبو محمد بن حيان، ثنا أحمد بن الحسين، ثنا أحمد بن إبراهيم، حدثني محمد بن يزيد بن خُنَيْس[1]، عن وهُيَبْ بن الوَرْد[2]، قال:

بلغنا أن عيسى - عليه السلام - مرَّ هو ورجل من بني إسـرائيل من حـواريِّه بلصّ في قلعة له، فلما رآهما اللصّ ألقى الله في قلبـه التوبـة، قال: فقـال لنفسه: هـذا عيسى بن مـريم - عليه السـلام -، روح الله وكلمته، وهـذا حـواريّـه، ومن أنت يـا شقيّ، لصّ بني إسرائيل، قطعت الطريق، وأخذت الأموال، وسفكتَ الـدماء، ثم هبط إليهمـا تائبـاً نادمـاً على ما كان منه.

فلما لحقهما، قال لنفسه: تريد أن تمشيَ معهما؟ لستَ لذلـك بأهـل إمش خلفهما

= قال عياض: وفيه أن التوبة تنفع من القتل، كما تنفع من سائر الذنوب، وهو إن كـان شرعـاً لمن قبلنا وفي الإحتجاج به خلاف، لكن ليس هذا من مـوضع الخـلاف، لأن موضـع الخلاف إذا لم يـرد في شرعنا تقريره وموافقته، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف، ومن الـوارد في ذلك قـوله تعـالى: ﴿إنّ الله لا يغفر أن يشركَ به ويغفر ما دُون ذلكَ لمن يشاء﴾ وحديث عبادة بن الصامت، ففيـه بعد قـوله: ولا تقتلوا النفس، وغيـر ذلك من المنهيـات، فمن أصاب من ذلـك شيئاً فـأمره إلى الله إن شـاء عفا عنه، وإن شاء عذّبه، متفق عليه.

قلت - أي ابن حجر - : ويأخذ ذلك - أيضاً - من جهة تخفيف الأصـار عن هذه الأمـة بالنسبـة إلى من قبلهم من الأمم، فإذا شُرع لهم قبول توبة القاتل فمشروعيتها لنا بطريق الأولى.

وسيأتي البحث في قوله تعالى: ﴿ومَن يقتل مؤمناً متعمـداً فجزاؤه جهنم﴾ الآيـة في التفسير إن شـاء الله تعالى.

واستدل به على أن في بني آدم من يصلح للحكم بين الملائكة إذا تنازعوا - قلت: وفي تصـدير هـذه الجملة بقوله: واستدلّ، يدلّ على تضعيفه لهذا الرأي، كيف لا وفي رواية أحمـد أنه ملَك أرسله الله تعَالى بصورة آدمي، وكذلك في رواية مسلم - .

وفيه: حجّـة لمن أجاز التحكيم، وأن من رضيَ الفريقان بتحكيمه فحكمه جائز عليهم. .

وفيه: أن للحاكم أذا تعارضت عنده الأحوال وتعددت «البينات أن يستدل بالقرائن على الترجيح» أ هـ.

(١) هو: محمد بن يزيد بن خُنيس المخذومي مولاهم، المكي، أبو عبدالله، قـال أبو حـاتم: كان شيخـاً صالحاً، كتبنا عنه بمكة، وكان ممتنعاً من التحديث، أدخلني عليه ابنه.

وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: كان من خيار النـاس، ربّما أخـطأ، يجب أن يُعتبر حـديثه إذا بين السماع في خبره كـذا في تهـذيب التهـذيب ٩/٥٢٣ - ٥٢٤، وأنظر الكـاشف ٣/٩٦: وقال عنـه في التقريب ٢/٢١٩: «مقبول» أ هـ.

أي: إذا توبع على روايته، فإن لم يتابع فلين الحديث.

(٢) هو: وهيب بن الوَرْد، القرشي مولاهم، المكي، أبو عثمان، أو أبو أمية، يقال: اسمه عبد الوهـاب، ثقة عابد. التقريب ٢/٣٣٩.

كما يمشي الخَطَّاءُ المذنب مثلك!

قال: فالتفت إليه الحواريّ فعرفه، فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث الشقيّ ومشيه وراءنا، قال: فاطلع الله سبحانه وتعالى على ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحواريّ إياه وتفضيله نفسه عليه.

قال: فأوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم أن مُرَ الحواريّ ولصّ بني إسرائيل أن يَأْتَنِفَا العمل جميعاً، أما اللصُ فقد غفرتُ له ما مضى لندامته وتوبته؛ وأما الحواريّ فقد حبط عمله لعجبه بنفسه، وازدرائه هذا التوّاب.

٣٨ ـ [توبة ثلاث بنات من البغايا وغواة قرية]

أخبرنا المبارك بن علي، أنا أحمد بن الحسين بن قريش، أنا إبراهيم بن عمر البَرْمَكِي[١]، أنا أبو بكر محمد بن زكريا الدقّاق، ثنا عبد الله بن سليمان، ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد الله، ثنا ابن عائشة، ثنا سعيد بن عامر قال: حدثني حسن أبو جعفر، قال:

كان لقمان الحبشيّ عبداً لرجل جاء به إلى السّوق يبيعه. قال: فكان كلما جاء إنسان يشتريه قال له لقمان: ما تصنع بي؟ فيقول أصنع بك كذا وكذا. قال: حاجتي إليك أن لا تشترِيَني، حتى جاء رجل، فقال: ما تصنع بي؟ قال: أصيِّرك بواباً على بابي، قال: أنت اشترني. قال: فاشتراه وجاء به إلى داره.

قال: وكان لمولاه ثلاث بنات يبغين في القرية، وأراد أن يخرج إلى ضيعة له، فقال له: إني قد أدخلت إليهنّ طعامهنّ وما يحتَجْنَ إليه، فإذا خرجتَ فاغلق الباب واقعد من ورائه ولا تفتحه حتى أجيء.

قال: فقلنَ له: افتح الباب، فأبى عليهنّ، فَشَجَجْنَه[٢]، فغسل الدم وجلس. فلما قدم سيده لم يخبره.

---

(١) قال في اللباب ١/١٤٢ ـ ١٤٣: «البَرْمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف هذه النسبة إلى اسم وموضع.
أما الإسم: فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك... وأما الموضع: فالمنتسب إليه أبو إسحاق إبراهيم بن عمر ـ قلت: وهو الراوي عند المصنف ـ بن أحمد البرمكي، البغدادي؛ كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمّى البرمكيّة، فنسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما، توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة» أ هـ.

(٢) أي: فضرَبْنه على رأسه حتى شججنه، فسال الدم منه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٢٩، ومختار الصحاح ص ٦٤.

ثم عاد مولاه بعد الخروج، فقال: إنّي قد أدخلت إليهنّ ما يحتَجْنَ إليه، فلا تفتحنّ الباب.

فلما خرج، خَرَجْنَ إليه، فقلْنَ له: افتح الباب، فأبَى. فَشَجَجْنَهُ ورجعن. فجلس، فلما أن جاء مولاه لم يخبره بشيء.

قال: فقالت الكبيرة: ما بال هذا العبد الحبشيّ أولى بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ مني؟ والله لأتوبنّ؛ قال: فتابت.

فقالت الصّغرى: ما بال هذا العبد الحبشيّ وهذه الكُبْرى أولى بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ مني؟ والله لأتوبنّ؛ فتابت.

فقالت الوسطَى: ما بال هاتَيْن وهذا العبد الحبشيّ أولى بطاعة الله ـ عزّ وجلّ ـ مني؟ والله لأتوبنّ؛ فتابت.

قال: فقال غُواة القرية: ما بال هذا العبد الحبشيّ وبنات فلان أولى بطاعة الله منّا؟ فتابوا إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وكانوا عوابِدَ القرية.

٣٩ ـ [توبة صاحب فاحشة]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن الدَّامَغانيّ(١): أنا محفوظ بن أحمد الكلوذاني، أنا أبو علي الجَازِريّ(٢)، أنا المعافى بن زكريا الجَريري(٣)، ثنا الحسين بن القاسم الكَوْكَبِي(٤)،

---

(١) الدّامغاني: بفتح الدال، وسكون الألف، وفتح الميم والعين المعجمة، وسكون الألف، وبعدها نون، هذه النسبة إلى دامَغَان، وهي مدينة من بلاد قوس، ينسب إليها كثير من العلماء.
اللباب في تهذيب الأنساب ١/٤٨٦.

(٢) قال في اللباب ١/٢٥١: «الجازري: بفتح الجيم، وبالزاي المكسورة بعد الألف، وبعدها راء، هذه النسبة إلى جازرة، وهي قرية من قرى النهروان، من أعمال العراق، ينسب إليها أبو علي ـ وهو الراوي عند المصنف ـ محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن بكران الجازري، روى كتاب الجليس والأنيس عن القاضي أبي الفرج المعافى بن زكريا الجريري، روى عنه الأمير أبو نصر بن ماكولا، والخطيب أبو بكر الحافظ؛ ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، ومات في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة» أ هـ.

(٣) قال في اللباب ١/٢٧٥ ـ ٢٧٦: «الجَريري: بفتح الجيم، والياء المعجمة باثنتين من تحتها الساكنة، بين الراءين المهملتين. هذه النسبة إلى جرير بن عبدالله البجلْي، وإلى اتباع مذهب محمد بن جرير الطبري، فأما المنتسب إلى جرير بن عبدالله فهو...
واما المنتسب إلى مذهب محمد بن جرير الطبري، فجماعة منهم أبو الفرج المعافَى بن زكريا ـ وهو الراوي عند المصنف ـ الجريري النهرواني: المعروف بابن طرارا، الإمام المشهور، روَى عن البغوي وابن صاعد» أ هـ.

(٤) قال في اللباب ٣/١١٩: «الكوكبي: بفتح الكافَين، بينهما واو ساكنة، وفي آخرها باء موحدة اشتهر=

ثنا أبو يوسف يعقوب بن إسحاق القاضي، ثنا يحيى بن صالح الوُحَاظيّ[1]، ثنا إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن شُرَيْح بن عُبَيْد الحَضْرَمي، عن كعب الأحبار[2]:

أنّ رجلاً من بني إسرائيل أتى، فاحشةً، فدخل نهراً يغتسل فيه. فناداه الماء: يا فلان! أما تستحي؟ ألم تتب من هذا الذنب، وقلتَ: إنك لا تعود فيه؟! فخرج من الماء فزعاً، وهو يقول: لا أعصي الله.

فأتى جبلاً فيه اثنا عشر رجلاً يعبدون الله ـ عزّ وجلّ ـ. فلم يزل معهم حتى قحط موضعهم.

فنزلوا يطلبون الكَلأ، فمرّوا على ذلك النهر. فقال لهم الرجل: أما أنا فلست بذاهب معكم. قالوا: لِمَ؟ قال: لأنّ ثَمّ من قد اطلع منّي على خطيئة، فأنا أستحيي منه أن يراني.

فتركوه ومضوا، فناداهم النهر: يا أيها العُبَّاد! ما فعل صاحبكم؟ قالوا: زعم أن له

= بهذه النسبة جماعة، منهم: أبو علي ـ وهو الراوي عند المصنف ـ الحسين بن القاسم بن جعفر بن محمد بن خالد بن بشر الكاتب الكوكبي صاحب أخبار وحكايات، حدّث عن ابن أبي الدنيا، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن موسى الدولابي، وأبي العيناء محمد بن القاسم وغيرهم، روى عنه الدارقطني، والمعافى بن زكريا وغيرهم، وتوفي في ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاثمائة» أ هـ.

(١) قال في اللباب ٣/٣٥٤: «الوُحَاظي: بضم الواو، وفتح الحاء، وسكون الألف، وبعدها ظاء معجمة، هذه النسبة إلى وَحَاظَة بنت سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن. . ، ينسب إليها جماعة، منهم: أبو زكريا ـ وهو الراوي هنا ـ يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي، يروي عن سليمان بن بلال، وأبي شعبة بن يونس بن عثمان، روَىَ البخاري عن إسحاق ومحمد غير منسوبين عنه، وروى عن موسى بن قريش عنه، وكان صدوقاً ثقة. وروى عنه أبو زرعة الدمشقي، وأبو حاتم الرازي وغيرهما» أ هـ.

(٢) هذا إسناد ضعيف عن كعب الأحبار، فيه: إسماعيل بن عياش الحمصي. صدوق في روايته عن أهل بلده، مُخلِّط في غيرهم، كما في التقريب ١/٧٣، وهذه الرواية واحد من أهل بلده فصفوان بن عمرو حمصي كذلك، فما تقدّم لا يضرّ. إلاّ أنه. أي: إسماعيل بن عياش، كان يدلّس، كما قال الحافظ ابن حجر في طبقات المدلسين ص ٨٢، وقد عنعنه فلذلك ضَعُفَ الإسناد.
وكعب الأحبار، هو: كعب بن ماتِع الحميري، أبو إسحاق، معروف بكعب الأحبار، ثقة مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، التقريب ٢/١٣٥.
قلت: وهو من المكثرين جداً من الرواية عن كتب أهل الكتاب ولهذا قال عنه الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ ١/٥٢: «من أوعية العلم، ومن كبار علماء أهل الكتاب أسلم في زمن أبي بكر» أ هـ.

ها هنا من قد اطّلع منه على خطيئة، فهو يستحي منه أن يراه. قال: يا سبحان الله! إن أحدكم يغضب على ولده أو على بعض قراباته، فإذا تاب ورجع إلى ما يحبّ أحبه، وإنّ صاحبكم قد تاب ورجع إلى ما أحبّ، فأنا أحبه. فأتوه فأخبروه، واعبدوا الله على شاطىء.

فأخبروه، فجاء معهم، فأقاموا يعبدون الله زماناً. ثم إن صاحب الفاحشة توفيّ. فناداهم النهر: يا أيها العُبّاد، والعبيد الزُّهاد، غسِّلوه من مائي، وادفنوه على شاطئي، حتى يُبْعَث يوم القيامة من قربي. ففعلوا ذلك به، وقالوا: نبيت ليلتنا هذه على قبره نبكي، فإذا أصبحنا سرنا.

فباتوا على قبره يبكون، فلما جاء وجه السَّحَر غَشِيَهمُ النُّعاس، فأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثنتي عشرة سَرْوَةً، وكان أول سَروٍ أنبته الله ـ عزّ وجلّ ـ على وجه الأرض.

فقالوا: ما أنبت الله هذا الشجر في هذا المكان إلا وقد أحب الله عبادتنا فيه. فأقاموا يعبدون الله ـ عزّ وجلّ ـ على قبره، كلما مات رجل دفنوه إلى جانبه. فماتوا بأجمعهم.

قال كعب: فكان بنو إسرائيل يحجون إلى قبورهم(1).

---

(1) وهذا مما لا يجوز لا في شرعهم، ولا في شرعنا، ويدّل على ذلك قوله ـ ﷺ ـ: لعن اللهُ يهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد متفق عليه.

وقوله ﷺ عندما ذكَرَت أم حبيبة وأمَ سلمة كنيسةً رأَيْنَها بالحبشة، فيها تصاوير.

قال: إنّ أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فمات بَنوا على قبره مسجداً، وصَوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة، متفق عليه.

اخبار التائبين
من
اصحاب رسول الله ﷺ

٤٠ ـ [توبة أبي خيثمة ـ رضي الله عنه ـ][(١)]

أخبرنا أبـو محمد بن عبد الله بن منصور بن هبة الله المـوصِلِيّ، أنـا أبـو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصَيْرَفيّ، أنـا أبو الحسن محمـد بن عبد الـواحـد بن محمـد بن جعفـر، أنا أبـو بكر أحمـد بن إبراهيم بن الحسن بن شـاذَان، أنـا أبـو عبـد الله أحمـد بن محمد بن المغلّس، أنا أبـو عثمان سعيـد بن يحيى الأمويّ قـال: حدّثني أبي، قـال: قال ابن إسحاق:

تخلف أبو خيثمة ـ أحدُ بني سالم ـ، عن رسول الله ـ ﷺ في غزوة تبـوك، حتى إذا سار رسول الله ـ ﷺ ـ رجع أبو خيثمة ذات يوم إلى أهله في يوم حارّ. فوجد امرأتين له في عـريشين له في حـائط لهما، قـد رشت كل واحـدة منهما عـريشها، وبـرّدت له فيـه ماءً، وهيأت له طعاماً.

فلما دخل، قام على باب العريش ينظر، ثمّ قال: رسول الله ﷺ في الضِحّ والرّيـح والحرّ، ـ يعني بالضحّ: الشمس ـ، وأبو خيثمـة في ظلّ ومـاءٍ بارد، وطعـام مهيأ، وامـرأة حسنـاء. مـا هـذا بـالنّصف، والله لا أدخـل عـريش واحـدة منكمـا حتى ألحق بـرسـول الله ﷺ ـ فهيِّـا لي زاداً. ففعلتـا، ثمّ قـدّم نـاضحـه فـارتحله، ثمّ خـرج في طلب رسـول الله ـ ﷺ ـ فأدركه حين نزل تبوك.

قال: وقد كان أدرك أبا خيثمـة عُمَيْر بن وهب الجُمَحِيّ[(٢)] في الـطريق يطلب رسـول الله ـ ﷺ ـ، فترافقا حتى إذا دَنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعُمَير بن وهب: إنّ لي ذنبـاً فلا

---

(١) هـو أبو خيثمـة الأنصاري السـالمي، وقع ذكـره في حديث كعب بن مـالك الـطويل ـ وهـو الآتي بعد هذا ـ في قصة توبته، وقد قال الواقدي: إن اسم أبي خيثمة هذا عبدالله بن خيثمة، وإنه شهد أحداً، وبقي إلى خـلافة يـزيد بن معـاوية. أنـظر الإصابـة في تمييز الصحـابـة للحـافظ ابن حجـر ٤/٢٥٤ والإستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ٤/٥١ ـ ٥٣.

(٢) هو عُمَير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، يكنى أبا أمية أسلم بعـد معركة بدر الكبرى، فأدرك أحداً فشهـدها، ومـا بعدهـا، وشهد الفتـح، وله في سبب إسـلامه قصـة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/٣٦ ـ ٣٧

عليك أن تخلَّفَ عني حتى آتي رسول الله ـ ﷺ ـ . ففعل، ثمّ سار حتى انتهى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وهو بتبوك.

فلما طلع قال النّاس: هذا راكب مُقْبِل. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : كن أبا خيثمة، فلما دَنَا، قال الناس: يا رسول الله! هذا والله أبو خيثمة. فلما أناخ سلَّم على رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقال رسول الله ﷺ: أولى لك، أبا خيثمة؛ ثمّ أخبره الخبر، فقال له خيراً، ودعا له[1].

٤١ ـ [توبة مَخْشيّ بن حُمَيِّر][2]

قال: وقد كان رهط من المنافقين، منهم مَخْشِيّ بن حُمَيِّر[2] ـ رجل من أَشْجَع. ، حليف لبني سلمة، مع رسول الله ـ ﷺ ـ وهو منطلق إلى تبوك. قال: أتحسبون قتال بني الأصفَر كقتال غيرهم؟ والله لكأنَّا غداً مُقْرَنون في الحبال، فَأَطْلَعَ الله تعالى نبيَّه عليهم، فأتَوْا رسول الله ـ ﷺ ـ يعتذرون.

وقال مَخْشِيّ بن حُمَير: يا رسول الله! قَعَدَ بي اسمي واسم أبي. فعفا الله عنه بقوله: ﴿إن نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾[3]. قال: وهي الطائفة التي عنا عنها. فسُمِّي عبد الرحمن بن حُمير،.

قال: وسأل الله تعالى أن يُقتل شهيداً لا يُعلَم مكانه. فأُصيب يوم اليمامة ولم يوجد له أثر.

٤٢ ـ [توبة كعب بن مالك رضي الله عنه][4]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنا أبو الفضل جعفر بن يحيى المكّي، أنا

---

(١) ذكر هذه القصة عن ابن إسحاق ابن عبد البر في الإستيعاب ٤/٥٢ ـ ٥٣ ورواه الطبراني بنحوها، كما في فتح الباري ٨/١١٩.

(٢) في المطبوعة: مُخَشِّن بن حُمَيِّر، وهو خطأ، وما أثبتاه من الإصابة ٣/٣٧٢، حيث قال: «مَخْشيّ: سكون الخاء، بعدها شين معجَمة، ابن حُمَيِّر: مصغَّراً بالتثقيل، الأشجعي.
له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك، وفي تفسير ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نَخُوض ونلعب﴾، قال فكان ممن عفَى عنه مخشيّ بن حميِّر فقال: يا رسول الله، غيرِّ اسمي واسم أبي، فسماه: عبدالله بن عبد الرحمن، فدعا مخشيّ ربّه أن يقتل شهيداً حيث لا يُعلم به، فقتل يوم اليمامة ولم يعلم له أثر» أهـ.

(٣) سورة التوبة آية رقم /٦٨.

(٤) هو: الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبي كعب، أبو عبدالله الأنصاري السلمي، ويقال: أبو =

محمد بن الحسين بن يوسف الأَصْفَهاني، أنا محمد بن أحمد بن البَغَوِيّ[1]، أنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبَرِيّ[2]، أنا عبد الرَّزاق، عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال:

لم أتخلف عن رسول الله ـ ﷺ ـ في غزوة غزاها حتى كانت غزوة تبوك إلا بدراً. ولم يعاتب النبيّ ـ ﷺ ـ أحداً تخلف عن غزوة بدر، إنما خرج يريد العير، فخرَجَت قريش مغوثين لعيرهم، فالتقَوْا على غير موعد كما قال الله تعالى. ولعمري إنّ أشرف مشاهد رسول الله ـ ﷺ ـ في الناس لَبَدْر، وما أحبّ أني كنتُ شهدتُها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث تواثقنا على الإسلام.

ثم لَمْ أتخلف بعدُ عن رسول الله ـ ﷺ ـ في غَزَاة غزاها، حتى إذا كانت غزوة تبوك، وهي آخر غزاةٍ غزاها، وآذن النبيُّ ـ ﷺ ـ الناسَ بالرحيل، وأراد أن يتأهَّبوا أهبة غزوهم، وذلك حين طابت الظِّلال وطابت الثِّمار، وكان قلَّما أراد غزوة إلا ورّى بغيرها، وكان يقول: «الحربُ خُدْعَة»، إلا غزوة تبوك، فإنه جلَّى للناس أمرهم. فأراد النبيّ ـ ﷺ ـ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أُهْبَتَهُ[3]. وأنا أيسر ما كنتُ، قد جمعت راحلتين، وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفَّة الحَاذ[4]، وأنا في ذلك أُصغي إلى الظِّلال وطيب الثمار.

فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله ـ ﷺ ـ غادياً بالغداة، وذلك يوم الخميس، وكان يحبّ أن يخرج يوم الخميس فأصبح غادياً. فقلت: أنطَلِقُ غداً إلى السوق فأشتري

= بشير، ويقال: أبو عبد الرحمن، وكان شاعراً مشهوراً، شهد العقبة، وبايع بها، وتخلّف عن بدر، وشهد أحداً وما بعدها، وتخلّف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم..
قال ابن حبان: مات أيام قُتِل عليّ بن أبي طالب، وقال ابن أبي حاتم، عن أبي: ذهب بصره في خلافة معاوية، واقتصر البخاري في ذكر وفاته على أنّه رثا عثمان، ولم نجد له في حرب علي ومعاوية خبراً، وقال البغوي: بلغني أنه مات بالشام في خلافة معاوية..
الإصابة ٣/٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(١) هذه النسبة إلى بلد من بلاد خراسان بين مرو وَهُراة، يقال لها: بغ وبغشور، كذا في اللباب ١٦٤/١.

(٢) قال في اللباب ٤٨٩/١: «الدَّبري: بفتح الدال المهملة والباء، وبعدها راء، هذه النسبة إلى دَبَر، وهي قرية من قُرى صنعاء اليمن، منها أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبريّ، راوي كتب عبد الرزاق عنه، روى عنه الطبراني وغيره» أ هـ.

(٣) الأهبة: بضمّ الهمزة وسكون الهاء، ما يحتاج إليه في السفر والحرب، فتح الباري ١١٧/٨.

(٤) أي: خفّة الظَّهْر والحال، مختار الصحاح ص ١١٨ وانظر فتح الباري ١١٨/٨.

جهازي ثمّ ألحق بهم، فانطلقتُ إلى السوق من الغد، فعسر عليّ بعض شأني، فرجعت. فقلت: أرجع غداً إن شاء الله فألحق بهم، فعسر عليّ بعض شأني أيضاً. فقلت: أرجع غداً إن شاء الله، فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذَّنْبُ، وتخلّفت عن رسول الله - ﷺ - .

فجعلتُ أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة، فيحزنني أنّي لا أرى أحداً تخلّف إلا رجلاً مغموصاً[1] عليه في النفاق. وكان ليس أحدٌ تخلّف إلا رأى أن ذلك سيخفى له، وكان الناس كثيراً لا يجمعهم ديوان، وكان جميع من تخلف عن النبيّ ﷺ بضعةً وثمانين رجلاً.

ولم يذكرني النّبي - ﷺ - حتى بلغ تبوكاً، قال: ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من قومي: خلّفه يا رسول الله، بُرْداه[2]، والنظرُ في عِطْفَيْهِ[3]. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلتَ، واللهِ يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيراً.

قال فبينما هم كذلك إذا هُم برجلٍ يزول به السَّراب. فقال النبيّ ﷺ: كن أبا خيثمة. فإذا هو أبو خيثمة.

فلما قضى النبيّ - ﷺ - غزوة تبوك، وقَفَل[4]، ودنا من المدينة، جعلتُ أتذكّر بماذا أخرج به من سَخَطِ النبيّ - ﷺ - ، وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، حتى إذا قيل: النبيُّ - ﷺ - هو مصبحكم غداً بالغداة، زاح عنّي الباطل، وعرفت أنّي لا أنجو إلا بالصدق.

فدخل النبيّ - ﷺ - ضِحىً، فصلّى في المسجد - وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك - ، دخل المسجد فصلّى فيه ركعتين، ثمّ جلَس، فجعل يأتيه من تخلّف، فيحلفون

---

(١) قال في الفتح ١١٨/٨: «مغموصاً..: أي: مطعوناً عليه في دينه متهماً بالنفاق، وقيل: معناه مستحقراً، تقول: غمصت فلاناً إذا استحقرته» أ هـ.
وأنظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ - ٣٢٩، ومختار الصحاح ص ٢٢٧

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٨٩: «البُرْدة: كساء أسود مربّع فيه صفرة، تلبسه الأعراب، والجمع بُرَد بفتح الراء» أ هـ.
والمقصود ببرداه: الرداء والإزار، أو الرداء والقميص.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣٠٢: «عطفا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلى وركيه، وكذا عطفا كلّ شيء جانباه» أ هـ.
وهذا كناية عن العجب والإفتخار والتكبر، قال في هامش المطبوعة: قال القرطبي: وكأن هذا القائل كان في نفسه حقد على كعب، ولعله كان منافقاً، فنسب كعباً إلى الزهو والكبر، وكانت نسبة باطلة، بدليل ردّ العدل الفاضل معاذ بن جبل - رضي الله عنه.

(٤) أي: رجع.

له ويعتذرون إليه، فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم، ويَكِل سرائرهم إلى الله عزّ وجلّ.

فدخلت المسجد، فإذا هو جالس، فلما رآني تبسَّم تبسُّم المُغْضَب؛ فجئتُ فجلست بين يديه فقال: ألم تكنِ ابتعتَ ظهرك؟[1] فقلت: بلى، يا نبيّ الله. قال: فما خلّفك؟. فقلت: والله لو بين يدَيْ أحدٌ من النّاس غيرَك جلستُ لخرجتُ من سخطه عليّ بعذر، ولقد أوتيتُ جدلاً، ولكن قد علمتُ يا نبيَّ الله أنّي إن أخبرتك اليوم بقولٍ تجد عليَّ فيه، وهو حقّ، فإني أرجو فيه عقبى الله، وإن حدَّثتك اليومَ حديثاً ترضى عنّي فيه، وهو كذب، أوشك الله أن يُطْلِعَكَ عليَّ، واللهِ يا نبيَّ الله ما كنت قطُّ أيسرَ ولا أخفَّ حاذاً[2] منّي حين تخلّفتُ عنك.

قال: «أمّا هذا فقد صَدَقَكم الحديث، فَقُمْ حتى يقضيَ الله فيك».

فقمت. فثار على إثري أناس من قومي يؤنّبونني. فقالوا: واللهِ ما نعلمك أذنبتَ ذنباً قطّ قبل هذا، فهلاّ اعتذرت إلى نبيِّ الله - ﷺ - بعُذْر يرضى عنك فيه، وكان استغفار رسول الله - ﷺ - سيأتي من وراء ذنبك، ولم تَقِفْ نفسُك موقفاً لا تدري ماذا يُقضى لك فيه. فلم يزالوا يؤنّبونني حتى هَمَمْتُ أن أرجع فأُكذِّبَ نفسي.

فقلت: هل قال هذا القول أحد غيري؟ قالوا: نعم قاله هلال بن أمية[3]، ومُرَارة بن ربيعة[4]. فذكروا رجلَيْنِ صالحين قد شهدا بدراً، لي فيهما أُسوة. فقلت: واللهِ لا أرجع إليه في هذا أبداً ولا أُكذِّبُ نفسي.

قال: ونهى النبيُّ - ﷺ - النّاس عن كلامنا أيها الثلاثة، قال: فجعلت أخرج إلى

---

(١) أي اشتريت ظهرك، أي اشتريت ظهراً تركبه من الإبل أو الفرس أو غير ذلك مما يُركب.

(٢) أي: حالاً، كما تقدّم.

(٣) هو: هلال بن أمية بن عامر الأنصاري الواقفي، شهد بدراً وما بعدها وتخلّف عن غزوة تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، الإصابة ٣/٥٧٤.
وروى أبو حاتم بإسناده عن الحسن مرسلاً سبب تخلّفه. وهو أنه كان له أهل تفرّقوا. ثم اجتمعوا، فقال: لو أقمت هذا العام عندهم، فلمّا تذكر قال: اللهم لك عليّ أن لا أرجع إلى أهل ولا مال، أنظر فتح الباري ٨/١١٩ - ١٢٠.

(٤) هكذا هنا: مرارة بن ربيعة، وهو كذلك عند مسلم، والمشهور في اسمه: مرارة بن الربيع.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/١١٩ - ١٢٠. «مرارة بن الربيع، هو المشهور، ووقع في رواية لمسلم: ابن ربيعة، وفي حديث مجمع بن جارية عند ابن مردويه: مرارة بن ربعي، وهو خطأ. وكذا وقع عند ابن أبي حاتم من مرسل الحسن من تسميته: ربيع بن مرارة، وهو مقلوب.
وذكر في هذا المرسل أن سبب تخلفه أنه كان له حائط حين زهى، فقال في نفسه: قد غزوت قبلها، فلو أقمت عامي هذا، فلمّا تذكر ذنبه قال: اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك» أ هـ.
وأنظر الإصابة ٣/٣٧٦.

السوق فلا يكلِّمني أحد. وتنكر لنا النّاس حتى ما هم بالذين نعرف، وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هي بالحيطان التي نعرف. وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف. وكنتُ أقوَى أصحابي، فكنت أخرج وأطوف في السوق، وآتي المسجد، فأدخل وآتي النبيَّ ﷺ، فأسلم عليه، فأقول: هل حرّك شفتَيْه بِالسَّلام؟ إذا قمت أصلّي إلى السّارية فأقبلت قِبَلَ صلاتي نَظَرَ إليَّ بمؤخر عينَيْه، وإذا نظرتُ إليه أعرض عني.

قال: واستكانَ صاحباي فجعلا يبكيان الليل والنهار، ولا يُطْلعان، رؤوسهما[1].

فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصرانيّ جاء بطعام له يبيعه، يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إليّ. فأتاني بصحيفة من ملك غسان، فإذا فيها: أما بعد، فإنه بلغني أنّ صاحبك قد جفاك وأقْصَاك[2]، ولست بدار مضيعة ولا هوان، فَالْحَقْ بنا نواسِك.

قال: فقلت: هذا أيضاً من البلاء والشرّ. فَأَسْجَرْتُ[3] لها التنّور وأحرقتُها.

فلما مضت أربعون ليلة إذا رسولٌ مِنَ النبيّ - ﷺ - قد أتاني. فقال: اعتزل امرأتك. فقلت: أطلقها؟ قال: لا ولكن لا تقربها.

وأرسل إلى صاحبيَّ بمثل ذلك. فجاءت امرأة هلال بن أُمية، فقالت: يا رسول الله! إنّ هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف، فهل تأذن لي أن أخدمه؟ قال: نعم ولكن لا يقربنّك؛ قالت: يا نبيّ الله! والله ما به من حركة لشيء، ما زال مكتئباً[4] يبكي الليل والنّهار منذ كان من أمره ما كان.

قال كعب: فلما طال عليَّ البلاءُ اقتحمتُ على أبي قتادة[5] حائطه[6] - وهو ابن عمّي -، فسلّمتُ عليه فلم يردّ عليّ. فقلت: أنْشُدك الله[7]، يا أبا قتادة! أتعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت. ثمّ قلت أيضاً: يا أبا قتادة! أتعلم أنّي أحبّ الله ورسوله؟ فسكت.

---

(١) في المطبوعة: رؤوسها، وهو خطأ، و المثبت هو الموافق لسيق الكلام.

(٢) أي: أبعدك.

(٣) أي: أوقدت. أنظر فتح الباري ٨/١٢١.

(٤) أي: حزيناً.

(٥) هو: الأنصاري، اسمه: الحارث ويقال: عمرو أو النعمان بن ربعي بن بُلْدُمه، السَّلَمي، المدني. شهد أحداً وما بعدها، ولم يصح شهوده بدراً، ومات سنة أربع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وثلاثين، والأول أصح وأشهر. التقريب ٢/٤٦٣.

(٦) أي: بستانه.

(٧) أي: أسألك به، أساس البلاغة ص ٤٥٦

ثم قلت: أَنْشُدك الله، يا أبا قتادة! أتعلم أنّي أحب الله ورسوله؟ قال: الله ورسوله أعلم.

قال فلم أملك نفسي أن بكَيْتُ. ثمّ اقتحمتُ الحائط خارجاً.

حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبيّ - ﷺ - النّاس عن كلامنا صلَّيْتُ على ظهر بيت لنا صلاة الفجر. ثمّ جلستُ وأنا في المنزلة التي قال الله عزّ وجلّ، قد ضاقت عليَّ نفسي. وضاقت عليَّ الأرضُ بما رحبت[1]، إذْ سمعت نداءً من ذُرْوة سلع[2]: أبشر يا كعب بن مالك، فَخَرَرْت ساجداً، وعرفتُ أنّ الله تعالى قد جاء بالفرج. ثمّ جاء رجل يركض على فرس يبشّرني، فكان الصوت أسرع من فرسه، فلما جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوبيَّ بشارة، ولبست ثوبين آخرين. قال: وكانت توبتنا نزلت على النبيّ - ﷺ - ثلث الليل، فقالت أم سلمة: يا نبيَّ الله! ألا نبشر كعب بن مالك؟ قال: إذاً يحطمكم النّاس ويمنعونكم النَّوْم سائر الليلة.

قال: وكانت أمّ سلمة محسنة في شأني تحزن بأمري. فانطلقتُ إلى النبيّ - ﷺ -، فإذا هو جالسٌ في المسجد، وحوله المسلمون، وهو يستنير كاستنارة القمر، وكان إذا سُرّ استنار، فجئتُ فجلستُ بين يديه، فقال: أَبْشِر، يا كعب بن مالك بخيرِ يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمك. ، قال: قلت، يا نبيّ الله أمِنْ عند الله، أمْ من عندك؟ قال: بل من عند الله. ثمّ تلا عليهم ﴿لقدْ تابَ الله على النَّبيِّ والمُهاجِرينَ والأنصارِ﴾ حتى بلغ ﴿التوّابُ الرَّحيمُ﴾[3]. قال: وفِينا نزلت: ﴿اتَّقُوا الله وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقينَ﴾[4]:

قال: فقلتُ: يا نبيَّ الله! إن من توبتي أن لا أُحدِّث إلا صدْقاً، وأن أنخلعَ من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله. فقال: أمسِك بعض مالك فهو خير لك. فقلت: فإني أُمسك سهمي الذي بخيبر.

قال: فما أنعمَ الله عليّ نعمةً بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ - حين صدقته أنا وصاحبَاي أن لا نكون كذبناه فهلكنا كما هلكوا، وإنّي لأرجو أن

---

(١) يتأول بذلك قوله تعالى في سورة التوبة، آية رقم (١١٨): ﴿حتَّى إذا ضاقتْ عليهمُ الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم.. الآية﴾.

(٢) سلع: جبل بالمدينة المنوّرة - شرّفها الله تعالى - معروف وذُروة الشيء أعاليه، أنظر مختار الصحاح ص ٥٠٥. وفتح الباري ١٢١/٨.

(٣) سورة التوبة - آية رقم /١١٧ - ١١٨، وتمامها: ﴿لقد تابَ اللهُ على النبيّ والمهاجرين والأنصار الذين اتّبَعوه في ساعةِ العُسْرةِ من بعد ما كاد يزِيغُ قلوبُ فريقٍ منهم، ثم تابَ عليهم، إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا حتى إذا ضاقتْ عليهُم الأرضُ بما رَحُبَتْ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أنْ لا ملجأً مِن اللهِ إلاّ إليه. ثمّ تابَ عليهم ليتوبوا، إن الله هو التّوابُ الرحيم﴾.

(٤) سورة [illegible] ١١٩ أولها ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله. . .﴾ الآية.

لا يكون ابتلَى الله أحداً في الصِّدق مثل الذي ابتلاني، ما تعمَّدت لكذبة بعد، وإنِّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي[1].

---

(١) روى قصة توبة كعب بن مالك هذه، بعضهم مطولاً، وبعضهم مختصراً، وبعضهم بأجزاء منه، ومن طرق كثيرة عن كعب.

البخاري في كتاب الوصايا، باب (١٦) إذا تصدّق أو وقف بعض رقيقه أو داوبّه فهو جائز، حديث رقم (٢٧٥٧) ٥/٣٨٦. ببعضه من آخره.

وفي كتاب الجهاد، باب (١٠٣) من أراد غزوة فورّى بغيرها، ومن أحب الخروج يوم الخميس حديث رقم (٢٩٤٧ ـ ٢٩٤٨ ـ ٢٩٤٩ ـ ٢٩٥٠) ٦/١١٢ ـ ١١٣ بأوله فقط.

وباب (١٩٨) الصلاة إذا قَدِم من سفر حديث رقم (٣٠٨٨) ٦/١٩٣، ببعضه.

وفي كتاب المناقب، باب (٢٣) صفة النبيّ ـ ﷺ ـ حديث رقم (٣٥٥٦) ٦/٥٦٥ ببعضه وفي كتاب مناقب الأنصار، باب (٤٣) وفود الأنصار إلى النبي ـ ﷺ ـ بمكة وبيعة العقبة حديث رقم (٣٨٨٩) ٧/٢١٩.

وفي كتاب المغازي، باب (٣) قصة غزوة بدر، حديث رقم (٣٩٥١) ٧/ ٢٨٥ ببعضه.

وفي كتاب المغازي، باب(٧٩) حديث كعب بن مالك، وقول الله عزّ وجلّ: ﴿وعلى الثلاثة الذي خلّفوا﴾، حديث رقم (٤٤١٨) ٨/١١٣ ـ ١١٦ بتمامه وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة، باب (١٤) قوله تعالى ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم . . .﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٣) ٨/٣٤٠ ببعضه.

وباب (١٧) قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبيّ والمهاجرين والأنصار. .﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٦) ٨/٣٤١ ـ ٣٤٢ ببعضه.

وباب (١٨) قوله تعالى: ﴿وعلى الثلاثة الذين خلِّفوا. .﴾ الآية، حديث رقم (٤٦٧٧) ٨/٣٤٢ ـ ٣٤٣ مختصراً.

وباب (١٩) قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾، حديث رقم (٤٦٧٨) ٨/٣٤٣، ببعضه.

وفي كتاب الإستئذان، باب (٢١) من لم يُسَلِّم على من اقترف ذنباً، ومن لم يرُدّ سلامه حتى تتبّين توبته. . ، حديث رقم (٦٢٥٥) ١١/٤٠ ببعضه.

وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٤) إذا أهدى ماله على وجه النذر والتوبة، حديث رقم (٦٦٩٠) ١١/٥٧٢، ببعضه من آخره.

وفي كتاب الأحكام، باب (٥٣) هل للإمام أن يمنع المجرمين وأهل المعصية من الكلام معه، والزيادة ونحوه، حديث رقم (٧٢٢٥) ١٣/٢١٦ ببعضه.

ومسلم في كتاب التوبة، باب (٩) حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم (٢٧٦٩) ٤/٢١٢٠ ـ ٢١٢٩ بتمامه.

وليس فيه: الحرب خدعة.

وفي كتاب صلاة المسافرين، باب (١٢) استحباب الركعتين في المسْجد لمن قدم من سفر أوّل قدومه، حديث رقم (٧١٦) ١/٤٩٦ ببعضه.

وأبو داود في كتاب الطلاق، باب (١١) فيما عنى به الطلاق والنيّات، حديث رقم (٢٢٠٢) ٢/٢٦٢، =

= ببعضه.
وفي كتاب الجهاد، باب في أي يوم يستحب السفر، حديث رقم (٢٦٠٥) ٣/ ٣٥ ببعضه.
وباب المكر في الحرب، حديث رقم (٢٦٣٧) ٣/ ٤٣ ببعضه.
وباب (١٦١) في إعطاء البشير، حديث رقم (٢٧٧٣) ٣/ ٨٨ ـ ٨٩.
وباب (١٦٦) في الصلاة عند القدوم من السفر، حديث رقم (٢٧٨١) ٣/ ٩١ ببعضه.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٢٩) فيمن نذر أن يتصدق بماله، حديث رقم (٣٣١٧ ـ ٣٣١٨ ـ ٣٣١٩ ـ ٣٣٢٠ ـ ٣٣٢١) ٣/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ ببعضه والترمذي في كتاب التفسير، باب (١٠) تفسير سورة التوبة، حديث رقم (٣١٠٢) ٥/ ٢٨١ ـ ٢٨٣ **مختصراً**.
والنسائي في كتاب الطلاق، باب (١٨) إلحقي بأهلك، ولا يريد الطلاق.
وفي كتاب الصلاة، باب (١٥٩) الرخصة في الجلوس في المسجد والخروج منه بغير صلاة.
وفي كتاب الأيمان والنذور، باب (٣٦) إذا أهدى ماله على وجه النذر.
وباب (٣٧) هل تدخل الأرضون في المال إذا نذر؟.
وفي كتاب السير في سننه الكبرى، باب (١١٨) الوقت الذي يستحب له أن يدخل.
وباب (١١٩) ما يفعل الإمام إذا أراد الغزو.
وباب (١٢٤) اليوم الذي يستحب فيه السفر.
وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ٨/ ٣١٨.
وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة، باب (١٩٢) ما جاء في الصلاة والسجدة عند الشكر، حديث رقم (١٣٩٣) ١/ ٤٤٦، ببعضه: لما تاب الله عليه خرّ ساجداً.
ذكر بعض الفوائد المأخوذة من هذا الحديث.
قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٨/ ١٢٣ ـ ١٢٥: «وفي قصة كعب من الفوائد.:
جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب.
وجواز الغزو في الشهر الحرام.
والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره.
وأن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخّلف، وقال السهيلي: إنما اشتد الغضب على مَنْ تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية، لكنّه في حق الأنصار خاصة فرض عين، لأنهم بايعوا على ذلك، ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:
نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا
فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة، لأنها كالنكث لبيعتهم كذا قال ابن بطال. قال السهيلي: ولأعرف له وجهاً غير الذي قال.
قلت ـ أي ابن حجر ـ: وقد ذكرت وجهاً غير الذي ذكره ولعله أقعد، ويؤيده قوله تعالى: **﴿ما كان لأهل المدينة وَمن حَوْلهم مِنَ الأعراب أن يتخلَّفوا عن رسول الله﴾** الآية. وعند الشافعية وجه: أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبي ـ ﷺ ـ، فعلى هذا فيتوجّه العتاب على من تخلّف مطلقاً.
وفيها: ان العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة.
وفيها: ترك قتل المنافقين، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة، وأجاب من أجازه بأن الترك =

= كان في زمن النبي - ﷺ - لمصلحة التأليف على الإسلام.
وفيها: عظم أمر المعصية..
وفيها: أن القوي في الدين يؤاخذ بأشدّ مما يؤاخذ الضعيف في الدين.
وجواز أخبار المرء عن تقصيره وتفريطه، وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمره تحذيراً ونصيحة لغيره.
وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره.
وفضل أهل بدر والعقبة، والحلف للتأكيد من غير إستحلاف، والتورية عن المقصد، وردّ الغيبة، وجواز ترك وطء الزوجة مدّة.
وفيه: أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوّف بها، لئلا يحرمها..
وفيها: جواز تمنّي ما فات من الخير، وأن الإمام لا يهمل من تخلّف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع التوبة.
وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن عن حمية لله ورسوله، وفيها: جواز الردّ على الطاعن إذا غلب على ظن الرادّ وهم الطاعن أو غلطه.
وفيها: ان المُسْتَحَبَّ للقاء أن يكون على وضوء، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته، فيصلي، ثم يجلس لم يسلّم عنيه، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه، والحكم بالظاهر، وقبول المعاذير، واستحباب بكاء العاصي أسفاً على ما فاته من الخير.
وفيها: إجراء الأحكام على الطهر ووكول السرائر إلى الله تعالى.
وفيها: ترك السلام على من أذنب، وجواز هجر أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً.
وأن التبسّم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب، ولا يختص بالسرور.
ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعزّ عليه، دون غيره..
وفيها: فائدة الصدق، وشؤم عاقبة الكذبَ..
وفيها: تبريد حرّ المصيبة بالتأسي بالنظير.
وفيها: عظم مقدار الصدق في القول والفعل، وتعليل سعادة الدنيا والأخرة والنجاة من شرهما به...
وفيها: جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه.
وفيها: أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها. وإيثار طاعة الرسول على مودّة القريب.
وخدمة المرأة زوجها، والإحتياط لمجانبة ما يُخشى الوقوع فيه.
وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة.
وفيها: مشروعية سجود الشكر، والإستباق إلى البشارة بالخير، وإعطاء البشير أنفسَ ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة، وتهنئة من تجددت له نعمة، والقيام إليه إذا أقبل.
واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة، وسروره بما يسرّ أتباعه.
ومشروعية العارية، ومصافحة القادم والقيام له.
والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به، واستحباب الصدقة عند التوبة، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه» أهـ.

٤٣ - [توبة أبي لبابة رضي الله عنه][(١)]

قال الزهريّ: وكان أبو لبابة ممن تخلَّف عن النبيّ - ﷺ - في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، ثمّ قال: والله لا أُحُلُّ نفسي منها ولا أذوقُ طعاماً ولا شراباً حتى أموتَ أو يتوبَ الله عليَّ.

فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى كاد يخرّ مغشياً عليه، ثمّ تاب الله عليه. فقيل له: قد تِيب عليك، فقال: واللهِ لا أُحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله - ﷺ - هو الذي يحلّني بيده.

قال: فجاء النبيّ - ﷺ - فحلّه بيده. ثمّ قال أبو لبابة: يا رسول الله! إنَّ من توبتي أن أهجرَ دار قومي التي أصبتُ فيها الذَّنبَ، وأن أنخلِعَ من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: يجزِئك الثلث، يا أبا لبابة[(٢)].

أخبرنا أبو صالح سعد الله بن نجا بن الوَادي[(٣)]، أنا القاضي أبو بكر محمد بن

---

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري، اختلف في اسمه على أقوال كثيرة ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٦٧/٤.
أمّره النبيّ - ﷺ - على المدينة في بدر، وقيل: أنّه أمّره عليها حين خرج إلى غزوة السويق، وشهد مع رسول الله - ﷺ - أحداً وما بعدها من المشاهد، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف في الفتح يقال: مات في خلافة علي، وقال خليفة: مات بعد مقتل عثمان، ويقال: عاش إلى بعد الخمسين.
أنظر الإصابة ١٦٧/٤، والإستيعاب ١٦٧/٤ - ١٦٨.

(٢) قال ابن عبد البر في الإستيعاب ١٦٧/٤: «اختلف في الحال التي أوجبت فعل أبي لبابة هذا بنفسه - وكان قد ذكر ربطه لنفسه بالحبل حتى ذهب سمعه، فما يكاد يسمع، وكاد أن يذهب بصره، وفيه: وكانت ابنته تحلّه إذا حضرت الصلاة، أو أذا أراد أن يذهب لحاجة، وإذا فرغ أعادته إلى الرباط - .
وأحسن ما قيل في ذلك، ما رواه معمر، عن الزهري قال: كان أبو لبابة ممن تخلّف عن النبي - ﷺ - في غزوة تبوك.. فذكر هذه القصة،
ثم قال: وروي عن ابن عباس من وجوه في قول الله تعالى: ﴿**وآخرون اعترفوا بذنوبهم، خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً..**﴾ الآية.
أنها نزلت في أبي لبابه، ونفر معه سبعة أو ثمانية أو تسعة سواء، تخلّفوا عن غزوة تبوك، ثم ندموا وتابوا وربطوا أنفسهم بالسواري، فكان عملهم الصالح توبتهم، وعملهم السيء تخلفهم عن الغزو مع رسول الله - ﷺ - » أ هـ.

(٣) قال في اللباب ٣٤٥/٣: «هذه النسبة إلى وادي القرى، وهي مدينة قديمة بالحجاز مّما يلي الشام، ينسب إليه جماعة..
والوادي - أيضاً - : اسمٌ لجدّ أبي صالح سعد الله بن نجا بن الوادي، البغدادي الحنبلي، سمع أبا الفضل محمد بن ناصر، وأبا بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وغيرهما، وكان من أبناء الأربعين، =

عبد الباقي، أنا أبو محمد الجَوْهَريّ، أنا أبو عمر بن حَيَوَيه، أنا عبد الوهاب بن أبي حَيَّة، عن محمد بن شجاع البَلْخِيّ، أنا محمد بن عمر الواقدي، قال: فحدَّثني ربيعة بن الحارث، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن السائب بن أبي لبابة، عن أبيه[1]، قال: لمّا أرسلَتْ قُرَيْظة إلى رسول الله - ﷺ - يسألونه أن يرسلني إليهم - حين اشتدّ عليهم الحصر - دعاني رسول الله - ﷺ -، فقال: اذهب إلى حلفائك فإنهم أرسلوا إليك من بَيْن الأوس. قال: فدخلت عليهم وقد اشتدّ عليهم الحصار. فهشّوا[1] إليّ، وقالوا: يا أبا لبابة! نحن مواليك دون النّاس كلهم. فقام كعب بن أسد، فقال: أبا بشير! قد عرفت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق، ويوم بُعَاث، وكلّ حرب كنتم فيها، وقد اشتدّ علينا الحصار وهلكنا، ومحمد يأبَى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر، ولم نُكَثِّر عليه جمعاً أبداً، فما تَرى فإنا قد اخترناك على غيرك، إنّ محمداً قد أبَى إلا أن ننزل على حكمه. قال: نعم، فانزلوا. وأومأ إلى حلقه: فهو الذّبح[2]

قال: فندمتُ فاسترجعتُ. فقال كعب: مالَكَ يا أبا لبابة؟ فقلت: خنت الله ورسوله. فنزلتُ وإنّ لحيتي لمبتلة بالدموع والناس ينتظرون رجوعي إليهم، حتى أخذتُ من وراء الحصن طريقاً آخر، حتى أتيتُ المسجد فارتبطتُ. وبلغ رسول الله - ﷺ - ذهابي وما صنعتُ. فقال: دعوه حتى يُحْدث الله فيه ما يشاء، لو كان جاءني استغفرتُ له، فأما إذ لم يأتني وذهب فدَعوه[3]».

قال: فحدثني معمر عن الزهري. قال: وارتبط أبو لبابة سبعاً في حرٍّ شديد، لا

= [توفيّ] سنة سبع وثلاثين وخمسمائة» أ هـ.

(1) ذكر المصنف هنا سبباً آخر لتوبة أبي لبابة، وقد تقدّم أن القصة الأولى أحسن ما قيل في سبب توبته رضي الله عنه.
وهذا إسناد ضعيف جداً عن أبي لبابة، فيه: محمد بن عمر بن واقد الواقدي، الأسلمي، القاضي متروك مع سعة علمه، التقريب ٢/١٩٤. وأنظر ميزان الإعتدال ٣/٦٦٢ - ٦٦٦ حيث ذكر أقوال العلماء فيه، ثم قال: «واستقرّ الإجماع على وهن الواقدي» أ هـ.

(2) المقصود هنا، أنكم إذا نزلتم على ذلك فهو الذبح والقتل، كما سيأتي واضحاً في القصة التي ذكرها ابن عبد البر، أنظر الهامش الآتي.

(3) ذكر ابن عبد البر هذه القصة مختصرة جداً في الإستيعاب ٣/١٦٨، مضعِّفاً لها، بعد أن حسّن القصة السابقة عليها، كما تقدم.
قال - رحمه الله -: «وقيل: إن الذنب الذي أتاه أبو لبابة، كان إشارته إلى حلفائه من بني قُرَيظة أن الذبح إن نزلتم على حكم سعد بن معاذ، وأشار إلى حلقه، فنزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم**﴾، ثم تاب الله عليه..» أ هـ.

يأكل ولا يشرب. وقال: لا أزال هكذا حتى أُفارق الدنيا أو يتوبَ الله عليّ. قال: فلَمْ يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد، ورسول الله - ﷺ - ينظر إليه بكرةً وعشيّة. ثمّ تاب الله عليه، فنودِيَ: إنَّ الله قد تاب عليك. وأرسل رسول الله - ﷺ - إليه ليطلق عنه رباطه، فأَبَى أن يطلقه عنه أحد غير رسول الله - ﷺ -، فجاء رسول الله - ﷺ -.

قال الزهريّ: فحدَّثتني هند بنت الحارثّ[1]، عن أمّ سلمة[2] زوج النبيّ - ﷺ -، قالت: رأيتُ رسول الله - ﷺ - يحلّ رباطه، وإن رسول الله - ﷺ - ليرفع صوته يكلّمه ويخبره بتوبته، وما يدري كثيراً مما يقول له من الجهد والضعف. ولقد كان الرِّباط حزّ في ذراعه، وكان من شَعْر، وكان يداويه بعد ذلك دهراً.

٤٤ - [توبة أبي هريرة - رضي الله عنه[3] - عن فتواه في امرأة زانية]

وقرأت في «تنبيه الغافلين»[4] عن أبي هريرة[5]، قال: خرجت ذات ليلة بعد ما

---

(١) هي: هند بنت الحارث الفِراسية - بكسر الفاء، ويقال: القرشية تابعية ثقة. التقريب ٦١٧/٢.

(٢) هي: أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، تزوجها النبيّ - ﷺ - سنة أربع، وقيل: ثلاث. وعاشت بعد ذلك نحو ستين سنة، ماتت سنة اثنتين وستين، وقيل: سنة إحدى وستين، وقيل: قبل ذلك، والأوّل أصح، التقريب ٦١٧/٢.

(٣) هو أبو هريرة الدوسي، الصحابي الجليل، حافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه، فقيل: عبد الرحمن بن صخر، وقيل: ابن غنم، وقيل.. وقيل..

واختلف في أيها الأرجح، فذهب الأكثرون إلى الأول وذهب جمع منِ النسّابين إلى: عمرو بن عامر، مات سنة سبع وقيل: سنة ثمان، وقيل: تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، التقريب ٤٨٤/٢، وانظر الإصابة ٢٠٠/٤ - ٢٠٨.

(٤) ص ٥٨ منه، وهو كتابٌ في المواعظ والزهد والرقائق، تصنيف أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، وهو فقيه، مفسّر، حافظ، توفي في (١١) جمادَى الآخرة، سنة (٣٧٣). له تصانيف كثيرة منها: النوازل في فروع الفقه الحنفي، تفسير القرآن، خزانة الفقه على مذهب أبي حنيفة، وبستان العارفين في الآداب الشرعية.

أنظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ ١٦٩/٣. ومعجم المؤلفين ٩١/١٣.

(٥) **هذه القصة لا تصح عن أبي هريرة**، ذكرها السمرقندي في تنبيه الغافلين بغير سند.

وقد رواه العقيلي في الضعفاء ٣٨٠/٣ من طريق أبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا عيسى بن شعيب بن ثوبان - مولى بني الدِئل -، عن فُلَيح، عن عبيد بن أبي عبيد، عن أبي هريرة. فذكره.

قال العقيلي: **«فليح لا يتابع على حديثه هذا وعبيد بن أبي عبيد مجهول»** أ هـ.

وعزاه الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣٢٨/٣ للطبراني ولابن جرير من طريق أبراهيم بن المنذر به، ثم قال: **«هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي رجاله من لا يُعرَف، والله أعلم»** أ هـ.

وعزاه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٤/٨ لابن مردويه - أيضاً - في تفسيره، من طريق أحمد بن الحسين اللهبي، عن عيسى بن شعيب به.

=

صلّيت العشاء مع رسول الله ـ ﷺ ـ ، فإذا أنا بامرأة متنقِّبة قائمة على الطريق. فقالت: يا أبا هريرة! إنّي قد ارتكبتُ ذنباً عظيماً، فهل لي من توبة؟ فقلت: وما ذنبكِ؟ قالت: إني زنيت وقتلتُ ولدي من الزنا.

فقلت لها: هلكت ـ وأهلكتِ، واللهِ مالكِ من توبة. فشهقَت شهقةً خرّت مغشياً عليها، ومضت.

فقلتُ في نفسي: أُفْتي ورسول الله ـ ﷺ ـ بين أظهرنا؟ فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، وقلتُ: يا رسول الله! إن امرأة استفتتني البارحة بكذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: إنّا لله وإنا إليه راجعون! أنت واللهِ هلكتَ وأهلكتَ، أيْن كنت عن هذه الآية: ﴿والذينَ لاَ يدْعونَ معَ اللهِ إلهاً آخرَ وَلا يقْتُلونَ النَّفْسَ التي حرَّمَ الله إلاَّ بالحقِّ وَلا يزْنونَ﴾ إلى قوله: ﴿فأولئكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئاتهمْ حسناتٍ وكانَ الله غفوراً رَحيماً﴾[1]؟!.

قال: فخرجت من عند رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أعدو في سكك المدينة، وأقول: من يدلّني على امرأة استفتتني البارحة كذا وكذا؟ والصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة؛ حتى إذا كان الليل، لقيتُها في ذلك الموطن، فأعلمتُها بقول رسول الله ـ ﷺ ـ وأنَّ لها التوبة. فشهقت شهقة من السرور، وقالت: إنّ لي حديقة وهي صدقة للمساكين لذنبي.

٤٥ ـ [توبة ثعلبة بن عبد الرّحمٰن رضي الله عنه][2]

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله بن أحمد بن النَّقور[3]، أنا أبو الحسن علي بن

= وعيسى بن شعيب هذا، لم يوثّقه إلا ابن حبان حيث ذكره في الثقات، ولهذا قال عنه الحافظ ابن حجر في التقريب ٩٨/٢: «فيه لين» أ هـ. وقال عنه في الميزان ٣١٣/٣ «لا يعرف» أ هـ.

وهناك خلاف على فليح، هل هو: ابن سليمان، أم هو الشمّاس، أم هما واحد، أنظر تهذيب التهذيب ٢١٤/٨ ـ ٢١٥.

قال الحافظ الذهبي في ميزان الإعتدال ٣١٤/٣ عن هذه القصة: «وهذا خبر موضوع، رواه إبراهيم بن المنذر الحزامي، عن عيسى هذا» أ هـ. والله تعالى أعلم.

(١) سورة الفرقان، الآيات /٦٨ ـ ٧٠، وتمامها: ﴿ولا يزنونَ ومَن يَفْعَل ذلك يلْقَ إثاماً، يُضاعَفْ له العذابُ يومَ القيامةِ ويخلُدْ فيه مُهاناً. إلاّ من تابَ وآمنَ وعمِلَ عملاً صالحاً فأولئك يُبَدِّلُ اللهُ سيِّئاتِهم حسناتٍ، وكان اللهُ غفوراً رحيماً﴾.

(٢) هو ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، يقال: إنه كان يخدم النبي ـ ﷺ ـ. أنظر الإصابة ٢٠١/١ ـ ٢٠٢.

(٣) كذا في المطبوعة: أبو عبدالله بن محمد بن أحمد بن النقور ولعل الصواب: أبو عبدالله محمد بن أحمد النَّقَوي. وهو شيخ روى عنه جماعة، أنظر اللباب ٣٢٣/٣ وهذه النسبة إلى نَقَو، قال في اللباب؛ وظنّي أنها من قُرَى صنعاء اليمن» أ هـ.

محمد بن العَلاَّف، أنا أبو القاسم بن بِشْرَان، أنا أحمد بن إبراهيم الكِنْدي[1]، أنا أبو بكر محمد بن جعفر السَّامَرِّيّ[2]، قال: حدثني أحمد بن جعفر بن محمد، ثنا إبراهيم بن علي الأُطْرُوش[3]، ثنا سُلَيْم بن منصور بن عمّار، قال: حدثني أبي، عن المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري[4]، قال:

---

(١) الكِندي: ابكسر أولها، وسكون النون، وكسر الدال المهملة هذه النسبة إلى كِندَة، وهي قبيلة كبيرة مشهورة من اليمن. كذا في اللباب ٣/١١٥.

(٢) السَّامَرِّيّ؛ بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم وفي آخرها راء مشدّدة، هذه النسبة إلى مدينة: سُرَّ مَنْ رأى، بالعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخففها الناس وقالوا: سامرّا، بناها المعتصم، وخربت عن قريب عن عمارتها ينسب إليها جماعة، كذا في اللباب ٢/٩٤.

(٣) الأُطْرُوش: بضم الألف، وسكون الطاء المهملة، وضم الراء، وفي آخرها الشين المعجمة، هذا يقال لمن بأذنه أدنى صمم. اللباب ١/٧٣.

(٤) هذا إسناد ضعيف عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ فيه:

١ ـ سُليم بن منصور بن عمّار، قال في ميزان الإعتدال ٢/٢٣٢: «قال ابن أبي حاتم، قلت لأبي: أهل بغداد يتكلمون فيه، فقال: مه، سألت ابن أبي الثلج عنه، فقلت: يقولون كتب عن ابن علية وهو صغير؟ قال: لا» أ هـ. وانظر لسان الميزان ٣/١١٢.

٢ ـ منصور بن عمّار ـ والدسليم ـ، قال في ميزان الإعتدال ٤/١٨٧ ـ ١٨٨: «زاهد شهير، وإليه كان المنتهى في بلاغة الوعظ، وترقيق القلوب، وتحريك الهِمم، وعظ ببغداد والشام ومصر، وبَعُد صيته، واشتهر اسمه.

قال أبو حاتم: ليس بالقوي.

وقال ابن عديّ: منكر الحديث.

وقال القيلي: فيه تَجَهُّم.

وقال الدارقطني: يروي عن ضعفاء أحاديث لا يُتابع عليها.

... ثم قال الذهبي: وساق له ابن عديّ أحاديث تدلّ على أنه واهٍ في الحديث» أ هـ.

٣ ـ المنكدر بن محمد بن المنكدر: ليّن الحديث، كما في التقريب ٢/٢٧٧.

وقال في ميزان الإعتدال ٤/١٩٠ ـ ١٩١: «اختلف اجتهاد يحيى وأحمد في تضعيفه وتَقْويته.

وقال أبو حاتم: كان رجلاً صالحاً كثير الخطأ.

وقال النسائي: ضعيف.

وقال ابن حبّان: قَطَعَتْه العبادة عن مراعاة الحفظ.

وقال أبو زرعة: ليس بقويّ، وكذا قال النسائي في مكان آخر» أ هـ.

وإلى تضعيف هذه الرواية ذهب ابن منده والحافظ ابن حجر، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٢٠١ ـ ٢٠٢. بعدما عزى هذه القصة لابن شاهين ولأبي نعيم من جهة سُليم بن منصور، قال: «قال ابن منده بعد أن رواه مختصراً: تفرّد به منصور.

قلت ـ أي ابن حجر ـ: وفيه ضعف، وشيخه ـ أي والده ـ أضعف منه، وفي السياق ما يدلّ على وَهن الخبر، لأن نزول: ﴿ما ودّعك ربّك وما قلَى﴾ كان قبل الهجرة بلا خلاف» أ هـ.

أسلم فتى من الأنصار يقال له: ثعلبة بن عبد الرحمن. قال: وكان يخدم النبي - ﷺ - ويخفّ له. وإن رسول الله - ﷺ - بعثه في حاجة له، فمرّ بباب رجل من الأنصار، فرأى امرأة من الأنصار تغتسل. وخاف أن ينزل الوحي على رسول الله - ﷺ - بما صنع، فخرج هارباً على وجهه.

فأتى جبالاً بين مكة والمدينة فوَلجها.

ففقدَهُ النبيّ - ﷺ - أربعين يوماً[1]. وإن جبريل - عليه السّلام - نزل على النبيّ - ﷺ - فقال: يا محمد! إن ربّك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إنّ رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوّذ بي. فقال النبي - ﷺ -: يا عمر، ويا سلمان! انطلقا فأتياني بثعلبة بن عبد الرحمن.

فخرجا من أنقاب المدينة فلقيا راعياً من رعاة المدينة، يقال له: ذفافة. فقال له عمر: هل لك علم بشاب بين هذه الجبال، يقال له: ثعلبة؟ قال: لعلك تريد الهارب من جهنّم. فقال له: وما علمك بأنه هارب من جهنم؟ قال: لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال، واضعاً يده على أمّ رأسه، وهو ينادي: يا ليتكَ قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجرّدْني لفصل القضاء. فقال عمر: إياه نريد. فانطلق بهما.

فلما كان في جوف الليل خرج عليهم من بين تلك الجبال، واضعاً يده على أمّ رأسه، وهو ينادي: يا ليتَك قبضت روحي في الأرواح، وجسدي في الأجساد، ولم تجرّدني لفصل القضاء.

قال: فغدا عليه عمر فاحتضنه. فقال: يا عمر! هل علم رسول الله - ﷺ - بذنبي؟ قال: لا علم لي، إلاّ أنه ذَكرَكَ بالأمس، فأرسلني وسلمان في طلبك.

قال: يا عمر! لا تدخلني عليه إلاّ وهو في الصلاة. فابتدر عمر وسلمان الصفّ. فلما سمع ثعلبةُ قراءةَ النبيّ - ﷺ - خرّ مغشياً عليه.

فلما سلّم النبيّ - ﷺ - قال: «يا عمر! يا سلمان! ما فعل ثعلبة؟» قالا: ها هوذا، يا رسول الله! فقام النبيّ - ﷺ - فحركه فانتبه.

فقال له رسول الله - ﷺ -: «ما غيّبك عني؟» قال: ذنبي، يا رسول الله. قال:

---

(١) عند أبي شاهين وأبن نعيم، زيادة: وهي الأيّام التي قالوا: ودّعه ربه وقلاه، كذا في الإصابة ٢٠١/١.

«أفلا أدلّك على آية تمحو الذنوب والخطايا؟» قال: بلى، يا رسول الله. قال: «قل: ﴿رَبَّنا آتِنَا في الدُّنيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حسنةً وَقِنَا عذَابَ النّارِ﴾[1]».

قال: ذنبي، يا رسول الله، أعظم. قال: «بل كلام الله أعظم». ثمّ أمره بالإنصراف إلى منزله.

فمرض ثمانية أيام، ثم إن سلمان أتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله! هل لك في ثعلبة، فإنه لما به قد هلك. فقال رسول الله - ﷺ -: «قوموا بنا إليه».

فدخل عليه فأخذ رأسه فوضعه في حِجْره، فأزَال رأسَهُ عن حِجْر رسول الله ﷺ. فقال له: «لِمَ أزلت رأسك عن حِجْري؟» قال: لأنه ملآن من الذنوب. قال: «ما تشتكي؟» قال: مثل دبيب النّمل بين عظمي ولحمي وجلدي. قال: «ما تشتهي؟» قال: مغفرة ربي.

قال: فنزل جبريل - عليه السلام، فقال: يا محمد! إنّ ربك يقرئك السَّلام، ويقول لك: لو أن عبدي هذا لقيني بقراب الأرض[2] خطيئة، لقيته بقرابها مغفرة. قال: فأعلمه النبيّ - ﷺ -. قال. فصاح صيحةً فمات.

٤٦ - [توبة عمرو بن مالك الرُّؤاسي رضي الله عنه][3]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا محمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحَضْرَميّ، ثنا سفيان بن وكيع، حدّثني أبي، عن جدّي، عن طارق، عن عمرو بن مالك الرّؤاسيّ، عن أبيه[4]:

---

(١) سورة البقرة، آية رقم /٢٠١.

(٢) أي: ما يقارب ملأها.

(٣) هو عمرو بن مالك بن قيس بن بُجَيْد بن رؤاس الرؤاسي، العامري، الكلابي، وفَدَ هو وأبوه مالك على النبيّ - ﷺ - فأسلما أنظر الإصابة ٣/٣١٣ و ٣٣٣ وانظر الإستيعاب ٣/٣٦٥.

(٤) هذا إسناد فيه خطأ، أخطأ فيه سفيان بن وكيع، فجعل القصة عن مالك الرؤاسي، وإنما حصلت مع عمرو بن مالك.

وبيان ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/١٤ بعدما عزا هذه القصة للبغوي والطبراني وأبي نعيم من طرق عن عثمان بن أبي شيبة، عن وكيع، عن أبيه، عن شيخ يقال له: طارق، عن عمرو بن مالك الرؤاسي قال: أتيت النبي - ﷺ - فقلت: يا رسول الله أرضَ عني.. القصة.

قال الحافظ: «وأخرجه البزار في مسنده عن إبراهيم بن زياد الصائغ عن وكيع هكذا، وقال: لا يصلح روى عمرو بن مالك إلا هذا الحديث».

قال أبو موسى: رواه غير واحد هكذا عن وكيع.

وخالفهم سفيان بن وكيع، فرواه عن أبيه، عن جده، عن طارق، عن عمرو بن مالك، عن أبيه. =

أنه أغار هو وقوم من بني كلاب على قوم من بني أسد، فقتلوا فيهم وعَبَثُوا بالنّساء.

فبلغ ذلك النبيّ - ﷺ - فدعا عليهم ولعنهم.

فبلغ ذلك مالكاً فغلَّ يده، ثمّ أتى النبيّ - ﷺ -، فقال: يا رسول الله! إرضَ عنّي رضي الله عنك. فأعرض عنه النبيّ - ﷺ. ثمّ دار إليه، فقال: إرضَ عنّي رضي الله عنك. فأعرض عنه. ثمّ أتاه الثالثة، فقال: إرضَ عنّي رضي الله عنك، فوالله إنَّ الربَّ لَيُتَرَضَّى فَيَرْضَى.

فأقبل عليه النبيّ - ﷺ - فقال: تبتَ ممَّا صنعتَ واستغفرت الله؟ قال: نعم. قال: «اللّهمَّ! تُبْ عليه وارضَ عنه».

٤٧ - [توبة غنيّ مِنْ أَغنِياء الصّحابة]

أخبرنا الإمام أبو الحسن المقرىء، أنا أبو طالب اليوسُفِيّ، أنا أبو عليّ التميميّ، أنا أبو بكر القَطِيعيّ، ثنا عبد الله، قال: حدَّثني أبي، ثنا يزيد، أنا أبو الأشهب[1]، قال: حدَّثني سعيد بن أيمن - مولى كعب بن سور -[2]، قال:

بينما رسول الله - ﷺ - يحدّث أصحابه، إذ جاء رجل من الفقراء، فجلس إلى جنب

= قلت: - أي ابن حجر -: سفيان بن وكيع ضعيف في أبيه وغيره، وقد خبط في السند. فزاد فيه: عن جده، وزاد بعده: عن أبيه.

ورواية عبد الرحمن بن مطرف وهو من الثقات، تشهد لرواية عثمان بن أبي شيبة وهو من الحفاظ» أ هـ.

ورواية عبد الرحمن بن مطرّف التي أشار إليها كان قد ذكرها ٣/١٣. فقال. «أخرج ابن أبي عاصم في الوحدان، وابن أبي خيثمة في التاريخ، وابن السكن عنه، جميعاً عن عبد الرحمن بن مطرف، قال: حدثنا ابن عمّي وكيع بن الجراح عن حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي، عن نافع جدّ علقمة، قال: كنت في القوم فأتى عمرو بن مالك الرؤاسي إلى النبي - ﷺ -، ثم رجع إلى قومه فدعاهم، فأبوا أن يجيبوه حتى يدركوا بثأرهم من بني عقيل... وفيه ذكر قتل عمرو لربيعة بن المنتفق. ثم مجيئه إلى رسول الله - ﷺ - وقد غلّ يديه نادماً تائباً» أ هـ.

فهذا الإسناد يشهد لذلك بأن القصة حدثت مع عمرو بن مالك الرؤاسي، وليس مع أبيه، كما قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -.

(١) هو: جعفر بن حيّان السعدي أبو الأشهب العطاردي، البصري، مشهور بكنيته، ثقة، مات سنة خمس وستين ومائة، وله خمس وتسعون سنة، التقريب ١/١٣٠، وانظر التهذيب ٢/٨٨.

(٢) هذا إسناد مرسل فسعيد بن أيمن تابعي ولم يدرك القصة.

وسعيد بن أيمن هذا ذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/١/٤٥٥ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وكذلك ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤/٢ - ٣ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً. وذكره ابن حبان في الثقات ٤/٢٧٧.

رجل من الأغنياء. فكأنه قبضَ من ثيابه عنه.

وتغيَّر رسول الله ـ ﷺ. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا فلان! أخشيتَ أن يعدوَ غناك عليه، أو أن يعدوَ فقرُهُ عليك؟ قال: يا رسول الله! وشر الغنى؟.

قال: نعم، إنَّ غناك يدعوك إلى النّار وإنَّ فقره يدعوه إلى الجنَّة.

قال: فما ينجِّيني منه؟ قال: تُواسيهِ منه. قال: إذاً أفْعلِ. فقال الآخر: لا أَرْبَ لي فيه. قال: فاستغفِر لأخيك وادعُ له.

٤٨ ـ [توبة أبي سفيان بن الحارث رضي الله عنه][1]

أخبرنا سعد الله بن نجا، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنا الحسن بن عليّ الجَوْهَرِيّ، أنا أبو عمر بن حيوَيه، أنا عبد الوهاب بن أبي حيّة، أنا محمد بن شجاع البَلْخيّ، ثنا محمد بن عمر الوَاقِدِي، حدَّثني سعيد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن سابط وغيره[2]، قال:

كان أبو سفيان بن الحارث: أخا رسول الله ـ ﷺ ـ من الرّضاعة، أرضعته حليمة، وكان يَأْلَفُ رسولَ الله ـ ﷺ ـ، وكان له تِرْباً[3].

فلمّا بُعث رسول الله ـ ﷺ ـ عاداه عداوةً لم يعادِ أحدً قطّ مثلها، وهجا رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه. فمكث عشرين سنة عدوّاً لرسول الله ـ ﷺ ـ يهجو المسلمين ويهجونه؛ ولا يتخلّف عن موضع تسيرُ فيه قريش لقتال رسول الله ـ ﷺ.

ثمَّ إنَّ الله ألقى في قلبِه الإسلام.

---

(١) هو: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، ابن عمّ رسول الله ـ ﷺ ـ، وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما حليمة السعدّية.
وكان قبل اسلامه ممن يؤذي النبي ـ ﷺ ـ ويهجوه ويؤذي المسلمين، وأسلم في الفتح، لقي النبي ـ ﷺ ـ وهو متوجه إلى مكة فأسلم، شهد حنيناً فكان ممن ثبت مع النبي ـ ﷺ.
وتوفي رضي الله عنه سنة خمس عشرة في خلافة عمر، فصلّى عليه، ويقال: سنة عشرين، ذكره الدراقطني في كتاب الإخوة،
أنظر الإصابة ٤/٩٠ ـ ٩١، والإستيعاب ٤/٨٣ ـ ٨٥.

(٢) وهذا إسناد ضعيف جداً، فيه: محمد بن عمر الواقدي: متروك مع سعة علمه، كما في التقريب ١٩٤/٢.
وعبد الرحمن بن سابط، تابعي ثقة، كما في التقريب ١/٤٨٠ فلم يدرك القصة، فالحديث مرسل، ولبعضه شواهد.

(٣) التِرب: ـ بكسر التاء ـ اللدة والسنّ، ومن ولد معك، أنظر مختار الصحاح ص ١٧.

قال أبو سفيان: فقلت: من أصحب ومع من أكون؟ قد ضرب الإسلام بِجُرَانه[1]. فجئت زوجتي وولدي، فقلت: تهيئوا للخروج، فقد أظلَّ قدومُ محمد. قالوا: قد آنَ لك أن تبصر أنّ العرب والعجم قد تبعت محمداً، وأنت مُوضعٌ[2] في عداوته، وكنتَ أولَى الناس بنصره.

فقلت لغلامي مَذْكُور[3]: عجّلْ بأَبْعِرَةٍ وفرس. قال: ثمّ سرنا حتى نزلنا: الأَبْوَاء[4]. وقد نَزَلَت مقدمة رسول الله - ﷺ - : الأَبْواء، فتنكّرتُ وخِفت أن أُقتَل. وكان رسول الله - ﷺ - قد نذرَ دمي.

فخرجت على قدميَّ نحواً من مِيل، وأقبلَ الناسُ رَسَلاً رَسَلاً[5]، فتنحَّيْتُ فَرَقاً[6] من أصحابه.

فلمّا طلع في موكبه تصدَّيتُ له تلقاء وجهه، فلمّا ملأ عينيه منّي أعرض عني بوجهه إلى الناحية الأخرى، فتحوّلت إلى ناحية وجهه الأخرى، فأعرض عني مِراراً، فأخذني ما قرُب وما بعُد؛ وقلت: أنا مقتول قبل أن أصل إليه! وأتذكّر برّه ورُحمه، فيمسك ذلك منّي، وقد كنتُ لا أشكّ أنّ رسول الله - ﷺ - وأصحابه سيفرحون بإسلامي فرحاً شديداً، لقرابتي برسول الله - ﷺ - ، فلمّا رأى المسلمون إعراض رسول الله - ﷺ - عنّي أعرضوا عنّي جميعاً، فلقيَني ابن أبي قحافة[7] معرضاً عني، ونظرتُ إلى عمر يُغْري بي رجلاً من الأنصار، فقال لي: يا عدوّ الله! أنت الذي كنت تؤذي رسول الله - ﷺ - وتؤذي أصحابه، قد بلغتَ مشارق الأرض ومغاربها في عداوته. فرددت بعض الردّ عن نفسي، واستطال عليّ ورفع صوته، حتى جعلني في مثل الحرجة من الناس يُسرّون بما يفعل بي.

قال: فدخلت على عمّي العبّاس، فقلت: يا عمِّ! قد كنت أرجو أن يفرح رسول الله - ﷺ - بإسلامي لقرابتي وشرفي، وقد كان منه ما رأيتَ، فكلِّمه فيَّ ليرضى عني.

---

(١) أي: قد انتشر، وذاع صيته، أنظر أساس البلاغة ص ١٥،

(٢) أي: خاسر في عداوته قال في مختار الصحاح ص ٢٨١: «أَوْضِع - على مالم يسمّ فاعله - : أي خَسِر» أ هـ.

(٣) هو اسم الغلام.

(٤) بلد بين مكة والمدينة.

(٥) أي: جماعة بعد جماعة، أنظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٦) أي: خوفاً.

(٧) هو أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - ، واسمه عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر التيمي القرشي.

قال: لا والله لا أكلّمه كلمةً أبداً بعد الذي رأيتُ، إلاّ أن أرى وجهاً. إني أُجلّ رسول الله - ﷺ - وأهابه».

فقلت: يا عمِّ! إلى من تكلني؟ قال: هو ذاك.

قال: فلقيتُ علياً، فكلّمتُه، فقال لي مثل ذلك.

فرجعت إلى العبّاس، فقلت: يا عمِّ! فكِفَّ عنّي الرجل الذي يشتمني. قال: صفه لي. فقلت: هو رجلٌ آدَمُ، شديد الأَدَمَة[1]، قصيرٌ دَحْدَاح[2]، بين عينيه شحّة[3]. قال: ذاك نُعَيْمان بن الحارث النّجاري[4]. فأرسل إليه، فقال: يا نُعَيمان! إنّ أبا سفيان ابن عمِّ رسول الله - ﷺ - وابن أخي، وإن يكن رسول الله - ﷺ - ساخطاً عليه فسيرضى عنه، فكُفَّ عنه. فبعْدَ لأيٍ ما[5] كفَّ. وقال: لا أَعْرُضُ له[6].

قال أبو سفيان: فخرجتُ فجلستُ على باب منزل رسول الله - ﷺ - حتى راح إلى الجُحفة[7] وهو لا يكلّمني ولا أحدٌ من المسلمين. وجعلت لا ينزل منزلاً إلا أنا على بابه ومعي ابني جعفر قائم. فلا يراني إلا أعرض عنّي.

فخرجتُ على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة، وأنا في خيله التي تلازمه حتى نزل الأبطح[8]، فدنَوْت من باب قُبّته، فنظر إليّ نظراً هو ألين من ذلك النّظر الأول، ورجوت أن يتبسّم.

ودخل عليه نساء بني عبد المطلب ودخَلَتْ معهنّ زوجتي، فرقّقتْه عليّ.

وخرج إلى المسجد وأنا بين يَدَيْه لا أفارقه على حال، حتى خرج إلى هوازن،

---

(١) أي: أَسْمَرُ شديد السُّمرة، مختار الصحاح ص ٣٩٤.

(٢) الدّحداح: الممتلىء البطن، والمقصود هنا: أنه قصير مربوع، أي: ليس بالرفيع ولا بالثخين، بل متوسط، والله أعلم.

(٣) هكذا في المطبوعة: شحّة، ولم أجد من شرحهما، ولعلها شجّة بالجيم.

(٤) هو النعيمان بن عمرو بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، له صحبة، مات في زمن معاوية، الإصابة ٣/٥٤٠.

(٥) اللأي: الشدّة، والجهد، والمشقة، أنظر مختار الصحاح ص ٥٣٨، والمقصود: فبعد جهد ومشقّة طويلة، كفّ عن ذلك.

(٦) أي: لا أتعرّض له.

(٧) هي موضع بين مكة والمدينة، وهي ميقات أهل الشام، وكان اسمها مهيعة، فأجحف - أي فذهب - السيل بأهلها، فسميت جحفة، مختار الصحاح ص ٢٨٦.

(٨) الأبطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى - أي صغارها - والجمع الأباطح، والبطاح، ومنه بطحاء مكة، مختار الصحاح ص ٦٩.

فخرجت معه، وقد جمعت العرب جَمْعاً لم تجمع مثله قطّ، وخرجوا بالنّساء والذريّة والماشية. فلما لقيتُهم، قلتُ: اليوم يرى أثري إن شاء الله.

فلمّا لقيناهم حملوا الحملة التي ذكر الله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[1]. وثبتَ رسول الله - ﷺ - على بغلته الشهباء، وجرّد سيفه؛ فاقتحمت عن فرسي وبيدي السيف صَلْتاً[2] قد كسرتُ جفنه[3]، والله يعلم أنّي أريد الموتَ دونه، وهو ينظر إليّ.

وأخذ العباس بلجام البغلة، فأخذت بالجانب الآخر. فقال: من هذا؟. فقال العباس: أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث، فارضَ عنه أي رسول الله؛ قال: قد فعلت، فغفرَ الله لهُ كلّ عداوة عادانيها. فأقبل رجله في الرِّكاب، ثمّ التفت إليّ، فقال: أخي لعمْري.

ثمّ أمر العباس فقال: نادِ يا أصحاب سورة (البقرة)، يا أصحاب السَّمُرة[4]، يا للمهاجرين، يا للأنصار، يا للخزرج؛ فأجابوا: لبَّيك داعيَ الله.

وكرّوا كرّة رجل واحد، قد حطّموا الجُفُون، وشرَّعوا الرِّماح، وخَفَضوا عوالي الأسنَّة[5]، وأرْقَلوا إرْقَال الفحول[6].

فرأيتُني وإني لأخاف على رسول الله - ﷺ - شروع رماحهم، حتّى أحدقوا برسول الله - ﷺ - وقال لي رسول الله - ﷺ -: «تقدّمْ فضارب القوم، فحملت حملة أزلتُهم عن موضعهم، وتبعني رسول الله - ﷺ - قُدُماً في نُحُور القوم، ما يألو ما تقدّم. فما قامت لهم قائمة حتى طردتُهم قَدْرَ فَرْسَخ[7]، وتفرّقوا في كلّ وجه.

---

(١) سورة التوبة، آية رقم /٢٦.

(٢) أي: مُجرّداً، قد أبرزته للقتال. أساس البلاغة ص ٢٥٧.

(٣) أي: غُمْدَه، مختار الصحاح ص ٤٤٥.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٥١: «السمُرة - بضمّ الميم -: من شجر الصلح، والجمع سَمُر» أهـ. والمقصود هنا مناداة من بايع تحت الشجرة، وهي بيعة الرضوان.

(٥) الأسنّة: جمع سنان، وهو نصل الرمح، مختار الصحاح ص ٤٥٦.

(٦) أي: أسرعوا إسراع الفحول، أساس البلاغة ص ١٧٤.

(٧) الفرسخ، ثلاثة أميال، والميل: ألف باع، وهو في اللغة: منتهى مدّ البصر، والباع: أربعة أذرع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعاً، والأصبع: أربع شعيرات بطن لبطن، والشعيرة: ست شعرات من ذيل بغل.

ولقد قال بعضهم في ذلك شعراً:

إن البريدَ من الفراسخ أربعُ ولفرسخٍ فثلاثُ أميالٍ ضعوا
والميلُ ألفٌ أي: من الباعات قل، والباعُ: أربعُ أذرعٍ فتتبع =

ورُوي عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ [1]، قال: لقد رأيت النبيّ ـ ﷺ ـ يومئذٍ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث، فأتيته حتى أخذت بحَكَمة[2] بغلته، وكنتُ رجلاً صَيِّتاً، فقال رسول الله ـ ﷺ: يا عباس! اصرخ: يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرة؛.

فناديتُ: يا معشرَ الأنصار، يا أصحابَ السَّمُرة. قال: فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا لبّيك! يا لبّيك!.

ورُوي أنهم عطفُوا عَطْفَةَ البقر على أولادها، قد شرَعوا الرِّماح، حتَّى إنّي لأخافُ

= ثم الذّراع من الأصابع أربعٌ ... من بعدها العشرونَ، ثمَّ الأصبعُ
ستّ شعيراتٍ فَظَهْرُ شعيرةٍ ... منها إلى بطنٍ لأخرَى توضَعُ
ثم الشُّعَيرةُ ستّ شعراتٍ فقط ... من ذيل بغلٍ ليس عن ذا مرجِعُ
نقلاً عن هامش المطبوعة.

(1) روى قول العباس ـ رضي الله عنه ـ هذا:
مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب(٢٨) غزوة حُنَين، حديث رقم (١٧٧٥) ٣/١٣٩٨ ـ ١٤٠٠، بلفظ: شهدت مع رسول الله ـ ﷺ ـ يوم حُنَين، فَلَزِمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، رسولَ الله ـ ﷺ ـ. فلم نفارقه، ورسول الله ـ ﷺ ـ على بغلة له بيضاء، أهداها له فَرْوَة بن نُفاثة الجذامي، فلّما التقى المسلمون والكفّار، ولّى المسلمون مدبرين فطفِقَ رسول الله ـ ﷺ ـ يركض بغلته قِبَل الكفار..
قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ـ ﷺ ـ، أكُفُّها، إرادة أن لا تُسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ـ ﷺ ـ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: أي عباس، نادِ أصحاب السَّمُرة. فقال عباس ـ وكان، رجلاً صيِّتاً ـ: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السَّمُرَة؟ قال: فوَ الله لكأن عَطْفَتَهُم حين سمعوا صوتي، عَطْفَةُ البقر على أولادها. فقالوا: يا لبَّيك، يا لبَّيك.
قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار، يقولونه: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قُصِرت الدعوت على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج.
فنظر رسول الله ـ ﷺ ـ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: هذا حين حَمِي الوَطِيس. قال: ثم أخذ رسول الله ـ ﷺ ـ حصيات فرمَى بهنّ وجوه الكفار ثم قال: انهزَموا وربِّ محمد.
قال: فذهبتُ أنظرُ فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلاّ أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً ـ أي: قوّتهم ضعيفة ـ وأمرهم مُدْبراً.
وفي رواية، قال: وكأني أنظُر إلى النبيّ ـ ﷺ ـ يركضُ خلفهم على بغلته.
ورواه أيضاً النسائي في كتاب السير، من سننه الكبرى، باب (٥١) رمِي الحصى في وجوه القوم.
(2) أي بلجام بغلته، كما في رواية مسلم.

على رسول الله - ﷺ - رماحهم، أشدَّ من خوفي رماح المشركين، يَؤُمُّون[1] الصوت، ويقولون: يا لبَّيك! يا لبّيك!

قال: والتفتَ رسول الله - ﷺ - يومئذ إلى أبي سفيان بن الحارث، وهو مقنَّع بالحديد، وهو آخذ بثغر بغلة النبيّ - ﷺ - ، قال: مَن هذا؟ قال: ابن أمِّك يا رسول الله. ويُقال: إنه قال: أخوك، فداك أبي وأمي، أبو سفيان بن الحارث[2].

فقال رسول الله ﷺ : نعم أخي، ناولني حصًى من الأرض، فناوله[3]، فرمى بها في وجوه القوم وقال: شَاهَتِ الوجوه[4]، فمرّت كأنها عَنَانَة[5]، فدخلتْ في أعينهم كلهم فانهزموا.

وذكر ابن عبد البرّ بإسناده عن عائشة - رضي الله عنها - ، قالت: مرّ علينا أبو سفيان بن الحارث، فقال لي رسول الله - ﷺ - : هلمّي يا عائشة، حتى أُريك ابن عمّي الشاعر الذي كان يهجوني، أوّل من يدخل المسجد وآخر من يخرج منه، لا يجاوز طرفه شِرَاك نعله.

ورُوي أنه كان لا يرفعُ رأسه إلى النبيّ - ﷺ - حياءً منه[6].

وقال عند موته: لا تبكوا عليّ، فما تَنَطَّفْتُ بخطيئة[7] منذ أسلمت[8].

وبكى على النبي - ﷺ - كثيراً ورثاه، فقال[9]:

أرِقْتُ وباتَ[10] ليلي لا يزول ... وليلُ أخي المُصيبة فيهِ طُولُ

---

(1) أي: يقصدون.

(2) من قوله: والتفت رسول الله - ﷺ - يؤمئذٍ إلى أبي سفيان. . إلى هنا، ليس في رواية مسلم، كما تقدم.

(3) في رواية مسلم أن النبّي - ﷺ - هو الذي أخذ الحصيات. كما تقدم.

(4) أي: قَبُحَت.

(5) أي: سحابة.

(6) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٩١ بصيغة التمريض كما هنا، فقال: «ويُقال: إنه لم يرفع رأسه إلى رسول الله - ﷺ - حياءً منه» أ هـ.

(7) أي: ما تلطخت بخطيئة، أنظر أساس البلاغة ص ٤٦١.

(8) ذكر هذا القول ابن عبد البر في الإستيعاب ٤/٨٤، بصيغة التمريض، فقال: «ويروَى عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: لا تبكوا عليَّ فإني لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمت» أ هـ.

(9) ذكر هذه الأبيات ابن عبد البر في الإستيعاب ٤/٨٤ - ٨٥.

(10) في الإستيعاب ٤/٨٤: فبات.

وأسعدَني[1] البكاءُ وذاك فيما ... أُصيبَ المسلمُونَ به قليلُ
لقدْ عظُمتْ مصيبتُنا وجلَّتْ ... عَشِيَّةَ قيلَ قدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
فأَضْحَت[2] أرضُنا مِمّا عَرَاها ... تكادُ بنا جوانِبُها تميلُ
فَقَدْنا الوَحْيَ والتنزيلَ فينا ... يرُوحُ بهِ ويغدُو جبرئيلُ
وذاك أحقُّ ما سالَتْ عَلَيْه ... نُفوسُ النّاس أو كادَتْ تسيلُ
نبيٌّ كانَ يجلو الشَّكَّ عنّا ... بمَا يوحى إليهِ ومَا يقولُ
وَيهدِينا فلا يخشَى علينا ... ضلالاً والرَّسولُ لَنا دليلُ[3]
أفاطمُ إنْ جزعت فذاكَ عذْرٌ ... وإنْ لَمْ تجزعي فهو[4] السبيلُ
فقبرُ أبيكِ سيِّدُ كلِّ قبرٍ ... وفيهِ سيِّدُ النّاسِ الرَّسُولُ

٤٩ - [توبة عبد الله بن الزِّبَعْرَى رضي الله عنه][5]

وهرب يوم الفتح هُبَيْرة بن أبي وهب المَخْزُومي زوج أم هانيء بنت أبي طالب، وعبد الله بن الزِّبعرى، إلى نجران. وكانا شاعرين يهجَوان المسلمين.

ويقال: إن ابن الزِّبعْرَى أشعر شعراء قريش[6].

فأرسل حسان بن ثابت أبياتاً يريد بها ابن الزِّبعْرَى، أنشدنيها ابن أبي الزناد[7]:

---

(١) في الأستيعاب ٤/٨٤: فأسعدني.

(٢) في الإستيعاب ٤/٨٥: وَأفضحت.

(٣) هذا البيت كما في الإستيعاب ٤/٨٥ هكذا:

ويهدينا فلا نَخشى ضلالاً ... علينا والرّسول لنا دليل

(٤) في الإستيعاب ٤/٨٥: ذاك، بدل: فهو.

(٥) هو عبدالله بن الزِّبعْرَى - بكسر الزاي والموحّدة، وسكون المهملة، بعدها راء مقصورة - بن قيس بن عديّ بن سعد بن سهم القرشي السهميّ، أمه عاتكة بنت عبدالله بن عمرو بن وهب، وكان من أشعر قريش، وكان شديداً على المسلمين، ثم أسلم عام الفتح، بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران، أنظر الإصابة ٢/٣٠٠، والإستيعاب ٢/٣٠٠ - ٣٠٣.

(٦) قال ابن عبد البَرّ في الإستيعاب ٢/٣٠١: «قال محمد بن سلّام: بمكّة شعراء، فأبرعهم شعراً عبدالله بن الزبعري.

قال الزبير: كذلك يقول رواة قريش إنه كان أشعرهم في الجاهلية، وأما ما سقط إلينا من شعره وشعر ضرار بن الخطاب، فضرار عندي أشعر منه، وأقلّ سقطاً» أ هـ.

وأنظر الإصابة ٢/٣٠٠.

(٧) كذا هنا، أنه أرسل أبياتاً إلى ابن الزبعري، وهو كذلك في الإصابة ٢/٣٠٠، أن حسّان قال في ذلك أبياتاً، وذكر منها البيت الأول، لكن قال ابن عبد البَرّ في الإستيعاب ٢/٣٠١: «رماه حسّان ببيت واحد فما زاده عليه، فذكر البيت الأول» أ هـ. =

لَا تَـعْـدَ مـنْ رَجُـلاً أحـلَّكَ بُـغْـضُـهُ　　نـجـرَانَ فـي عَـيْشٍ أحَـذَّ[1] لئـيـمِ
بُلِيَتْ قنـاتُـكَ في الـحُـرُوبِ فـأُلفِيَتْ　　خـمَّـانـةً[2] جـوفـاءَ ذاتَ وُصُـومِ[3]
غـضِبَ الإلَـهُ عـلى الـزِّبعْـرَى وابنِـه　　وعـذابُ سـوءٍ فـي الـحـيـاةِ مُـقِـيـمِ

فلما جاءه شعر حسّان تهيأ للخروج. فقال له هُبَيْرة: أين تريد يا ابن عمي؟ قال: أردت والله محمداً. قال: أتريد أن تتَّبعه؟ قال: إي والله. قال هُبَيْرة: يا ليت أنّي رافقت غيرك! والله ما ظننتُ أنك تتبع محمداً أبداً؟.

قال ابن الزِّبعرَى: فعلى أيّ شيء تقيم مع بني الحارث ابن كعب ـ وأترك ابن عمّي وخير النّاس وأبرَّه ـ ومع قومي وداري؟.

فانحدر ابن الزِّبعرى حتى جاء رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه. فلما نظر رسول الله ـ ﷺ ـ إليه قال: هذا ابن الزِّبعَرى، ومعه وجهٌ فيه نور الإسلام. فلما وقف على رسول الله ـ ﷺ ـ قال: السَّلام عليك يا رسول الله! شهدتُ أن لا إله إلّا الله وأنك عبدُه ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد عاديتُك وأَجْلَبْت عليك[4]، وركبت البعير والفرس ومشيت على قدميَّ في عداوتك، ثم هربت منك إلى نَجْران وأنا أريد أن لا أقرب الإسلام أبداً؛ ثم أرادني الله منه بخير، وألقاه في قلبي وحببه إليّ، وذكرتُ ما كنتُ فيه من الضلالة، واتّباع ما لا ينفع ذا عقل، من حَجَرٍ يُعبد ويُذْبَح له، لا يدري من يعبدَه ومن لا يعبدَه.

قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي هداك للإسلام، إن الإسلام يَجُبّ ما كان قبله».

وقال ابن الزِّبعرى حين أسلم[5]:

مـنـعَ الـرُّقـادَ بـلابـلٌ وهـمـومُ　　والـلـيـلُ مُـعْـتَـلِجُ الـرِّواقِ بَـهـيـمُ[6]

= وكذا ذكر ابن هشام في سيرته، الروض الأُنفُ ٤/١٠٥ حيث قال: «رمَى حسّان ابن الزّبعرى ـ وهو بنجران ـ ببيت واحد ما زاده عليه، فذكره» أهـ. والله تعالى أعلم.

(١) أَحَذُّ: قليل خفيف.
(٢) خمّانة: رخوة رديئة.
(٣) الوصوم: العيوب.
(٤) أي: جمعتُ النّاس عليك.
(٥) ذكر هذا الشعر بتمامه ابن هشام في السيرة النبوية (الروض الأُنف) ٤/١٠٥ ـ ١٠٦، وابن عبد البَرّ في الأستيعاب ٢/٣٠٢ ـ ٣٠٣. إلى قوله: وبرهان الأله عظيم وذكر الحافظ ابن حجر بعضها في الإصابة ٢/٣٠٠ من قوله: إنّي لمعتذر إليك.. إلى: ومخطىء هذه محروم.
(٦) قال السهيلي في (الروض الأنف) ٤/١١٦: «الإعتلاج: شدّة وقوّة، والبهيم: الذي ليس فيه لونٌ يخالط لونه» أهـ.

مـمَّـا أتـانـي أنَّ أحـمـدَ لامـنـي ... فـيـهِ فـبـتُّ كـأنـنـي مـحـمـومُ

يـا خـيـرَ مَنْ حَـمَلَتْ على أوصالهـا ... عَـيْـرَانـةٌ سـرُحُ الـيـديـنِ غَـشـومُ[1]

إنـي لَـمـعـتـذرٌ إلـيـكَ مِـنَ الَّـذي ... أسـديتُ[2] إذْ أنـا في الضَّـلالِ أهيـمُ

أيـامَ تـأمُـرُنـي بـأغـوَى خُـطَّةٍ ... سَـهْـمٌ، وتـأمـرنـي بـهـا مـخـزومُ

وأمـدُّ أسـبـابَ الـردى ويـقـودنـي ... أمـرُ الـغُـواةِ وأمـرُهـم مـشـؤمُ[3]

فـالـيـومَ آمَنَ بـالـنـبـي مـحـمـدٍ ... قـلـبـي ومـخـطـئُ هـذه مـحـرومُ

مَـضَتِ العـدَاوةُ وانقضَتْ أسبـابُهـا ... ودعـتْ أواصـرُ بـيـنـنـا وحُـلومُ[4]

فـاغفرْ[5] فـدًى لـكَ والـديَّ كـلاهـمـا ... زَلَـلي[6] فـإنَّـك راحـمٌ مـرحـومُ

وعليكَ منْ علم[7] المَلِيك عـلامـةٌ ... نـورٌ أغـرُّ وخـاتَـمٌ مـخـتـومُ

أعـطاكَ بـعـد مـحـبـةٍ بُـرْهَـانَـهُ ... شـرفـاً وبـرهـانُ الإلـهِ عـظـيـمُ

ولـقـدْ شـهـدتُ بـأنّ ديـنـكَ صـادقٌ ... حـقٌّ وأنّـكَ فـي الـعـبـادِ جـسـيـمُ

والله يـشـهـدُ أن أحـمـدَ مـصـطـفـىً ... مـتـقـبَّـلٌ فـي الـصـالـحـاتِ كـريـمُ

قَـرْمٌ تـفـرَّعَ في الـذُّرى مـنْ هـاشِمِ[8] ... فـرْعٌ تـمـكـنَ فـي الـذُّرى وأرومُ[9]

٥٠ - [توبة هَبّار بن الأسود رضي الله عنه][10]

قال الواقديّ[11]: حدّثني واقد بن أبي ياسر، عن يزيد بن رومان، قال: قال الزبير بن

---

(١) قال السهيلي ٤/١١٦: «سرح اليدغشوم. الغشوم: التي لا تروِّعن وجهها، ويروَى: سعوم، وهي: القويّة على السير» أ هـ.

(٢) أسديت: صنعت، وتكلّمت.

(١) هذا البيت زيادة من سيرة ابن هشام (الروض االأُنُف) ٤/١٠٦، والإستيعاب لابن عبد البرّ ٢/٢٠٣. والإصابة لابن حجر ٢/٣٠٠، إلا إن عنده: الهوَى، بدل: الردىَ،

(٤) الأواصر: الروابط، من قرابة، أو رَحم أو غير ذلك والحلوم: العقول.

(٥) في الإستيعاب ٢/٣٠٣: فاعفُ.

(٦) في الإستيعاب ٢/٣٠٣: وارحَمْ.

(٧) في الإستيعاب ٢/٣٠٣: سِمَة.

(٨) في سيرة ابن هشام، هذا الشطر من البيت هكذا:
قرمٌ علا بنيانه من هاشم.

(٩) الأروم: الأصول.

(١٠) هو هبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قَصَيّ القرشي، الأسدي، أمه خافته بنت عامر بن قرظة القشيرية، كان شديد الأذىَ للرسول وللمؤمنين قبل إسلامه، ويقال: إنه نَخَسَ زينب بنت رسول الله ـ ﷺ ـ لما أرسلها زوجها أبو العاص بن الربيع إلى المدينة فأسقطت، ولهذا كان رسول الله ـ ﷺ ـ يأمر بقتله وهدر دمه.
ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ بالجعرّانة، وذلك بعد فتح مكة، أنظر الإصابة ٣/٥٦٥ ـ ٥٦٧.

(١١) هو محمد بن عمر الواقدي: متروك، مع سعة علمه، كما في التقريب ٢/١٩٤.

العوّام: ما رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ ذكر هبّاراً ـ يعني ابن الأسود ـ قطّ إلا تغيّظ عليه، ولا رأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ بعث سريّة قطّ، إلا قال: إن ظفرتم بهبّار فاقطعوا يدَيْه ورجلَيْه، ثمّ اضربوا عنقه. واللهِ لقد كنت أطلبه وأسأل عنه، والله يعلم لو ظفرتُ به قبل أن يأتيَ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ لقتلته. ثم طلع على رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا جالس، فجعل يعتذر إلى رسول الله ـ ﷺ.

وعن جُبَيْر بن مُطْعِم[1]، قال: كنت جالساً مع النبيّ ـ ﷺ ـ في أصحابه في مسجده منصرَفهُ من الجِعْرَانةِ[2]. فطلع هبّار بن الأسود. فلما نظر القوم إليه، قالوا: يا رسول الله! هبّار بن الأسود. قال رسول ﷺ: «قد رأيته».

فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار إليه رسول الله ـ ﷺ ـ: «أن اجلس». فوقف عليه هبَار، فقال: السّلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّك رسول الله، ولقد هربتُ منك في البلاد فأردتُ اللحوق بالأعاجم، ثم ذكرتُ عائِدَتَك وفضلَكَ وبِرَّك وصفحك عمن جهل عليك، وكنّا يا رسول الله أهل شرك، فهدانا الله بك، وأنقذنا بك من الهَلَكة، فاَصْفَح عن جهلي وعمّا كان يبلغك منّي، فإني مُقِرّ بِسَوْأتي، معترف بذنبي.

قال الزُّبير: وقال: فقد كنتُ مُوضِعاً في سبِّك وأذاك، وكنتُ مَخْذُولاً، وقد بصَّرني الله وهداني للإسلام.

قال الزبير: فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وإنّه لَيُطَأْطِىء رأسه ممّا يعتذر هبّار. وجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «قد عَفَوْت عنك، والإسلام يَجُبّ ما كان قبله».

وكان لَسِناً[3]. وكان ـ يعني بعد ذلك ـ يُسَبّ حتى يُبلغ منه، فلا ينتصف. فبلغ رسول الله ـ ﷺ ـ حُلْمَه وما يحمل عليه من الأذى، فقال: «يا هبَّار! سبّ من سبّك»[4].

---

(١) وهذه القصة مروّية من طريق الواقدي، كما ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.
(٢) هي موقع فيه ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب.
(٣) أي: سبّاباً، كما في رواية ابن أبي نَجيح، ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣.
(٤) ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥٦٦/٣ عن ابن أبي نَجيح مرسلاً، وعن ابن شهاب الزهري مرسلاً، وذكره أيضاً عن الزبير ـ كما هنا ـ فيرتقي الحديث، والسبب في إباحته ﷺ السبّ له، أنه كان رجلاً سباباً، فعندما أسلم امتنع وانتهى عن السبّ، ولكن كان البعض لا يتورّع عن سبّه لما كان منه قبل إسلامه، فسمح له رسول الله ـ ﷺ ـ بالردّ عليهم، فانتهوا عن ذلك، والله أعلم.

٥١ - [توبة عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه][1]

وذكر سعيد بن يحيى الأمويّ، حدّثني أبي، ثنا الأعمش، عن أبي إسحاق السَّبيعي[2]، قال:

لما دخل النبيّ - ﷺ - مكة، قال عكرمة: والله لا أسكن أرضاً أرى فيها قاتلٍ أبي الحكم[3]؛ فانطلق يركب البحر. وعمد خَتَنه أبو امرأته فأمر زوجته فتعصبت. ثمّ تلقّته، فقالت: أين تذهب يا سيد فتيان قريش؟ تذهب إلى أرض لا تُعْرَف بها؟ فأبَى أن يطيعها.

وعن عبد الله بن الزُّبير، قال:

لما كان يوم الفتح أسلمت هند بنت عتبة، وأسلمت أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام امرأة عكرمة، في عشرة نسوة من قريش. فأتينَ رسولِ الله - ﷺ - وهو بالأبطح فبايعنه. فدخلن عليه، وعنده: زوجتاه وابنته فاطمة، ونساء من نساء بني عبد المطلب. فتكلمت هند بنت عتبة، فقالت: يا رسول الله! الحمد لله الذي أظهر الدِّين الذي اختار لنفسه لتَمَسَّني رحمكَ، يا محمد! إنّي امرأة مؤمنة بالله مصدّقة. ثم كشفت عن نقابها، فقالت: هند بنت عتبة.

فقال رسول الله - ﷺ -: «مرحباً بك».

فقالت: والله، يا رسول الله، ما كان على الأرضِ أهل خباءٍ أحبَّ إليّ أن يذلُّوا من خبائك، ولقد أصبحتُ وما على الأرض من أهل خباءٍ أحبَّ إليّ أن يعزُّوا من خبائك.

فقال رسول الله ﷺ: «وزيادة أيضاً». ثم قرأ رسول الله - ﷺ عليهنّ القرآن وبايعهنّ[4].

ثم قالت أمّ حكيم امرأة عكرمة: يا رسول الله! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن،

---

(١) هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي، كان كأبيه من أشدّ الناس على رسول الله - ﷺ -، ثم أسلم عكرمة عام الفتح، وخرج إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردّة، ووجّهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعمان فظهر عليهم، ثم إلى اليمن، ثم رجع فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد، وذكر الطبري أن النبيّ - ﷺ - استعمله على صدقات هوازن عام وفاته، وأنه قتل بأجنادين، وكذا قال الجمهور. وقيل غير ذلك أنظر الإصابة ٢/٤٨٩ - ٤٩٠. والإستيعاب ٣/١٤٨ - ١٥١.

(٢) هذا إسناد فيه إرسال، أبو إسحاق السبيعي، واسمه عمرو بن عبدالله، تابعي ثقة، التقريب ٢/٧٣، فلم يدرك القصة.

(٣) أبو الحكم، هو أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي، كان من أشدّ الناس عداوة لرسول الله - ﷺ -، قُتل في غزوة بدر الكبرى.

(٤) أنظر في توبة هند ومن معها من النساء ومبايعتهنّ النبيّ - ﷺ - الروض الأُنُف ٤/١١٤.

وخاف أن تقتله فأمَّنه. فقال رسول الله ﷺ: هو آمنٌ.

فخرجت أمّ حكيم في طلبه، فأدركته وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تِهامة. فجعل نوتيّ السفينة[1] يقول له: أخلص. قال: أيّ شيء أقول؟ قال: قل: لا إله إلا الله. قال عكرمة: ما هربتُ إلاّ من هذا.

فجاءت أمّ حكيم على هذا من الأمر، فجعلت تقول: يا ابن عمٍ! جئتك من عند أفضل النّاس وأبرّ الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك؛ وقالت: إني قد استأمنت لك رسول الله - ﷺ - . قال: أنتِ فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فأمَّنك. فرجع معها.

قال: وجعل عكرمة يطلب امرأته ليجامعها، فتأبَى عليه، وتقول: إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول: إنّ أمراً منعك مني لأمرٌ كبير.

فلمَّا رأى النبيّ - ﷺ - عكرمة وثبَ إليه، وما على النبيّ - ﷺ - رداء، فرحاً بعكرمة[2]. ثمّ جلس رسول الله - ﷺ - فوقف عكرمة بين يديه ومعه امرأتهُ متنقِّبة. ثمّ قال عكرمة: فإنّي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله. فسُرّ بذلك رسول الله - ﷺ - ثمّ قال: يا رسول الله! علِّمني خير شيء أقوله. فقال: «تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله».

فقال عكرمة: ثمّ ماذا؟ قال رسول الله - ﷺ - : «تقول: أُشْهِد الله وأُشهِد من حضر أنِّي مسلم مهاجر». فقال عكرمة ذلك.

فقال رسول الله ﷺ: «لا تسألني اليوم شيئاً أعطيه أحداً إلا أعطيتكه». فقال عكرمة: فإني أسألك أن تستغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو مسيرٍ أوضعتُ فيه، أو مقامٍ لقيتك فيه، أو كلام قلته في وجهك، أو أنت غائب عنه. فقال رسول الله - ﷺ: «اللهم اغفر له كلّ عداوة عادانيها، وكل مسير سار فيه إليَّ مُوضِعاً يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كلّ ما نال منّي من عرضي في وجهي أو وأنا غائب عنه.

فقال عكرمة: رضيت يا رسول الله! أما والله، يا رسول الله، لا أدعُ نفقة كنتُ أُنْفِقُها في صدٍّ عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالٍ كنت أقاتل في صدٍّ عن

---

(١) نوتِيّ السفينة: ملاّحها.

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/٤٩٠: «له - أي لعكرمة - عند الترمذي حديث، من طريق مصعب بن سعد، عنه، قال: قال النبي - ﷺ - يوم جئته: مرحباً مرحباً بالراكب المهاجر، وهو منقطع لأن مصعباً لم يدركه» أ هـ.

(٢) روى قصة إسلام عكرمة، الدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، وغيرهم، أنظر الإصابة ٢/٤٩٠.

سبيل الله إلا أَبْلَيْت ضعفه في سبيل الله. ثمّ أَجْتَهِد في القتال حتى أُقْتَل.

قال: فما زال يقاتل في سبيل الله حتى قُتِل رحمه الله[١].

ورُوي[١] أنه لمَّا كان يوم اليرموك تـرَجّل عكـرمة، فقـال له خـالد[٢]: لا تفعـل، فإنّ مصابك على المسلمين شديد. فقال: دعني يا خـالد، فـإنه كـانت لك سـابقة مـع رسول الله - ﷺ - . ثمّ قاتل قتالاً شديداً حتى قُتِل، فوجد به بضعٌ وسبعون من بين طعنة وضـربة ورمية.

وقال عبد الله بن مصعب: استشهد يوم اليرموك الحارث بن هشام، وعكـرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمـرو. فأُتـوا بماءٍ وهُمْ صَـرْعى، فتدافعـوه. كلما دُفـع إلى رجل منهم قال: إسْقِ فلاناً، حتى ماتوا ولم يشربوه.

قال: طلب الماء عكرمة، فنظر إلى سُهَيل ينـظر إليه، فقـال: إدفعه إليـه، فنظر إلى الحارث يَنْظُرُ إليه، فقال: إدفعه إليه. فلم يصل إليه، حتى ماتوا، رحمة الله عليهم[٣].

٥٢ - [توبة سُهَيْل بن عمرو[٤]، والحارث بن هشام رضي الله عنهما[٥]]

ويُـرْوَى عن الحسن[٦]، قـال: حضـر النّـاسُ بـاب عمـر بن الخـطاب - رضي الله

---

(١) رُوي: بصيغة التحريض، وذلك لان عكرمة توفى في أجنادين في خلافة أبي بكر كما عليه الجمهور، وليس في معركة اليرموك.

(٢) هو الصحابيّ الجليل: خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي، سيف الله المسلول - رضي الله تعالى عنه - .

(٣) ذكر هذه القصة ابن عبد البرّ في الإستيعاب ٣/ ١٥٠ - ١٥١، ثم قـال: قال محمـد بن سعد: ذكـرتُ هذا الحديث لمحمد بن عمر، فأنكره وقال: هذا وهم، روينا عن أصحابنا من أهل العلم والسيرة أن عكرمة بن أبي جهل قتل يوم أجنادين شهيداً في خلافة أبي بكر، لا خلاف بينهم في ذلك» أ هـ.

(٤) هـو سهل بن عمـرو بن عبد شمس القـرشي العامـري، خـطيب قـريش، أبـو زيـد، سكن مكـة، ثم المدينة، ثم نزل الشام وهو الذي تـولّى أمر الصلح بـالحديبيـة، وكلامـه ومراجعتـه للنبيّ - ﷺ - في ذلك في الصحيحين وغيرهما، مات - رضي الله عنه - بالطاعون سنة ثمان عشـرة في الشام، ويقـال: قتل باليرموك، وقـال خليفة: بمـرج الصفر، والأول أكثـر. أنظر الإصـابة ٢/ ٩٢ - ٩٣، والإستيعـاب ٢/ ١٠٧ - ١١١.

(٥) هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القـرشي، أبو عبـد الرحمن، أخـو أبي جهل، وابن عمّ خالد بن الوليد، وأمه فاطمـة بنت الوليـد بن المغيرة، كـان شريفـاً في الجاهليـة والإسلام، شهد بدراً وأُحداً مع المشركين حتى أسلم يوم فتـح مكة، ثم حسن إسـلامه، وكـان من المؤلّفة. ثم خرج بأهله وماله إلى الشام مجاهداً حتى مات شهيداً بطاعون عمواس، وقال المدائني: استشهد يوم اليرموك، وكذا ذكره ابن سعد عن حبيب بن أبي ثابت.
أنظر الإصابة ١/ ٢٩٣ - ٢٩٤، والإستيعاب ١/ ٣٠٧ - ٣١١.

(٦) هـو البصري، وقـد ذكر هـذه القصة ابن عبـد البَـرّفي الإستيعـاب ٢/ ١٠٩ - ١١٠ فقـال: وروى ابن=

عنه ـ وفيهم سُهَيل بن عمرو، وأبو سفيان بن الحارث، وأولئك الشيوخ. فخرج آذنه، فجعل يأذن لأهل بدرٍ لصهيب وبلال وأهل بدر، وكان يحبّهم وكان قد أوصَى بهم.

فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم، إنه ليؤْذَنُ لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يُلتفت إلينا.

فقال سُهَيل ـ قال الحسن: ويا له من رجل ما كان أعقله ـ: أيها القوم! قد أرَى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غِضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دُعي القوم ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، أما والله لَما سبقوكم به من الفضل أشدُّ عليكم فوْتاً من بابكم هذ الذي تتنافسون عليه، أيها القوم! إنّ هؤلاء قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل لكم إلى ما سبقوكم إليه، فانظروا هذا الجهاد فالزموه عسى أن يرزقكم الله الشهادة. ثمّ نفض ثوبه فقام، فلحق بالشّام.

وخرج بأهله إلا بنته هنداً. فماتوا كلهم إلا هنداً، وفاخِتَةَ بنت عُتْبَة بن سهيل. وقتل سهيل شهيداً باليرموك.

فقُدِم بفاختة على عمر. ـ وكان الحارث بن هشام خرج بأهله فلم يرجع منهم إلا ولده عبد الرحمن ـ. فقال عمر: زوِّجوا الشريدَ الشريدةَ[1].

وأقطعهما عمر بالمدينة خِطّة[2] وأوسع لهما. فقيل له: أكثرت لهما. فقال: عسى الله أن ينشر منهما ولداً كثيراً رجالاً ونساءً. فوُلِد لهما: أبو بكر وعمر وعثمان وعكرمة وخالد ومخلد.

فأبو بكر أحد الفقهاء السبعة، فقهاء المدينة، وكان يُدْعَى: راهب قريش.

وروَى ابن المبارك[3]، عن الأسود بن شيبان، عن [أبي] نوفل بن أبي عقرب[4]،

= المبارك، قال: أنبأنا جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: حضر الناس.. فذكره وذكر ـ أيضاً ـ قصة أخرى أنظرها ٢/١١٠.

(١) ذكر قصة تزويج عمرُ عبد الرحمنَ من فاختة، ابن عبد البرّفي الإستيعاب ٢/١١٠ ـ ١١١ في ترجمة سهيل بن عمرو، وابن حجر في الإصابة ١/٢٩٣ في ترجمة الحارث بن هشام.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٢٤٤: «الخِطة ـ بالكسر ـ: الأرض التي يخطها الرجل لنفسه، وهو أن يعلّم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها ليبنيها داراً، ومنه خِطط الكوفة والبصرة» أ هـ.

(٣) ذكر هذه القصة بتمامها عن ابن المبارك، ابن عبد البرّ في الإستيعاب ١/٣١٠، وأشار اليها الحافظ ابن حجر في الإصابة ١/٢٩٣.

(٤) في المطبوعة: عن نوفل بن أبي عقرب، وهو خطأ، والتصويب من الإستيعاب ١/٣١٠، وهو أبو نوفل بن أبي عقرب الكناني، القريجي، اسمه: مسلم، وقيل: عمرو بن مسلم، وقيل: معاوية بن =

قال: خرج الحارث بن هشام من مكة، فجزع أهل مكة جَزَعاً شديداً. فلم يبقَ أحد يُطْعم الطعام إلا خرج معه يشيِّعه، حتى إذا كان بأعلَى البطحاء، أو حيث شاء الله من ذلك، وقف ووقف النّاس. فقال: يا أيها الناس! إنّي والله ما خرجت رغبةً بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيارَ بلدٍ على بلدكم، ولكن كان هذا الأمر[1]، فخرَجَتْ فيه رجال من قريش[2]؛ والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتها، فأصبحنا واللهِ ولو أنّ جبال مكة ذهباً أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا في الدنيا لَنَلْتمسَّ أن نشاركهم في الآخرة، فاتقى الله امرؤٌ[3]. فتوجَّه إلى الشام واتّبعهُ ثَقَلُهُ[4]، فيُقال: إنه قُتِل يوم اليرموك رحمه الله.

٥٣ ـ [توبة الأنصار رضي الله عنهم]

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور، قال: أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد اليوسُفي، أنا أبو علي بن المذهب، أنا أبو بكر القَطِيعي، ثنا عبد الله بن أحمد، ثنا أبي، ثنا عَارِم، ثنا معتمر بن سُليمان، قال: سمعت أبي يقول: ثنا السُّمَيْط السَّدوسي[5]، عن أنس بن مالك، قال:

فتحنا مكّة ثُمّ إنّا غزونا حُنَيْناً، فجاء المشركون بأحسن صفوف رُئيتْ أو رأيتُ. قال: فلم نلبث أن انكشفتْ خيلُنا وفرّت الأعراب ومن نعلم من النّاس.

قال: فنادى رسول الله ـ ﷺ ـ : «يا للمهاجرين! يا للمهاجرين! يا لَلأنصار! يا لَلأنصار!» قال: قلنا: لبيك، يا رسول الله.

قال: فتقدّم رسول الله ﷺ. قال: وايمُ الله ما أتيناهم حتى هزمهم الله.

قال: فقبضنا ذلك المال. قال: فنزلنا، فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يعطي الرجلَ المائةَ، ويعطي الرجل [المائة][6].

= مسلم، تابعيّ ثقة، التقريب ٢/٤٨٢.

(١) يعني: الإسلام.

(٢) يعني: أسلمت وهاجرت.

(٣) في الإستيعاب ١/٣١٠: فاتقى الله امرؤٌ فَعَل.

(٤) أي: أهله، وفي الإستيعاب ١/٣١٠ بعدها: فأصيب شهيداً ـ رحمه الله ـ.

(٥) هو: سُمَيْط بن عُمَيْر، ويقال: سمير، السدوسي البصري، أبو عبدالله، تابعي، التقريب ١/٣٣٤.
وهذا الحديث رواه عنه مسلم في صحيحه، والنسائي في كتاب السير من سننه الكبرى، كما في التحفة ١/٢٣٦
والحديث متفق عليه من غير طريقه، وسيأتي تخريجه آخر الحديث.

(٦) ما بين القوسين زيادة من مسند أحمد ٣/١٥٧، وانظر ما سيأتي في تخريج هذا الحديث للأهمية.

قال: فتحدَّثت الأَنصار بينها: أمَّا من قاتله فيعطيه، وأمَّا من لم يقاتله فلا يعطيه.
قال: فَرُفِع الحديث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، فأمر بسُرَاة المهاجرين[1] والأنصار أن يدخلوا عليه، ثمّ قال: «لا يدخلنّ عليّ إلا أنصاري». قال: فدخلنا حتى ملأنا القُبّة.

فقال نبيّ الله ﷺ: «يا معشر الأنصار! ما حديثٌ أتاني؟» قالوا: ما أتاك يا رسول الله؟ قال: «ألا ترضَوْن أن يذهب النّاس بالأموال، وتذهبون برسول الله حتى تدخلوه بيوتكم؟» قالوا: رضينا يا رسول الله. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لو أخذ النّاس شِعْباً وأخذت الأنصار شِعْباً لأخذت شِعْبَ الأنصار[2]» قالوا: رضينا يا رسول الله[3].

---

(١) بسراة المهاجرين، أي: ذوي اليَسَار منهم، أي: الأغنياء.
(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/٥٢: «قوله: شِعْب الأنصار، بكسر الشين المعجمة، وهو اسم لما انفرج بين جبلين، وقيل: الطريق في الجبل، وأراد ـ ﷺ ـ بهذا... التنبيه على جزيل ما حصل لهم من ثواب النصرة، والقناعة بالله ورسوله عن الدنيا، ومَنْ هذا وَصْفه فحقّه أن يُسلك طريقه، ويتبع حاله» أهـ.
(٣) للحديث طرق عن أنس، فرواه من طريق السَّمِيط بن عمير:
أحمد في المسند ٣/١٥٧ ـ ١٥٨ وفيه زيادات واختلاف عن هذا اللفظ لم أنبّه عليها لكثرتها، فأنظر المسند.
ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، وتصبّر مَن قوي إيمانه، حديث الكتاب رقم (١٣٦) ٢/٧٣٦ ـ ٧٣٧.
والنسائي في كتاب السير، من سننه الكبرى، كما في تحفة الأشراف ١/٢٣٦.
ـ ورواه من طريق الزهري، عن أنس به نحوه:
البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي ـ ﷺ ـ يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٧) ٦/٢٥٠ ـ ٢٥١.
وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) حديث رقم (٤٣٣١) ٨/٥٢ ـ ٥٣.
وفي كتاب اللباس، باب (٤٢) القبة الحمراء من أَدَم، حديث رقم (٥٨٦٠) ١٠/٣١٣، ببعضه: أرسل النبي ـ ﷺ ـ إلى الأنصار وجمعهم في قبّة من أَدَم.
وفي كتاب التوحيد، باب (٢٤) قول الله تعالى: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضِرة إلى ربِّها ناظرة﴾، حديث رقم (٧٤٤١) ١٣/٤٢٣ ببعضه: أن رسول الله ـ ﷺ ـ أرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة، وقال لهم: اصبروا حتى تلقَوا الله ورسوله، فإني على الحوض.
ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم (١٠٥٩)، حديث الكتاب رقم (١٣٢) ٢/٧٣٣ ـ ٧٣٤.
والنسائي في كتاب المناقب، وفي كتاب التفسير من سننه الكبرى، كما في التحفة ١/٣٨٣.
ـ ورواه في قتادة عن أنس به:
البخاري في كتاب فرض الخمس، باب (١٩) ما كان النبي ـ ﷺ ـ يُعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من فرض الخمس ونحوه، حديث رقم (٣١٤٦) ٦/٢٥٠ ببعضه: إني أعطي قريشاً أتألّفهم، لأنهم =

وروى هذا الحديث محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص، قال: حدّثني أبو سلمة بن عبد الرحمن وغيره[1]، قال: بلغ النبيّ - ﷺ - أن الأنصار قد قالت[2].

= حديثُ عهد بجاهلية.

وفي كتاب المناقب، باب (١٤) ابن أخت القوم منهم، ومولى القوم منهم حديث رقم (٣٥٢٨) ٥٥٢/٦ ببعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦)، حديث رقم (٤٣٣٤) ٥٣/٨ ببعضه.

وفي كتاب الفرائض، باب (٢٤) مولى القوم من أنفسهم، وابن الأخت منهم، حديث رقم (٦٧٦٢) ٤٨/١٢، ببعضه: ابن أخت القوم منهم، أو من أنفسهم.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم. . ، حديث الكتاب رقم (١٣٣) ٧٢٥/٢ مختصراً.

والترمذي في كتاب المناقب، باب (٦٦) في فضل الأنصار وقريش، حديث رقم (٣٩٠١) ٧١٢/٥ - ٧١٣ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٧٢/٣ - ٢٧٥.

- ورواه من طريق أبي التيَّاح يزيد بن حُمَيد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (١) مناقب الأنصار، حديث رقم (٣٧٧٨) ١١٠/٧ مختصراً.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٢) ٥٣/٨ ببعضه.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٤) ٧٣٥/٢ مختصراً.

وأحمد في المسند ١٦٩/٣ - ٢٤٩.

- ورواه من طريق هشام بن زيد، عن أنس به:

البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب (٨) قول النبي - ﷺ - للأنصار: اصبروا حتى تَلْقوني على الحوض حديث رقم (٣٧٩٢) ١١٧/٧ ببعضه.

وفي كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٣ و ٤٣٣٧) ٥٣/٨ - ٥٤ مختصراً.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) إعطاء المؤلفة قلوبهم، حديث الكتاب رقم (١٣٥) ٧٣٥/٢ - ٧٣٦ وأحمد في المسند ٢٨٠/٣.

- ورواه من طريق حميد عن أنس:

أحمد في المسند ١٨٨/٣ - ٢٠١.

- ورواه من طريق ثابت، عن أنس:

أحمد في المسند ٢٤٦/٣.

(١) هذا إسناد فيه إرسال، فأبو سلمة بن عبد الرحمن تابعي ولم يدرك القصة.

لكن الحديث رواه موصولاً من طريق عبّاد بن تميم، عن عبدالله بن زيد بن عاصم:

البخاري في كتاب المغازي، باب (٥٦) غزوة الطائف، حديث رقم (٤٣٣٠) ٤٧/٨، بلفظ: لما أفاء الله على رسول الله - ﷺ - يوم حُنَين قسم في الناس المؤلفة قلوبهم، ولم يُعْطِ الأنصار شيئاً، =

قال: فدخلوا عليه، فقال لهم: ألم أجدكم ضُلَّالاً فهداكم الله بي؟ قالوا: بلى. قال: ألم أجدكم عَالَة فأغناكم الله بي؟ قالوا: بلى. قال: ألم أجدكم أعداءً فألَّف الله بين قلوبكم بي؟ قالوا: بلى.

قال: أما إنّكم لو شِئْتُم قُلْتُم فصَدَقْتُم: جئتنا طريداً فآويناك. قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ. قال: ولو شئتم قلتم: قد جئتنا مخذولاً فنصرناك. قالوا: الله ورسوله امنّ. قال: ولو شئتم قلتم: جئتنا عائلاً فآسيناك، قالوا: الله ورسوله امنّ.

قال: أفلا ترضون أن ينقلب الناس بالشاة والبعير، وتنقلبون برسول الله إلى رحالكم؟ قالوا: بلى، رضينا. قال: ولو أنّ النّاس سلكوا وادياً أو شِعْباً لسلكتُ واديَ الأنصار وشِعْبَهم، ولولا الهجرة لكنتُ امرءاً من الأنصار، الناس دثار والأنصار شعار.

٥٤ ـ [توبة أبي محجن الثقفي رضي الله عنه][1]

أخبرنا الرئيس العالم الأديب أبو العزّ محمد بن محمد بن مواهب بن الخراساني[2]،

= فكأنهم وجدوا إذ لم يُصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم، فقال: يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرِّقين فألَّفكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟ كلمّا قال شيئاً، قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ـ ﷺ ـ؟ قال: كلّما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، ألا ترضَوْن أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنّبي ـ ﷺ ـ إلى رحلكم؟.

لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس وادياً وشِعْباً لسلكت واديَ الأنصار وشِعْبَها الأنصار شعار، والناس دثار. إنكم ستَلْقَوْنَ بعدي أثَرَة فاصبروا حتى تَلْقَوْني على الحوض.

وفي كتاب التمنّي، باب (٩) ما يجوز في اللو، حديث رقم (٧٢٤٥) ١٣/٢٢٥ ببعضه من آخره.

ومسلم في كتاب الزكاة، باب (٤٦) أعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم (١٠٦١). حديث الكتاب رقم (١٣٩)، ٢/٧٣٨ ـ ٧٣٩.

(٢) أي: تكلّمت في أمر القسمة.

---

(١) هو أبو مِحْجَن الثَّقَفِيّ، الشاعر المشهور، مختلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حبيب، وقيل: اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد، وقيل: اسمه مالك، وقيل: اسمه عبدالله، وأمه كنود بنت عبدالله بن عبد شمس، قال أبو أحمد الحاكم، له صحبة، أسلم يوم أسلمت ثقيف، وكان من الشجعان الأبطال في الجاهلية والإسلام، من أولي البأس والنجدة، ومن الفرسان البهم، وكان شاعراً مطبوعاً كريماً.

قيل: إنه مات بأذربيجان، وقيل: بجرجان. أنظر الإصابة ٤/١٧٣ ـ ١٧٥. والإستيعاب ٤/١٨١ ـ ١٨٧.

(٢) هو محمد بن محمد بن مواهب بن البغدادي، المعروف بابن الخراساني، أديب، شاعر، كاتب، نحوي، عروضي سمع من ابن نبهان وغيره، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولد سنة =

قال: أنا أبو غالب محمد بن بن عبد الواحد القَزّاز[1]، أنا أبو الحسن عليّ بن عمر البَرْمَكي[2] وأبو الحسين بن النّقور، قالا: أنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المُخَلِّص[3]، أنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف، أنا أبو عبيدة السريّ بن يحيى، أنا شعيب بن إبراهيم، قال: أنبأ سيف بن عمر التميمي[4]، عن محمد وطلحة وابن مِخْراق وزياد، قالوا:

لمَّا اشتدّ القتال بالسَّوَاد[5] ـ يعني في القادسية ـ وكان أبو محجن قد حُبِس وقُيِّد فهو

= (٤٩٤) هـ، وتوفي في رمضان سنة (٥٧٦) هـ. من آثاره: ديوان شعر في خمسة عشر مجلداً، ومصنف في العروض.
أنظر ترجمته في شذرات الذهب ٤/٢٥٧ ـ ٢٥٨. وميزان الإعتدال ٤/٣١، ولسان الميزان ٥/٣٧٠ ـ ٣٧١ ومعجم المؤلفين ٦/٣٠٤.

(١) القَزَّاز: بفتح القاف، وتشديد الزاي، وبعد الألف زاي ثانية. هذه النسبة إلى بيع القَزِّ وعمله واشتهر بها كثير. اللباب ٣/٣٣.

(٢) قال في اللباب ١/١٤٢ ـ ١٤٣: «البَرْمكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى اسم وموضع.
أما الإسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن برمك، وفيهم كثرة..
وأما الموضع فالمنتسب إليه: أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي. كان سلفه قديماً يسكنون محلّة ببغداد تعرف بالبرامكة. وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تسمّى البرمكية، فنسبوا إليها.
وأخوه أبو العباس أحمد بن عمر البرمكي..
وأخوهما أبو الحسن ـ وهو الراوي هنا ـ علي بن عمر البرمكي: كان أصغر الثلاثة، وكان يتفقه على مذهب الشافعي على أبي حامد الأسفراييني» أ هـ.

(٣) قال في اللباب ٣/١٨١: «المُخَلِّص: بضم الميم، وفتح الخاء وكسر اللام المشددة، وفي آخرها صاد، هذا يقال لمن يخلّص الذهب من الغش ويفصل بينهما، واشتهر بذلك أبو طاهر ـ وهو الراوي عند المصنف ـ محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا المخلّص، بغدادي مكثر ثقة صالح، سمع أبا بكر بن أبي داود، وأبا القاسم البغوي، وأبا محمد بن صاعد وغيرهم، روى عنه أبو بكر البرقاني، وأبو القاسم الأزهري، وأبو محمد الخلال، وأبو الحسين بن النقور، وخلق كثير، آخرهم الشريف أبو نصر الزينبي.
وكانت ولادته سنة خمس وثلاثمائة. وأول سماعه في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، ومات في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة» أ هـ.

(٤) هو سيف بن عمر التميمي، صاحب كتاب الردّة، ويقال له: الطبي، ويقال غير ذلك، الكوفي، ضعيف في الحديث، عُمْدَة في التاريخ أفحش ابن حبان القول فيه، من صغار تابع التابعين، مات في زمن الرشيد، التقريب ١/٣٤٤.
وهذه الرواية من التاريخ، والله أعلم.

(٥) أي: بأرض السواد، وهي العراق.

في القصر، فأتى سلمَى بنت حفصة امرأة سعد[١]، فقال: يا بنت آل حفصة! هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تُخلين عنّي وتُعِيرينني البَلْقاء[٢]، فلله عليّ إنْ سلّمني الله أن أرجع حتى أضع رجليَّ في قيدي، وإن أُصبت فما أكثرَ من أفلت. فقالت: ما أنا وذاك؟.

فرجع يَرْسُف في قيوده[٣]، ويقول:

كَفَى حُزناً أنْ تُرْدِيَ[٤] الخيلُ بالقَنا ... وأُتركَ مشدُوداً عليَّ وثاقِيا
إذَا قُمْتُ عَنَّاني[٥] الحديدُ وغُلِّقتْ ... مصاريعُ دوني قدْ تَصِمُّ المُنادِيا
وقدْ كنتُ ذَا مالٍ كثيرٍ وإخوَةٍ ... فقدْ تركوني واحداً لا أخَاليَا[٦]
ولِلهِ عهدٌ لا أخيسُ[٧] بعهدِهِ ... لئن فُرِّجت أنْ لا أزورَ الحوانيا[٨]

فقالت سلمى: إني استخرت الله، ورضيت بعهدك. فأطلقته.

فأقتاد الفرس، فأخرجها من باب القصر فركبها، ثمّ دبّ عليها حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر، ثمّ حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين.

ثمّ رجع من خلف المسلمين إلى الميسرة، فكبر على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه.

---

(١) أي: امرأة سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أبو إسحاق، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأوّل من رَمَى بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق، سنة خمس وخمسين على المشهور، وهو آخر العشرة وفاة، التقريب ٢/٢٩٠.

(٢) البلقاء: اسم فرس سعد بن أبي وقّاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) أي: موثوقاً مقيّداً بها، أنظر أساس البلاغة ص ١٦٢.

(٤) في الإصابة ٤/١٧٣ والإستيعاب ٤/١٨٣: تتردى.

(٥) أي: ذَلّني وأخضعني، قال في مختار الصحاح ص ٥٢٩: «عنا: خضع وذل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الوجوه للحيّ القيوم﴾، والعاني: الأسير» أهـ.

(٦) في الإستيعاب ٤/١٨٣ بعد هذا البيت قال:

وقد شقّ جسمي أنني كلّ شارفٍ ... أعالج كبلاً مصمتاً قد برانيا
فلله درّي يوم أترك موثقاً ... ويذهل عنّي أثرتي ورجاليا
حبسنا عن الحرب العوان وقد بَدَت ... وأعمال غيري يوم ذاك العواليا

ثم قال: ولله عهد..

(٧) أي: لا أنقض عهده.

(٨) الحواني: جمع حانية، وهو المكان الذي يُتّخذ للهو وشرب الخمر.
وفي الإستيعاب ٤/١٨٣: الخواليا، والمعنى: لا أزور ولا أذهب إلى ما كنت أذهب إليه في الأيام الخالية السابقة. والله أعلم.

ثم رجع خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس فحمل على القوم يلعب بين الصفَّين برمحه وسلاحه. وكان يقصف الناس لَيْلَتَئِذ قصفاً منكراً، وتعجَّب الناس منه، وهُم لا يعرفونه ولم يروه من النهار.

فقال بعضهم: أوائل أصحاب هاشم، أو هاشم نفسه. وقال بعضهم: إن كان الخَضِر يشهد الحروب فنظن صاحب البلقاء الخَضِر[1]. وقال بعضهم: والله لولا أنّ الملائكة لا تُباشر، لقلت: مَلَكاً بيننا. ولا يذكره النّاس ولا يأبهون لأنه بات في محبسه.

وجعل سعد يقول: والله لولا محبس أبي محجن لقلت: إنّ هذا أبو محجن، وهذه البلقاء.

فلمّا انتصف الليل تحاجز الناس وتراجع المسلمون. وأقبل أبو محجن حتى دخل

---

(١) هذا كلام فيه مقال، إذا أن موضع الخضر لم يكن مطروحاً في عهد الصحابة والتابعين، كما أن كل من ذكر قصة أبي محجن لم يذكر هذا التأويل الباطل، وبيان ذلك ما ذكره ابن القيم.
قال الإمام ابن قيّم الجوزية في المنار المنيف ص ٦٧ - ٧١: «الأحاديث التي يُذْكَرُ فيها الخَضِر وحياته كلها كذب، ولا يصح في حياته حديث واحد.. ثم ذكر بعض تلك الأحاديث.
ثم قال: سُئِل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق؟ فقال: من أحال على غائب لم يُنتصف منه، وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.
وسُئِل البخاري عن الخضر وإلياس، هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا؟! وقد قال النبي - ﷺ - : لا يبقى على رأس مائة سنة ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد. [متفق عليه].
وسُئِل عن ذلك كثير غيرهما من الائمة فقالوا ﴿**وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخُلد أفإن مِتّ فهم الخالدون**﴾.
وسُئِل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، فقال: لو كان الخضِر حياً لوجب عليه أن يأتي النبي - ﷺ - ، ويجاهد بين يديه، ويتعلّم منه، وقد قال النبي - ﷺ - يوم بدر: اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعُبد في الأرض [رواه مسلم بنحوه]، وكانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، معروفين بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم، فأين كان الخضر حينئذ؟.
قال أبو الفرج بن الجوزي: والدليل على أن الخضر ليس بباق في الدنيا أربعة أشياء: القرآن، والسنة، وأجماع المحقّقين من العلماء والمعقول...» أ هـ.
... ثم ذكر بيان ذلك مفصلاً، ليس هاهنا موضع بسطها، ولكن ذكرنا بعض ما جاء في هذا الأمر لبيان الحقّ، ونصحاً للمسلمين.
وكما هو معلوم أن هناك اختلافاً في هذا الأمر، لكن ما ذكرناه هو الراجح في هذه المسألة، وهو الذي عليه أهل التحقيق من العلماء، منهم البخاري، و المحاربي، وعليّ بن موسى الرضا.
والحسين بن المنادي، وأبو يعلي القاضي وابن تيمية، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن القيّم، وغيرهم كثير من كبار العلماء، ويكفي أن الإمام البخاري قال ذلك.
وأنظر في هذه المسألة البداية والنهاية لابن كثير ١/٣٢٥ - ٣٣٧، والإصابة ١/٤٢٨ - ٤٤٨، وعُجالة المنتظر في شرح حال الخضر لابن الجوزي، والمنار المنيف ص ٦٧ - ٧٦.

من حيث خرج، فوضع عن نفسه ودابته وأعاد رجليه في قيديه.

وذكر عبد الرزاق[١] قال: وأخبرنا معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين[٢]، قال: كان أبو محجن الثقفي لا يزال يُجْلَد في الخمر، فلما أكْثَرَ عليهم سجنوه وأوثقوه.

فلما كان يوم القادسية فكأنه رأى أنَّ المُشْرِكين قد أصابوا في المسلمين. فأرسل إلى أمّ ولد سعد، أو امرأة سعد: إن أبا محجن يقول لكِ: إن خلَّيْتِ سبيله وحملتِهِ على هذا الفرس، ودفعتِ إليه سلاحاً، ليكوننّ أوّل من يرجع إليك إلاّ أن يقتل.

وأنشأ يقول:

كفى حزناً أنْ تلتقي الخيلُ بالقنا ... وأُتركَ مشدوداً عليَّ وَثاقِيا
إذا قمتُ عنَّاني الحديدُ وغُلِّقَتْ ... مصاريعُ منْ دوني تصمُّ المناديا

فحلَّت عنه قيوده، وحُمِل على فرس كان في الدَار، وأُعطي سلاحاً.

ثم خرج يركض حتى لحق بالقوم، فجعل لا يزال يحمل على رجل فيقتله ويدقّ صلبه. فنظر إليه سعد فجعل يتعجّب، ويقول: من ذاك الفارس؟.

قال: فلم يلبثوا إلا يسيراً حتى هزمهم الله. ورجع أبو محجن وردّ السِّلاح، وجعل رجلَيْه في القيود كما كان.

فجاء سعد، فقالت له امرأته: كيف كان قتالكم؟ فجعل يخبرها، ويقول: لقينا ولقينا، حتى بعث الله رجلاً على فرس أَبْلَق[٣]، لولا أنّي تركت أبا محجن في القيود لقلت: إنها بعض شمائل[٤] أبي محجن.

فقالت: والله إنه لأبو محجن، كان من أمره كذا وكذا. فقصَّت عليه قصته.

فدعا به، فحلّ قيوده، وقال: لا نجلدك على الخمر أبداً[٥]. قال أبو محجن: وأنا

---

(١) في مصنفه، في كتاب الحدود، باب من جدّ من الصحابة في الخمر، كما في الإستيعاب ٤/١٨٣ - ١٨٤.

(٢) وهذا إسناد صحيح عن ابن سيرين، كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/١٧٤.
وابن سيرين، هو محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة، البصري، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من كبار التابعين، مات سنة عشر ومائة، التقريب ٢/١٦٩.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٣١١: «بلق، البَلَق: سواد وبياض وكذا البُلقة - بالضم -، يقال: فرس أَبْلق، وفرس بلقاء» أ هـ.

(٤) أي: طبائع وخصال أبي محجن، أنظر مختار الصحاح ص ٣٦٨.

(٥) قال في الإصابة ٤/١٧٥: «وأنكر ابن فتحون قول من روى أن سعداً أبطل عنه الحدّ، وقال: لا يُظن هذا بسعد، ثم قال: لكن له وجه حسن، ولم يذكره، وكأنه أراد أن سعداً أراد بقوله لا يجلده في =

والله لا أشربها أبداً، كنت آنَفُ أن أدعها من أجل جَلدكم.

قال: فلم يشربها بعد ذلك[1].

وقيل: قال أبو محجن: قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحد وأُطَهَّر منها، فأمّا إذ بَهْرَجْتَنِي[2]، فوالله لا أشربها أبداً[3].

وكان أبو محجن أسلم حين أسلمت ثقيف[4]. وسمع من النّبيّ - ﷺ - وروى عنه[5]. واسمه مالك، وقيل: عبد الله بن حبيب، وقيل: اسمه كنيته[6].

٥٥ - [توبة طُلَيحة بن خُوَيْلد رضي الله عنه][7]

أخبرنا أبو منصور جعفر بن عبد الله بن الدَّامغاني، أنا أبو الحسين المبارك بن

= الخمر، بشرط أضمره، وهو: أن ثبت عليه أنه شربها، فوفّقه الله أن تاب توبة نصوحاً، فلم يعد إليها كما في بقية القصة» أ هـ.

(١) قال في الإستيعاب ٤/١٨٥: «وروى ابن الأعرابي، عن المفضل الضبّي، قال: قال أبو محجن في تركه الخمر:

رأيت الخمر صالحةً وفيها ... مثالب تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها حياتي ... ولا أشفي بها أبداً سقيما.

وأنشد غيره هذه الأبيات لقيس بن عاصم» أ هـ. والله أعلم.

(٢) أي: هدَرت الحدّ وأبعدته عني. أنظر أساس البلاغة ص ٣٢.

(٣) هذه الرواية ذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/١٧٣ - ١٧٤. وابن عبد البرّ في الإستيعاب ٤/١٨٧ من طريق إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه محمد، فذكر القصة كاملة بنحوها وذكر في آخرها قول أبو محجن هذا.

(٤) ذكر ذلك ابن عبد البرّ في الإستيعاب ٤/١٨١ - ١٨٢.

(٥) روى أبو سعد البقّال عن أبي محجن قال: أشهد على رسول الله - ﷺ - أنه قال: أخاف على أمتي من بعدي ثلاثة: تكذيب بالقدر، وتصديق بالنجوم، وحَيْف الأئمة.

عزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/١٧٣ لأبي أحمد الحاكم، ولأبي نعيم، ثم قال: «وأبو سعد ضعيف، ولم يدرك أبا محجن» أ هـ.

وقال ابن عبد البّر في الإستيعاب ٤/١٨٢: «سمع من النبيّ - ﷺ - وروى عنه..» أ هـ. ثم ذكر الحديث السابق.

(٦) تقدم ذكر ذلك في ترجمته، فانظرها

(٧) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعَيس الأسدي الفقْعَسِيّ، ارتدّ بعد النبي - ﷺ - وادعىَ النبوّة، واجتمع عليه قومه، فخرج إليهم خالد بن الوليد في أصحاب النبي - ﷺ - فانهزم طلحية وأصحابه، وقتل أكثرهم، ثم لحق بالشام، فكان عند بني جفنة حتى قدِم مسلماً مع الحُجاج المدينةَ، وأسلم إسلاماً صحيحاً ولم يُغمص عليه فيه، وشهد القادسية =

عبد الجبار الصَيْرفيّ، أنا أبو منصور بن السَوّاق[1]، أنا أبو القاسم أبراهيم بن أحمد الخَرَقيّ، أنا أبو بكر أحمد بن الحسين بن سفيان، أنا أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح، أنا محمد بن [عمر] الواقديّ[2]، وذَكَر أمر طُليحة بن خويلد حين تنبّأ[3]، وقتاله إلى أن كُسِر عسكره.

قال: فحدّثني موسى بن محمد إبراهيم التميمي، عن أبيه، قال:

لما رأى طُلَيْحة أن النّاس يُقتلون ويؤسرون، أعدّ فرسه وهيأ امرأته عنده، فوثب على فرسه وحمل امرأته فنجَا بها. وقال: من استطاع منكم أن يفعل كما فعلت فليفعل.

ثمّ هرب حتى قدم الشام، فأقام عند بني جفْنة الغسانيّين، حتى فتح الله أجنادين، وتوفي أبو بكر.

فقدم في خلافة عمر مكّةَ محرماً. فلما رآه عمر قال: يا طليحة! لا أحبك بعد قتلك الرجلين الصالحين: عُكاشة[4] وثابت بن أَقْرم[5]، ـ وكان قتلهما هو وأخوه ـ. قال: يا أمير

= ونهاوند مع المسلمين، ويقال: إنه استشهد بنهاوند سنة أحدى وعشرين ـ رضي الله تعالى عنه. أنظر الإصابة ٢/٢٢٦، والإستيعاب ٢/٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(١) قال في اللباب ٢/١٥٢: «السَّوّاق: بفتح السين المهملة وتشديد الواو، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع السَّويق، واشتهر بها جماعة، منهم أبو منصور ـ وهو الراوي هنا ـ محمد بن محمد بن عثمان السوَّاق، بغدادي، روى عنه أبو بكر الخطيب، والأمير أبو نصر بن ماكولا» أ هـ.

(٢) هو متروك مع سعة علمه، كما في التقريب ٢/١٩٤، لكن للقصة طرق أخرى، أنظر الإصابة ٢/٢٢٦.

(٣) أي: أدّعى النبوة.

(٤) هو عكاشة بن محصن رضي الله عنه، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢/٤٨٧ ـ ٤٨٨: «عكاشة: ـ بضم أوله، وتشديد الكاف، وتخفيفها ـ ابن محصن بن حُرْثان بن.. الأسدي، حليف بني شمس، من السابقين الأولين، شهد بدراً، ووقع ذكره في الصحيحين، في حديث ابن عباس، في السبعين ألفاً الذي يدخلون الجنة بغير حساب، فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: أنت منهم، فقام آخر، فقال: سبقك بها عكاشة، وقد ضرب بها المثل، يقال للسبق في الأمر: سبقك بها عكاشة.

.. وقيل: استشهد عكاشة في قتال أهل الردّة، قتله طليحة بن خويلد الذي تنبأ، وقد تقدم أن طليحة عاد إلى الإسلام» أ هـ.

(٥) قال في الإصابة ١/١٩٢: «ثابت بن أَقْرَم بن ثعلبة بن عدي بن العجلان البلوي، حليف الأنصار، ذكره موسى بن عقبة في البدريين... واتفق أهل المغازي على أن ثابت بن أقرم قتل في عهد أبي بكر، قتله طليحة بن خويلد الأسدي، وقال عمر لطليحة بعد أن أسلم: كيف أحبك وقد قتلت الصالحيْنْ عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، فقال طليحة: أكرمهما الله بيدي، ولم يهني بأيديهما، وقد خالف ذلك عروة، فأخرج الطبراني من طريق ابن لهيعة، عن ابن الأسود، عن عروة، قال: =

المؤمنين! رجلان أكرمهما الله بيديّ ولم يهنّي بأيديهما، وما كلّ البيوت بنيت على الحبّ ولكنْ صفحةٌ جميلة، فإنّ الناس يتصافحون على الشّنآن[1].

وأسلم إسلاماً صحيحاً، ولم يُغْمَص[2] عليه في إسلامه.

وقال يعتذرُ ويذكر ما كان منه:

نـدمتُ على مـا كـانَ من قتـلِ ثـابتٍ ... وعُـكَّـاشـةَ الغـنـميّ ثـمَّ ابنِ مَـعْبَـدِ

وأعـظمُ مـنْ هـاتينِ عنـدي مـصيبـةً ... رُجـوعي عنِ الإسـلامِ فِعْـلَ التَّـعَمُّـدِ

وتـرْكـي بـلادي والـحـوادثُ جَـمَّـةٌ ... طَـريـداً وقِـدْمـاً كـنـتُ غـيـرَ مـطـردِ

فـهـل يَقْـبَـلُ الصـدّيقُ أنّي مـراجـعٌ ... ومعطٍ بمـا أحـدَثـتُ منْ حـدثٍ يـدي

وأنـي مـنْ بـعـدِ الضَّـلالـةِ شـاهـدٌ ... شـهـادةَ حقٍّ لسـتُ فـيـهـا بـمُـلْحِـدِ

بـأنَّ إلـهَ الـنَّـاسِ ربـي وأنـنـي ... ذلـيـلٌ وأنَّ الـدِّيـنَ ديـنُ مـحـمَّـدِ

قـال الواقـديّ: وحدّثني محمـد بن يعقوب: أنّ طليحـة خرج غـازياً هـو وأصحابـه يـريدون الـرّوم. فركبـوا البحر، فبينمـا هم مُلَجِّجين[3] فيـه، إذ نـاداهم قـادس[4] من تلك القوادس، فيه ناس من الروم. فقالوا لهم: إن شئتم أن تقفـوا لنا حتى نثب في سفينتكم، وإن شئتم وقفنا لكم حتى تثبوا علينا في سفينتنا.

قال طليحة لأصحابه: مـا يقولـون؟ فأخبـروه. فقال طليحـة: لأضربنكم بسيفي مـا استمسك في يدي أو لتقربنّ سفينتنا إليهم. قال: فدنا القوم بعضهم من بعض.

قال طليحة لأصحابه: اقذفوني في سفينتهم، فرمَوْا بـه في سفينتهم، فغشيهم بسيفه حتى تـطايروا منـه. فغرق من غـرق واستسلم من استسلم. فبلغ ذلـك عمـر بن الخـطاب فأعجبه.

= بعث رسول الله ـ ﷺ ـ سرّية قِبَل الغَمْرة من نجد، أميرهم ثابت بن أقرم، أصيب فيها ثابت بن أقرم، فهذا ظاهر أنه قتل في عهد النبي ـ ﷺ ـ، ويمكن تأويل قوله: أصيب، أي: بجراحة فلم يمت» أهـ قلت: هذا إن ثبتت القصة، فابن لهيعة صدوق، خلّط بعد احتراق كتبه، التقريب ١/٤٤٤، فهو ضعيف من قبل حفظه.

(١) أي: على البغض والعداوة، أي: يتصافحون، رغم ما في قلوبهم من البغض لبعضهم، والله أعلم.

(٢) أي: ولم يُغْمر ويُطعن عليه في إسلامه، أنظر أساس البلاغة ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ومختار الصحاح ص ٢٢٧

(٣) أي: خائضين فيه، قال في مختار الصحاح ص ٦٧: «لججت السفينة تلجيجاً: خاضت اللُّجة» أهـ.

(٤) أي: سفينة.

وذكر سيف بن عمر، عن أبي عمرو، عن أبي عثمان النَّهْديّ[1]، قال: أخرج سعد[2] طليحةَ في خمسة، وعمرو بن معدي كرب في خمسة - يعني عيوناً له -، صَبِيحة قدم رستم الجالينوس وذا الحاجب. فرجع عَمْرو وأصحابه وأصحاب طليحة لما رأوا عدوّهم.

ومضى طليحة حتى دخل عسكر رستم وبات فيه يَجُوسه[3]. فلما أدبر الليل خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر. فإذا فرس لم يرَ في خيل القوم مثله، وفسطاط أبيض لم ير مثله. فانتضى سيفه فقطع مقود الفرس، فركبه وخرج يعدو به.

ونـذَرَ به[4] الرجل والقوم، فركبوا الصعبة والذَّلول في طلبه. فأصبح وقد لحقه فارس. فلما غشيه وبوّأ له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه، فندر الفارسيّ بين يديه. فكّر عليه طليحة فقصم ظهره بالرمح. ثمّ لحقه آخر، ففعل به مثل ذلك. ثمّ لحق به آخر، ففعل به مثل ذلك. فلما كرّ عليه طليحة، عرف أنه قاتله فاستأسر[5]. فأمره طليحة أن يركض بين يديه، ففعل حتى غشيا عسكر المسلمين وهم على تَعْبئة. فأفزع النّاس، وجوّزوه إلى سعد فأخبره بما صنع.

وجيء بالترجمان فأُقيم بين يدَي سعد والفارسي.

فقال الفارسيُّ: أخبركم عن صاحبي هذا قبل أن أخبركم عمّا قِبلي، باشرت الحروب وغشيتها، وسمعت بالأبطال ولقيتها، منذ أنا غلام، إلى أن بلغت ما ترى، فلم أسمع بمثل هذا، أن رجلاً قطع عسكرين لا تجترىء عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما دون ذلك. فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطناب بيته، فأنْذَره وأنذرنا به، فأدركه فارس النّاس يعدل بألف فارس فقتله. ثمّ أدركه الثاني وهو نظيره فقتله. ثمّ أدركته، ولا أظنّني خلفت بعدي من يعدلني، وأنا الثائر بالقتيلين وهما ابنا عمّي، فرأيت الموت فأستأسرت.

ثمّ أخبره عن أهل فارس أنّ الجند عشرون ومائة ألف. وأسلم الرجل.

وعاد طليحة، وقال: والله لا تُغْلبون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح. فكان من أهل البلاء يومئذ.

---

(١) هو عبد الرحمن بن مُلّ - بلام ثقيلة، والميم مثلثة -، أبو عثمان النهدي، مشهور بكنيته، مخضرم، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين، وقيل بعدها، وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر، التقريب ١/٤٩٩.

(٢) أي: سعد بن أبي وقاص، وذلك في القادسية.

(٣) أي: يتخلّله ويطلب ما فيه من أخبار، مختار الصحاح ص ٢٠٢.

(٤) أي: علم به، قال في مختار الصحاح ص ١٨٣: «نذر القوم بالعدو: علموا» أ هـ.

(٥) فاستأثر: أي طلب الأسر.

ذكر التوابين
من
ملوك هذه الأمة

٥٦ - [- توبة ذي الكلاع][1]

ذكر محمد بن أحمد بن البراء في كتاب «الروضة»: أنا محمد بن الرُّصَافي، ثنا سليمان بن معبد، ثنا سَعيد بن عُفير المصريّ، ثنا علوان بن داود، عن رجل من قومه، قال:

بعثني أهلي في الجاهلية إلى ذي الكَلاع بهديّة. فأَقَمْتُ ببابه سنة لا أصِلُ إليه. ثم اطَّلَع اطلاعةً من قصره فلم يبقَ حول قصره أحد إلا خرّ له ساجداً. ثم أمر بهديته فقُبِلت. ثم رأيته في الإسلام، قد اشترى لحماً بدرهم وهو على فرس، قد سَمّط اللحم[2] على فرسه، وهو يقول:

أُفٍّ للدُّنيا إذَا كانتْ كذا ... كلّ يوم أنا منها في أذَى

ولقدْ كنتُ إذا ما قيلَ: منْ ... أنعمُ الناسِ معاشاً؟ قيلَ: ذا

ثمَّ بُدِّلتُ بعيشي شِقوَةً ... حبّذا هذا شقاءً حبّذا

---

(١) ذو الكلاع: لقب لُقِّب به، من التكلُّع، وهو التحالف والتجمع، وذو الكلاع اثنان: ذو الكلاع الأكبر، وذو الكلاع الأصغر، وهو حفيد ذي الكلاع الأكبر، وهو المقصود هنا، واختلف في اسمه اختلافاً كبيراً، وكان يكنّى أبا شر شرحبيل، ويقال أبا شراحبيل، الحميري، اليمني، وكان له سلطة وجاه فيهم، بعث إليه النبي - ﷺ - جابر بن عبدالله فأسلم هو وذو عمرو، وقصة ذلك في صحيح البخاري، ثم أتيا معه إلى النبي - ﷺ - فلما كانوا في بعض الطريق علموا أن النبي - ﷺ - توفي، وأنه استخلف مكانه أبو بكر فعادا وقالا لجابر أنهما سيعودان.

وعادا في زمن عمر - رضي الله عنه - ، قاتل يوم اليرموك، وبقي إلى أيام معاوية، وقاتل معه في صفين، وقتل قبل نهاية الحرب فيها شهيداً - رحمه الله تعالى - .

أنظر الإصابة ١/٤٨٠ - ٤٨١، والإستيعاب ١/٤٧٣ - ٤٧٦ وقال في الإستيعاب ١/٤٧٤: «لا أعلم لذي الكلاع صحبة أكثر من إسلامه واتباعه النبي - ﷺ - في حياته» أ هـ.

قلت: فهو من المُخَضْرَمين، الذين أسلموا في عهد النبي - ﷺ - ولم يلقوه ويصحبوه.

(٢) أي: علّقه. أنظر مختار الصحاح ص ٢٤٧.

وروَى ابن دريد، عن الرَياشي[1]، عن الأَصْمَعي[2]، قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ كاتب ذا الكلاع من ملوك الطوائف على يد جرير بن عبد الله، يدعوه إلى الإسلام، وكان وثب تعلَى أمره حتى ادّعى الربوبية، وأُطيع حتى مات النبيّ ـ ﷺ ـ قبل عودة جرير.

وأقام ذو الكلاع على ما هو عليه إلى أيام عمر، ثم رغب في الإسلام، فوفَد على عمر ومعه ثمانية آلاف عبد، فأسلم على يده، وأعتق من عبيده أربعة آلاف. فقال له عمر: يا ذا الكلاع! بعني ما بقي من عبيدك حتى أُعطيك ثلث أثمانهم ها هنا، وثلثاً باليمن، وثلثاً بالشام. قال: أجّلني يومي هذا أفكر فيما قلت.

ومضى إلى منزله فأعتقهم جميعاً. فلما غدا على عمر، قال له: ما رأيك فيما قلت لك في عبيدك؟ قال: قد اختار الله لي ولهم خيراً مما رأيت. قال: وما هو؟ قال: هم أحرار لوجه الله. قال: قد أصبت والله، يا ذا الكلاع.

قال: يا أمير المؤمنين! لي ذنب ما أظنُّ أنّ الله يغفره لي. قال: وما هو؟ قال: تواريتَ عمَّن يَتَعَبَّد لي، ثم أشرفت عليهم من مكان عالٍ، فسجد لي زُهاء[3] مائةِ ألف إنسان. فقال عمر: التوبة بالإخلاص، والإنابة بالإقلاع، يُرْجَى بهما مع رأفة الله الغفرانُ. قال الله تعالى: ﴿لا تقنطُوا منْ رحمةِ الله﴾[4].

٥٧ ـ [توبة أمير وتاجر]

أخبرنا الشيخ أبو الفرج[5]، أنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد، قال: أنا أبو بكر محمد بن علي الخيَّاط[6]، أنا أحمد بن محمد بن العلاَّف[7]، ثنا الحسين بن صفوان، ثنا

---

(١) هو عباس بن الفرج الرياشيّ، أبو الفضل البصري النحوي، ثقة، استشهد بأيدي الزنج، سنة سبع وخمسين ومائتين. التقريب ١/٣٩٨.

(٢) هو عبد الملك بن قُرَيب بن عبد الملك بن علي بن أصمع، أبو سعيد الباهلي، الأصمعي، البصري، صدوق سنّي، من صغار أتباع التابعين، مات سنة ست عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين، التقريب ١/٥٢١ ـ ٥٢٢.

قلت: فهذا إسناد ضعيف بسبب الإنقطاع، فالأصمعي من صغار أتباع التابعين، فأنّى له أن يدرك القصة؟!.

(٣) أي: نَحْوَ وقدر مائة ألف.

(٤) سورة الزُمر، آية رقم /٥٣.

(٥) أي: ابن الجوزي، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٦) قال في اللباب ١/٤٧٥: «يقال هذا لمن يخيط الثياب.

وهو اسم أيضاً، ونسبة إلى مذهب.

=

أبو بكر القُرَشي، حدّثني محمد بن الحسين، أخبرني أبو عمر العُمَري، حدّثني عبيد الله بن صدقة بن مرداس البَكْرِي، عن أبيه، قال:

نظرت إلى ثلاثة أَقْبُر على شرف من الأرض مما يلي بلاد أنطاكية، فإذا على أحدها مكتوب:

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ هوَ عالمٌ ... بأَنَّ إلهَ الخلقِ لا بدّ سائلُهْ
فيأخذُ منهُ ظلمهُ لعبادهِ ... ويجزيه بالخيرِ الذي هوَ فاعلُهْ

وإذا على القبر الثاني:

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ كانَ موقِناً ... بأَنَّ المنايَا[1] بغتةً ستُعاجلُهْ
فتسلُبهُ مُلكاً عظيماً ونخوَةً[2] ... وتُسكِنُهُ البيتَ الذي هوَ آهلُهْ

وإذا على القبر الثالث إلى جنبهما:

وكيفَ يلذُّ العيشَ مَنْ كان صائراً ... إلى جَدَثٍ[3] تُبلي الشبابَ مناهله[4]
ويذهبُ رسم الوجه من بعد صونه ... سريعاً ويبلى جسمهُ ومفاصلهْ

وإذا هي قبور مسنَّمة على قدرٍ واحد مصطفَّة.

فقلت لشيخ جلست إليه: لقد رأيت في قريتكم عجباً. قال: وما رأيت؟ فقصصت عليه قصة القبور. قال: فحديثهم أعجب مما رأيت على قبورهم.

قال: فقلت: حدّثني.

قال: كانوا ثلاثة إخوة، أمير يصحب السلطان ويؤمر على المدائن والجيوش، وتاجر موسر مطاع في جماعته؛ وزاهد قد تخلّى لنفسه وتفرّد لعبادته.

= أما الاسم فهو: خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري...
وأما المذهب: فالخياطيّة، فرقة من المعتزلة، ينتمون إلى أبي الحسين الخياط أستاذ الكعبي...»
أ هـ.

(٧) قال في اللباب ٢/٣٦٦: «العلاف: لفتح العين، وبعدها لام ألف، ثم فاء، يقال هذا لمن يبيع العلف وجمعه، ولعل بعض أجداد المنتسبين كان يفعل ذلك...» أ هـ.

---

(١) جمع منيّة، وهي الموت.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٥٤٤: «النخوة: الكبر والعظمة، يقال: انتخى فلان علينا، أي: افتخر وتعظّم» أ هـ.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٥٤: «الجَدَث ـ بفتحتين ـ: القبر، وجمعه: اجدُث، وأجداث» أ هـ.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٣٩٠: «المنهل: المورد، وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي، وتسمّى المنازل التي في المفاوز على طرق السفار مناهل...» أ هـ. والثانية هي المقصودة هنا. والله أعلم.

قال: فحضرتْ أخاهم العابدَ الوفاةُ، فاجتمع عنده أخواه. وكان الذي يصحب السلطان منهم قد ولي بلادنا هذه، أمَّره عليها بعد الملك بن مروان، وكان ظالماً غَشُوماً[1] مُتَعَسِّفاً[2]. فاجتمعا عند أخيهما لما احتُضر، فقالا له: أوصِ. قال: لا والله ما لي من مالٍ فأوصي فيه، ولا لي على أحد دَيْن فأوصي به، ولا أُخَلِّف من الدنيا شيئاً فأُسْلَبَه.

فقال له أخوه ذو السلطان: أي أخي! قل لي ما بدا لك، ، فهذا مالي بين يديك، فأوص منه بما أحببت، وأنفذ منه ما بدا لك، واعهد إليّ بما شئت. قال: فسكت عنه.

فقال أخوه التاجر: أي أخي! قد عرفت مكسبي، وكثرة مالي، فلعلّ في قلبك غصّة من الخير لم تكن تبلغها إلا بالإنفاق فيها، فهذا مالي بين يديك، فاحتكِمْ فيه بما أحببت ينفذْ لك أخوك.

فأقبل عليهما، فقال: لا حاجة لي في مالكما، ولكنّي سأعهد إليكما عهداً فلا تخالفا عهدي. قالا: اعهد. قال: إذا متُّ فغسّلاني، وكفناني، وادفناني على نَشَز من الأرض[3]، واكتبا على قبري:

وكيفَ يلذ العيشَ من هُوَ عالمٌ ... بأنَّ إلهَ الخلق لا بدَّ سائلُه
فيأخذُ منهُ ظلمه لعباده ... ويجزيه بالخير الذي هو فاعلُه

فإذا أنتما فعلتما ذلك فأتياني كل يوم لعلكما أن تتعظا.

قال: ففعلا ذلك لمَّا مات. قال: وكان أخوه يركب في جنده حتى يقف على القبر. فينزل فيقرأ ما عليه ويبكي. فلما كان في اليوم الثالث جاء كما كان يجيء مع الجند، فنزل فبكَى كما كان يبكي. فلما أراد أن ينصرف سمع هدَّةً[4] من داخل القبر كاد ينصدع لها قلبه، فانصرف مذعوراً فَزِعاً.

فلما كان الليل رأى أخاه في منامه. فقال: أي أخي! ما الذي سمعتُ من قبرك؟ قال: تلك هدَّة المقْمعة. قيل لي: رأيت مظلوماً فلم تنصره.

قال: فأصبح مهموماً، فدعا أخاه وخاصّته، وقال: ما أرَى أخي أراد بما أوصانا أن نكتب على قبره غيري، وإني أشهدكم أنّي لا أقيم بين ظهرانيكم أبداً. قال: فترك الإمارة ولزم العبادة. وكتب إلى عبد الملك بن مروان في ذلك، فكتب أن خلّوه وما أراد.

---

(١) غشوماً، من الغشم، وهو الظلم، مختار الصحاح ص ٤٢١.
(٢) قال في مختار الصحاح ص ٣٠١: «العَسَف: الأخذ على غير الطريق.. والعسوف: الظلوم» أ هـ.
(٣) أي: على مرتفع من الأرض، وجمعه نشوز، وأنشاز أنظر مختار الصحاح ص ١٩١.
(٤) أي: صوتاً قوياً صاخباً، وأصل الهدّة: صوت وقوع الحائط ونحوه. أنظر مختار الصحاح ص ١١٦.

فكان إنما يأوي الجبال والبراريّ حتى حضرته الوفاةُ في هذا الجبل وهو مع بعض الرعاة. فبلغ ذلك أخاه، فأتاه فقال: أي أخي! ألا توصي؟ قال: بم أوصي؟ ما لي من مال فأوصي به؛ ولكن أعهد إليك عهداً؛ إذا أنا متّ فَبَوِّأْتني قبري[١]، فادفني إلى جنب أخي، واكتب على قبري:

وكيف يلذُّ العيشَ مَنْ كان مُوقناً ... بأنَّ المنايا بغتةً ستُعاجِلُهْ
فتسلُبُه مُلْكاً عظيماً ونخوةً ... وتُسكِنُهُ القبر الذي هُو آهِلُهْ

ثم تعاهدني ثلاثاً، فادعُ لي لعلّ الله أن يرحمني.

قال: فمات، ففعل به أخوه ذلك. فلما كان اليوم الثالث من إتيانه إياه، فدعا له وبكى عند قبره. فلما أراد أن ينصرف سمع وَجْبَةً[٢] من القبر كادت تُذهلُ عقله، فرجع مُتَقَلْقِلاً[٣].

فلما كان من الليل إذا بأخيه في منامه قد أتاه. قال ذلك الرجل: فلما رأيت أخي وثبتُ إليه، فقلت: أي أخي! أتيتنا زائراً؟ قال: هيهاتَ أخي، بَعُدَ المزارُ، واطمأنت بنا الديار. قلت: أي أخي! كيف أنت؟ قال: بخير، ما أجمع التوبةَ لكل خير. قال: قلت: فكيف أخي؟ قال: ذلك مع الأئمة الأبرار. قال: قلت: فما أمرنا قِبَلْكم؟ قال: من قدّم شيئاً من الدنيا والآخرة وَجَده، فاغتنم وِجدك[٤] قبل فقرك.

قال: فأصبح أخوه معتزلاً للدنيا قد انخلع منها، ففرّق ماله وقسم رِباعه[٥]، وأقبل على طاعة الله تعالى. قال: ونشأ له ابنٌ كأهيأ الشباب وجهاً وجمالاً. فأقبل على التجارة حتى بلغ منها. وحضرَتْ أباه الوفاة، فقال له ابنه: يا أبت ألا توصِ؟ قال: واللهِ يا بنيَّ! ما لأبيك مال فيوصي فيه، ولكنّي أعهد إليك عهداً، إذا أنا متُّ فادفني مع عمومتك، واكتب على قبري هذين البيتين:

وَكَيْفَ يلذُّ العيشَ مَنْ هوَ صائرٌ ... إلى جدَثٍ تُبْلي الشبابَ منازِله
ويذهبُ رَسم الوجهِ مِنْ بَعْدِ صوْنهِ ... سريعاً ويبْلى جسمُهُ ومفاصلُهْ

فإذا فعلت ذلك فتعاهدْني بنفسي ثلاثاً، فادعُ لي.

---

(١) أي: فأنزلتني قبري، أنظر مختار الصحاح ص ٧ ـ ٨.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٤٤: «الوجبة: السقطة مع الهدّة» أ هـ.
أي: هي صوت سقوط الشيء محدثاً صخباً وضجّة قوية.

(٣) أي: مضطرباً، أنظر مختار الصحاح ص ٣٨١.

(٤) أي: غِنَاك. قال في مختار الصحاح ص ١١٣: «وجدة ـ بالكسر ـ أي: استغنى» أ هـ.

(٥) هي جمع الرَّبْع، والرَّبع، هي: الدار بعينها حيث كانت، مختار الصحاح ص ٢٦٣.

ففعل الفتى ذلك. فلما كان اليوم الثالث سمع من القبر صوتاً اقشعرّ له جلده، وتغير له لونه، فرجع منه محموماً إلى أهله.

فلما كان من الليل أتاه أبوه في منامه، فقال له: أي بنيّ! أنت عندنا عن قليل، والأمر بآخره، والموت أقربُ من ذلك، فاستعدّ لسفرك، وتأهّب لرحيلك، وحوّل جهازَك من المنزل الذي أنت عنه ظَاعِن[1] إلى المنزل الذي أنت فيه مقيم، ولا تغترّ بما اغترّ به المبطلون قبلك من طول آمالهم، فقصروا عن أمر معادهم، فندموا عند الموت أشدّ الندامة، وأسفوا على تضييع العمر أشدّ الأسف، فلا الندامة عند الموت تنفعهم، ولا الأسف على التقصير أنفذهم من شرّ ما وافى به المغبونون مليكهم يوم القيامة، أي بنيّ، فبادر، ثمّ بادر، ثمّ بادر.

قال عبيد الله بن صدقة: قال الشيخ الذي حدّثني بهذا الحديث: فدخلت على هذا الفتى صبيحة ليلته من هذه الرؤيا، فقصّها علينا، وقال: ما أرى الأمر إلا كما قال أبي، ولا أرى الموت إلا قد أظلني. قال: فجعل يفرّق ماله، ويقضي ما عليه من الدَّين، ويستحلّ خلطاءه ومعامليه، ويحللهم، ويسلم عليهم، ويودّعهم ويودّعونه، كهيئة رجل قد أُنذر بأمر فهو يتوقعه.

وكان يقول: قال أبي: فبادر، ثمّ بادر، ثمّ بادر؛ فهذه ثلاث، فهي ثلاث ساعات قد مضت فليست بها، أو ثلاثة أيام وأنّى لي بها، أو ثلاثة أشهر وما أُراني أدركها، أو ثلاث سنين فهو أكثر من ذلك، وما أحبّ أن يكون ذلك كذلك.

قال: فلم يزل يعطي ويقسِّم ويتصدّق ثلاثة أيام، حتى إذا كان في آخر اليوم الثالث من صبيحة هذه الرؤيا دعا أهله وولده، فودّعهم وسلّم عليهم. ثمّ استقبل القبلة، فمدّد نفسه وأغمض عينيه وتشهد شهادة الحقّ، ثمّ مات رحمه الله تعالى.

قال: فمكث الناس حيناً ينتابون قبره[2] من الأمصار فيصلون عليه.

٥٨ - [توبة ملك من ملوك البصرة]

وأنبأنا المبارك بن عليّ، أنا هبة الله بن أحمد الجَرِيريّ، أنا أبو طالب العُشَاري[3]،

---

(١) أي: سائر وراحل عنه، أنظر مختار الصحاح ص ٤٦٠.

(٢) أي: يقصدون، ويأتون قبره مرة بعد مرّة.

(٣) قال في اللباب ٢/٣٤١: «العُشَاري: بضم العين، وفتح الشين المعجمة، وبعد الألف راء. هذه النسبة لأبي طالب ـ وهو الراوي عند المصنف ـ محمد بن علي بن الفتح بن محمد بن على الحربيّ، المعروف بابن العُشاري، بغدادي، وهذا لقب جدّه لأنه كان طويلاً فقيل له: العُشَاري، وكان =

أنا محمد بن عبد الله الدَّقَّاق[1]، أنا الحسن بن صفوان، قال: أنا ابن أبي الدنيا قال: حدّثني محمد بن الحسين، قال: حدثني سليمان بن أيوب، قال: سمعت عبّاد بن عبّاد المُهَلَّبي[2]، يقول:

إن مِلكاً من ملوك أهل البصرة تنسَّك[3]. ثمّ مال إلى الدنيا والسلطان، فبنى داراً وشيَّدها، وأمر بها ففرشت له ونجدت، واتخذ مائدة، وصنع طعاماً، ودعا الناس. فجعلوا يدخلون عليه، ويأكلون ويشربون، وينظرون إلى بنيانه، ويعجبون من ذلك، ويدعُون له، ويتفرَّقون.

قال: فمكث بذلك أياماً حتى فرغ من أمر الناس. ثم جلس ونفر من خاصّة إخوانه، فقال: قد ترون سروري بداري هذه، وقد حدّثت نفسي أن أتخذ لكلّ واحد من ولدي مثلها، فأقيموا عندي أياماً أستمتعْ بحديثكم وأُشاوِرْكم فيما أريد من هذا البناء لولدي.

فأقاموا عنده أياماً يلهون ويلعبون، ويشاورهم كيف يبني لولده، وكيف يريد أن يصنع.

فبينا هم ذات ليلة في لهوهم ذلك إذ سمعوا قائلاً من أَقاصي الدّار:

يا أيها الباني والناسي منيَّتَهُ ... لا تأْمُلنَّ فإنَّ الموْتَ مكتُوبُ

على الخلائقِ إنْ سُرُّوا وإنْ فرحوا ... فالموتُ حتْفٌ لذي الآمالِ منصوبُ

لا تبنَينَّ دِياراً لستَ تسكُنُها ... وراجعِ النسكَ كيما يُغفَرَ الحُوبُ[4]

قال: ففزع لذلك، وفزع أصحابه فزعاً شديداً، وراعهم[5] ما سمعوا من ذلك.

= صالحاً - أي: أبو طالب - سمع أبا الحسن علي بن عمر الحربي السكري، وأبا الحسن علي بن عمر الدارقطني، والمخلّص وغيرهم، روى عنه القاضي أبو بكر الأنصاري وغيره، ولد في المحرم من ست وستين وثلاثمائة، ومات آخر جمادى الأولى من سنة إحدى وخمسين وأربعمائة» أ هـ.

(١) هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبيعه. اللباب ١/٥٠٤.

(٢) هو عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صُفرة، الأزدي، أبو معاوية، البصري، ثقة ربما وهم، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، أو بعدها بسنة، التقريب ١/٣٩٢.
والمُهلَّبي: نسبة إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أمير خراسان، وينسب إليه كثير من العلماء نسبة وولاء، اللباب ٣/٢٧٦.

(٣) تنَسك، أي: تعبّد، من النسك: العبادة، والناسك: العابد. مختار الصحاح ص ٣٤٣.

(٤) الحُوب: الإثم، مختار الصحاح ص ٢٢.

(٥) أي: أخافهم وأفزعهم، مختار الصحاح ص ٢٦٦.

فقال لأصحابه: هل سمعتم ما سمعتُ؟ قالوا: نعم. قال: فهل تجدون ما أجد؟ قالوا: وما تجد؟ قال: أجد والله مَسْكة على فؤادي وما أراها إلا علة الموت. قالوا: كلا، بل البقاء والعافية.

قال: فبكى. ثمّ أقبل عليهم، فقال: أنتم أخلاّئي وإخواني، فماذا لي عندكم؟ قالوا: مُرْنا بما أحببت من أمرك. قال: فأمر بالشراب وأُهرِيقَ، ثم أمر بالملاهي فأُخرجت، ثمّ قال: اللّهم! إني أُشهدك ومن حضرني من عبادك أني تائب إليك من جميع ذنوبي، نادم على ما فرَّطتُ في أيام مهلتي، وإياك أسأل إن أَقَلْتَنِي أن تُتم نعمتك علي بالإنابة إلى طاعتك، وإن أنتَ قبضتني إليك أن تغفر لي ذنوبي تفضلاً منك عليَّ.

واشتدّ به الألم، فلم يزل يقول: الموت والله، الموت والله، حتى خرجت نفسه. فكان الفقهاء يرون أنه مات على توبة.

٥٩ ـ [توبة ملك من ملوك البصرة وجاريته]

ورُوِي عن مالك بن دينار[١] رحمه الله، أنه كان يوماً ماشياً في أزقة البصرة. فإذا هو بجارية من جواري الملوك راكبة ومعها الخدم، فلما رآها مالك، نادَى: أيتها الجارية! أيبيعكِ مولاكِ؟ قالت: كيف قلتَ يا شيخ؟ قال: أيبيعكِ مولاكِ؟ قالت: ولو باعني كان مثلك يشتريني؟ قال: نعم، وخيراً منكِ.

فضحكت وأمرت أن يُحمل إلى دارها، فحمل، فدخلت إلى مولاها فأخبرته. فضحك وأمر أن يُدخل إليه. فدخل، فأُلقيت له الهيبة في قلب السيد، فقال: ما حاجتك؟ قال: بِعْني جاريتك. قال: أوَ تطيق أداء ثمنها؟.

قال: فثمنها عندي نواتان مسوَّستان. فضحكوا، وقالوا: كيف كان ثمنها عندك هذا؟.

قال: لكثرة عيوبها. قالوا: وما عيوبها؟.

قال: إن لم تتعطر زفرت، وإن لم تستك بخرت، وإن لم تمتشط وتدهّن قملت وشعثت، وإن تعمَّر عن قليل هرمت، ذاتُ حيض وبول وأقذار جمّة، ولعلها لا تودّك إلا

---

(١) هو مالك بن دينار، أبو يحيى السامي، الناجي، البصري، الزاهد، صدوق عابد، من صغار التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة ونحوها، التقريب ٢/٢٢٤، وقال في الكاشف ٣/١٠٠ أنه مات سنة ثلاث وعشرين ومائة، والله أعلم.
وصدّر المصنف هذه القصة بكلمة: رُوي مبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند أهل الحديث.

لنفسها، ولا تحبّك إلا لشغفها بك، لا تفي بعهدك، ولا تصدق في ودّك، ولا يخلف عليها أحد من بعدك إلا رأته مثلك؛ وأنا آخذ بدون ما سألت في جاريتك من الثمن جاريةً خلقت من سلالة الكافور، لو مزج بريقها أُجاج[1] لطاب، ولو دُعي بكلامها ميت لأجاب، ولو بدا معصمها للشمس لأظلمت دونه، ولو بدا في الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفاق بحلّيها وحِلَلِها لتزخرفت، نشأت بين رياض المسك والزعفران، وقصرت في أكنان[2] النَّعيم، وغذيت بماء التَسْنِيم[3]، فلا تخلف عهدها، ولا يتبدّل ودّها؛ فأيهما أحقّ برفعة الثمن؟

قال: التي وصفتَ.

قال: فإنّها الموجودة الثمن، القريبة المخطب.

قال: فما ثمنها رحمك الله؟.

قال: اليسير المبذول، أن تفرّغ ساعة في ليلك فتصلي ركعتَين تُخْلِصهما لربك، وأن يوضع طعامك فتذكر جائعك فتؤثر الله على شَهوتك، وأن ترفع عن الطريق حجراً أو قذراً، وأن تقطع أيامك بالبلغة[4]، وترفع همّتك عن دار الغفلة، فتعيش في الدنيا بعزّ القنوع، وتأتي غداً إلى موقف الكرامة آمناً، وتنزل غداً في الجنة مخلداً.

فقال الرجل: يا جارية! أَسمعتِ ما قال شيخنا هذا؟ قالت: نعم. قال: أفصدقَ أم كذبَ؟ قالت: بل صدق وبرّ ونصح.

قال: فأنتِ إذاً حرّة لوجه الله، وضيعة كذا وكذا صدقة عليك، وأنتم أيها الخدّام، أحرار، وضيعة كذا وكذا لكم، وهذه الدّار بما فيها صدقة مع جميع مالي في سبيل الله. ثم مدّ يده إلى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه، وخلع جميع ما كان عليه واستتر به.

قالت الجارية: لا عيش لي بعدك يا مولاي! فرمت بكسوتها، ولبست ثوباً خشناً وخرجت معه. فودّعهما مالك ودعا لهما، وأخذ طريقاً وأخذا غيره.

فتعبّدا جميعاً حتى جاء الموت فنقلهما على حال العبادة ـ رحمة الله علهيما.

---

(١) أي: ملحٌ مرٌ، مختار الصحاح ص ٥٨.

(٢) جمع كنّ، والكنّ: السترة. مختار الصحاح ص ٤٦٦.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: «هو ماء في الجنة، سمي بذلك لأنه يجري فوق الغرف والقصور» اهـ.

(٤) البلغة، ما يتبلغ به من العيش، وتبلّغ بكذا، أي: اكتفى به، مختار الصحاح ص ٢٨٣.

٦٠ - [توبة أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان][1]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، قال: أنا محمد بن أبي نصر الحُمَيْدي[2]، قال: أنا الخضر بن ميمون البَابِي[3]، أنا أبو بكر أحمد بن عمر البزّاز، أنا أبو منصور محمد بن عيسى بن عبد العزيز، ثنا علي بن الحسن بن الربيع، ثنا أبو علي الحسن بن يزيد الدقّاق، عن يعقوب بن إسحاق، قال: سمعت إبراهيم بن الجُنَيْد، قال: نا مُمَوَّس القطّان، ثنا أحمد بن محمد، ثنا أبو عليّ، ثنا محمد بن علي الزَّعْفَرَاني[4]، قال: سمعت أحمد بن رياح الكاتب، يحكي عن الهيثم بن عدي، عن مروان بن محمد[5]، قال:

---

(١) أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، وأخت عمر بن عبد العزيز، وزوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وربّات الفصاحة والبلاغة، قرعت بجوابها حُجة الحجاج بن يوسف الثقفي. وأفحمته بكلام بيّن، ومن كلامها الدالّ على كرمها وطيب أرومتها: أفٍّ للبخل، لو كان قميصاً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكته، نقلاً عن هامش المطبوعة والقصة المذكورة هنا لا تصح عنها، كما سيأتي بيانه.

(٢) قال في اللباب ١/٣٩٢: «بضم الحاء، وفتح الميم. هذه النسبة إلى حُميد، وهو بطن من أسد بن عبد العزىَ بن قصيّ، منهم..

وأما عبدالله محمد بن أبي نصر بن عبدالله بن حُميد الحميدي، الأندلسي ـ وهو الراوي هنا ـ صاحب الجمع بين الصحيحين وغيره من التصانيف. فإنه ينسب إلى جدّه حميد، سمع بالأندلس أبا محمد بن حزم وغيره، وسمع أبا بكر الخطيب وغيره، روى عنه أبو إسحاق بن نبهان الرقيّ، وعليّ بن علي الأمين وغيرهما، وكان عالماً خيّراً ورعاً ثقة» أ هـ.

(٣) قال في اللباب ١/١٠٢: «البابي: بالألف بين الباءين الموحدتين، هذه النسبة إلى باب الأبواب، موضع بالثغور، وهي مدينة دربند المعروفة...، وإلى قرية من قرىَ بخارى يقال لها: بابة...» أ هـ.

(٤) هذه النسبة إلى الزعفرانيّة قرية بقرب بغداد وإلى بيع الزعفران، وإلى مذهب، أنظر تفصيل ذلك في اللباب ٢/٦٩.

(٥) هو مروان بن محمد بن حسان الأسدي الدمشقي الطاطَري، ثقة، مات سنة عشر ومائتين، وله ثلاث وستون سنة. التقرب ٢/٢٣٩.

وهذا إسناد ضعيف جداً عنه فيه: الهيثم بن عدي الطائي، أبو عبد الرحمن المنبجي، ثم الكوفي. قال في ميزان الإعتدال ٤/٣٢٤:

«وقال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال يحيى: ليس بثقة، كان يكذب.

وقال أبو داود: كذّاب.

وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.

قلت ـ أي الذهبي ـ: كان أخبارِيّاً علاّمة.

وقال ابن عدي: ما أقل ماله من المسند، إنما هو صاحب أخبار.

وقال ابن المديني: هو أوثق من الواقدي، ولا أرضاه في شيء» أ هـ.

دخلْت عـزّةُ صاحبـةُ كُثيِّر على أمّ البنين بنت عبـد العزيـز بن مـروان أخت عمر[1]، فقالت لها: يا عزّة! ما معنى قول كُثيِّر:

قَضَى كُـلُّ ذِي دَيـنٍ عَلِمْـتُ غَـرِيـمَـه ... وَعَـزَّةُ مَـمْـطُولٌ مُعَـنًّـى غـريـمُـهـا

ما هذا الدَّين الذي يذكره؟ قالت: أَعْفِيني. قالت: لا بدّ من إعلامِك إياي.

فقالت عزّة: كنتُ وعدتُه قُبْلةً، فأتاني لِيَنْتَجِزَها[2]، فتحرّجت عليه، ولم أَفِ له.

فقالت لها أمّ البنين: أنجزيها منه، وعليَّ إثمها.

ثمّ راجعت نفسهـا فاستغفـرت الله، وأعتقت لكلمتها هـذه أربعين رقبة. وكـانت إذا ذكرَت ذلك بكت حتى تبلّ خمارهـا، وتقول: يـا ليتني خرس لسـاني عندمـا تكلمت بها، وتعبَّدتْ عبادةً ذُكِرَتْ بها في عصـرها من شـدّة اجتهادهـا. فرفضت فـراش المملكة تحيي ليلها.

وكانت كلّ جمعة تحْمل على فرس في سبيل الله. وكانت تبعث إلى نسوةٍ عـابدات يجتمعَن عندها ويتحدّثن، فتقول: أحبّ حديثكنّ، فإذا قمت إلى صلاتي لهوت عنكنَّ.

وكانت تقول: البخيل كلّ البخيل من بخل على نفسه بالجنـة. وكانت تقـول: جُعل لكـلّ إنسان نهمـة في شيء، وجُعِلت نهمتي في البـذل والإعـطاء، واللهِ لَلعـطيّـةُ والصلة والمـواصلة في الله، أحبُّ إليَّ من الـطعـام الـطيِّب على الجـوع، والشـراب البـارد على الظمأ، وهل يُنال الخير إلا بالإصطناع؟.

وكانت على مذهبٍ جميل، حتى تُوُفيت رحمها الله تعالى.

٦١ - [توبة غَضِيض أَمَة هشام بن عبد الملك][3]

قـال مموّس[4]: وحـدّثنا أحمـد بن محمد بن إبـراهيم، ثنـا القـاسم بن جعفـر، ثنـا علي بن حجر الواسِطِيّ، قال: حدثني عيسى بن الفضل بن مـوسى، أنه سمـع إسحاق بن

= وأنظر لسان الميزان ٦/ ٢٠٩ - ٢١١، حيث ذكر أقوال بقّية العلماء فيه. ومما ذكره قول الإمام أحمـد: «كان صاحب أخبار وتدليس» أ هـ. فقد وصفه الإمام أحمد بالتدليس، وقـد عنعنه، وهـذا سبب آخر لتضعيف الإسناد، والله تعالى أعلم.

(١) أي: عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنه.

(٢) أي: ليقتضيها، تقول: نجز حاجته: قضاها، مختار الصحاح ص ١٩١.

(٣) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، من امراء الدولة الأموية، ولد في دمشق سنة (٧١) هـ. وبويع له بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة (١٠٥) هـ.، وتوفي بالرصافة، سنة (١٢٥) هـ.

(٤) لعله موصول بالإسناد السابق.

إبراهيم المَوْصِلي[١]، يقول: حدّثني محمد بن عبد الرحمن الهاشمي، عن أبيه، عن سلميان بن خالد[٢]:

أنّ هشام بن عبد الملك ذُكرت له ربيبة[٣] لبعض عجائز الكوفة، موصوفةٌ مشهورة ببارع الجمال، فائقة الحسن والكمال، قارئةٌ لكتاب الله عزّ وجلّ، راويةٌ للأشعار مع عقل وأدب، فأمر أن يُبرد[٤] إلى والي الكوفة، أن تُبتاع له[٥] بحكم مولاتها، ويعجّل حملها إليه، وبعث في ذلك خادماً.

فلما ورد الكتاب على الوالي، بعث إلى العجوز، فابتاع منها الربيبة بمائتي ألف درهم، وحديقه نخل، تستغل منها كلّ سنة خمسمائة مثقال.

وجهّز الجارية وحملها إلى هشام. وفرَّغ لها مقصورة مفردة أنزلها فيها مع وصائف، وأمر لها بأنواع اللباس، وفاخر الحليّ والفرش.

فبينا هو ذات يوم قد خلا بها في مستشرف قد أُعدّت فيه الفرش والطيب، فتذاكرا فيه طرائف الأخبار، وبلاغة الآثار، فازداد بها سروراً، واجتمعت مسرّته، إذا صوارخ، فاستشرف هشام، فإذا بجنازة معها فئام[٦] من الناس، ووراء الجنازة نسوة صارخات، ونادبة فيما بينهنَّ، تقول: بأبي المحمول على الأعواد، المنطلَق به إلى الأموات، المخلّى في قبره فريداً، والمكوَّن في لَحْدِه[٧] غريباً؛ ليت شعري، أيها المنقول، أنت ممّن يناشد حَمَلَتَه: أسرعوا بي، أمّ أنت ممّن يناشدهم: إرجعوا بي! إلى مَ تقدّموني؟.

قال: فأهملت عينا هشام دموعاً، فلها عن لذته، وجعل يقول: كفى بالموت واعظاً. فقالت غضِيض[٨]: قد قطعتْ نِيَاط قلبي[٩] هذه النادبة.

---

(١) قال في اللباب ٣/٢٦٩؛ «المَوْصِلي: بفتح الميم وسكون الواو، وكسر الصاد المهملة، وفي آخرها لام، هذه النسبة إلى الموصل، وهي من بلاد الجزيرة، وإنما قيل لبلادها الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، خرج منها جماعة من العلماء، والأئمة في كل علم» أ هـ.

(٢) لم أجد من اسمه سليمان بن خالد، إلا الواسطي، وقد قال عنه الدراقطني: ضعيف الحديث، أنظر لسان الميزان ٣/٨٣، والمغني في الضعفاء ١/٢٧٨.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٢٤: «ربيب الرجل: ابن امرأته من غيره، والأنثى ربيبة» أ هـ.

(٤) أي: يُرسل بالبريد.

(٥) أي: تُشتَرى له.

(٦) أي: جماعة كثيرة. أساس البلاغة ص ٣٣٢.

(٧) اللحد: الشق في جانب القبر، مختار الصحاح ص ١١١.

(٨) هو اسم الجارية.

(٩) أي: عروق قلبي، أنظر أساس البلاغة ص ٤٧٦.

قال هشام: الأمر جدّ. فنادَى الخادم، فنزل عن مستشرفه فمضى.

فأغفت غضيض في مجلسها، فأتاها آتٍ في منامها، وقال لها: أنت المفتَنَة بجمالك، والملهية بدلالك، كيف أنتِ إذا نُقِر في النّاقور[1]، وبعثرت القبور، وخرجوا منها إلى النشور، وقوبلوا بالأعمال التي قدّموها؟.

فاستيقظت مرتاعة[2]، وراحت من شرابها، فنادت بعض وصائفها، ودعت بماءٍ فاغتسلت، وألقت عنها لباسها وحليّها، وتدرّعت بمدْرعة صوف[3]، وحزمت وسطها بخيط، وتناولت عصاً وألقت في عنقها جِراباً[4].

واقتحمت مجلس هشام، فلما رآها أنكرها. فنادت: أنا غضيض أَمَتك، أتاني النّذير، فقرع مسامعي وعيدُه، وقد قضيتَ منّي وطراً، وقد أتيتك لتعتقني من رقّ الدنيا.

فقال هِشام: شتّانَ ما بين الطربين وأنتِ في طربك، إذهبي، فأنتِ حرّة لوجه الله تعالى. قال: أيّ موضع تقصدين؟ قالت: أَؤُمّ[5] بيت الله الحرام. قال: انطَلقي، فلا سبيلَ لأحد عليك.

فخرجت من دار الخلافة زاهدة في الدنيا، راغبة في الآخرة، سائحة على وجهها حتى بلغت مكّة. وأقامت مجاورة صائمة قائمة تعود على نفسها بالغزل في قوتها. فإذا أمست طافت، ثم تدخل الحِجْر، وتقول: يا ذخري أنت عدّتي، لا تقطع رجائي وأَنِلْني مُنَايَ، وأَحْسِنْ مُنْقَلبي، وأَجْزِلْ عطائي.

فلم تزل في الإجتهاد حتى غيرَ مَرُّ الجديدَينِ الليلِ والنهار بَشرتَها، وطولُ القيام جسمها، وكثرةُ البكاء عَيْنَيْها، وأقرح المغزلُ بنانها، حتى تُوفيت ـ رحمة الله عليها ـ على ذلك.

٦٢ ـ [توبة الأمير حميد بن جابر]

أخبرنا أبو الفتح محمّد بن عبد الباقي، أنا أحمد بن أحمد، أنا أحمد بن عبد الله الحافظ[6]، قال: حدّثني إبراهيم بن نصر، أنا جعفر بن محمّد بن نُصَير، قال: حدّثني

---

(١) أي: نفخ في الصدور.

(٢) خائفة.

(٣) أي: لبست مدرعة صوف. أساس البلاغة ص ١٢٩.

(٤) الجراب: وعاء للماء، وهو معروف، أنظر مختار الصحاح ص ١٩، وأساس البلاغة ص ٥٥.

(٥) أي: أقصد. مختار الصحاح ص ٣٩٦ ـ ٣٩٧.

(٦) هو أبو نعيم الأصبهاني، وقد تقدمت ترجمة له.

إبراهيم بن بشّار[1]، قال:

كنت يوماً مارًّا مع إبراهيم - يعني ابن أدهم[2] - في صحراء، فأتينا على قبر مُسَنَّم[3]، فترحَّم عليه وبكى. فقلت: قبرُ مَنْ هذا؟ فقال: هذا قبر حُمَيد بن جابر أمير هذه المُدُن كلها. كان غَرِقاً في بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه.

ولقد بلغني أنه سُرّ يوماً بشيء من ملاهي ملكه ودنياه وغروره وفتنته. ثم نام في مجلسه ذلك مع من يخصّه من أهله، فرأى في منامه رجلاً واقفاً على رأسه، بيده كتاب. فناوله، ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرنّ فانياً على باقٍ، ولا تغترّنّ بملكك وقدرتك وسلطانك وخدمك وعبيدك ولذّاتك وشهواتك، فإنّ الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عَدِيم، وهو مُلك لولا أنّ بعده هُلك، وهو فرح وسرور لولا أنه لهوٌ وغرور، وهو يوم لو كان يُوثَق له بغدٍ، فسارع إلى أمر الله تعالى، فإن الله تعالى قال: ﴿وَسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجنَّةٍ عرضُها السَّموٰاتُ والأرضُ أُعِدَّتْ لِلمُتَّقينَ﴾[4].

قال: فانتبه فزِعاً، وقال: هذا تنبيه من الله - عزّ وجلّ - وموعظة.

فخرج من ملكه لا يُعلم به، وقصد هذا الجَبَل، فتعبّد فيه، فلما بلغني قصّته وحُدِّثت بأمره، قصدته، فسألته، فحدثني ببدء أمره، وحدّثته ببدء أمري، فما زلت أقصده حتى مات، ودُفن ها هنا، فهذا قبره رحمه الله.

٦٣ - [توبة إبراهيم بن أدهم][5]

أخبرنا محمد، أنا أحمد[6]، ثنا إبراهيم بن عبد الله بن إسحاق، ثنا محمد بن

---

(١) هو إبراهيم بن بشار الرَّمادي، أبو إسحاق البصري حافظ له أوهام، ومات في حدود الثلاثين ومائتين التقريب ٣٢/١.

(٢) ستأتي ترجمته في القصة الآتية.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ٤١٢: «تسنيم القبر، ضدّ تسطيحه» أ هـ.

(٤) سورة آل عمران، آية رقم /١٣٣.

(٥) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر العِجْلي، وقيل: التميمي، أبو إسحاق البلخي الزاهد، سكن الشام، صدوق - كان صابراً على الجهد والفقه والورع الدائم والسخاء الوافر، إلى أن مات في بلاد الروم، سنة (١٦١) هـ.، وقيل: سنة (١٦٢) هـ. وله حِكم كثيرة وكلام في الزهد جميل، وله فيه بعض النظم، ومما قاله:

أرى أناساً بأدنَى الدِّين قد قنِعوا ... ولا أراهم رَضُوا في العيش بالدّون

فاستغنِ بالله عن دُنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

أنظر تهذيب الكمال ٢٧/١ - ٣٩، وتهذيب التهذيب ١٠٢/١ - ١٠٣، والتقريب ٣١/١، وحلية الأولياء ٣٦٧/٧ - ٣٩٥، و٣/٨ - ٥٧.

(٦) هو الإمام أحمد بن عبدالله. أبو نعيم الأصبهاني الحافظ، وذكر ذلك في حلية الأولياء =

إسحاق السرّاج[1]، قال: سمعت إبراهيم بن بشار ـ خادم إبراهيم بن أدهم يقول: ـ

قلتُ: يا أبا إسحاق[2]! كيف كان أوائل أمرك؟ قال: كان أبي من أهل «بلخ»[3] ـ وكان من ملوك خراسان ـ ، وحبّب إلينا الصيد، فخرجتُ راكباً فرسي، وكلبي معي، فبينما أنا كذلك، ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكتُ فرسي فسمعت نداءً من ورائي: ليس لذا خُلقتَ، ولا بذا أُمرتَ، فوقفت أنظرَ يَمْنةً وَيسْرةً، فلم أرَ أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثمّ حرّكتُ فرسي فأسمع نداءً أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خُلقتَ، ولا بذا أمرتَ، فوقفت أنظر يَمنَةً ويَسرَةً، فلا أرى أحداً، فقلت: لعن الله إبليس؛ ثم حرّكت فرسي فأسمع نداءً من قَربوس سَرْجي[4]: يا إبراهيم ما لذا خُلقتَ، ولا بذا أُمرتَ، فوقفت.

فقلت: أنبَهْتَ، أنبَهْتَ[5]؛ جاءني نذيرُ من ربّ العالمين، والله لاعصيت الله بعد يومي هذا ما عَصَمني ربي.

فرجعت إلى أَهلي، ثم جئت إلى أحد رعاة أبي، فأخذتُ منه جبّةً وكساءً، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق، أرضٌ ترفعُني، وأرضٌ تَضَعُني، حتى وصلت إلى العراق. فعملت بها أياماً، فلم يصفُ لي منها ـ يعني: الحلال ـ ، فسألت بعض

= ٣٦٨/٧ ـ ٣٦٩.

والإسناد عند هكذا: حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن إسحاق السراج، قال: سمعت إبراهيم بن بشار ـ وهو خادم إبراهيم بن أدهم، يقول: قلت: يا أبا إسحاق. . . ، فليس عنده ذكر محمد بن إسحاق السراج، والله تعالى أعلم.

والقصة عنده فيها بعض الزيادات.

(١) السرّاج: بفتح السين، وتشديد الراء، وبعد الألف جيم. هذه النسبة إلى عمل السروج، واشتهر بهذه الصنعة جماعة، منهم أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران بن عبدالله السراج الثقفي، مولاهم، نيسابوري كان من أجداده من يعمل السروج، كان محّدث عصره بخراسان. . مات في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وله ست أو سبع وتسعون سنة.

كذا في اللباب ١١١/٢.

(٢) أبو إسحاق، كنية إبراهيم بن أدهم، كما تقدّم.

(٣) بَلْخ: مدينة مشهورة بخراسان، وهي أكبر مدن خراسان وأكثرها خيراً، فتحها الأحنف بن قيس التميمي زمن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ، خرج منها عالم لا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء، أنظر اللباب ١٧٢/١.

(٤) القَرْبوس ـ بفتح القاف والراء ـ حنو السَّرْج، أي: قسمه المعكوف المقوس المرتفع من قدّام المقعد ومن مؤخره.

(٥) أي: أيها الصوت أنبهتني ووقع كلامك منّي موقع الإنّباه والإيقاظ من الغفلة.

المشايخ[1]، فقال لي: إذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام.

---

(١) تنبيه: يخطىء، كثير من المؤلفين والمحّققين، فيقولون: مشائخ، بالهمز، وهو خطأ شائع، وصوابه: مشايخ، بالياء، لا غير لأن الياء، فيه من أصل الفعل، لا مزيدة كصحائف، كما هو مقرر، في موضعه من كتب الصرف والنحو.

وأستطرد هنا اضطراراً لدفع أنتشار هذا الغلط، فأوضّح القاعدة في هذا الجمع وأمثاله، رجاءَ أن يثوبَ الغالطون فيه إلى الصواب، وأن يعدلوا عن همز، مالا يجوز همزه، فأقول:

الإسم المفرد إذا جُمع على وزن (مفاعِل) وكان الحرف الثالث فيه ـ أي: في المفرد ـ حرف مدٍّ ـ وهو الألف أو الواو أو الياء الساكنة، تسبقه حركةٌ من جنسه ـ، ومزيداً على أصل مادته في الواحد: وجَبَ إبداله همزة في الجمع نحو سحابة وسحائب، قِلادة وقلائد، وعجوزٍ وعجائز، وصحيفة وصحائف، ونصيحة ونصائح.

ودليل زيادة حرف المدّ في مفردات هذه الجموع، أن مادتها في الفعل خالية من حرف المدّ الذي هو الألف أو الواو أو الياء. فهي: سحَب، وقلد، وعجز، وصحف ونصح، فلمّا كان حرفُ المدِّ فيها مزيداً، وجب إبداله همزة في الجمع كما تقدم.

وقد صاغ هذه القاعدة الإمام ابن مالك النحوي ـ رحمه الله تعالى ـ في (الألفية). في باب الإبدال، بقوله:

والمدُّ زيدَ ثالثاً في الواحد هَمْزاً يُرَى في مثلِ كالقلائد

أما إذا كان الحرف الثالث في المفرد غير حرف مدّ، فلا يُبدل في الجمع همزةً، بل يبقى واواً مثل: قسوَرة ـ وهو الأسد ـ وقساور.

وكذلك إذا كان الحرفُ الثالثُ في المفرد أصلياً من بنية الكلمة، ليس بزائد عليها، فلا يُبدل في الجمع همزةً أيضاً، بل يبقى واوا في مثل: مفازه، ومفاوز؛ وياءً في مثل مِصْيدَة ومصايد، ومعيشة ومعايش، ومكيدة ومكايد، ومَشِيخة ـ بفتح الميم وبكسرها، جمع شيخ ـ ومشايخ ـ وهو جمع الجمع ـ، وأشباهها، إلا فيما سُمع بخلاف هذا منها، فيُحفظ ولا يُقاس عليه، نحو: مَنارة ومنائر، ومصيبة ومصائب، إذ الأصل فيهما: مناور، ومصاوب، وقد سُمع النطق فيهما بهذا الأصل أيضاً.

فهذه الجموع: مفاوز، ومصايد، معايش، ومكايد، ومشايخ، ومعايب، وأمثالها: تُنطق منها الواويَّة في أصلها مثل: مفازة بالواو في جمعها، لأنها من: فازَ يفوز، فالواو من بنيه الكلمة، أصلية فيها، وتُنطق منها اليائيَّة في أصلها، مثل: مصايد، ومعايش ومكايد ومشايخ ومعايب، بالياء في جميعها، لأنها من: صاد يصيد، وعاش يعيش، وكاد يكيد، وشاخ ويشيخ، وعاب يعيب، فالياء فيها أصلية من بنية المفرد فيها.

وعلى هذا: فلفظة: مكايد، ومشايخ، وأمثالهما لا تُهمز أبداً، لأنّ الياء في مفردها أصلية وليست بزائدة.

انتهى مستفاداً من شرح الأُشموني على الألفية بحاشية الصَّبَّان ٤/٢٨٨، في باب الإبدال؛ وشرح ابن عقيل عليها أيضاً ٢/٥٥٠، ومعذرة في هذه الأستطرادة، فقد أوردتها تمكيناً للعارفين، وإرشاداً للمستبصرين.

نقلاً من كلام الشيخ الفاضل عبد الفتاح أبو غدّة ـ حفظه الله تعالى ـ، في تعليقه على كتاب الرفع والتكميل في الجرح والتعديل لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، ص ٤٦ ـ ٤٧، ببعض تصرّف.

فَصِرتُ إلى بلاد الشام، فسرت إلى مدينة يقال لها: المنصورة وهي المصيصة. فعملت بها أياماً فلم يصفُ لي شيء من الحلال، فسألت بعض المشايخ. فقالوا لي: إن أردت الحلال الصافي، فعليك بطرسوس، فإن فيها المباحات والعمل الكثير.

فتوّجهت إلى طرسوس، فعملت بها أياماً أنظر البساتين وأحصد الحصاد.

فبينا أنا قاعد على باب البحر، جاءني رجل فاكتراني أنظر له بستانه. فكنت في البستان أياماً كثيرة، فإذا أنا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه. فقعد في مجلسه، ثمّ صاح: يا ناطور، فقلت: هوذا أنا. فقال: اذهب فأتنا بأكبر رمان تقدر عليه وأطيبه. فذهبتُ فأتيته بأكبر رمان، فأخذ الخادم رمانةً فكسرها، فوجدها حامضة. فقال: يا ناطور، أنت في بستاننا منذ كذا وكذا، تأكل فاكهتنا، وتأكل رماننا، ولا تعرف الحلو من الحامض؟.

قال إبراهيم: قلتُ: واللهِ ما أكلتُ من فاكهتك شيئاً، ولا أعرف الحلو من الحامض، فأشار الخادم إلى أصحابه، فقال: أما تسمعون كلام هذا!؟ أتراكَ لو أنك إبراهيم بن أدهم ما زاد على هذا؟ فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عُنُق[1] من النّاس. فلمّا رأيته قد أقبل مع الناس اختفيتُ خلف الشجر، والناس داخلون، فاختلطتُ معهم وهم داخلون وأنا خارج هارب.

فهذا كان أوائل أمري وخروجي من طرطوس إلى بلاد الرِّمال.

أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أحمد بن النقور، قال: أنا أبو القاسم عليّ بن أحمد بن بيان، أنا أبو القاسمِ بن بشران، أنا أبو بكر محمّد بن الحسين الآجُرِّي[2]، ثنا أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي[3]، قال: ثنا إبراهيم بن زياد المقرىء، ثنا عبد الله بن

---

(١) أي: جماعة من الناس، تقول: أتاني عُنقٌ من الناس وجُمّة: للجماعة المتقدّمة، وجاؤوا رَسَلاً رَسَلاً وعُنُقاً عُنُقاً، أي: جماعات جماعات. أنظر أساس البلاغة ص ٣١٥.

(٢) هو محمد بن الحسين بن عبدالله الآجرّي، البغدادي، فقيه، محدِّث، حافظ أخباري صاحب سنّة واتباع، حدّث ببغداد، ثم أنتقل إلى مكة، فسكنها حتى توفي بها في المحرّم سنة (٣٦٠) هـ. وله نحو ثمانين سنة ـ رحمه الله تعالى ـ، له تصانيف كثيرة، منها الشريعة، التهجد، تحريم النرد ـ وهو ما يقرب اليوم بطاولة الزهر ـ والشطرنج والملاهي، أخبار عمر بن عبد العزيز، آداب العلماء.
أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٢/٢٤٣، تذكرة الحفاظ ٣/١٣٩، ٣/٢٤٣، تذكرة الحفاظ ٣/١٣٩، ٣/٩٣٦ (طبعة دار إحياء التراث العربي)، والبداية والنهاية ١١/٢٧٠، وشذارت الذهب ٣/٣٥، ومعجم المؤلفين ٩/٢٤٣ ـ ٢٤٤.
والآجُرّي: بفتح الألف الممدودة، وضم الجيم، وتشديد الراء المهملة، هذه النسبة إلى عمل الآجُرّ وبيعه، ونُسِبَ إلى درب الآجر ـ أيضاً ـ. اللباب ١/١٨.

(٣) الشِّكْلي: بكسر الشين المعجمة، وسكون الكاف، وفي آخرها اللام، هذه النسبة إلى شِكَل، ينسب =

الفَرَج، قال: حدّثني إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان[1]، قال:

كنتُ يوماً في مجلس لي، له منظرة إلى الطريق، فإذا أنا بشيخ عليه أَطْمَار[2]. وكان يوماً حارّاً، فجلس في فَيْءِ القصر ليستريح.

فقلت للخادم: أخرج إلى هذا الشيخ فأقرِئه منّي السّلام وسَلْهُ أن يدخل إلينا، فقد أخذ بمجامع قلبي. فخرج إليه، فقام معه، فدخل إليّ فسلّم، فرددت عليه السّلام، واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي، وعرضت عليه الطعام، فأَبَى أن يأكل. فقلت له: من أين أقبلت؟ فقال: من وراء النّهر. فقلت: أين تريد؟ قال: الحجّ إن شاء الله تعالى. قال: وكان لذلك في أوّل يوم من العَشر[3] أو الثاني. فقلت: في هذا الوقت؟ فقال: بل يفعل الله ما يشاء.

فقلت: الصُحبةَ؟ فقال: إن أحببت ذلك؛ حتى إذا كان الليل، قال لي: قُم: فلبستُ ما يصلح للسفر، وأخذ بيدي.

وخرجنا من «بلخ» فمررنا بقرية لنا. فلقيني رجل من الفلّاحين، فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه. فقدم إلينا خبزاً وبيضاً، وسألنا أن نأكل، فأكلنا، وجاء بماءٍ فشربنا. وقال لي: بسم الله قم، فأخذ بيدي، فجعلنا نسير، وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَب من تحتنا كأنها الموج.

فمررنا بمدينة بعد مدينة، فجعل يقول: هذه مدينة كذا، هذه مدينة كذا، هذه «الكوفة». ثمّ قال: الموعد ها هنا في مكانك هذا في الوقت من الليل. حتى إذا كان الوقت، إذا به قد أقبل، فأخذ بيدي وقال: بسم الله. قال: فجعل يقول: هذا منزل كذا، هذا منزل كذا، وهذه «فَيْدُ»، وهذه المدينة[4]، وأنا أنظر إلى الأرض تُجذَب من تحتنا كأنها الموج.

= إليه.. أبو الفضل العباس بن يوسف الشِّكْلي، وكان ورِعاً ناسكاً، روى عن سرّي السقطي وغيره، روى عنه أبو بكر القطيعي وأبو حفص بن شاهين وغيرهما: اللباب ٢/٢٠٥.

(١) قلت: في هذه القصة أمور لا تُقبل، وهي وإن حصلت معه حقيقة، ما كان ينبغي أن يذكرها وهو على درجته من الزهد والعلم، فهو يعلم أن إظهار ما يكرمه الله من مثل ذلك قد يضّل بعض الناس الجاهلين، والله تعالى أعلم، هذا طبعاً أن صحت هذه الرواية عنه. وإبراهيم بن زياد المقرىء، وعبدالله بن الفَرَج لم أر من ترجم لهما أو ذكرهما في كتب الجرح والتعديل التي بين يدَي على كثرتها. والله تعالى أعلم.

(٢) جمع طِمْر، وهو الثوب الخَلِق، أي: البالي. مختار الصحاح ص ١٥٩.

(٣) أي: من شهر ذي الحِجّة.

(٤) أي المدينة المنوّرة، شرّفها الله تعالى، وصلّى على ساكنها خير الأنام، محمد ـ ﷺ ـ.

فصرنا إلى قبر رسول الله ـ ﷺ ـ، فزرناه. ثم فارقني، وقال: الموعد في الوقت من الليل في المصلّى. حتى إذا كان الوقت خرجتُ فإذا به في المصلى. فأخذ بيدي، ففعل كفعله في الأولى والثانية، حتى أتينا مكّة في الليل. ففارقني. فقبضت عليه، وقلت: الصُّحبةَ. فقال: إني أريد الشام. فقلت: أنا معك. فقال لي: إذا انقضى الحجّ فالموعد ها هنا عند زَمزَم.

حتى إذا انقضى الحجّ إذا به عند زمزم. فأخذ بيدي، فطفنا بالبيت، ثمّ خرجنا من مكّة. ففعل كفعله الأوّل والثاني والثالث، فإذا نحن ببيت المَقْدِس. فلما دخل المسجد، قال لي: عليك السلام! أنا على المقام ـ إن شاء الله ـ ها هنا. ثم فارقني، فما رأيته بعد ذلك، ولا عرّفني اسمه.

قال إبراهيم: فرجعت إلى بلدي، فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى «بلخ»، فكان ذلك أوّل أمري.

قال الشِّكْليُ: حدثنا علي بن سعيد، قال: ثنا إبراهيم بن بشار[1]، قال: ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم، فبينا نحن نسير بريح طيّبة، وكانت مراكب كثيرة، فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطّعت، وإبراهيم مُلْتَفٌ في عباءة مستلقٍ. فجاء أهل المركب إليه، فقالوا: يا هذا! ما ترى ما نحن فيه، وأنت مستلقٍ غير مكترث؟ فجلس وهو يقول: لا أفلَحَ من لم يكن استعدَّ لمثل هذا اليوم، ثمّ حرّك شفتيه، وإذا هاتف ينادي من اللُّجّة: تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم؟ أيّها الرِّيح والبحر الهائج، اسكنا بإذن الله؛ فسَكَن البحر، وذهبت الرّيح، حتّى صار البحر كأنه دفّ، يعني، لوح خشب.

٦٤ ـ [توبة شقيق البلخي][2]

أخبرنا أبو الفتح بن عبد الباقي، قال: ثنا أبو الفضل الحدّاد، أنا أبو نعيم

---

(١) روى هذه القصة الحافظ أبو نعيم في الحلية ٨/٥، من طريق الشِّكلي، إلاّ إنه قال: عن خلف بن تميم، قال: كان إبراهيم بن أدهم في البحر فعصفت الريح . . . فذكر القصة بنحوها.
وذكر للقصة أسانيد أُخرَ عن إبراهيم بن أدهم من غير طريق الشُّكلي.
قلت: وهذا الأختلاف على الشكلي إما أن يكون سمعه من كلا الطريقَين، فكان يحدِّث مرّة هكذا ومرّه هكذا، أو يكون خلّط ووهم، وهو لم يكن بالحافظ، بل كان من الزهاد، والله تعالى أعلم.

(٢) هو شقيق بن إبراهيم البلخي، أبو علي، من كبار الزُّهاد، من خراسان، وكان من كبار المجاهدين، اسشتهد في غزوة كولان، ما وراء النهر، سنة أربع وتسعين ومائة.
أنظر ترجمته في الحلية ٨/٥٨ ـ ٧٣، وميزان الإعتدال ٢/٢٧٩، ولسان الميزان ٣/١٥١ ـ ١٥٢.

الحافظ[1]، ثنا أبو بكر محمّد بن أحمد البغداديّ، ثنا عبّاس بن أحمد الشّاشيّ[2]، ثنا أبو عقيل الرُّصَافي[3]، ثنا أحمد بن عبد الله الزّاهد، قال: قال عليّ بن محمّد بن شقيق:

كان لجدي ثلثمائة قرية: ولم يكن له يومَ ماتَ كفنٌ يُكفَّن فيه، قَدَّمَهُ كلَّه بين يديه، قال: وكان خرج إلى بلاد الترك لتجارة ـ وهو حَدَثٌ ـ إلى قوم يقال لهم: الخلوخيّة يعبدون الأصنام. فدخل إلى بيت أصنامهم، وعالِمَهُم قد حَلَق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً حمراً أرجوانيّة، فقال له شقيق: إن هذا الذي أنت فيه باطلٌ، ولهؤلاء ولك ولهذا الخلق خالقٌ صانع ليس كمثله شيء، له الدنيا والآخرة، قادر على كل شيء، رازق كل شيء.

فقال له الخادم: ليس يوافق قولَك فعلُك. فقال له شقيق: كيف ذلك؟ قال: زعمت أن لك خالقاً قادراً على كل شيء، وقد تعنَّيتَ[4] إلى ها هنا لطلب الرزق، ولو كان كما تقول كان الذي يرزقك ها هنا يرزقكَ ثمَّ، فتربح العَنَاء.

قال شقيق: فكان سبب زهدي كلام التركيّ. فرجع فتصدّق بجميع ما مَلك وطلب العِلْم.

٦٥ ـ [عبد الله بن مرزوق][5]

وروى أبو سعيد، بإسناد له أنّ عبد الله بن مرزوق كان مع المهديّ في دنيا

---

(١) في الحلية ٨/٥٩.

(٢) في حلية الأولياء ٨/٥٩: الشامي. والله تعالى أعلم.
والشاشي: بفتح الشين المعجمة، بعد الألف شين ثانية هذه النسبة إلى الشاش، وهي مدينة وراء نهر اسيحون، خرج منها جماعة من العلماء، اللباب ٢/١٧٤.

(٣) الرُّصافي: بضم الراء، وفتح الصاد المهملة، وبعد الألف السكنة فاء، هذه النسبة إلى مدينة الرُّصافة، وهي مدينة بالشام كان هشام بن عبد الملك يكثر سكناها، فنسبت إليه..
وهي ـ أيضاً ـ نسبة إلى مدينة بالأندلس عند قرطبة، يقال لها، الرُّصافة..
وإلى محلّة الرصافة ببغداد، وبها جامع المهدي...
وإلى الرصافة التي بواسط..
وإلى الرصافة، وهي مدينة صغيرة، بناحية البصرة...
أنظر اللباب ٢/٢٩.

(٤) في الحلية ٨/٥٩: تغيَّبتَ.
وتعَّنيت، أي: تحملت العناء، وهو التعب والنصب، أنظر مختار الصحاح ص ٥٢٩.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٣/٣٥٦: «عبدالله بن مرزوق، روى عنه أبو الحسين بن المظفر، قال الخطيب ـ أي البغدادي ـ هو: عبد الباقي بن قانع، دلّسه ابن المظفر، فسمّاه: عبدالله، ونسبه إلى أحد أجداده» أ هـ. =

واسعة. فشرب ذات يوم على لهوٍ وسماع، فلم يصلِّ الظهر والعصر والمغرب، وفي كلِّ ذلك تنبهّه جارية حَظِيَّة[1] عنده.

فلما جاز وقت العشاء جاءت الجارية بجمرة فوضعتها على رجله، فانزعج، وقال: ما هذا؟ قالت: جمرة من نار الدنيا، فكيف تصنع بنار الآخرة؟

فبكى بكاءً شديداً، ثمّ قام إلى الصلاة.

ووقع في نفسه مما قالت الجارية، فلم يرَ شيئاً ينجيه إلاَّ مفارقة ما هو فيه من ماله.

فأعتق جواريه، وتحلّل من معامليه، وتصدّق بما بقي، حتى صار يبيع البَقْل، وتَبِعته على ذلك الجارية.

فدخل عليه سفيان بن عيينة[2]، وفُضَيل بن عياض[3]، فوجدا تحت رأسه لَبِنَةً وليس تحته شيء. فقال له سفيان: إنه لم يَدَعْ أحد لله شيئاً إلا عوّضه الله منه بدلاً، فما عوّضك مما تركت له؟.

قال: الرِّضَى بما أنا فيه.

٦٦ - [جعفر بن حَرْب][4]

وذكر أبو القاسم التَّنُوخي[5]، عن أبيه، أنّ جعفر بن حَرْب كان يتقلّد كبار الأعمال

= وعبد الباقي بن قانع، هو أبو الحسين الحافظ، قال الدارقطني: كان يحفظ ولكنه يخطىء، ويصيب، وقال البرقاني: هو عندي ضعيف، ورأيت البغداديين يوثقونه، وقال أبو الحسن بن الفرات: حدث به اختلاط قبل موته بسنتين.

وقال الخطيب البغدادي: لاأدري لماذا ضعّفه البرقاني، فقد كان ابن قانع من أهل العلم والدراية، ورأيت عامّة شيوخنا يوثقونه، وقد تغّير في آخر عمره، مات سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

وهذا هو الراجح، كذا في لسان الميزان ٣/٣٨٣ - ٣٨٤.

(١) أي: ذات مكانة وجاه عنده، أنظر مختار الصحاح ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد، الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجّة، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ومائة، وله إحدى وتسعون سنة التقريب ١/٣١٢.

(٣) هو فُضيل بن عياض بن مسعود التيمي، أبو عليّ، الزاهد المشهور، أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها، التقريب ٢/١١٣

(٤) هو جعفر بن حَرْب الهمداني، البغدادي، من كبار المعتزلة في بغداد، درس الكلام بالبصرة على أبي الهذيل العلاّف، وكان زاهداً، وله اختصاص بالواثق العباسي، وصنّف كتباً معروفة عند المتكلمين، منها: الإيضاح، والمسترشد، والأصول الخمسة التي بُني عليها الإسلام، توفي سنة ست وثلاثين ومائتين، وهو ابن تسع وخمسين سنة. =

للسلطان. وكانت نعمته تُقَارِب نعمة الوزارة في غاية الوُفُور، ومنزلته بحالها في الجلالة. فسمع رجلاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وما نَزَلَ مِنَ الحقِّ﴾[1]. فصاح: اللَّهمّ بلى، فكرّرها دَفَعات، وبكى.

ثم نزل عن دابّته، ونزع ثيابه، ودخل إلى دجلة[2] واستتر بالماء، ولم يخرج منه

= أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٧/١٦٢ ـ ١٦٣، وميزان الإعتدال ١/٤٠٥، ولسان الميزان ٢/١١٣، ومعجم المؤلفين ٣/١٣٦.

(٥) قال في اللباب ١/٢٢٥: «التَّنوخي: بفتح التاء ثالث الحروف، وضمّ النون المخفّفة، وفي آخرها الخاء المعجمة،

هذه النسبة إلى تَنوخ، وهو اسمٌ لعدّة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين، وتحالفوا على التناصر، فأقاموا هناك، فسمّوا تنوخاً، والتنوخ: الإقامة.

منهم: . . . وأبو القاسم ـ «الراوي عند المصنف ـ علي بن محمد بن أبي الفهم ـ واسم أبي الفهم داود ـ ابن إبراهيم بن تميم التنوخي، ولد بأنطاكيّة في ذي الحجّة، سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقدِم بغداد وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث من الحسن بن أحمد بن فيل الأنطاكي وغيره، وكان معتزلياً، وتوفي بالبصرة شهر ربيع الأول، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة» أ هـ.

وأنظر ترجمته أيضاً ـ في: تاريخ بغداد ١٢/٧٧ ـ ٧٩، ولسان الميزان ٤/٢٥٦ ـ ٢٥٧، وشذرات الذهب ٢/٣٦٢ ـ ٣٦٤، ومعجم المؤلفين ٧/١٩٦.

---

(١) سورة الحديد، آية رقم /١٦، وتمامها قوله تعالى: ﴿ولا يكونوا كالذين أُوتُوا الكتاب مِن قبلُ فطالَ عليهمُ الأمَدُ فقَست قلوبُهم، وكثيرٌ منهم فاسقون﴾.

روى الإمام مسلم في صحيحه، في كتاب التفسير، باب (١) في قوله تعالى: ﴿أَلَم يأنِ للذين آمنوا أن تخشَعَ قلوبهم لذكر الله﴾، حديث رقم (٣٠٢٧) ٤/٢٣١٩، عن ابن مسعود أنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية. ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ إلا أربع سنين.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٤/٣١٠: «يقول الله تعالى: أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي تلين عند الذكر، والموعظة، وسماع القرآن فتفهمه، وتنقاد له، وتسمع له وتطيعه. . .».

وقوله تعالى: ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبلُ فطال عليهُم الأمد فقست قلوبهم﴾، نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم مِن اليهود والنصارى، لمّا تطاول عليهم الأمد بدّلوا كتاب الله الذي بأيديهم، واشتروا به ثمناً قليلاً، ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الأراء، المختلفة، والأقوال المؤتفكة، وقلّدوا الرجال في دين الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، فعند ذلك قست قلوبهم، فلا يقبلون موعظة، ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد ﴿وكثير منهم فاسقون﴾، أي: في الأعمال، فقلوبهم فاسدة، وأعمالهم باطلة، كما قال تعالى: ﴿فبما نقضهم ميثاقهم وجعلنا قلوبهم قاسية، يحرفون الكلم عن مواضعة ونسوا حظاً مما ذكّروا به﴾، أي: فسدت قلوبهم فقست، وصار من سجيَّتهم تحريف الكَلِم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها، وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية» أ هـ.

(٢) هو نهر ببغداد معروف.

حتى فرّق جميع ماله في المظالم التي كانت عليه، وردّها، وتصدّق بالباقي.

فاجتاز رجل فرآه في الماء قائماً ـ وسمع بخبره ـ فوهب له قميصاً ومئزراً، فاستتر بهما وخرج. وانقطع إلى العِلْم والعبادة حتى مات.

٦٧ ـ [توبة هارون الرشيد][١]

أخبرنا محمَّد، ثنا حمد، قال: أنبأ أحمد، ثنا[٢] سليمان بن أحمد، قال: أنبأ سليمان بن أحمد، قال: أنبأ محمّد بن زكريا الغَلَابي[٣]، ثنا أبو عُمر الجَرْمي النَّحْويّ[٤]،

---

(١) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم، ولِدَ بالرَّي، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، بُويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة (١٧٠) هـ. فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان عالماً، يحب الفقه والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعر والشعراء، ويُعظِّم في صدره الأدب والأدباء، وكان يكره المراء في الدين والجدال، وكان فصيحاً، شجاعاً، كثير الغزوات، له وقائع كثيرة مع الروم، توفي سنة (١٩٣) هـ. وكانت خلافته (٢٣) سنة.
أنظر تاريخ بغداد ١٤/٥ ـ ١٣.

(٢) في المطبوعة: أنبأ أحمد بن سليمان بن أحمد، وهو خطأ وأحمد هو: ابن عبدالله أبو نعيم الأصبهاني، والقصة ذكرها في الحلية ٨/١٠٥ ـ ١٠٨.

(٣) هو محمد بن زكريا بن دينار الغَلَابي، البصري. الأخباري، أبو جعفر، قال في ميزان الإعتدال ٣/٥٥٠: «وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال: يُعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة.
وقال: ابن منده: تُكُلِّم فيه.
وقال الدارقطني: يضع الحديث.
ثم ساق له حديثين منكرين» أ هـ.
وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان ٥/١٦٨ ـ ١٦٩: «وبقيّة كلام ابن حبان، قال: في روايته عن المجاهيل بعض المناكير.
وقال الحاكم في تاريخه: حدثنا الحسن بن محمد، ثنا محمد بن زكريا، ثنا... فذكر حديثاً ثم قال: رواته ثقات إلا محمد بن زكريا، وهو الغَلَابي المذكور، فهو آفته.
قال أبو عبدالله بن منده: حدّث الغلَابي عن أبي زيد الأنصاري، صاحب أخبار تُكُلِّم فيه.
توفي بالبصرة بعد سنة ثمانين ومائتين» أ هـ.
والغَلَابي: بفتح الغين، وبعدها لام ألف مخفّفة، ثم باء موحدة، هذه النسبة إلى غَلَاب، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه، وهو أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغَلَابي، اللباب ٢/٣٩٥

(٤) هو صالح بن إسحاق، الجرمّي، نحوي، لغويّ، فقيه أخباري، عروضي، له أحاديث، قدم بغداد وأخذ النحو عن الأخفش، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة والأصعمي وغيرهما، وكان ممن اجتمع له مع العلم صحة المذهب وحسن الإعتقاد، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين، من مصنفاته: الكتاب المختصر في النحو، التثنية والجمع، كتاب العروض، وكتاب الأبنية.

ثنا الفَضْل بن الرَّبيع[1]، قال:

حجّ أمير المؤمنين هارون الرشيد. فبينا أنا نائم بمكة إذ سمعت قَرْعَ الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أجب أمير المؤمنين. فخرجت مُسْرِعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين! لو أرسلتَ إليّ لأتيتُك. فقال: وَيْحَك، قد خطر في نفسي شيء، فانظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا سفيان بن عُيَيْنَة[2]. فقال: امض بنا إليه. فأتيناه، فقرعت الباب، فقال: من ذا؟ قلت: أجِب أمير المؤمنين؛ فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلتَ إليّ لأتيتُك. فقال له: خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ، فحدّثه ساعة، ثمّ قال[3] له: عليك دَينٌ؟ قال: نعم. قال: اقضِ دَيْنَه[4].

فلما خرجنا، قال: ما أغنَى عنّي صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. فقلت: ها هنا عبد الرزاق بن همّام[5]. فقال: امضِ بنا إليه. فأتيناه، فقرعت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين! فخرج مسرعاً، فقال: يا أمير المؤمنين! لو أرسلتَ إليّ لأتيتُك. قال: خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ، فحادثه ساعة، ثم قال: أعليك دَينٌ؟ قال: نعم. قال: يا عباسيُّ! اقضِ دَيْنَهُ.

= أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/٣١٣ ـ ٣١٥، البداية والنهاية ١٠/٢٩٣، شذرات الذهب ٢/٥٧، اللباب ١/٢٧٤، ومعجم المؤلفين ٥/٣.
والجَرْمي: بفتح الجيم، وسكون الراء، وفي آخرها الميم، هذه النسبة إلى جرْم، وهي قبيلة. اللباب ١/٢٧٣.

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، واسم أبي فروة كيسان، وكنيته الفضل: أبو العباس، وكان حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولما أفضت الخلافة إلى الأمين، قدِم الفضل عليه من خراسان ـ وكان في صحبة الرشيد إلى أن مات بطوس ـ، فأكرم الأمينُ الفضلَ، وألقى أزمة الأمور إليه، وعوّل في مهماته عليه، وقد أسند الحديث عن المنصور والمهدي أميرَي المؤمنين، توفي سنة سبع ومائتين، وقيل في سنة ثمان ومائتين، ويقال: إن مولده كان في سنة أربعين ومائة، وقيل: في سنة ثمان وثلاثين ومائة، تاريخ بغداد ١٢/٣٤٣ ـ ٣٤٤.
وهذا إسناد ضعيف عن الفضل بن الرَّبيع، فيه. محمد بن زكريا الغلَابي، وهو ضعيف، كما تقدم، لكن يبدو أن للقصة إسناداً آخر، يظهر ذلك من قوله آخر القصة. وقال غير أبي عمر ـ أي: الجَرْمي ـ: فبنيا نحن كذلك. . . ، فيظهر هنا أن هناك من روى القصة غيره، فزاد عليه، والله تعالى أعلم.
(٢) هو الإمام المعروف ـ رحمة الله تعالى ـ، وقد تقدمت ترجمته في القصة قبل السابقة.
(٣) أي: أمير المؤمنين هارون الرشيد.
(٤) الخِطَاب هنا للفَضْل بن الربيع.
(٥) هو الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني، صاحب المُصَنَّف، تقدمت ترجمة ضافية له.

ثم انصرفنا، فقال لي: ما أغنى عنّي صاحبك شيئاً، انظر لي رجلاً أسأله. قلت: ها هنا الفُضَيل بن عياض[1]. فقال: امضِ بنا إليه. فأتيناه وإذا هو قائم يصلّي يتلو آيةً من القرآن يردّدها. قال: اقرع الباب؛ فقرعته. فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. فقال: مالي ولأمير المؤمنين؟ فقلت: سبحان الله! أما عليك طاعتُه؟ فنزل ففتح الباب، ثم ارتقَى إلى الغرفة فأطفأ السّراج، ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت.

فدخلنا فجعلنا نَجُول عليه بأيدينا، فسبقت كفّ هارون قبلي إليه. فقال[2]: يا لَها من كفّ ما أنعمها وألْيَنها إن نجت غداً من عذاب الله. فقلت في نفسي: ليكلمنَّه الليلة بكلام نقي من قلب نقيّ. فقال له: خذ لما جئناك له ـ رحمك الله ـ.

فقال[3]: إن عمر بن عبد العزيز لمَّا ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله[4]، ومحمد بن كعب القُرظيّ[5]، ورجاء بن حَيْوة[6]، فقال هم: قد ابتُليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ. فعدَّ الخلافة بلاءً، وعَدَدتها أنت وأصحابك نِعمة؟!.

فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النَّجاة من عذاب الله فصُم عن الدنيا وليكن إفطارك منها الموت.

وقال له محمد بن كعب: إن أردت النَّجاة من عذاب الله فليكنْ كبير المسلمين

---

(١) هو الإمام المعروف بالزهد والورع ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد تقدمت ترجمة له في القصة قبل السابقة.

(٢) أي: الفضيل. وذكر الخطيب في تاريخه ٨/١٤ بإسناده عن عبيدالله بن عمر القواريري، قال: لما لقي هارون الرشيد فُضيل بن عياض، قال له الفضيل: يا حسن الوجه أنت المسؤل عن هذه الأمة.

(٣) أي الفُضيل بن عياض.

(٤) هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عمر، أو أبو عبدالله، المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتاً عابداً فاضلاً، كان يُشبَّه بأبيه في الهدي والسَّمت، من كبار التابعين، مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح. التقريب ١/٢٨٠.

(٥) هو محمد بن كعب بن سُليم بن أسد، أبو حمزة القُرظي، المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم، من التابعين وُلد سنة أربعين على الصحيح، ووهم من قال ولد في عهد النبي ـ ﷺ ـ فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم يثبت من بني قريظة، مات محمد سنة عشرين ومائة، وقيل قبل ذلك التقريب ٢/٢٠٣.

والقُرظيّ بضم القاف، وفتح الراء، وفي آخرها ظاء معجمة. هذه النسبة إلى قُريظة، وهو اسم رجل نزل أولاده حصناً بقرب المدينة، اللباب ٣/٢٦.

(٦) هو رجاء بن حيْوة ـ بفتح المهملة، وسكون التحتانية، وفتح الواو ـ، الكندي، أبو المقدام، ويقال: أبو نصر، الفلسطيني، ثقة فقيه، من التابعين، مات سنة اثنتي عشرة ومائة، التقريب ١/٢٤٨.

عندك أباً، وأوسطهم عندك أخاً، وأصغرهم عندك ولداً، فوقِّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنَّن على ولدك.

وقال له رجاء بن حَيْوة: إن أردت النَّجاة من عذاب الله فأحبَّ للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مُتْ إذا شئت. وإني لأقولُ لك هذا، وإني لأخاف عليك أشدّ الخوف في يوم تزِلُّ فيه الأقدام، فهل معك ـ رحمك الله ـ مثل هؤلاء من يشير عليك أو يأمرك بمثل هذا؟.

فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشي عليه.

فقلت له: أرفق بأمير المؤمنين. قال: يا ابن أمّ الرّبيع، تقتُله أنت وأصحابك وأرْفقُ به أنا؟.

ثم أفاق، فقال: زدني رحمك الله.

فقال: بلغني يا أمير المؤمنين، أنّ عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكي إليه. قال: فكتب إليه عمر: يا أخي، اذكُرْ طول سهر أهل النّار في النّار مع خلود الأبد، فإن ذلك يطرد بك إلى باب الرّب نائماً ويقظان، وإياك أن يُنصرَف بك من عند الله إلى النار، فيكون آخر العهد، ومُنقطَع الرجاء.

قال: فلما قرأ الكتاب طوَى البلاد حتى قدم على عمر. فقال له: ما أقدمك؟ قال: خَلَعْتَ قلبي بكتابك، لاوَليتُ لك ولاية حتى ألقَى الله.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال له: زدني ـ رحمك الله ـ.

فقال: يا أمير المؤمنين! إن العبّاس، عمّ المصطفى ـ ﷺ ـ، جاء إلى النّبيّ ـ ﷺ ـ، فقال له: أمِّرْني. فقال له النبي ـ ﷺ ـ، «يا عبّاس، يا عم النبيّ، نفس تنجيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تتأمرنّ على أحد فافعل»[1].

---

(١) لم أجد هذا الحديث بتمامه هكذا، ولعله ملفق من ثلاثة أحاديث.
فأما جزءه الأول: يا عباس، ياعمّ النبي، نفس تنجيها خيرٌ من إمارة لا تحصيها، فقد عزاه الحافظ العراقي في تخريج الإحياء لابن أبي الدنيا هكذا معضلاً بغير إسناد، ورواه البيهقي.
[٩٦/١٠] من حديث جابر متصلاً، ومن رواية ابن المنكدر مرسلاً، وقال: هو المحفوظ مرسلاً، وقد روى أحمد في المسند من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: جاء حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، اجعلني على شيء أعيش به، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: يا حمزة، نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها؟ قال: نفس أحييها، قال: عليك نفسك. رواه أحمد ورواته ثقات إلا ابن لهيعة» أ هـ. نقلاً عن هامش المطبوعة.

قال: فبكى هارون بكاءً شديداً، . ثم قال له: زدني ـ رحمك الله ـ .

قال: يا حسن الوجه، أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق، فإن استطعت أن تَقيَ هذا الوجه من النار فافعل، وإيّاك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غشّ لرعيتك، فإن النبي ـ ﷺ ـ قال: «من أصبح لهم غاشاً لم يَرِحْ رائحة الجنة»[1].

قلت: ولعل تسمية عمّ النبي ـ ﷺ ـ حمزة، هو خطأ من ابن لهيعة، فحمزة ـ رضي الله عنه ـ استشهد في معركة أحد، ولم يكن حينها للنبي ـ ﷺ ـ شيء، حتى يسأله حمزة إيّاها، والله تعالى أعلم.

ورواه ـ أيضاً ـ أبو نعيم في الحلية ١٣٨/٦، عن الأوزاعي، عن النبي ـ ﷺ ـ، وهو ظاهر الإنقطاع، ومن الملفت للنظر أن الأوزاعي ذكر هذا الحديث لهارون الرشيد، ـ كما هنا ـ ذكره ضمن قصة طويلة في وعظه له.

فيرتقي هذا الجزء من الحديث بهذه الطرق إلى درجة الحسن لغيره، والله تعالى أعلم.

وأما الجزء الثاني منه: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الأحكام، باب (٧) ما يُكْرَه من الحرص على الإمارة، حديث رقم (٧١٤٨) ١٣/١٢٥، عن أبي هريرة، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: إنكم ستحرِصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة.

ورواه النسائي في كتاب البيعة، باب (٣٩)، وفي كتاب القضاة، باب (٥) وأحمد في المسند ٢/٤٤٨ ـ ٤٧٦.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٣/١٢٥: «قوله: وستكون ندامة يوم القيامة، أي: لمن لم يعمل فيها بما ينبغي، وزاد في رواية شبابة: وحسرة» أ هـ.

وفي طلب الإمارة وغيرها من المناصب اختلاف، وقد بينته في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي، الذي قد طبع بتحقيقي فانظره.

وأما الفقرة الأخيرة من الحديث: فإن استطعت أن لا تتأمرنّ على أحد فافعل، فقد روى مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب (٤) كراهة الإمارة بغير ضرورة، حديث رقم (١٨٢٦) ٣/١٤٥٧ ـ ١٤٥٨، عن أبي ذرّ، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: يا أبا ذر، إنّي أراك ضعيفاً، وإني أحب لك، ما أحب لنفسي لا تأَمَّرَنّ على اثنين، ولا تَوَلَّيَنّ مال يتيم.

ورواه ـ أيضاً ـ أبو داود في سننه، في كتاب الوصايا، باب (٤) بنحوه.

(١) رواه عن مَعْقِل بن يسار ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: ما من والٍ يلي رعِيَّة من المسلمين فيموت وهو غاشّ لهم إلاّ حرّم الله عليه الجنة:

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استُرْعِيَ رعيّةً فلم ينصح، حديث رقم (٧١٥١) ١٣/١٢٧. واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٧ ـ ٢٢٨) ١/١٢٥، وأوّله: ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت، وهو غاشّ..

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث الكتاب رقم (٢١) ٣/١٤٦٠. نحو اللفظ السابق.

فبكى هارون بكاءً شديداً، ثم قال: عليك دَينٌ؟ قال: نعم، دَيْنٌ لربّي لم يحاسبني عليه، فالويل لي إنْ سألني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي.

قال: فقال: إنما أعني من دَين العباد.

قال: إنّ ربيّ لم يأمرني بهذا، إنّ ربي أمرني أن أصدّق وَعْده، وأطيع أمره، فقال: ﴿وَما خلقتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ ليَعبدُونِ. ما أُريدُ مِنهُمْ مِنْ رِزْقٍ وما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمونِ. إنَّ الله هو الرَّزَّاقُ ذو القُوَّةِ المَتِينُ﴾[1].

فقال له: هذه ألفِ دينار، خذها فأَنفقها وتقوَّ بها على عبادة ربك. فقال: يا سبحان الله: أنا أدلُّك على النّجاة وأنت تكافيني بمثل هذا؟ سلّمك الله ووفقك؛ ثم صمت، فلم يكلِّمنا.

فخرجنا من عنده، فلما أن صرنا على الباب، قال لي هارون: يا عباسيّ! إذا دللتني على رجل فدلَّني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم.

قال غير أبي عمر[2]: فبينا نحن كذلك إذ دخلَت عليه امرأة من نسائه، فقالت: يا هذا، قد ترَى سوء ما نحن فيه من ضيق الحال، فلو قبلت هذا المال تفرّجنابه؟ قال: مَثَلي ومثَلُكُم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كَسْبه، فلما كبر نحروه وأكلوا لحمه.

= والدارمي في كتاب الرقائق، باب (٧٧) في العَدْل بين الرعية، حديث رقم (٢٧٩٦) ٢/٤١٧ بتحقيقي، نحو لفظ مسلم.

وأحمد في المسند ٥/٢٥.

والبيهقي في سننه الكبرى ٩/٤١.

ـ ورواه عنه ـ أي؛ عن معقل ـ أيضاً ـ بلفظ: ما من عبد يسترعيه الله رعيّة فلم يُحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنّة:

البخاري في كتاب الأحكام، باب (٨) من استُرْعيَ رعيةً فلم يَنْصح، حديث رقم (٧١٥٠) ١٣/١٢٦ ـ ١٢٧، واللفظ له.

ومسلم في كتاب الإيمان، باب (٦٣) استحقاق الوالي، الغاشّ لرعيته النار، حديث رقم (١٤٢)، حديث الكتاب رقم (٢٢٩) ١/١٢٦، ولفظه: ما من أمير يلي أمْر المسلمين، ثم لا يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخُل معهم الجنة.

وفي كتاب الإمارة، باب (٥) فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر..، حديث الكتاب رقم (٢٢) ٣/١٤٦٠ ـ ١٤٦١، مثل اللفظ السابق.

وأحمد في المسند ٥/٢٧.

والبيهقي في سننه الكبرى ٩/٤١.

(١) سورة الذاريات، الآيات/٥٦ ـ ٥٨.

(٢) هو الجَرْمي، راوي القصة عن الفضل بن الربّيع، كما تقدم في سند هذه القصة.

فلمَّا سمع هارون الكلام، قال: نرجع فعسى أن يقبل المال؛ قال: فدخل. فلما علم فُضَيل، خرج فجلس على تراب في السطح على باب الغرفة، وجاء هارون فجلس إلى جنبه، فجعل يكلّمه فلم يجبه.

فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذَيتَ الشيخ منذ الليلة، فانصرف ـ رحمك الله ـ ، قال: فانصرفنا.

٦٨ ـ [توبة ابن هارون الرشيد]

قرأت على الشيخ الصالح أبي المكارم المبارك بن محمد بن المعمّر البادَرَائي[1]، أخبركم أبو غالب بن أحمد الباقِلاني، وقُرِىء على أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن هلال الدقّاق وأنا أسمع، أخبركم أبو طاهر عبد الملك بن أحمد السُّيُورِي[2]، قالا: أنبأ أبو القاسم بن بشران، أنبأ أبو بكر الآجرّيّ، قال: سمعت أبا بكر بن أبي الطيّب، يقول: بلغنا عن عبد الله بن الفرج العابد[3]، قال:

احتجت إلى صانع يصنع لي شيئاً من أمر الروزَجاريِّين[4]، فأتيت السوق، فإذا بأواخرهم شاب مصفَرّ، بين يديه زِنْبيل[5] كبير ومرّ[6]، وعليه جبة صوف ومئزر صوف، فقلت له: تعمل؟ قال: نعم. قلت: بِكَمْ؟ قال: بدرهم ودانِقَ[7].

فقلت له: قمْ حتى تعمل. قال: على شريطة. قلت: ما هي؟ قال: إذا كان وقت الظهر فأذّن المؤذن خرجتُ فتطهَّرت وصليت في المسجد جماعةً ثم رجعت، فإذا كان وقت العصر فكذلك. فقلت: نعم.

فقام معي، فجئنا المنزل، فوافقته على ما ينقله من موضع إلى موضع. فشدَّ وسطه

---

(١) البادَرَائي: بفتح الباء الموحدة، والدال المهملة بعد الألف، وبعدها راء، هذه النسبة إلى بادَرايا، وهي قرية أظنها من أعمال واسط، اللباب ١/١٠٤.

(٢) السُّيُوري: بضم السين المهملة والياء آخر الحروف، وبعد الواو راء. هذه النسبة إلى عمل السُّيُور، وهو أن يقطع الجلد سُيُوراً دِقاقاً ويخرز بها السروج، اللباب ٢/١٧٠.

(٣) هو عبدالله بن الفرج، أبو محمد القنطري، كان أحد العباد، وكان بشر بن الحارث يودّه ويزوره، حكَى عن فتح الموصليّ وغيره حكايات، روى عنه محمد بن الحسين، البرجلاني، وأحمد بن محمد التاحي، وعلي بن الموفق وغيرهم، تاريخ بغداد ١٠/٤١ ـ ٤٢.
وهذا إسناد فيه انقطاع، وهو ظاهرٌ من قوله: بلغنا عن عبدالله.

(٤) هم: العمّال الذين يقومون بأعمال مختلفة بأجر يومي.

(٥) هو وعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ١٨١: «المرّة: واحدة المَرّ والمرار والمَرْمَر: الرخام» أ هـ.

(٧) الدانِقَ: ـ بفتح النون وكسرها ـ سدس الدرهم. مختار الصحاح ص ٣١٦.

وجعل يعمل، ولا يكلمني بشيء حتى أذّن المؤذّن الظهر. فقال: يا عبد الله! قد أذن المؤذّن. قلت: شأنك. فخرج فصلّى، فلما رجع عمل أيضاً عملاً جيداً إلى العصر. فلما أذن المؤذن، قال لي: يا عبد الله! قد أذّن المؤذن. قلت: شأنك. فخرج فصلّى العصر، ثم رجع.

فلم يزل يعمل إلى آخر النهار، فوزنت له أجرته وانصرف.

فلما كان بعدَ أيام احتجنا إلى عمل. فقالت لي زوجتي: اطلب لنا ذاك الصَّانع الشاب، فإنه قد نصحنا في عملنا. فجئت السوق، فلم أره. فسألت عنه، فقالوا: تسأل عن ذاك المصفَّر المشؤوم الذي لا نراه إلاَّ من سبت إلى سبت، لا يجلس إلاّ وَحْدَه في آخر النَّاس؟ قال: فانصرفت.

فلمَّا كان يوم السبت أتيت السّوق فصادفته. فقلت: تعمل؟ فقال: قد عرفت الأجرة والشرط. قلت: أستخير الله تعالى.

فقام فعمل على النحو الذي كان يعمل.

قال: فلمَّا وزنت له الأجرة زدته، فأبى أن يأخذ الزيادة. فألححت عليه، فضجر وتركني ومضَى. فغمَّني ذلك، فاتَّبعته وداريته حتى أخذ أجرته فقط.

فلما كان بعد مدّة احتجنا أيضاً إليه. فمضيت في يوم السبت فلم أصادفه. فسألت فقيل لي: هو عليل. وقال لي من يُخْبَر أمرَه: إنما كان يجيء إلى السوق من سبت إلى سبت يعمل بدرهم ودانق، ويتقوّت كل يوم بدانق، وقد مرض.

فسألتُ عن منزله، فأتيتُه وهو في بيت عجوز. فقلت لها: هنا الشاب الروزجاريّ؟ فقالت: هو عليل منذ أيام. فدخلت عليه، فوجدته لما به، وتحت رأسه لَبِنَةٌ. فسلّمت عليه، وقلت: لك حاجة؟ قال: نعم إن قبلتَ، قلت: أقبل إن شاء الله.

قال: إذا متُّ فَبِع هذا المرّ، واغسل جبتي هذه الصّوف، وهذا المئزر، وكفّنّي بهما، وافتُق جيب الجبة فإنّ فيها خاتماً، وانظر يوم يركب هارون الرّشيد، فَقِف له في موضعٍ يراك، فكلِّمه وأَرِهِ الخاتم؛ فإنه سيدعو بك، فسلّم إليه الخاتم، ولا يكون هذا إلاّ بعد دفني. قلت: نعم.

فلمَّا مات فعلت به ما أمرني. ثم نظرت اليوم الذي يركب فيه الرشيد، فجلست له على الطريق. فلمّا مرّ، ناديتُه: يا أمير المؤمنين! لك عندي وَدِيعة. ولوّحت بالخاتم؛ فأمَر بي، فأُخِذْت وحُملت حتى أُدخلتُ إلى داره. ثم دعاني، ونحّى جميع من عنده، وقال: من أنت؟ قلت: عبد الله بن الفرج. فقال: هذا الخاتِم من أين لك؟ فحدثته قصّة

الشابّ. فجعل يبكي، حتى رَحِمتُه.

فلمّا أَنس إليّ، قلت: يا أمير المؤمنين! من هو منك؟ قال: إبني.

قلت: كيف صار إلى هذه الحال؟

قال: وُلد لي قبل أن أُبْتلَى بالخلافة، فنشأ نشوءاً حسناً، وتعلّم القرآن والعِلم. فلمّا وليتُ الخلافة تركني، ولم يَنَلْ من دنياي شيئاً. فدفعتُ إلى أمه هذا الخاتم ـ وهو ياقوت يسوى مالاً كثيراً ـ فَدَفعْتُهُ إليها، وقلت: تدفعين هذا إليه ـ وكان براً بأمه ـ وتسألينه أن يكون معه، فلعله أن يحتاج إليه يوماً من الأيام فينتفع به. وتُوفِّيت أمّه؛ فما عرفت له خبراً إلا ما أخبرتني به أنت.

ثم قال: إذا كان الليل أخرج معي إلى قبره. فلما كان الليل خرَج وحده معي يمشي حتى أتينا قبره، فجلس إليه، فبكَى بكاءً شديداً. فلمّا طلع الفجر قمنا فرجع.

ثم قال: تعاهدني في الأيام حتى أزور قبره، فكنت أتعاهده في الليل، فنخرج حتى نزوره، ثم نرجع.

قال عبد الله بن الفرج: ولم أعلم أنه ابن الرّشيد حتى أخبرني الرّشيد أنه ابنه. أو كما قال ابن أبي الطيّب[1].

٦٩ ـ [توبة عليّ بن المأمون، والمأمون][2]

وذكر إبراهيم بن الجُنيد[3] في كتاب «زهد الملوك»، بإسناده عن صالح بن

---

(١) هو أبو بكر بن أبي الطيب الذي روى القصة.

(٢) المأمون هو عبدالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس، ولد سنة (١٧٠) هـ. سابع الخلفاء، من بني العباس في العراق. وأحد أعاظم الأمراء في سيرته وعلمه وسعة ملكه، ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة (١٩٨) هـ. فتّمم ما بدأ به جدّه المنصور، وقرب العلماء، والمحدثين، والفقهاء، والمتكلمين، وأهل اللغة والأخبار، أخباره كثيرة، توفي في بذنون سنة (٢١٨) هـ. ودفن في طرسوس، نقلاً عن هامش المطبوعة بتصّرف.

(٣) هو إبراهيم بن عبدالله بن الجُنيد الخُتّلي، نزيل سامرّا، أبو إسحاق، الحافظ العالم، سمع سعيد بن أبي مريم، وأبا نعيم، وأبا الوليد وغيرهم، وسأل يحيى بن معين عن الرجال، وصنف. وجمع، حدّث عنه أبو العباس بن مسروق، وأبو بكر الخرائطي وآخرون، وثقه الخطيب، وقال: له كتب في الزهد والرقائق.

قلت ـ أي: الإمام الذهبي ـ: لم أظفر له بوفاة، وكأنها في حدود الستين ومائتين، تذكرة الحفاظ ٥٨٦/٢.

عبد العزيز، قال: أخبرني عمّي عبد الحميد بن محمد:

أنّ المأمون كان يَجِدُ بابنه عليّ وَجَداً شديداً، ويقدّمه على جميع أولاده. وكان من أحسن النّاس، وأجملهم، مع أدب وفصاحة.

قال عبد الحميد: وكنت إذا دخلت الدار أميل إليه فأسلّم عليه؛ فأرَى معه حياءً وبشاشة، ولا أرى فيهِ كِبْراً ولا عِزّاً، يضاحك خدمه، ويلاطف جلساءه؛ ثمّ أسخَى من رأت عيناي، وأحسنه خلقاً، وأطيبه نفساً. وكنت إذا رأيته لا أكاد أصرف وجهي عنه من حُسنه وجماله.

وكان سبب تزهّده فيما أخبرني به شاكر مولاه، قال: كان في يوم صائف شديد الحرّ له سموم في قبّة الجيش؛ فأتاه يمنُ الخادمُ، فقال: يا سيدي! أمير المؤمنين يدعوك، قد دعا بطعامه وهو ينتظرك. قال: ويحك! الحرّ شديد ويؤذيني، وأكره الخروج، فارجِع فأعلمه أنك وجدتني نائماً. فمضى، فلم يكن بأسرع من أن رجع، فقال: قد قال: أُدْخُل عليه ونبِّهْهُ ـ وكان لا يصبر عنه ساعة ـ، فقام وهو كاره، فحضر الطعام.

ثم قعد أمير المؤمنين للشراب مع ندمائه، فقام عليّ وخرج من المجلس؛ وكان لا يشرب شيئاً من الأنبذة. فانصرف إلى قصره، وأمر أن يُفرَش له في بعض مستشرفه على دجلة، وألقَى فيه الماء والثلج والخِلاف[1]، وقعد على سرير عليه غِلالة[2] ينظر إلى الناس، وإلى دجلة. ودعا بقِيَانه[3] وندمائه.

فبينا هو كذلك، إذ نظر إلى حمّال قد أقبل عند الزوال، عليه درّاعة صوف بيضاء بالية، بلا قميص تحتها، ولا سراويل عليه؛ وقد شدّ على رجليه خِرقاً من الحرّ، ولبس نعلين متخرقين، وعلى رأسه خرقة، وعلى عنقه كرزنُهُ[4] وطبقُهُ، فأتى دجلة وقعد في بعض السفن، ـ والأمير ينظر إليه مستشرف عليه لا يصرف بصره عنه ـ فوضع طبقه وكرزنه، وخلع نعلَيه، وألقى الخِرَق عن رجليه، ودنا من دجلة وغسل يدَيه ورجليه؛ وانصرف إلى موضعه فأخرج جراباً له، ففتحه، وأخرج منه كسراً يابسة مختلفة الألوان،

---

(١) أي: العطور. أنظر أساس البلاغة ص ١١٩.

(٢) الغلالة: شِعار يلبس تحت الثوب للبدن خاصة، كذا في أساس البلاغة ص ٣٢٧، ومختار الصحاح ص ٣٧٧، والمقصود هنا: إن السرير عليه شعار رقيق ناعم، كالذي يلبسه الإنسان تحت الثوب، والله أعلم.

(٣) القِيَان: العبيد والإماء، أنظرا أساس البلاغة ص ٣٨٤.

(٤) قال الإستاذ عبد القادر أرناؤوط هامش المطبوعة: لعلها: كرزُه، والكُرْز: ضَرْبٌ من الجُوَالِق، وقيل: الخَرْج الذي يَحمل فيه الراعي زاده ومتاعه.
قلت: أنظر أساس البلاغة ص ٣٩٠ ففيها تأكيد لقوله، والله تعالى أعلم.

وآخرج منه قَصْعَةَ خشب، فغسل قَصعته، وجعل فيها ماءً، وألقى تلك الكسر في الماء الذي في القَصْعة، ثم أخرج صُرّة ففتحها وأخرج منها مِلْحاً فنثره على الخبز، وقليلَ سعترٍ، وتركها مقدار ما بل الكسر. ثم تربَّع على الرمل وسمّى الله تبارك وتعالى وأكَلَ أكْلَ رجل يشتهي الطعام، وهو مع ذلك يشكر الله تعالى؛ والأمير عيناه إليه. حتى فرغ وغسل القَصْعة فردّها إلى جرابه مع كُسيرات بَقِيَت، وشدّ خِرْقة الملح. ودنا من الشطِّ فاغترف بكفّيه من الماء، وقال: يا سيدي ومولاي! لك الحمد على هذه النعمة التي تفضّلت بها عليَّ، فلك الحمد على أيَادِيك عندي، فلك الحمد ولك الشكر.

ثم وضع رأسه على كرزنه وتمدّد على الرَّمل ساعة. ثم قام فتهيأ للصلاة وقام يصلِّي للزوال.

فقال الأمير للغلمان الوقوف عنده: ليذهب بعضكم إلى الرجل القائم المصلي فيأتيني به مع طبقهُ وكرزنه، ولا يُرْعِبه، وعليه باللطيف حتى يأتيني به.

فمضَى بعض الغلمان فأتاه فأقام عنده حتى سلَّم، ثمّ قال له: قم معي حتى تحمل لي متاعاً من قصر الأمير. فقال: اطلب غيري فإني متعوب البدن. قال: الموضع قريب والحمل خفيف. قال: يا حبيبي! قد عرفتُ ذلك، وأنت تصيب غيري، فاعفني فإنّي أكره دخول الدار. قال: لا بدّ منه، فإن قمت وإلاّ أُقِمْتَ. وغلّظ له في الكلام. فقام الرجل وألقى كرزنه في عنقه وحمل الطبق، وقرأ: ﴿وَعَسَى أنْ تَكرَهوا شيْئاً وَهوَ خَيرٌ لكُم﴾[1]، ﴿فَعَسى أن تكرَهوا شَيئاً وَيجعَلَ الله فيهِ خَيراً كثيراً﴾[2].

فأدخله الغلام القصر، ثم أصعده حتى أوقفه بين يدَي الأمير على هيئته، فأمره بالقعود. فقال له الندماء: أيها الأمير! مَنْ هذا حتى تأمره بالقعود مع وسخه ونجاسته؟ قال: اسكتوا. ثم قال: مِنْ أهلِها أنت؟ قال: نعم. قال: ما صناعتك؟ قال: ما ترَى، الحملُ. قال: وكمْ عيالُك؟ قال: نحن عيال الله، لي والدة عجوز مُقعَدة، وأخت عمياء زَمِنة. قال: فأهل وولد؟ قال: مالي أهل ولا ولد.

قال: فكم يكون الكَسْب؟ قال: على قدر ما أُرْزَق، إلاّ أنه لا ينصرم يوم إلا ونحن في كفاية من فضل الله تعالى. قال: فتطيق الحمل كلّ يوم؟ قال: إذا صلّيتُ الفجر خرجت فتعرّضت للرزق إلى وقت الزوال، ثمّ أتفرّغ لنفسي إلى فراغي من صلاة العصر، وأُجِمّ[3] نفسي من العصر إلى الليل. قال: أفليس تكون بالليل جماماً؟ قال: إن أَجْمَمتُ

---

(١) سورة البقرة، آية رقم /٢١٦.

(٢) سورة النساء، آية رقم /١٩

(٣) أي: أُرِيح نفسي، أنظر أساس البلاغة ص ٦٤ ـ ٦٥.

نفسي بالليل تركني فقيراً يوم القيامة.

ففطن لها عليّ، فقال: إني رأيتك تأكل وحدك، كيف لا تأكل مع والدتك وأختك؟ قال: إنهما يصومان فأجعل عشائي مع فطرهما.

قال: أخرج الكسر. ففتح جِرابه فأخرج منه كسراً يابسة، أسود وأحمر وأبيض. فنظر إليها الأمير ساعة يتأمّلها متفكّراً، ثمّ قال: يا شاكر! إيتني بخمسة آلاف درهم صحاح، فادفعها إليه ليصلح بها حاله.

قال: أيّها الأمير! أنا غنيّ عنها، لا حاجة لي فيها. فجهد به على أن يأخذها، فأبى.

قال الأمير: فلي إليك حاجة. قال: ما حاجة مثلك إلى مثلي؟ قال: هي حاجةٌ مهمّة. فأخذ بيده فأدخله بعض غرفه وخلا معه، وقال: يا هذا! قد عرفتَ حالي وقصّتي وموضعي وما أنا فيه من هذا الملك ونعيم الدنيا ولذّاتها، فادعُ الله تبارك وتعالى أن يزهّدني في الدنيا ويرغّبني في الآخرة.

فقال له الحمّال: يا حبيبي! مالي عند الله من المنزلة ما أدعوه، إلّا أن بعض الحكماء يقول: من خاف شيئاً أَدْلَجَ[1]؛ افرض على نفسك كلّ يوم وساعة شيئاً معلوماً من خصال الخير؛ فإنك إذا فعلت ذلك جاءتك العزيمة بالعون من الله تعالى على ذلك؛ ولا تؤخّر عمل يومك لغد؛ ولا تُكَلِّف نفسك ما لا طاقة لها به؛ وأكثر ذِكر الموت، فإن ذِكْره يُكَثِّر القليل، ويقلّل الكثير، وعليك بتقوى الله تعالى وطاعته، واجتناب معاصيه. ثمّ رفع يدَيه وطأطأ رأسه ودمعت عيناه، وقال: يا مَنْ رفع السماء بقوّته، ودَحا[2] الأرض بمشيئته، وخَلَق الخلائق بإرادته، واستوَى على العرش بقدرته. يا مالك الملك، وجبّار الجبابرة، وإلّه العالمين، ومالك يوم الدين، أسألك برحمتك وجودك وقدرتك أن تخرِّج حبّ الدنيا من قلب عبدك عبد الله عليّ، وتوفّقه لطاعتك من الأعمال التي تقرّبه إلى مرضاتك، وتجنّبهُ معاصيك، وتختِمَ لنا وله برضوانك وعفوك، يا أرحم الراحمين.

قال: فدمعت عينا عليّ، وبكى فأكثر.

ثم قال للحمّال: لو قبلتَ منا شيئاً؟ قال: لا أريده، وحاجتي أن تعجّل سراحي. فأمره بالخروج. فخرج الحمّال.

وانصرف الأمير إلى موضعه وهو متفكّر، قد ذهب نشاطه. ثم التفت إلى ندمائه،

---

(١) الدُّلجة: العتمة والليل؛ وأدْلج: سار في الليل. أساس البلاغة ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) أي: بسط، ومنه قوله تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دَحَاها﴾. مختار الصحاح ص ٥٠٣

فقال: يا قوم! لو شهدتم طعام أمير المؤمنين ورأيتم ما يُرفَع ويُوضَع من صنوف الأطعمة. ـ ثم جعل يصف ذلك الطعام ـ، ثمّ قال: لو رأيتم الطعام الذي يُخبز قد تُنُوِّقَ[1] في بياضه وجودته وطحنه، ثمّ يُنخَل بالشعر، ثمّ يُنخَل بالكرابيس، ثمّ يُنخَل بالحرير، حتى يبقَى مخّه فقط، تُوقَد ناره بالقصَب، فإذا سكن وَهَجَه بُخِّر التنور بالعود القماري، وخُبز بصنوف الطعام؛ ـ ثمّ وصف ما يُتَّخَذ له من صنوف الألوان من الحارّ والبارد والرطب واليابس والحلو وغير ذلك ـ، وهذا الحمّال طعامه ما قد رأيتم، ومائدته طبق من سَعَف النخل[2]. ثمّ طأطأ رأسه وجعل ينكت بأصبعه على الحصير ساعة.

ثمّ قال: يا غلام! إئت مُنِيباً خازن الكُتُب فمُرْه يُخرِجْ لي سيرة عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه.

فأتاه به، فجعل ينظر فيه، فقال: اسمعوا ما كان طعام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: عرَاق لحمِ الإبل مطبوخ بماءٍ وملح، وأقراص من شعير غير منخول. فقيل له: يا أمير المؤمنين! لو أكلتَ غير هذا الطعام، فقد وسّع الله على المسلمين. فقال: هاه! إنّ الله تبارك وتعالى عيَّر قوماً بأكلهم بقوله: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيا﴾[3].

فجعل يصف لهم سيرَة عمر بن الخطّاب ـ رضي الله عنه ـ وتدمع عيناه.

فلمّا فرغ قال: يا غلام! قُلْ لمنيب يخرج لي سِيرَة عمر بن عبد العزيز.

فأُخْرج إليه، فجعل ينظر فيه ويصف لندمائه. ثم قال: أَبْعَدَ الله بطناً يعقب صاحبه ندماً يوم الحسرة في عَرْصة القيامة[4].

هذا عبد الله بن عمر[5]، ـ زين أبناء الصحابة ـ، اشتهى عنباً فلم يذقه.

هذا سعيد بن المسيِّب[6] ـ زين التابعين ـ يقول: ليت أن الله جعل رزقي في مَصِّ

---

(١) تَنَوَّق في الأمر: تأنّق فيه، والإسم منه: النيقة مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٢) أي: اغصان النخل اليابس، أساس البلاغة ص ٢١١.

(٣) سورة الأحقاف، آية رقم / ٢٠، وتمامها: ﴿واستمعتم بها فاليومَ تُجزَوْنَ عذاب الهُونِ بما كنتم تَسْتَكْبِرون في الأرض بغيرِ الحقّ وبما كنتم تَفْسُقُون﴾.

(٤) أي: في ساحة وارض يوم القيامة أنظر أساس البلاغه ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨

(٥) هو الصحابيّ عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ العدويّ، أبو عبد الرحمن، وُلد بعد المبعث بيسير، واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة، والعبادلة، وكان أشدّ الناس إتباعاً للأثر، مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها، أو أوّل التي تليها التقريب ١/ ٤٣٥.

(٦) هو سعيد بن المسيَّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشي

حصاة، فقد استحييت من كثرة الإختلاف إلى الحَشّ.

هذا الربيع بن ـ خُثَيْمَ[1] اشتهى خَبِيصاً[2] فلم يذقه.

هذا مالك بن دينار[3]، هذا فلان، هذا فلان. فجعل يذكر وتدمع عيناه.

ثمّ قال: ترَى القوم لم يشتهوا طيِّب الطعام؟! ولكنّهم زهدوا عن الفاني للباقي، وباعوا القليلِ بالكثير، وصبروا في دنياهم فنالوا الذي طلبوا؛ خرجوا من الدنيا خِماصاً جياعاً حفاةً عراةً، فلم تأكل الأرض منهم شحماً ولا لحماً، بلِيت الجلود على العظام والعروق.

ثم أخرج ساعداً كأنه قضيب فضّة مستديرة شحماً ولحماً، فقال: إنّ هذا الساعد مع هذا البدن رُبّي بالأطعمة والأشربة التي وصفتُ لكم من الطعام والشراب، ليبلَى في التراب، كما يبلَى ساعد الحمّال.

ثمَّ أرسل عينَيْه فبكَى فأكثر البُكاء ونحن قيام على رأسه.

ثمَّ قال: يا غلام! ارفع هذه الآلة قبَّحها الله، فما أمْوتها للقلوب، وأضرّها وأذلّها. فرُفِعَت، وصَرَفَ النُّدماء والخدم والغُلْمان.

وبقي وحده متفكّراً لا يأذن لأحد عليه؛ حتى إذا مضَى بعضُ الليل، ناداني: يا شاكر. قلت: لبّيك أيها الأمير. قال: دونك الخزائن فاحفظها مع جميع ما في الدار، فإنّي منطلق إلى سيّدي ـ وأنا أظنّ أنه يعني بسيّده أباه ـ . فخرَج عليّ وعليه إزار قد أخذه على رأسه، ونعل طاق قد وضعها في رجله، وقال: لا يَتْبَعْني منكم أحد بشمع. فخرج ومعهُ غلامٌ صغير، وتخلّف عنه الخدم والغلمان.

فلما أصبحنا افتقدنا الغلام إلى ارتفاع النّهار، فجاء الغلام فسألته عنه، فقال: لم

= المخزومي، أحد العلماء الأثبات، الفقهاء الكبار من كبار التابعين، قال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، مات بعد التسعين، وقد ناهز الثمانين، التقريب ٣٠٦/١.

(١) في المطبوعة: الربيع بن خيثم، وهو خطأ، وما أثبتناه وهو الصواب.
وهو الربيع بن خُثيم ـ بضم المعجمة، وفتح المثلثة ـ ابن عائذ بن عبدالله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مُخَضْرَم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ـ ﷺ ـ لاحبّك، مات سنة إحدى، وقيل: ثلاث وستين، التقريب ٢٤٤/١.

(٢) هو نوع من الطعام معروف، انظر مختار الصحاح ص ٢٢٥ وأساس البلاغة ص ١٠٢.

(٣) هو مالك بن دينار البصري، الزاهد، أبو يحيى، صدوق عابد، من صغار التابعين، مات سنة ثلاثين ومائة، ونحوها التقريب ٢٢٤/٢، وفي الكاشف ١٠٠/٣ أنه مات سنة ثلاث وعشرين مائة، والله أعلم.

يدخل دار أمير المؤمنين، ولكنّه أخذ نحو الدِّجلة، وقال لي: قف موضعك هذا، لا تبرح؛ فلا أدري أين ذهب، إلاّ أنه دنا من ملاّح فناوله دنانير، وقال: لي حاجة مهمّة بـ «واسط» فتعجَّل بي، وهو لا يعرفه، فأدخله الزورق ومضى به إلى «واسط».

ثمّ لم يقم بـ «واسط» حتى خرج إلى «البصرة»، وتنكَّر ولبس الخشن على ذلك الجلد النقي؛ واشترى طبقاً كهيئة ما رأى من زيّ الحمّال، وجعل الطَّبَق على عاتِقه، يعمل على مِقدار قُوته؛ يحمل على رأسه بالقطع والكسر، لا يردّ ما أُعطي؛ بالنهار صائم يحمل على رأسه، وبالليل قائم يصلّي، يمشي حافياً حتّى تقطّعت رجلاه، يبيت في المساجد يتخلّلها كي لا يُفطَن به.

فلم يزَلْ كذلك يعمل ويعبد ربّه سنين.

وأمير المؤمنين لمَّا وقف على أمره[1]، كتب في جميع الآفاق إلى العمّال في كلّ بلدة أن يُطْلَب، وتُوضَع عليه العُيُون؛ فلم يوقَف على أمره.

قال: فمرض في بعض المساجد وتغيّرت حاله. فلمّا اشتدت به العلّة، دخل بعض الخانات بالبصرة، فاكترى غرفة، وألقى نفسه على بارية. فلما أَيِس من نفسه، دعا صاحب الخان، فناوله خاتمه ورقعة مختومة، فقال: يا هذا! إذا أنا قضيتُ نَحبي فاخرج إلى صاحبكم - يعني الوالي - فأرِهِ خاتمي وعرّفه موضعي، وناوله هذه الرقعة.

فمات، - رحمه الله - ، فلمّا قضَى سجّاه، وخرج نحو باب الأمير، فنادى: النصيحة. فأُدخِل، فأراه الخاتم، فلما نظر إليه الوالي عرفه، وقال: وَيْحَك، أين صاحب الخاتم؟ قال: في الغرفة في الخان ميّت. وناوله الرقعة مختومةً مكتوباً عليها: لا يفكّها إلاّ المأمون أمير المؤمنين.

فركب الأمير حتى أتى الخان، وحوّله إلى قصره وطلَى عليه الكافور والمسك والعنبر، ولفه في قَبَاطِيّ مصر[2]، وحمله في الماء إلى المأمون. وكتب إليه يعرّفه قصّته، وأنّه وجده في غرفة على بارية في بعض الخانات، ما تحته مهاد، ولا عنده باكِيَة، مسجّى، مغمَّض العينين، مستنير الوجه، طيِّب الرائحة.

قال: وبعث إليه خاتمه ورقعته.

فلمّا وصل كتابه إلى أمير المؤمنين، وأُدخل [عليٌّ] عليه، قام فكشف عن وجهه،

---

(١) أي: علم به.

(٢) قال في أساس البلاغة ص ٣٥٣؛ «القباطي والقُبطيَّة - بالضم - ، وهي: ثياب من كتّان بيض، تُعمل بمصر، نُسبت إلى القبط: أهل مصر.

وانكبّ عليه يقبّله ويبكي. ووقعت الصَّيحة والضجيج في الدار.

ثم فكّ الرقعة، فإذا فيها مكتوب بخطّه: يا أمير المؤمنين! اقرأ سورة الفَجْر إلى رابع عشرة آية فاعتبِر بها، واعلم أنَّ الله مع الذينَ اتَّقَوْا والذينَ هُمْ مُحْسِنُون.

ثمّ أمر المأمون فغُسِّل وكُفِّن وأُخرِج ليُدفن؛ والمأمون يمشي حتى صلّى عليه. فلمّا وُضِع في حفرته أمر الخَدَم، فقال: اخرجوا من القبر. ثم اطّلع في القبر، فقال: يا بُنيَّ! رحمك الله، وأعطاك أمنيَّتك ورجاءك؛ إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد أسعدك ونفعني بك؛ فنِعْمَ الولدُ كنتَ؛ جمع الله بينك وبين ابن عمِّي المصطفى ﷺ، ورزقني الصبر عليك.

ثم قال: سَوُّوا عليه. فدخل الخدم فأطبقوا عليه ألواحه. ثمّ قال: أهيلوا عليه التراب. وهو واقف يصيبه الغُبَار، والخدم قيام معهم المناديل، يردّون عنه الغبار. فقال: إليكم عنّي! يبلَى عليّ في التراب، وتردّون عني الغبار؟

ثمّ قال: اللّهم! ثبِّته بالقول الثابت، وأُشْهِدُك أني راضٍ عنه يا أرحم الراحمين، ـ والرقعة في يده لا يضعها ـ.

فدعا محمد بن سعد الترمذيّ فأمره أن يقرأ سورة الفَجْر. فجعل يقرأ والمأمون يبكي حتى بلغ ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبالمِرْصَادِ﴾[1]. فأمْسَك.

فتصدّق عنه بألف ألف درهم، وأمر بعرض السجون وأطلق عنهم. وكتب إلى العمّال بإنصاف الرعيّة وردِّ المظالم، ونزع عن أمور كثيرة. وبقي بعده لا يذكره إلّا بكى، وهو مكروب لا يرتاح للذّة ولا لشهوة. وينتاب مجلسه الفقهاء يصبِّرونه ويَعِظونه.

فما زالت هذه حاله حتّى مات رحمه الله.

٧٠ ـ [توبة موسَى بن محمد بن سليمان الهاشميّ]

قال عبد الحميد بن محمد: وسمعت محمد بن السمّاك يقول. إن موسى بن سليمان الهاشميّ كان من أنعم بني أبيه عيشاً، وأرخاه بالاً، يعطي نفسه شهوتها من صنوف

(١) سورة الفجر، آية رقم/١٤.

والآيات بتمامها: ﴿والفَجْرِ، وليالٍ عَشْرٍ، والشَّفْعِ والوَترِ، والليلِ إذا يَسْرِ، هل في ذلك قسَمٌ لِذِي حَجْرٍ، ألم تَر كيفَ فعَلَ ربُّك بعادٍ، إرَمَ ذات العِمَادِ، التي لم يُخلَقْ مِثْلُها في البلاد، وثمودَ الذين جابُوا الصَخْرَ بالوادِ وفِرعون ذي الأَتادِ، الذين طَغَوْا في البلادِ، فَأكْثَروا فيها الفسادِ، فَصَبَّ عليهم رَبُّكَ سَوْطَ عذابٍ، إنَّ رَبَّكَ لبالْمِرصَادِ﴾.

اللذّات، في المأكل، والمَشْرب، والملبس، والطيِّب، والجواري، والغلمان. ليست له فكرة ولا همّة إلّا فيما هو من عيشه ولذّته.

وكان شابّاً جميلاً، وجهه كاستدارة القمر. في صفاءٍ مع بياضٍ وملاحة مشرّباً حمرة، شديد سواد الشعر، جعداً، أقنى الأنف(١)، أكحل العينين، أَدْعَج(٢) مثل عين الظبية، يسحر بعينيه الناظر إليه، طويل الأَشْفَار(٣)، مقرون الحاجبين كأنّما خُطّا بالقلم، صغير الفم(٤)، رقيق الشَّفَتين، أَبْلَجَ الثّنايا(٥)، مفلَّج الأسنان(٦)، فصيح اللسان، حلو الكلام، خافض الصَّوت.

وكانت نعمة الله عليه سابغة، يستغلّ من ضياعه وعقاره ومما أُقْطِعَه من الضّياع، ويجري عليه من الرزق كلّ حول نحواً من ثلاثة آلاف ألف وثلثمائة ألف، يصرف هذا كلّه فيما هو فيه من النّعيم.

وقد أعجبته نفسه وشبابه ودنياه المواتية له في جميع ما يشتهي.

وكان له مستشرف عالٍ يقعد فيه العشيّات يشرف على الناس، له أبواب مشرعة إلى الجادّة، وأبواب مشرعة إلى بساتينه، قد ضرب فيه قبّة عاج مخروطة من أنياب الفيل، مضبّبة بالفضّة، قد طُلي بالذهب، وغشّى القبة بالديباج الأخضر، وحشَاه بالخزّ المندوف.

وعلّق من القبّة سلسلة ذهب منظومة بالجواهر واللؤلؤ، تضيء القبة من الياقوت الأحمر، والزبرجد الأَخضر، والعقيق الأَصفر، كل حبَّة كالجوزة.

وعلّق على الأبواب المشرعة الستور المُضرَّبة الموّشاة المنسوجة بالذهب، ووضع حول القبة ثلاثين شمعة، في ثلاثينَ طَسْتاً من فضّة، وزن كل طَسْت ألف درهم، على

---

(١) أي: في أنفه إحديداب، مختار الصحاح ص ٥٣٦.

(٢) الدَّعَج ـ بفتحتين ـ: شدّة سواد العين مع سعتها. مختار الصحاح ص ٦٢.

(٣) أشفار العين: هي حرف الأَجْفَان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب. مختار الصحاح ص ١٥٤.

(٤) قال الإستاذ عبد القادر الأرناؤوط هامش المطبوعة: العرب تمدح سعة الفم، وتذمّ صغر الفم، لدلالة السعة على الفصاحة، والصغر على ضدّها، والمولّدون من الشعراء يمدحون صغره، وهو خطأ منهم، أو لمعنىً لا يلتفت إليه لقبحه، وقد ذُكر في أوصاف رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان واسع الفم، أو ضليع الفم، بمعنى واسعه. آهـ.

(٥) أي: مشرقها ومضيئها، أنظر مختار الصحاح ص ٩د.
والثنايا: الأسنان. مختار الصحاح ص ٤٩٣.

(٦) قال في مختار الصحاح ص ٦٦: «الفَلَج في الإسنان ـ بفتحتين ـ: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات» آهـ.

كلّ خمس طُسوت غلام قائم بيده مقطعة من ذهب من مائة مثقال، عليهم من أنواع الثياب والمنَاطِق المرَصَّعة بالجواهر.

وعلّق على كلّ باب ـ خارج من الشُبّاكات ـ قناديـل بسلاسـل الفضّة، وجعـل دهنها الزئبق الخالص.

وهو على سرير عليه غلالة قصب معلّم منسوج، وعلى رأسه عمامة مكلّلة باللآلِيء، ومعه في القبّة ندماؤه وإخوانه. والمجـامر منصـوبة لا تـرفَع على البخـور، وقد وقف على رأسـه الخدم بـأيديهم المـراوح والمذابّ، والقَيْنـات بحذائـه في مجلس خارج من القبّـة يراهُنَّ.

فإذا نظر عن يمينه رأى نديماً قد اصطفاه وأنس بمحـادثته، وإن نـظر عن يساره رأى أخـاً وَصفيّاً قـد وَادّه واجتباه، وإن رفـع طرفـه نظر إلى خـدم قيام قـد اختارهم، وإن رمَى بطرفه إلى حواشيه رأى مُطْرِبيه وقِيَانه كلّهم يُفَدّونه، أسماعُهم مصغية إليه، وأعيُنهم قِبَلَهُ لا يشتغلون بغيـره. فإن تكلّم سكتـوا، وإن قام قـامـوا. إذا اشتهى سمـاع القيـان نـظر نحـو الستارة، وإن أراد سكوتهم أومأ بيده إلى الستارة فـأمسكوا، قد عرفوا ذلك منه.

هذا دأبُه إلى أن يذهب الليل ويذهب عقله، فيخرج الندماء، ويخلو مع الوصفاء.

فإذا أصبح اشتغل بالنّظر إلى اللّعّابين بين يدَيه بالشطرنج والنَّرد. لا يُـذكَر بين يـدَيه موت ولا سقم ولا مرض، ولا شيء فيـه ذكر الغمّ، إلاّ ذُكـر الفرح والسـرور والنوادِر التي يَضْحَك منها.

ويطرف كلّ يوم بأنواع الطيِّب والشمّامات مـا يكون في أوانـه، حتّى مضت له سبـع وعشرون سنة.

فبينا هو ذات يـوم في قُبّته، وقـد مضَى بعض الليل، إذ سمـع نغمة من حَلْق نـديّ شجيّ خلافَ ما يسمع من مُطرِبيهِ؛ فأخذت بمجامع قلبه وَلَها عمّا كان فيه.

فأومأ إليهم أن أَمسِكوا، وأخرج رأسه من بعض تلك الشبّاكات المشرّعـة إلى الجادّة يتسمّع الذي وقع بقلبه؛ فإذا النغمة ربّما سمعها، وربمـا خفيت. فصاح بغلمـانه: اطلبـوا صاحب هذا الصوت. وكان قد عَمِل فيه الشَّراب.

فخرج الغلمان يطوفون؛ فإذا هم بشابّ نَحِيـل الجسم، دقيق العُنُق، مُصْفَرّ اللون، ذابِل الشفتين، شعث الرأس، قد لصق بطنه بظهره، عليه طِمْرانِ[1]، ما يتـوارى بغيرهمـا،

---

(١) طِمْران؛ تثنية طِمر، وهو الثوب الخَلِق، أي البالي، والجمع: أطْمار. مختار الصحاح ص ١٥٩.

حافي القدمين، قائم في بعض المساجد يناجي ربّه تعالى.

فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به لا يكلّمونه، حتّى أوقفوه بين يَدَيه.

فنظر إليه فقال: من هذا؟ قالوا: صاحب النغمة التي سمعت. قال: أين أصبتموه؟ قالوا: في المسجد قائماً يصلّي ويقرأ. فقال: أيّها الشابّ! ما كنتَ تقرأ! قال: كلام الله. قال: فأسمعني بتلك النغمة. فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[1] إلى قوله: ﴿يَشْرَبِ بِها المُقرَّبونَ﴾[2] أيّها المغرور، إنّها خلاف مجلسك ومستشرفك وفرشك؛ إنها أرائك مفروشة بفرش مرفوعة: ﴿بَطائِنُها مِنْ إسْتَبرَقٍ﴾[3]، ﴿عَلى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيّ حِسانٍ﴾[4] يُشْرِف وليُّ الله منها على عينَين تجريان في جنّتَين: ﴿فِيهِما مِنْ كلِّ فاكِهةٍ زَوْجانِ﴾[5]، ﴿لاَ مَقْطُوعَةٍ ولا مَمْنُوعَة﴾[6]، ﴿في عِيشَة رَاضِيَةٍ﴾[7]، ﴿في جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[8]، إلى قوله: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[9] ﴿في ظِلالٍ وعُيُونٍ﴾[10]، ﴿أُكُلُها دَائِمٌ وَظِلُّها، تِلْكَ عُقْبَى الذينَ اتَّقَوْا، وَعقْبَى الكافِرينَ النارُ﴾[11]﴿لا يُفَتَّرُ عنْهُمْ وَهمْ فيه مُبْلِسُونَ﴾[12]، ﴿في ضَلالٍ وسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ في النَّار على وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾[13]﴿يَوَدُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذاب يومِئذٍ ببنِيه﴾[14]إلى قوله:

---

(١) سورة المُطَفِّفين، آية رقم /٢٢.

(٢) سورة المطفّفين، آية رقم /٢٨. وتمام الآيات: ﴿علَى الأرائِكِ ينظرون، تعرِفُ في وجوههم نَضْرَةَ النَّعيم، يُسْقَون من رَحِيْقٍ مَخْتُومٍ، خِتامُه مُسْكٌ وفي ذلكَ فليتنافَسِ المُتَنَافِسون، ومِزاجُهُ من تَسْنِيمٍ، عَيْناً يَشْرَبُ بها المُقَرَّبون﴾.

(٣) سورة الرحمٰن، آية رقم /٥٤.

(٤) سورة الرحمٰن، آية رقم /٧٦.

(٥) سورة الرحمٰن، آية رقم /٥٢.

(٦) سورة الواقعة، آية رفم /٣٣.

(٧) سورة الحَاقّة، آية رقم /٢١.

(٨) سورة الغاشِيَة، آية رقم /١٠.

(٩) سورة الغاشية، آية رقم /١٦، وتمام الآيات: ﴿لا تَسْمَعُ فيها لاغِيَةً، فيها عَيْنٌ جارِيةٌ، فيها سُرُرٌ مرفوعَةٌ، وأكوابٌ موضوعَةٌ، ونَمارِقُ مِصْفُوفةٌ. وَزَرابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

(١٠) سورة المُرْسَلات، آية رقم/٤١.

(١١) سورة الرعد، آية رقم /٣٥.

(١٢) سورة الزخرف، آية رقم /٧٤.

(١٣) سورة القمر، الآيات /٤٧ ـ ٤٨.

(١٤) سورة المعارج، آية رقم /١١.

﴿وَجَمع فأوْعى﴾[1]، في جَهْد جهيد، وعذاب شديد، ومَقْتٍ من ربّ العالمين: ﴿وَمَاهُمْ مِنْها بِمُخْرَجِينَ﴾[2].

فقام الهاشميّ من مجلسه وعانق الشابّ وبكَى؛ وصاح بندمائه: انصرفوا عنّي. وخرج إلى صحن داره، وقعد على حصير مع الشاب ينوح ويبكي على شبابه ويندب نفسه، والشابّ يعظه، إلى أن أصبح وقد عاهد الله أن لا يعود إلى معصية أبداً.

فلما أصبح أظهر توبته، ولزم المسجد والعبادة. وأمر بالذهب والفضة والجواهر والملابس فبيعت كلّها، وتصدق بها، وقطع الإجراء عن نفسه، وردّ الضِياع المُقطَعة، وباع ضياعه وعبيده وجواريه، وأعتق من اختار العتق وتصدق به كلّه. ولبس الصّوف الخشن، وأكل الشعير. وكان يُحيي الليل، ويصوم النهار.

حتى كان ينتابه[3] الصالحون والأخيار، ويقولون له: أُرْفُق بنفسك، فإنّ المولَى كريم، يشكر اليسير، ويثيب على الكثير. فيقول: يا قومِ! أنا أعرَفُ بنفسي، إنّ جُرْمي عظيم، عصيت مولاي بالليل والنّهار. ويبكي ويكثر البكاء.

ثمّ خرج حاجّاً على قدميه حافياً، ما عليه إلا خَيْشة، وما معه إلا رَكْوَة جِرَاب[4]، حتّى قَدِم مكّة، وقضى حجّه وأقام بها.

وكان يدخل الحِجْر[5] بالليل ينوحِ على نفسه، ويقول: سيّدي! لم أراقبْك في خلواتي؛ سيدي! ذهبت شهواتي، وبقيت تَبِعاتي؛ فالوَيْل لي يوم ألقاك، والوَيْل كلّ الويل من صحيفتي إذا نشرت، مملوءة من فضائحي وخطاياي؛ بل حلّ بي الويل من مقتك إياي، وتَوْبيخك لي في إحسانك إليّ، ومقابلة نعمتك بالمعاصي؛ وأنت مُطّلع على أفعالي؛ سيِّدي! إلَى من أهرب إلاّ إليك، وإلى من التجيء إلاّ إليك؟ سيِّدي! إنّي لا أستأهل أن أسألك الجنّة، بل أسألك بجودك وكرمك وتفضلك أن تغفر لي وترحمني، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة.

---

(١) سورة المعارج، آية رقم /١٨، وتمام الآيات:
﴿وصاحبته وأخِيه، وفصيلتِه التي تُؤوِيه، ومَنْ في الأرضِ جميعاً ثُمّ يُنْجِيهِ، كلاّ إنها لَظَى، نَزّاعَةً لِلشَّوَى. تَدْعُوا مَن أَدْبَرَ وتولّى. وجَمَعَ فَأَوْعَى﴾.

(٢) سورة الحِجْر، آية رقم /٢٨.

(٣) أي: يأتون إليه مرّة بعد مرّة.

(٤) الجراب: المِزْود أو الوعاء، وهو معروف، جمعه: أجربة وجرب. مختار الصحاح ص ١٩.

(٥) الحِجر: حِجر الكعبة، وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال. مختار الصحاح ص ١٣٣.

قـال محمد بن السّمـاك: فبينـا أنـا ذات ليلة في الـطّواف إذ سمعت نغمتـه ونـوحـه وبكـاءه، فحرّكني وأقلقني. فقـطعت الطّواف ودخلت الحِجْـر، وأنا لا أثبتـه، فقلت لـه: حبيبي! من أنت؟ فإنّي أراك صغيرَ السنّ، قريحَ القلب، مكروباً مغمـوماً، حـزين النَّوح، كثير الدموع؛ فما القصّة؟ فإنّي حامل الخطيئة مع شيبتي، صاحبُ ذنوب.

فنظر إليّ فعرفني؛ فقـال: ألست الواعظ لي وأنـا منهمك في ضـلالتي، سكران في حَيْـرتي، لا أقبل عليـك بوجهي؟ أنـا موسى بن محمّـد بن سليمـان بن عليّ الـذي رأيتني بالبصرة.

قال: فأصابتني من قوله دهشة؛ فدنوت منه فعانقته، وقبّلت بين عينيه، وقلت: بأبي أنت أبو القاسم، ما القصّة؟

فـأخبرني قـال: استر أمـري فلا أحب ـ رحمـك الله ـ أن أُعرَف وأُعلمَ؛ إنّ المـولى المنعم المتفضّـل المحسنِ أنبهني من غفلتي، وبصَّـرني بعيب نفسي، فتـركت جميـع مـا كنت فيه ممّا رأيتَ، وأقبلتُ إلى ربّي؛ فهل تراه يقبلني؟ فإنّي خائف أن يكـون قد صـرف وجهه عنّي.

قال: فأبكاني كلامه، وقلت: حبيبي! أَبْشِر، فقـد بلغني أنه مـا من شيء أحبَّ إلى الله تبارك وتعالى من شابّ تائب.

فلما أن سمعها أراد أن يضبط نفسه من البكاء، وخـاف أن يجتمعوا عليـه إذا سمعوا بكاءه.

فقام وهو يقـول: أيها الـطبيب، اتبعني. فتبعته حتّى خـرج من باب الحنّـاطين وهو يمشي ويلتفت إليّ، وقـد أمسـك على بـطنـه، حتى انتهى إلى بـاب. ثمّ دخـل وأدخلني معه، وأصعدني إلى غرفة وقعد، وقال: ما زِلْت متشوّقاً إلى لقائـك لتداوي قَـرْحي بمرهم كلامك.

فقلت له: أبا القـاسم! قد أسعـدك بلطفه إلٰـه العالمين فـأنبهك من رَقْـدَة الغافلين؛ فاشكره على توفيقه إيّاك، وكن من الشّاكرين، وبما أنعم عليـك فكن من الحامـدين، فإنّ الله تعالى معوّضك برحمته أفضل ممـا تركت لـه من مخافتـه. أبا القـاسم! اجعل المـوت نصب عينيك، واعلم أنّ بين يدَيْك عَقَبَة عليها المسلك غداً، لا يقطعها إلا الـوَرِعُون عن محارم الله تعالى، وقناطر لا يجوزها إلا المُخِفُّون من المظالم، يتردّى منها في نار ﴿أحاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها، وَإنْ يَسْتغِيثُوا يُغَاثُوا بِماءٍ كـالمُهْلِ يَشْـوِي الوُجُـوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَسـاءَتْ مرْتَفَقاً﴾[1]. فكن على عدّة، وأعدّ الجواب، فإنّك قادم لا محالة. وعلى من القُدُوم؟ على

---

(١) سورة الكهف، آية رقم /٢٩.

أحكم الحاكمين، والعَدْل الذي لا يَجُور، وديّان يوم الدين، يوَم لا ينفع مالٌ ولا بنـون إلاّ من أتى الله بقلب سليم.

وهو منصت يسمع، ثمّ أَطْرَقَ شِبْه المفكّـر، فتوهّمت أنّـه لا يعلم ما أقـول، فقمت من عنده وخرجت.

فلمّا أصبحت تصرّفت في حـوائجي. فلما دخـل وقتُ الظهـر وأنا في الـطوّاف وإذا النّاس يتعادَوْن نحو باب الصَّفا. قلت: ما الخبر؟ قالـوا: جنازة غَـريب. فخرجت وصلّيت عليه.

وضـرب على قلبي، فصرت من فَـوْرِي إلى تلك الدار، إنّـا لله وإنّا إليـه راجعون، سبحان الفعّال لما يريد.

قالوا: ألستَ صاحبه البارحة؟ قلت: نعم. قالوا: إنّك لمّا خـرجت لم يزل يقـول: فؤادي، فؤادي، ذنبي، ذنبي، إلى أن مضَى عامّة الليل وهو يبكي، ثم سكن؛ فلما أصبح أنبهناه للصلاة فإذا هو قد فارق الدنيا، لم يشهد خروج روحه أحد ولم يُغْمض.

قلت لهم: عرفتموه؟ قـالوا: لا، كـان غريبـاً من الحاجّ[1] نـزل عندنـا، مارأينـا ولا سمعنا بمثله؛ ليله قائم يصلّي، وينوح على نفسه، كأن ذنوب العبـاد هو المُـطالَب بها، لا يُوقف على كسبه ومطعمه، ولا يَقْبَل برّ أُحد.

قلت: كم له منذ نزل عندكم؟ قالوا: حَجَّتين. قلت: معـرفة الله خيـر من معرفتكم إياه.

٧١ - [توبة جعفر البَرْمَكيّ][2]

قال عبد الحميد: كنت في مجلس جعفر بن يحيى بن خالد بن بـرمك لَأعـرض عليه

---

(١) أي: الحجّاج.

(٢) هو جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك، أبو الفضل، البرمكي، ولد في بغداد سنة (١٥٠) هـ.، ونشأ فيها، واستوزره هارون الرشيد، وكان من علوّ القدْر، ونفاذ الأمـر، وعظم المحـل، وجلالـة المنزلة عنده بحالة أنفرد بها، ولم يشارَك فيها، وكان سمح الأخلاق، طلق الوجه، ظاهر البشـر، فأمّـا جوده، وسخـاؤه وبذلـه وعطاؤه فكـان أشهـر مِن أن يـذكـر، وأبين مِن أن يـظهـر، وكـان ـ أيضـاً ـ من ذوي الفصاحة، والمـذكورين بـاللسن والبلاغـة ـ، ويقال: إنّـه وقّع ليلة بحضـرة الرشيـد زيادة على ألف توقيع، ونُظر في جميعها فلم يخرج شيء منها عن موجب الفقه.
وكان أبوه يحيى بن خالد قد ضمّه إلى أبي يوسف القاضي حتّى علمه وفقهّه.
وغضبه الرشيد عليه في آخر أمره فقتله، ونكّب البرامكة لأجله، توفّي سنـة سبع وثمـانين ومائـة، في أول يوم من صفر، بالغمر من أرض الأنبار.

متاع مصر، وهو في قبَّة من عاج مُركَّب، قد غشَّاها بملحم، إذْ دخل عليه محمد بن السَّماك. فقال: أَسْمِعني بعض كلامك ـ يرحمك الله ـ.

فقال: يا أبا الفضل! لا أحدِّثك عن الماضين، ولا عن الملوك السابقة، ولا الأكاسرة، ولكن أخبرك بما شهدتُ وعانيتُ منذ أعوام من ابن عمٍ لأمير المؤمنين موسى بن محمد بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن العبَّاس، وحدّثه في هذا الحديث.

فرأيت جعفراً جعل يبكي ويُكثر البكاء، ويقول: هذا كلّه من توفيق الله تعالى إيّاه وسعادته له. اللّهمّ فكما أسعدته بطاعتك، ووفّقته لرضاك، وعصمته حتّى نال ذلك كلّه بإرادتك، وفّقنا للعمل الصالح برحمتك، واختم لنا بعفوك ومغفرتك يا أرحم الراحمين.

ثمّ إنّه في مجلسه ذلك تصدّق بمائة ألف على أهل الحاجة والمسكنة.

فما لبث بعد ذلك إلاّ القليل حتى غضب عليه هارون أمير المؤمنين وأمر بقتله، وأن يُجعَل أرباعاً ويُصلَب. ففُعل به ذلك.

فكان يُرجَى لجعفر ذلك الدّعاء، لعل الله تعالى استجاب له؛ لأنهُ مثِّل به.

وكان كثير الصنائع المحمودة، معطياً للمال، قاضياً للحوائج، حسن العشرة، عارفاً بحقّ الإخوان رحمه الله.

٧٢ ـ [توبة جارية من بنات الكبار]

أخبرنا أبو الفتح محمّد، أنبأ أبو الفضل المقرىء، أنبأ أبو نعيم[١]، أخبرني جعفر بن محمّد بن نصير[٢] في كتابه، قال: سمعت الجُنَيد بن محمّد[٣]، يقول:

= تاريخ بغداد ١٥٢/٧ ـ ١٦٠.
ونسبته بالبرمكي هي نسبةً إلى جدّ أبيه: بَرْمَك. وليس إلى قرية البرامكة، أنظر اللباب ١٤٢/١ ـ ١٤٣.

(١) هو الحافظ الأصبهاني، وهذه القصة في حلية الأولياء ٣٢٣/١٠ ـ ٣٢٤. وفي تاريخ بغداد ٤١٨/١٤ ـ ٤١٩.

(٢) هو جعفر بن محمد بن نُصير بن القاسم، المعروف بالخلدي، أبو محمد الخوّاص، شيخ الصوفيّة ولد سنة اثنتين ـ أو ثلاث ـ وخمسين ومائتين، لقي المشايخ الكبراء من المحدثين والصوفية من أهل الكوفة، والمدينة، ومكة، ومصر، وكان سافر الكثير ثم عاد إلى بغداد، فاستوطنها، وروى بها علماً كثيراً، توفيّ في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، من آثاره: حكايات المشايخ، فوائد.
تاريخ بغداد ٢٢٦/٧ ـ ٢٣١، وحلية الأولياء ٣٨١/١٠ ـ ٣٨٢ ومعجم المؤلفين ١٥٠/٣.

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز، ويقال: القواريري، وقيل: كان أبوه قواريرياً، =

كان أبو شعيب البراثيّ[1] أول من سكن برَاثَى[2] في كـوخ يتعبّد فيـه. فمرّت بكـوخه جـاريـة من بنـات الكبـار[3]، كـانت رُبِّيَت في قصـور الملوك. فنـظرتَ إلى أبي شُعيب فاستحسنْت حالـه وما كـان عليه، فصـارت كالأسيـر له، فعـزمت على التجرّد من[4] الـدنيا والإتصال بأبي شعيب.

فجاءت إليه، وقالت: أريد أن أكون لك خـادمة. فقـال لها: إنْ أَردتِ ذلـك فغيّري من هيئتك وتجرّدي عمّا أنت فيه، حتى تصلحي[5] لما أردتِ.

فتجرّدتْ عن كل ما تملكه، ولبست ثياب[6] النُّسَّاك، وحضرته، فتزوّجها.

فلمّـا دخلت الكوخ رأت قـطعـة خِصـاف[7] في مجلس أبي شعيب تقيـه النَّـدى[8]. فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتَّى تُخرج ما تحتك، لأني سمعتُك تقول: إن الأَرض تقـول: يا ابن آدم! تجعل اليوم بيني وبينك حجاباً، وأنت غـداً في بطني؟ فمـا كنتُ لأجعل بيني وبينها حجاباً.

فأخذ أبو شعيب الخصاف فرمى بها[9].

فمكثت معه سنينَ كثيرة تتعبَّد[10] أحسن عبادة، وتوُفِّيا على ذلك متعاونَيْن.

= وكان هو خزازاً، وأصله من نهاوند، إلا أن مولده ومنشأه ببغداد، وسمع بها الحديث، ولقي العلماء، ودرس الفقه على أبي ثور، وصحب جماعة من الصالحين، ثم اشتغل بـالعبادة، ولازمهـا حتى علت سنّـه، وصار شيـخ وقته، وفـريد عصـره، في علم الأحوال، والكـلام على لسان الصـوفية، وطـريقة الوعظ، وعدّه العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، ومن لم يحفظ القـرآن، ولم يكتب الحديث ولم يتفقـه لا يُقتدَى بـه، مات سنة ثمان وتسعين ومائتين.

تاريخ بغداد ٧/٢٤١ ـ ٢٤٩ ـ وحلية الأولياء ١٠/٢٥٥ ـ ٢٨٧.

(١) هو أبو شعيب البراثي: أحد الصوفية، من متقدميّ شيوخ بغداد، حلية الأولياء ١٠/٣٢٣.
(٢) براثى: هو موضع ببغداد متصل بالكَرْخ، اللباب ١/١٣١.
(٣) في الحلية ١٠/٣٢٣ زيادة: من أبناء الدنيا.
(٤) في الحلية: ١٠/٣٢٣: عن.
(٥) في الحلية: ١٠/٣٢٤: تصلحين.
(٦) في الحلية: لُبْسَة.
(٧) هي: الثوب الغليظ المصنوع من الحبال، أنظر أساس البلاغة ص ١١٢.
(٨) أي: تقيه الرطوبة، وفي الحلية: وكان يجلس عليها أبو شعيب تقيه من الندى.
(٩) في الحلية: ورمى به، قال الإستاذ عبد القادر الأرناؤوط هامش المـطبوعـة: هذا من الغلو في الـزهد الذي لا مكان له في الإسلام.
(١٠) في الحلية: يتعبّدان.

٧٣ - [توبة الواثق بالله[١]، وابنه المهتدي بالله[٢]]

أخبرنا الشيخ الإمام العالم أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمّد القَزَّاز، وأبو السّعود أحمد بن عليّ بن المجلي، قالا: أنا أحمد بن علي بن ثابت، أنا محمد بن أحمد بن رزق، أنا أحمد بن سِنْدي الحدّاد، قال: قُرِىء على أحمد بن المنيع - وأنا أسمع - قيل له: أخبركم صالح بن علي بن يعقوب الهاشميّ قال:

حضرتُ المهتدي بالله أمير المؤمنين، وجلس للنظر في أمور المظلومين في دار العامّة. فنظرتُ إلى قصص النّاس تُقرَأ عليه من أوّلها إلى آخرها؛ فيأمر بالتوقيع عليها. وينشأ الكتابُ عليها، وتُحرَّر، وتختم وتُرفع إلى صاحبها بَيْن يدَيه. فسرّني ذلك؛ واستحسنتُ ما رأيتُ.

فجعلتُ أنظر إليه؛ ففطن ونظر إليّ، فغضضت عنه، حتى كان ذلك منّي ومنه مراراً ثلاثاً: إذا نظر غضضت، وإذا شُغِل نظرت.

فقال لي: يا صالح. قلت: لبَّيك يا أمير المؤمنين. وقمت قائماً. فقال: في نفسك منّا شيء تريد - أو قال: تحبّ - أن تقوله؟ قلت: نعم يا سيدي. فقال لي: عُد إلى موضعك. فَعُدْتُ؛ حتّى إذا قام، قال للحاجب: لا يبرحْ صالح.

---

(١) هو هارون - أمير المؤمنين - (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) بن عبدالله (المنصور) بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، ويكنّى أبا جعفر، استخلف بعد أبيه المعتصم، وكان يسكن: سرّمن رأى (سامراء)، ولد سنة مائتين، وولي الخلافة سنة سبع وعشرين ومائتين، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: ما مات وفيهم فقير، وكان قد تأثر برأي القاضي ابن أبي دؤاد في خلق القرآن، فامتحن الناس في ذلك، وتشدّد، وسجن جماعة والظاهر أنه رجع عن ذلك في آخر عمره.

توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، في القصر الهاروني في: سرّ من رأى، وصلّى عليه جعفر أخوه، ودفن فيها، وكانت خلافته خمس سنين ونيّف، تاريخ بغداد ١٤/١٥ - ٢١.

(٢) هو محمد - أمير المؤمنين - (المهتدي بالله) بن هارون (الواثق بالله) بن محمد (المعتصم بالله)، يكنى أبا إسحاق ويقال: أبا عبدالله، ولِد بالقاطول، وكان منزله بسرّ من رأى (سامرّاء)، وكانت البيعة له بالخلافة بعد خلع المعتز بالله سنة (٢٥٥) هـ. وكان من أحسن الخلفاء مذهباً، وأجملهم طريقة، وأظهرهم ورعاً، وأكثرهم عبادة، وكان يقول: أما يستحي بنو العباس أن لا يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز، وكان مع حسن مذهبه وإيثار العدل شديد الإشراف على أمر الدواوين والخراج، يجلس بنفسه في المظالم، وبقي في الخلافة إلى أن خلع بسرّ من رأى سنة (٢٥٦) هـ. وكانت خلافته أحد عشر شهراً ونصف تقريباً، وقتل بعد ذلك بيومين - رحمه الله تعالى -. تاريخ بغداد ٣/٣٤٧ - ٣٥١.

فانصرف الناس، ثم أذِنَ لي فدخلتُ، فدعوتُ له، فقال لي: اجلس. فجلستُ.

فقال: يا صالح تقول لي ما دار في نفسك، أو أقول أنا ما دار في نفسي أنّه دار في نفسك؟

قلت: يا أمير المؤمنين! ما تعزم عليه، وتأمر به.

قال: أقول أنا: إنه دار في نفسي أنّك استحسنت ما رأيت منّا، فقلتَ: أيّ خليفةٍ خليفتُنا إن لم يكن يقول: القرآنُ مخلوقٌ! فورد على قلبي أمر عظيم؛ ثمّ قلتُ: يا نفس هل تموتين قبل أجلك؟ وهل تموتين إلاّ مرّة؟ وهل يجوز الكذب في جدّ أو هزل.

فقلتُ: يا أمير المؤمنين! ما دار في نفسي إلاّ ما قلتَ.

ثمّ أطرق مليّاً وقال: وَيْحَك، اسمع منّي ما أقول، فوالله لتسمعنّ الحق، فسُرّي عنّي، فقلت: يا سيدي! وَمن أولَى بقول الحق منك، وأنت خليفة ربّ العالمين، وابن عمّ سيِّد المُرسَلين؟

فقال: ما زلت أقول إنّ القرآن مخلوقٌ صدراً من أيام الواثق[1]، حتى أَقْدَم أحمد بن أبي دُؤَاد[2] علينا شيخاً من أهل الشام من أهل «أَذَنَة[3]»

فأُدْخل الشيخ على الواثق مقيّداً، وهو جميل الوجه، تامّ القامة، حسن الشَّيْبة. فرأيت الواثق قد استحيَى منه ورقّ له. فما زال يُدْنيه ويقرِّبه حتى قرب منه.

فسلّم الشيخ فأحسَن، ودعا فَأَبْلَغ. فقال له الواثق: اجلس، فجلس، فقال له: يا شيخ! ناظر ابن أبي دؤاد على ما يناظرك عليه.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ابن أبي دؤاد يصبَى ويضعُف عن المناظرة. فغضِبَ الواثق، وعاد مكان الرّقة غضباً عليه. قال الواثق: أبو عبد الله بن أبي دُؤاد يصبَى ويضعُف عن مناظرتك أنْت؟!

---

(١) في المطبوعة: الوثائق، وهو خطأ.

(٢) هو أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك، أبو عبدالله القاضي الأيادي، ولد سنة (١٦٠) هـ. ولي قضاء القضاة للمعتصم، ثم للواثق، وكان موصوفاً بالجود والسخاء، وحسن الخلُق، ووفور الأدب، غير أنه أعلن بمذهب الجهمية، وحمل السلطان على الإمتحان بخلق القرآن، توفي سنة (٢٤٠) هـ. مفلوجاً، ودفن ببغداد. تاريخ بغداد ٤/١٤١ ـ ١٥٦.
ونقل ٤/١٥٣ عن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ تكفيره بسبب إعتقاده.

(٣) أذنة، بوزن حسنة: بلد من الثغور الشامية قرب المصيصة، مشهور، خرج منه جماعة من أهل العلم. نقلاً عن هامش المطبوعة.

فقال الشيخ: هوِّن عليك يا أمير المؤمنين، ما بك، فَأْذَنْ[1] في مناظرته.

فقال الواثق: ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إنْ رأيتَ أن تحفظ علي وعليه ما نقول. قال: أفعلُ.

قال الشيخ[2]: يا أحمد، أَخْبِرْني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدِّين فلا يكون الدِّين كاملاً حتى يُقال فيه بما قلتَ؟

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن رسول الله - ﷺ - حين بعثه الله إلى عباده، هل ستر شيئاً مما أمره الله به في أمر دينهم؟

قال: لا.

فقال الشيخ: فدعا رسول الله - ﷺ - الأُمّة إلى مقالتك هذه؟.

فسكت ابن أبي داود.

فقال الشيخ: تكلّم؛ فسَكَت.

فالتفت إلى الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين، واحدة. فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن الله - عزّ وجلّ - حين أنزل القرآن على رسول الله - ﷺ - فقال: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ، وَأَتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي، وَرَضِيتُ لَكُم الإسلامَ دِيناً﴾[3]، هل كان الله تعالى الصّادق في إكمال دينه، أو أنت الصادق في نقصانه، حتى يُقال فيه بمقالتك هذه؟ فسكت ابن أبي دُواد.

فقال الشيخ: أَجبْ يا أحمد، فلم يُجبْ.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، اثنتان. فقال الواثق. اثنتان.

فقال الشيخ: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، هل عَلِمَها رسول الله - ﷺ - أم جهلها؟.

فقال ابن أبي دُواد: عَلِمَها.

---

(١) في المطبوعة: فائذن، وهو خطأ.

(٢) ذكر بعض هذه المناظرة الخطيب البغدادي في تاريخه ١٥١/٤ - ١٥٢، وأنظر فيها - أي: المناظرة - : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص ٣٥٠ - ٣٥٢ (ط. مكتبة الخانجي)، والبداية والنهاية لابن كثير.

(٣) سورة المائدة، آية رقم /٣.

قال: فدعا الناس إليها؟ فسكت.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، ثلاث. فقال الواثق: ثلاث.

فقال الشَّيْخ: يا أحمد، فاتَّسَعَ لرسول الله ـ ﷺ ـ أَنْ عَلِمها وأَمْسَك عنها كما زعمت، ولم يطالب أمّته بها؟.

قال: نعم.

قال الشيخ: واتَّسَع لأبي بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفّان، وعليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم ـ؟

قال ابن أبي دُواد: نعم.

فأعرض الشيخ عنه، وأقبل على الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين؛ قد قدّمتُ القول: إنّ أحمدَ يصبَى ويضعف عن المناظرة؛ يا أمير المؤمنين! إن لم يتّسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة بما زعم هذا أنه اتّسع لرسول الله ـ ﷺ ـ ولأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فلا وسّع الله علَى من لم يتّسع له ما اتّسع لهم.

فقال الواثق: نعم، إن لم يتّسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتّسع لرسول الله ـ ﷺ ـ، ولأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، فلا وسّع الله علينا؛ اقطعوا قيد الشيخ. فلما قُطع القيد، ضَرَب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه، فَجاذَبه الحدّاد عليه.

فقال الواثق: دَعْ الشيخ يأخذه، فأخذه فوضعه في كمّه.

فقال له الواثق: يا شيخ! لِمَ جاذبت الحدّاد عليه؟

قال: لأني نُوْدِيتُ أن أتقدمّ إلى من أُوصي إليه، إذا أنا متّ أن يجعله بيني وبين كفني، حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة، وأقول: يا ربّ! سلْ عبدك هذا لِمَ قيّدني، وروّع أهلي وولدي وإخواني بلا حَقٍّ أوجبَ ذلك عليّ، وبكى الشيخ وبكى الواثق وبكينا.

ثم سأله الواثق أَنْ يجعله في حِلٍّ وَسَعةٍ بما ناله.

فقال الشيخ: واللهِ يا أمير المؤمنين، لقد جعلتك في حلٍّ وسَعة من أوّل يوم إكراماً لرسول الله ـ ﷺ ـ، إذ كنت رجلاً من أهله..

فقال الواثق: لي إليك حاجة. فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلتُ. فقال له الواثق: تُقيمُ قِبَلنا فننتفع بك وتنتفع بنا.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين! إنَّ رَدَّك إياي إلى الموضع الذي أخرجني عنه هذا

الظالم، أنْفَع لك من مقامي عليك؛ وأُخبرك بما في ذلك: أَصِير إلى أهلي وولدي، فَأَكُفّ دعاءهم عليك، فقد خلَّفتهم على ذلك.

فقال له الواثق: فتقبلِ مِنّا صلةً تستعين على دهرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين! لا تَحلُّ لي، أنا عنها غنِيٌّ، وذو مِرةٍ سويٌّ[1].

فقال: سلْ حاجة. فقال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: تأذن أن يُخلى لي السَّبيل السّاعة إلى الثَّغْر.

قال: قد أذنت لك. فسلَّم وخرج.

قال المهتدي بالله: فرجعتُ عن هذِه المقالة، وأظنّ أن الواثق رجع عنها منذ ذلك الوقت[2].

* * *

---

(١) المِرَّة: القوة والشدّة، وسويّ: أي سويّ الأعضاء سليمها.

(٢) قال الخطيب البغدادي، وابن الجوزي، وابن كثير: قال المهتدي: فدخل أبي المنزل، فاستلقى على ظهره، وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه، ويقول: أمَا وسعك ما وسعهم؟! ثم أطلق الشيخ، وأعطاه أربعمائة دينار، وسقط من عينيه ابن أبي داود، ولم يمتحن بعده أحداً.

ذكر سبب توبة جماعة
من
الأمة رحمة الله عليهم

٧٤ - [توبة حبيب أبي محمد][١]

أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي، أنبأ أبو الفضل أحمد بن أحمد الحدّاد، أنبأ أبو نُعَيم الحافظ[٢]، قال:

كان سبب إقبال حبيب أبي محمد على الآجلة[٣]، وانتقاله عن العاجلة[٤]، حضوره مجلس الحسن[٥]، فوقعت موعظته في قلبه، فخرج عمّا كان يتصرف فيه، ثقة بالله، ومكتفياً بضمانه؛ فاشترى نفسه من الله، فتصدّق بأربعين ألف درهم في أربع دفعات[٦]: تصدق بعشرة آلاف درهم في أول النّهار، فقال: يا رب! قد اشتريت نفسي منك بهذا؛ ثم أتبعها[٧] بعشرة آلاف أخرى، فقال: هذه[٨] شكراً لما وفّقتني له؛ ثم أخرج عشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب[٩]! إن لم تقبل منّي الأولىَ والثانية فاقبل منّي هذه؛ ثم تصدق بعشرة آلاف أخرى، فقال: يا رب! إنْ قبلت مني الثالثة فهذه شكراً لها.

---

(١) هو حبيب أبو محمد الفارسي، من ساكني البصرة، كان صاحب مكرمات، وكان تاجراً غنيّاً. حلية الأولياء ٦/١٤٩ - ١٥٥.

(٢) ذكر ذلك في الحلية ٦/١٤٩.

(٣) أي: الآخرة.

(٤) أي: الدنيا.

(٥) أي: الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، التابعي المعروف. وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٦) في الحلية ٦/١٤٩: وتصدق بأربعين إلفاً في أربعِ دفعات.

(٧) في الحلية ٦/١٤٩: ثم أتبعه. أي: أتبع الإنفاقَ بإنفاقِ عشرة آلاف أخرى.

(٨) في الحلية ٦/١٤٩: يا ربِّ هذه...

(٩) في الحلية ٦/١٤٩: ربِّ.

٧٥ - [توبة زاذان الكِنْدي[١]]

ورُوِي[٢] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[٣]، أنه مرَّ ذات يوم في موضع من نواحي الكوفة، فإذا فتيانٌ فُسَّاق قد اجتمعوا يشربون، وفيهم مغنٍّ، يُقال له: زاذان، يضرب ويغني، وكان له صوت حسن. فلما سمع ذلك عبد الله[٤]، قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله. وجعل الرّداء على رأسه ومضَى.

فسمع زاذان قوله، فقال: مَنْ كان هذا؟ قالوا: عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله - ﷺ - ، قال: وأيّ شيء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى.

فقام وضرب بالعود على الأرض فكَسَره، ثم أسرع فأدركه، وجعل المنديل في عنق نفسه، وجعل يبكي بين يَدَي عبد الله بن مسعود؛ فاعتنقه عبد الله بن مسعود، وجعل يبكي كل واحد منهما.

ثم قال عبد الله: كيف لا أحبّ من قد أحبه الله - عزّ وجلّ - ، فتاب إلى الله - عز وجل - من ذنوبه.

ولازم عبدَ الله بن مسعود حتى تعلّم القرآن، وأخذ حظّاً من العلم حتى صار إماماً في العلم، وروى عن عبد الله بن مسعود وسلمان[٥] وغيرهما[٦].

---

(١) هو زاذان، أبو عمر الكندي البزاز، ويُكنّى: أبا عبدالله - أيضاً. صدوق، يرسل، وفيه شيعيّة، من كبار التابعين، ومات سنة اثنتين وثمانين، التقريب ١/٢٥٦، والتهذيب ٣/٣٠٢ - ٣٠٣.

(٢) صيغة المبنيّ للمجهول، تفيد التضعيف عند علماء الحديث.

(٣) هو الصحابي الجليل: عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهُذَلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين الأوّلين، ومن كبار العلماء من الصحابة، مناقبه جمّة، وأمّره عمر على الكوفة، ومات سنة اثنتين وثلاثين، أو في التي بعدها بالمدينة، التقريب ١/٤٥٠.

(٤) أي: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هو الصحابي الجليل: سلمان الفارسي، أبو عبدالله، ويقال له: سلمان الخير، أصله من أصبهان، وقيل: من رامهرمز، من أوّل مشاهده الخندق، مات سنة أربع وثلاثين، يقال: بلغ ثلاثمائة سنة، التقريب ١/٣١٥.

(٦) مثل: عمر بن الخطاب، وعليّ، وحذيفة وأبي هريرة، وعائشة وعبدالله بن عمر، وجرير بن عبدالله، والبراء بن عازب وغيرهم تهذيب التهذيب ٣/٣٠٢.

٧٦ - [توبة مالك بن دينار][1]

ورُوِي[2] عن مالك بن دينـار أنه سُئـل عن سبب توبتـه، فقال: كنت شـرطيا، وكنت منهمكاً على شرب الخمـر. ثم إنّني اشتريتُ جـارية نفيسـة؛ ووقَعت منّي أحسن موقـع، فـولـدت لي بنتـاً. فشُغِفْتُ بهـا؛ فلمـا دَبّت على الأرض ازدادت في قلبي حبـاً، وألِفتني وألِفتها.

قال: فكنت إذا وضعتُ المُسْكر بَيْن يديَّ، جاءت إليَّ، وجاذبتني عليه، وهرَقته من ثوبي.

فلما تمّ لها سنتان ماتت؛ فأكمدني حزنها.

فلما كانت ليلةُ النصف من شعبان، وكانت ليلةَ الجمعة، بتّ ثَمِلاً من الخمـر؛ ولم أُصَلِّ فيها عشاء الآخرة. فرأيت فيما يرَى النائم كأن القيامة قد قـامت، ونُفِخ في الصـور، وبُعثرت القبور، وحُشر الخلائق، وأنا معهم. فسمعت حسّاً من ورائي، فـالتفت، فإذا أنـا بتنينٍ، أعظم ما يكون، أسودَ أزرقَ، قد فتح فاه مسرعاً نحوي.

فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً، فمـررت في طريقي بشيـخ نقيِّ الثوب، طيّب الـرائحة؛ فسلمت عليـه فردّ السّـلام، فقلت: أيّها الشيـخ! أجِرني من هـذا التنين أجارك الله، فبكَى الشّيـخ وقال لي: أنـا ضعيف، وهذا أقـوى مني، ومـا أقـدر عليـه؛ ولكن مُـرّ وأسرعْ، فلعل الله أن يُتيح لك ما ينجيك منه.

فولَّيت هاربـاً على وجهي، فصعِدتُ على شَـرْف من شُرَف القيـامة، فـأشرفت على

---

(١) هـو مالـك بن دينار السـامي، الناجي، مـولاهم، أبو يحيى البصـري، الـزاهـد، كـان أبـوه من سبي سجستـان، وقيـل: من كـابـل ـ روى عن أنس بن مـالـك، والأَحْنَف، وشهـر بن حَـوْشَب، والحسن البصري، وابن سيرين، وغيرهم كثير. روى عنـه أخوه عثمـان، وسعيد بن أبي عَـرُوبة، وصـدقة بن الدقيقي، وأبو سلمة محمد بن عبدالله الأنصاري، وعبـد السلام بن حـرب وغيرهم، وكـان صدوقـاً، قال ابن حبان: كان يكتب المصاحف بالأجرة ويتَقَوت بأجرته.

واختلف في تأريخ وفاته ـ رحمه الله ـ. فقال السرّي بن يحيى: مات سنة سبع وعشـرين ومائـة، وقال غيره: مات سنة ثلاث وعشرين، وقال خليفـة بن خياط: مـات سنة ثـلاثين ومائـة، وقال ابن حبـان: الصحيح أنه مات قبل الطاعون وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين.

تهذيب التهذيب ١٠/١٤ ـ ١٥، والتقريب ٢/٢٢٤، والكاشف ٣/١٠٠.

(٢) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيـد التضعيف، أي: تضعيف الروايـة، وهذه القصّـة حَرِيّـة بذلك، لما فيها من الكلام على هذا التابعي الجليل.

كما أن فيها خلافاً لما ذكره ابن حبان من أنّه كان يعتاش من كتابة المصاحب، بينما هنا يذكر أنه كـان شرطياً. إلاّ أن يكون ذلك بعد توبته، والله أعلم.

طبقات النِّيران، فنظرت إلى هولها، وكدت أهوي فيها من فزع التنين؛ فصاح بي صائح: ارجع فلست من أهلها، فاطمأننت إلى قوله، ورجعت.

ورجع التنّين في طلبي، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ، سألتك أن تجيرني من هذا التنِّين فلَم تفعل. فبكى الشيخ، وقال: أنا ضعيف ولكن سِر إلى هذا الجبل، فإنّ فيه ودائِعَ المسلمين، فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك.

قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضّة، وفيه كوًى مخرَّمة، وستور معلقة، على كلِّ خوخة وكوّة مصراعان من الذهب الأحمر، مفصَّلة باليواقيت، مكوكبة بالدّر، على كل مصراع ستر من الحرير.

فلما نظرت إلى الجبل، ولَّيْت إليه هارباً، والتنِّين من ورائي؛ حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة: ارفعوا السّتور، وافتحوا المصاريع، وأشرفوا، فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوِّه. . فإذا الستور قد رُفعت، والمصاريع قد فتحت، فأشرف عليَّ من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار. وقَرُب التنِّين منّي، فتحيَّرْت في أمري.

فصاح بعض الأطفال: ويحكم، أشرفوا كلّكم فقد قرب منه عدوّه.

فأشرفوا فوجاً بعد فوج، وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرَفَتْ عليّ معهم. فلما رَأَتْني بكت، وقالت: أبي والله، ثمّ وَثَبَت في كفّة من نور، كَرَمْيَةِ السَّهم، حتى مَثُلَت بين يدَّي. فمدّت يدها الشِّمال إلى يدِي اليمنى، فتعلَّقت بها، ومدّت يدها اليمنَى إلى التنين فولّى هارباً.

ثم أجلستني، وقعدت في حِجري، وضربت بيدها اليمنَى إلى لحيتي، وقالت: يا ابتِ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ﴾[1]. فَبَكَيْت، وقلت: يا بُنَيَّة، وأنتم تعرفون القرآن؟ فقالت: يا أبتِ! نحن أعرف به منكم.

قلت: فأخبريني عن التنِّين الذي أراد أن يُهلكني. قالت: ذلك عملك السوء، قوَّيته، فأراد أن يُغرِقَك في نار جهنّم.

قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي. قالت: يا أبتِ! ذلك عملك الصّالح، أضعفته، حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء.

قلت: يا بنيَّة! وما تصنعون في هذا الجبل؟ قالت: نحن أطفال المسلمين، قد

---

(١) سورة الحديد، آية رقم /١٦.

أُسِكِنّا فيه إلى أن تقوم الساعة، ننتظر كم تقدمون علينا فنشفعَ لكم[1].

قال مالك: فانتبهتُ فزعاً، وأصبحتُ، فَأَرَقْتُ المسكر، وكسّرت الآنية، وتبت إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ . وهذا كان سبب توبتي.

٧٧ ـ [توبة داود الطّائي][2]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السلميّ، أنبأ أبو القاسم الحُسَينيّ، أنبأ رشأ بن نظيف المقرىء، أنبأ الحسّن بن إسماعيل، أنبأ أحمد بن مروان، ثنا محمد بن حاتم البغداديّ، قال: سمعت الحِمّاني[3] يقول:

كان بدء توبة داود الطّائي أنه دخل المقبرة، فسمع امرأة عند قبر وهي تقول:

---

(١) شفاعة أولاد المسلمين لوالديهم واردة في الصحيح.
من ذلك: عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لامرأة: ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجباً من النار، فقالت امرأة: واثنين واثنين واثنين؟ فقال: واثنين واثنين واثنين. متفق عليه: واللفظ لمسلم.
وعن أبي حسّان قال: قلت لأبي هريرة: إنه قد مات لي إبنان، فما أنت مُحَدِّثي عن رسول الله ـ ﷺ ـ بحديث تُطيِّب به أنفسَنا عن موتانا؟ قال: قال: نعم، صغارهم دعاميص الجنة (أي: صغار أهلها) يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال: أبَوَيْهِ ـ ، فيأخذ بثوبه، ـ أو قال: بيده ـ ، كما آخذُ أنا بصَنِفَةِ (بطرف) ثوبك هذا. فلا يَتَناهَى ـ أو قال: فلا ينتهي ـ حتى يُدخلَه اللهُ وأباه الجنة، رواه مسلم.
وهناك أحاديث أُخَر، أنظر في ذلك كتاب أهوال القبور للحافظ ابن رجب بتحقيقي.

(٢) هو داود بن نصير، أبو سليمان الطائي، الكوفي، كان ممن شغل نفسه بالعلم، ودرس الفقه وغيره من العلوم وكان قد تفقه على أبي حنيفة، ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الإنفراد والخلوة، ولزم العبادة، واجتهد فيها إلى آخر عمره، وقدم بغداد في أيام المهدي، ثم عاد إلى الكوفة، وبها كانت وفاته من أقواله: صم الدنيا واجعل افطارك فيها الموت، وفِرّ من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى أن صحبتَ، فإنهم أقلّ مؤنة، وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا أن عملت به، تاريخ بغداد ٨/٣٤٧ ـ ٣٥٥.
قال في التقريب ١/٢٣٤: «داود بن نُصير ـ بضم النون ـ ، أبو سليمان الطائي، الكوفي، ثقة فقيه زاهد، من الثامنة (أي: من أتباع التابعين)، مات سنة ستين ومائة، وقيل: خمس وستين» أ هـ.
والطّائي: بفتح الطاء، وسكون الألف: وفي آخرها ياء مثناة من تحتها. هذه النسبة إلى طيّ واسمه: جلهمة بن أدد بن زيد بن. . . قحطان، ينسب إليه خلق لا يحصون كثرة اللباب ٢/٢٧١.

(٣) الحِمّاني: بكسر الحاء المهملة، وتشديد الميم وفي آخرها نون. هذه النسبة إلى حِمّان، وهي قبيلة من تميم، وهو حِمّان بن عبد العزيز بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة بن تميم، نزلوا الكوفة، والمشهور بهذه النسبة أبو يحيى ـ وهو الراوي هنا ـ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون الحماني، روى عن الأعمش والثوري وغيرهما، روى عنه ابنه أبو زكريا يحيى. اللباب ١/٣٨٦.

مُـقيـمٌ إلـى أن يـبعـثَ الله خـلقـهُ لـقـاؤكَ لا يُـرْجَـى وَأنـت قـريـبُ
تـزيـدُ بِـلىً فـي كـلِّ يـومٍ ولـيـلةٍ وتُـسلَى كـمـا تَـبْلَى وأنـت حَـبيـبُ[1]

وقال أبو نعيم: قدِم داود من السّواد ولا يَفْقَه؛ فلم يزل يتعلّم ويتعبَّد حتى ساد أهـل الكوفة.

وقال يوسف بن أسباط[2]: ورث داود عشرين ديناراً فأكلها في عشرين سنة[3].

قال أبو نعيم: كان داود يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز.

وقال[4]: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية.

ودخل إليه يوماً رجلٌ، فقال: إن في سقف بيتـك جِذْعـاً قد انكسـر. فقال: يـا ابن أخي! إنّي في هذا البيت منذ عشرين سنة، ما نظرت إلى السقف. وكانوا يكرهون فضـول النظر كما يكرهون فضول الكلام[5].

٧٨ ـ [توبة الفُضَيْل بن عِيَاض][6]

أنبأنا الإمام أبو الفرج عبد الـرحمن بن عليّ[7]، أنا عبـد الرحمن بن أبي غـالب، أنا

(١) ذكر الحافظ أبـو نعيم في الحلية ٧/٣٤١ ـ ٣٤٢ سبباً آخر لتوبة داود، فقـال: إنما كـان سبب داود الطائي، أنه كان يُجالس أبا حنيفة فقال له أبو حنيفة: يا أبا سليمان، أما الأداة فقـد أحكمناهـا، فقال داود: فأيّ شيء بقي؟ قال: بقي العمل به، قال: فنازعتني نفسي إلى العزلة والـوحدة، فقلت لهـا: حتى تجلسي معهم فلا تجيبي في مسألة. قال: فكان يجالسهم سنة قبل أن يعتـزل. قال: فكـانت المسألة تجيء وأنا أشدّ شهوة للجواب فيها من العطشان إلى الماء، فلا أجيب فيها، قال: فاعتـزلتهم بعد.

(٢) هو يوسف بن إسباط بن واصل، أبو محمد الشيباني، الزاهد الواعظ. ليس بالقوي في الحديث، قال ابن حبان في الثقات: سكن انطاكية، يروي عن عائذ بن شريح، وكان من عبّاد أهل الشام وقرائهم، كان لا يأكل إلا الحلال المحض.. وكان من خيار أهل زمانه، لسان الميزان ٦/٣١٧ ـ ٣١٨.

(٣) هو القول ذكر أبو نعيم في الحلية ٧/٣٤٧ عن ابن عمّ لداود.

(٤) أي: داود الطائي، كما في الحلية ٧/٣٥٠.

(٥) أنظر الحلية ٧/٣٥١، وتاريخ بغداد ٨/٣٤٩.

(٦) هو الفُضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي اليربـوعي، أبو علي الـزاهد، المشهـور، أصله من خراسان، وسكن مكة، ثقة عابد إمام، من أتباع التابعين، مات سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل قبلها، تهذيب التهذيب ٨/٢٩٤ ـ ٢٩٧ والتقريب ٢/١١٣، وحلية الأولياء ٨/٨٤ ـ ١٣٩.
مما جاء عنه، أنه سـأله عبـدالله بن مالـك، فقال: يـا أبا علي مـا الخلاص ممـا نحن فيه؟ فقـال له: أخبرني من أطاع الله ـ عـزّ وجلّ ـ هـل تضرّه معصيـة أحد؟ قـال: لا. قال: فمن عصى الله سبحـانه وتعالى هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا. قال: فهو الخلاص إن أردت الخلاص. الحلية ٨/٨٨.

(٧) أي: الإمام ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

أحمد بن علي، قال: أخبراني الحسن بن علي بن محمد الواعظ، ثنا محمد بن العباس، قال: أنبأ علي بن الحسين بن حرب، ثنا إبراهيم بن الليث النَّخْشَبِيّ[1]، ثنا علي بن خشرم قال: أخبرني رجل من جيران الفُضيل بن عياض، قال:

كان الفضيل يَقْطَع الطريق وحده. فخرج ذات ليلة ليقطع الطريق، فإذا هو بقافلة قد انتهت إليه ليلاً، فقال بعضهم لبعض: اعدلوا بنا إلى هذه القرية فإن أمامنا رجلاً يقطع الطريق، يُقال له: الفضيل.

قال: فسمع الفُضيل، فأُرعد، فقال: يا قوم! أنا الفضيل، جوزوا، والله لأجتهدَنَّ أن لا أعصي الله أبداً، فرجع عما كان عليه.

ورُوي من طريق أُخْرَى أنه أضافهم تلك الليلة؛ وقال: أنتم آمنون من الفُضيل. وخرج يرتاد لهم علفاً؛ ثمّ رجع فسمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يأنِ لِلذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قلوبُهمْ لِذكرِ اللهِ﴾[2].

قال: بلى واللهِ قد آن. فكان هذا مبتدأ توبته[3].

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فُضَيْلاً ليلة وهو يقرأ سورة محمد - ﷺ - ، ويبكي ويردّد هذه الآية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكم حتى نَعْلَم المجاهدينَ مِنْكمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلوَ أَخْبارَكمْ﴾[4] وجعل يقول: ونبلوَ أخباركم، ويردّد ويقول: وتبلوَ أخبارَنا، إنْ بلوتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكتَ أستارنا، إنْ بلوتَ أخبارنا أهلكتنا وعذّبتنا[5].

وسمعته يقول: تزيّنتَ للنّاس وتصنّعتَ لهم وتهيَّأتَ لهم، ولم تزل ترائي حتى

---

(١) النَّخْشَبي: بفتح النون، سكون الخاء، وفتح الشين المعجمة، وفي آخرها باء موحدّة. هذه النسبة إلى نخشب، وهي مدينة من بلاد ما وراء النهر، وعرّبت فقيل لها: نَسَف، ولهذه المدينة تاريخ كبير نحو مجلدتين كبيرتين، جمعه أبي العباس المستغفري. اللباب ٣٠٣/٣.

(٢) سورة الحديد، آية رقم /٦.

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ٢٩٤/٨ - ٢٩٥ سبباً آخر للتوبة، فقال: قال الفضل بن موسى: كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع االطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو: ﴿ألم يأنِ للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾. فلما سمع قال: بلى يا رب قد آن، فرجع، فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نُصبح، فإن فُضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت، قلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين يخافونني ههنا، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع؛ اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

(٤) سورة محمد، آية رقم /٣١،

(٥) ذكر هذا القول في الحلية ١١١/٨.

عرفوك، فقالوا: رجل صالح، فقضوْا لك الحوائج، ووسَّعوا لك في المجلس، وعظَّموك، خيبةً لك؛ ما أسوأ حالك إن كان هذا شأنك[1].

وسمعته يقول: إن قدرتَ أن لا تُعْرَف فافعلْ؛ وما عليك أنْ لا تُعرف، وما عليك إن لم يُثنَ عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً[2].

٧٩ - [توبة عليّ بن الفُضَيْل بن عِيَاض][3]

أخبرنا الحافظ أبو موسى محمّد بن أبي بكر الأصبهانيّ في كتابه، أنا عبد الرزّاق بن محمد بن الشَّرَابيّ[4]، أنا سعيد بن محمد بن سعيد الوَليّ، أنا علي بن أحمد بن عليّ الواقديّ، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثَّعْلَبيّ[5]، أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، قال: سمعت أبي، يقول: سمعت محمد بن إسحاق السَّرّاج، يقول: سمعت محمد بن خلف، يقول: حدّثني يعقوب بن يوسف، قال:

كان الفُضَيْل بن عِيَاض إذا علم أنَّ ابنه علياً خلفه - يعني في الصلاة - مرّ ولم يقفْ ولم يخوِّف؛ وإذا علم أنه ليس خلفه، تنوَّق في القرآن وحزَّن وخوَّف.

فظنّ يوماً أنه ليس خلفه، فأتى على ذكر هذه الآية: ﴿**ربَّنا غَلَبَتْ علَيْنا شِقْوتُنا وكُنا قوْماً ضالِّين**﴾[6].

---

(١) ذكر في الحلية ١١١/٨، وذكره ٩٤/٨ عن الفيض بن إسحاق نحوه.

(٢) الحلية ٨٨/٨.

(٣) هو علي بن بن الفُضيل بن عياض التميمي اليربوعي، ثقة عابد زاهد، فاق أباه في الزهد والورع، حتى أن ابن المبارك قال: خير الناس - يعني في ذلك الوقت - : فضيل بن عياض، وابنه عليّ خير منه، توفي - رحمة الله عليه - قبل أبيه بمدة، وكان سبب موته أنه سمع آية تُقرأ فغشي عليه، وتوفيّ في الحال.

تهذيب التهذيب ٣٧٣/٧ - ٣٧٤، والتقريب ٤٢/٢، وحلية الأولياء ٢٩٧/٨ - ٣٠٠.

(٤) الشَّرَابي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشراب، واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أجدادهم يصنعون الشراب ويحفظونه.

اللباب ١٨٩/٢ - ١٩٠.

(٥) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ويقال: الثعالبي، المفسّر المشهور، النيسابوري، له تصانيف مشهورة منها التفسير الذي فاق غيره من التصانيف فيه، قيل: إنما قيل له: الثعلبي، لقب له وليس بنسب، قاله بعض العلماء، توفّي في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

اللباب ٢٣٨/١.

(٦) سورة المؤمنون، آية رقم /١٠٦.

قال: فخرّ عليّ مغشيّاً عليه. فلمّا علِم أنّه خلفه وأنه قد سَقَط، تجوّز في القراءة. فذهبوا إلى أمّه، فقالوا: أدركيه. فجاءت فَرشّت عليه ماءً، فأفاق.

فقالت لفضيل: أنت قاتِل هذا الغلام عليّ.

فمكث ما شاء الله، فظن أنه ليس خلفه، فقرأ: ﴿وبدا لهمْ من اللهِ ما لمْ يكُونوا يَحْتَسِبُونَ﴾[1]. فخرّ ميّتاً، وتجوّز أبوه في القراءة. وأُتيت أُمُّه فقيل لها: أدركيه. فجاءت فرشّت عليه ماءً، فإذا هو ميّت رحمه الله.

٨٠ - [توبة بشر بن الحارث الحافي][2]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، أنا حمد، ثنا أحمد[3] قال: سمعت عبد الله بن محمد بن جعفر، يقول: سمعت عبدالله بن محمد، يقول: سمعت محمد بن [داود][4] الدِّيْنَوريّ[5] يقول: [سمعت محمد بن الصَلْت يقول:][6].

سمعت بشر بن الحارث وسُئِلَ: ما كان بدء أمرك، لأنّ اسمك بين النّاس كأنّه اسم نبيّ؟.

قال: هذا من فضل الله، وما أقول لكم؟ كنت رجلاً عَيَّاراً[7] صاحبَ عصبيَّة، فجزْت يوماً، فإذا أنا بقِرطاس[8] في الطريق، فرفعته فإذا فيه: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾. فمسحتَه وجعلتُه في جيبي.

---

(١) سورة الزمر، آية رقم /٤٧.

(٢) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال. المروزي، نزيل بغداد، أبو نصر الحافي، الزاهد الجليل المشهور، ثقة قدوة، مات سنة سبع وعشرين ومائتين، وله ست وسبعون؛ التقريب ٩٨/١، وأنظر حلية الأولياء ٣٣٦/٨ - ٣٦٠، وتاريخ بغداد ٦٧/٧ - ٨٠، والبداية والنهاية ٢٩٧/١٠، وتهذيب التهذيب ٤٤٤/١ - ٤٤٥.

(٣) في المطبوعة: أنا حَمَد بن أحمد، وهو خطأ، وأحمد هو: ابن عبدالله، الحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وهذه الرواية في الحلية ٣٣٦/٨.

(٤) زيادة من الحلية ٣٣٦/٨

(٥) الدِّيْنَوري بكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء. هذه النسبة إلى الدِّيْنَور، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين، ينسب إليها جماعة من العلماء. اللباب ٥٢٦/١.

(٦) زيادة في الحلية ٣٣٦/٨.

(٧) قال في مختار الصحاح ص ١٦٩: «رجلٌ عيَّار، أي: كثير التطواف والحركة، ذكيّ» أ هـ.

(٨) قال في مختار الصحاح ص ٢١٠: «القِرْطاس - بكسر القاف، وضمها - : الذي يُكتب فيه» أ هـ.

وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما. فذهبت إلى العطّارين فاشتريت بهما غالِيَةً[1]. ومسحته في القرطاس.

فنمت تلك الليلة؛ فرأيت في المنام كأنّ قائلاً يقول: يا بشر بن الحارث، رفعت اسمنا عن الطريق وطيّبته، لأطيِّبنَّ اسمك في الدنيا والآخرة، ثمّ كان ما كان.

وحُكي[2] أن بشراً كان في زَمَن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيبون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدقّ الباب. فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حرّ أو عبد؟ فقالت: بل حرّ. فقال: صدقتِ، لو كان عبداً لاستعمل أدب العبوديّة، وترك اللهو والطرب

فسمع بِشْر محاورتهما، فسارع إلى الباب حافياً حاسراً، وقد ولّى الرجل. فقال للجارية: ويحكِ! من كلّمكِ على الباب؟ فأخبرتْه بما جرى. فقال: أيّ ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا.

فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفتَ بالباب وخاطبتَ الجارية؟ قال. نعم. قال: أعد عليّ الكلام. فأعاده عليه. فمرّغ بشر خدّيه على الأرض وقال: بل عبدٌ، عبدٌ؛ ثمّ هام على وجهه حافياً حاسراً حتى عُرف بالحِفاء.

فقيل له: لِمَ لا تلبس نعلاً؟ قال: لأنّي ما صالحني مولاي إلا وأنا حافٍ. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات.

* * *

٨١ - [توبة عشرة فتيان، وعشرة أَحْداث]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج[3]، قال: أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا علي بن عبد الله بن أبي صادق، ثنا محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: حدّثني مفرّج بن الحسين الصَّعِيدي[4]، قال: حدثتني فاطمة بنت أحمد - أخت أبي عليّ الرُّوْذَبَاريّ[5] - ، قالت:

---

(١) هو نوع من الطيب، قيل: أوّل من سمّاها بذلك سليمان بن عبد الملك، مختار الصحاح ص ٥٣١.

(٢) بصيغة المبني للمجهول، وهي تفيد التضعيف.

(٣) أي: ابن الجوزي.

(٤) الصَّعِيدي: بفتح الصاد، وكسر العين. وسكون الياء آخر الحروف، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى الصعيد، وهي ناحية بمصر معروفة. اللباب ٢ / ٢٤٢.

(٥) قال في اللباب ٢ / ٤١: «الرُّوْذْباري: بضم الراء، وسكون الواو والذال المعجمة، وفتح الباء الموحّدة، وبعد الألف راء. وهذا يقال لمواضع عند الأنهار الكبار، يقال لها الرُّوذبار، وهي موضع =

كان ببغداد عشرة فتيان معهم عشرة أحداث. فوجّهوا واحداً من الأحداث في حاجة لهم؛ فأبطأ، فَحَرَدوا عليه. فجاء وهو يضحك، وبيده بطيخة. فقالوا له: تبطىء وتجيء وأنت تضحك؟!.

فقال: جئتُكم بأُعجوبة، وضع بشر يده على هذه البطيخة فاشتريتها بعشرين درهماً. فأخذ كلّ واحد منهم يقبِّلها ويضعها على عينه.

فقال واحد منهم: بأيّ شيء بلغ بشر هذه المرتبة؟ فقالوا: بالتقوى. فقال هو: أُشهدكم أنّي تائب إلى الله تعالى[1]، فقال القوم كلُّهم مثله. ويقال: إنهم خرجوا إلى طرسوس[2] فاستُشهدوا كلّهم - رحمة الله عليهم.

* * *

٨٢ - [توبة رجل عن طغيانه]

أنبأنا الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفيّ[3]، قال: أنا أبو الحسين بن الطُّيُورِيّ[4]، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن عليّ بن

= عند طوس، ينسب إليها... وأبو علي - وهو المذكور هنا - محمد بن أحمد بن القاسم الرُّوذباري الصوفي، سكن مصر، وله تصانيف حسان في التصوّف، كان من أولاد الرؤساء والوزراء، صحب الجُنيد، وكان فقيهاً، محدّثاً، نحوياً، وله شعر حسن رقيق، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة أهـ.

(١) في المطبوعة: فقال: هو يُشهدكم أنّهُ تائب إلى الله تعالى، وما أثبتناه هو الموافق لسياق الكلام، والله تعالى أعلم.

(٢) هي مدينة مشهورة، كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي، وهي الآن بيد الأرمن النصارى، أعادها الله تعالى إلى الإسلام، اللباب ٢/٢٧٩.

(٣) هو الإمام أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سِلَفة السِّلَفي، (بكسر السين، وفتح اللام)، الأصبهاني، محدّث، فقيه، أديب، رحل في طلب العلم، وبقي في الرحلة ثمانية عشر عاماً يكتب الحديث والفقه والأدب والشعر، وقدم دمشق فأقام بها، ثم استوطن الإسكندرية، وتوفي بها في ربيع الآخر، سنة ست وسبعين وخمسمائة عن نحو مائة سنة ونيّف.

من آثاره: السداسيّات في الحديث، المشيخة البغدادية، معجم السفر، شرح القراءة على الشيوخ وغيرها.

أنظر في ترجمته تذكره الحفاظ ٤/٩٠ - ٩٥، وميزان الإعتدال ١/١٥٥، ولسان الميزان ١/٢٩٩ - ٣٠٠، وشذرات الذهب ٤/٢٥٥، ومعجم المؤلفين ٢/٧٥ - ٧٦، واللباب في تهذيب الأنساب ٢/١٢٦.

(٤) هو المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن عبدالله البغدادي الصيرفي، أبو =

عبد الله بن الحسن بن جهضم، ثنا عليّ بن هارون، ثنا محمد بن مخلد، قال: حدثني أبو الفتح بن مخرق، قال:

تعلّق رجل بامرأة من بنات الشّام، فتعرّض لها بيده سكين، لا يدنو منه أحد إلا عقره. وكان الرجل شديد البدن. فبينا الناس كذلك، والمرأة تصيح من يده، إذ مرّ بشر بن الحارث، فدنا منه وحكّ كتفه بكتف الرجل. فوقع الرجل إلى الأرض، ومضى بشر.

فدنَوا من الرجل وهو يرشح عرقاً كثيراً؛ ومضت المرأة بحالها. فسألوه: ما حالك؟ فقال: ما أدري، ولكني حاكّني شيخ، قال: إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل؛ فَضَعُفَت لقوله قَدَمَي، وهبتُه هيبةً شديدة، لا أدريَ من ذاك الرجل. فقالوا له: ذاك بشر بن الحارث.

فقال. واسوءتاه، كيف ينظر إليّ بعد اليوم؟ وحُمَّ الرجل من يومه، ومات اليوم السابع.

٨٣ ـ [توبة تاجر من تجار بغداد من الوقيعة في الناس]

أنبأنا محمد، قال: أنا أحمد[١]، قال: أخبرني محمد بن خفيف[٢] ـ فيما كتب إليَّ ـ، قال: حدّثني عبد الله بن الفضل، حدثني أبو عبد الله القاضي، قال: حدّثني أبي، قال:

كان عندنا ببغداد رجل من التجّار صديق لي؛ وكان كثيراً ما أسمعه يقع في الصوفيّة. قال، فرأيته بعد ذلك يصحبهم، وأنفق عليهم جميع ما ملك.

= الحسن بن الطيوري، شيخ مشهور، مكثر ثقة، رحل في طلب الحديث حتى إجتمع إليه مالم يجتمع لغيره من أهل عصره، توفي في نصف ذي العقدة، سنة خمسمائة، سير أعلام النبلاء جـ ١٢، ق ٤٩ ـ ٥٠، ميزان الإعتدال ٤٣١/٣، لسان الميزان ٩/٥. ومعجم المؤلفين ١٧٢/٨.

(١) أي: ابن عبدالله، أبو نُعَيم الحافظ، والقصّة عنده في الحلية ٣٥٢/٨ ـ ٣٥٣.

(٢) في الحلية ٣٥٢/٨: محمد بن حنيف، وهو تصحيف. فقد ذكره في ترجمته ٣٨٥/١٠ ـ ٣٨٩ على الصواب.

وقد ذكره في معجم المؤلفين ٢٦٦/٩ على الصواب ـ أيضاً ـ، وعزا ذلك للأسنوي في طبقات الشافعية (١/٨٢) مخطوط وللبغدادي في هديّة العارفين ٤٩/٢. والله أعلم.

وهو محمد بن خفيف بن اسفكشاد الشيرازي، أبو عبدالله، صوفي، شاعر، مشارك في علوم الظاهر والحقائق، توفي في رمضان سنة (٣٧١) هـ. من تصانيفه. آداب المريدين، اختلاف الناس في الروح، ديوان شعر، الفصول في الأصول وغيرها. من معجم المؤلفين.

قال: فقلت له: أليس كنت تبغضُهم؟ قال: فقال لي: ليس الأمر على ما توهمتُ. قلت له: كيف؟ قال: صلّيت الجمعة يوماً من الأيام، وخرجت فرأيت بِشْراً الحافي يخرج من المسجد مسرعاً.

قال: فقلت في نفسي: أنظر إلى هذا الرجل الموصوف بالزهد، ليس يستقر في المسجد، قال: فتركت حاجتي، فقلت: أنظر أين يذهب.

قال: فتبعته فرأيته تقدّم إلى الخبّاز، واشترى بدرهم خُبْزَ الماء. قال: قلت: أنظر إلى هذا الرجل يشتري خبز الماء! قال: فتقدم إلى الشّوّاء فأعطاه درهماً، وأخذ شواءً؛ فزادني عليه غيظاً.

قال: وتقدّم إلى الحلاوِيّ واشترى فالُوذجاً[1] بدرهم.

فقلت في نفسي: واللهِ لأُنغِصَنَّ عليه حين يجلس ويأكل.

قال: فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: يريد الخضرة والماء.

قال: فما زال يمشي إلى العصر وأنا خلفه. قال: فدخل قرية. وفي القرية مسجد، وفيه مَريض. قال: فجلس عند رأسه وجعل يلقمه.

قال: فقمتُ لأنظرَ القرية. قال: فبقيت ساعة، ثمّ رجعت فقلت للعليل: أين بِشْر؟ قال: ذهب إلى بغداد. قال: فقلت: وكم بيني وبين بغداد؟ فقال: أربعون فرسخاً. فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ايْش عملت بنفسي، وليس معي ما أُكْتَرِي، ولا أقدر على المشي. قال: اجلس حتى يرجع.

فجلست إلى الجمعة القابلة. قال: فجاء بشر في ذلك الوقت، ومعه شيء يأكله[2] المريض. فلما فرغ، قال له العليل: يا أبا نصر! هذا رجل صحبك من بغداد وبقي عندي منذ الجمعة، فرُدَّه.

قال: فنظر إليَّ كالمُغضَب، وقال: لِمَ صَحِبْتَني؟ قال: فقلت: أخطأتُ. قال لي: قم، امشِ.

قال: فمشيت إلى قرب المغرب. قال: فلما قربنا، قال لي: أين محلتك من بغداد؟ قلت: في موضع كذا. قال: إذهب ولا تعد.

قال: فتبتُ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وَصحِبتُهم، وأنا على ذلك.

---

(١) هو نوع من الحلوى، وهذه الكلمة فارسة معرّبة، أنظر مختار الصحاح ص ١٩١.

(٢) في المطبوعة: يأكل، وهو خطأ والتصويب من الحلية ٨/٣٥٣.

٨٤ - [توبة أبي عبد ربّ][١]

أخبرنا محمد، قال: ثنا حمد، أنا أحمد، ثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد، ثنا الحسن بن محمد، ثنا أبو زرعة، ثنا إبراهيم بن العلاء بن الضّحاك، ثنا الوليد بن مسلم[٢]، عن ابن جابر[٣].

أنّ أبا عبد ربّ كان من أكثر أهل دمشق مالاً، فخرج إلى أَذْرَبِيجان[٤] في تجارة؛ فأمسى إلى جانب مرج ونهر فنزل به.

قال أبو عبد ربّ: فسمعت صوتاً يكثر حمدَ الله في ناحية من المرج، فاتبعته. فوافيت رجلاً في حفير من الأرض ملفوفاً في حصير. فسلمت عليه، وقلت: من أنت يا عبد الله؟.

قال: رجل من المسلمين. قال: قلت: ما حالك هذه؟

قال: حال نعمة يجب عليّ حمد الله فيها. قال: قلت: كيف وإنما أنت في حصير؟.

---

(١) هو أبو عبد ربّ الدمشقي الزاهد، ويقال: أبو عبد ربه، ويقال: أبو عبد رب العزّة مولى ابن غيلان الثقفي، ويقال: مولى بني عذرة، قيل: اسمه، عبد الجبار بن عبيد بن سلمان، وقيل: عبد الرحمن بن أبي عبدالله، وقيل: قسطنطين، وقيل: فلسطين، وهذا الأخير ليس بشيء، قال أبو زرعة الدمشقي، عن أبي مسهر، كان رومياً اسمه قسطنطين، فلمّا أسلم سُمّي عبد الرحمن، وكان من الأغنياء الميسورين فخرج من ماله كلّه، وهو من التابعين، توفي سنة اثنتي عشرة ومائة، ذكره ابن حبان في الثقات، ووصفه البعض بالصدق، تهذيب التهذيب ١٢/١٥٢ - ١٥٣، والتقريب ٢/٤٤٦، وقال: «مقبول» أ هـ.

(٢) هو الوليد بن مسلم القرشي، مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتّسْوية، أي يدلّس تدليس التسوية، ومن صوره أن يسقط من سنده، شيخه أو غير شيخه، لكونه ضعيفاً أو صغيراً، ويأتي بلفظ محتمل أنه عن الثقة الثاني، تحسيناً للحديث، مات آخر سنة أربع، أو أوّل سنة خمس وتسعين ومائة، التقريب ٢/٣٣٦، وطبقات المدلسين ص ١٣٤.
قلت: وقد عنعنه، فالإسناد ضعيف.

(٣) هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، أبو عتبة، الشامي الداراني، ثقة؛ من أتباع التابعين، مات سنة بضع وخمسين ومائة، التقريب ١/٥٠٢، وهذا إسناد ضعيف عنه، بسبب عنعنة الوليد بن مسلم كما تقدّم.

(٤) أَذَرْبِيجان: بفتح الهمزة، وسكون الذال المعجمة، وفتح الراء، وكسر الباء، وياء ساكنة، وجيم، وقد فتح قوم الذّال المعجمة، وسكّنوا الراء، ومدّ آخرون الهمزة مع ذلك.
وحدّ أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أذربيجان مغرباً، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الدّيلم، ومن مشهور مدائنها تبريز، نقلاً عن هامش المطبوعة.

قـال: ومـالي لا أحمـد الله أنْ خلقني فـأحسن خلقي وجعـل مـولـدي ومنشئي في الإسلام، وألبسني العافية في أركاني، وستر عليّ ما أكره ذِكره أو نَشْرَه؟! فمن أعظم نعمة ممَّن أمسَى في مثل ما أنا فيه.

قال: قلت: رحمك الله! إن رأيت أن تقوم معي إلى المنزل فـإنّا نُـزولٌ على النهر.
قال: ولمه؟ قلت: لتصيب من الطعام، ولنعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير.
قال: ما بي حاجة.

قال الوليد: فحسبت أنه قال: إنَّ لي في أكل العشب كفاية عمّا قال أبو عبد ربّ.

قال: فأردته على أن يتبعني؛ فأبى، قال: ما لي به من حاجة.

قال أبو عبد ربّ: فانصرفتُ وقد تقاصرتْ إليَّ نفسي، وَمَقَتُّها أنّي لم أُخَلِّف بدمشق رجلاً في الغنَى يكاثرني، وأنا ألتمس الزيادة فيه. وقلت: اللهم! إنّي أتوب إليـك من سوء ما أنا فيه.

قال: فبتّ ولم يعلم إخواني بما قد أجمعت بـه. فلمَّا كـان من السَّحر رحلوا كنحـو من رحيلهم فيما مضى؛ وقدّمـوا إليَّ دابتي فركبتهـا، وصرفتهـا إلى دمشق. وقلت: ما أنـا بصادق التوبة إن أنا مضيت في متجـري هذا. فسـألني القوم، فـأخبرتهم؛ وعـاتبوني على المضي فأبيت.

قال ابن جابر: فلما قدم تصدق بصامت ماله[1]، وتجهَّزَ به في سبيل الله.

قال ابن جابـر: فحدّثني بعض إخـواني قال: مـا كستُ صاحب عبـاءة في عباءة[2]، أعـطيته ستـة، وهو يقـول: سبعة. فلمـا أكثرت قـال: ممن أنت؟ قلت: من أهل دمشق. قال: ما تشبه شيخاً وفد عليَّ أمس، يقال لـه: أبو عبـد ربّ، اشترى منِّي سبعمـائة كسـاء بسبعة سبعة؛ ما سألني أن أضـع له درهمـاً، فسألني أن أحملهـا له، فبعثت أعـواني؛ فما زال يفرقها بين فقراء الجيش، فما دخل إلى منزله منها بكساء.

قال ابن جابر: وباع عُقْدَةً[3] وتصدق بها، وباع داره بمـالٍ عظيم وفـرّقه؛ وكـان مع

---

(١) صامِت المال: الذهب والفضة، قال في مختار الصحـاح ص ٥٠: «يقال: مـا لَه صـامتٌ ولا ناطق، فالصامت الذهب والفضة، والنـاطق الإبل والغنم، أي: ليس لـه شيء» أهـ. وأنظر أسـاس البلاغـة ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.
والمقصود هنا: أنه تصدّق من ماله ما كان ذهباً وفضّة، والله أعلم.

(٢) أي: شـاكسته وتشـاصحت معه من أجـل إنقـاص ثمن العبـاءة واستحطاطه. أنظر مختـار الصحاح ص ٢١٣، وأساس البلاغة ص ٤٣٤.

(٣) أي: ضيعة، مختار الصحاح ص ١٠٥.

ذلك موته. فما وجدوا منها إلا قدر ثمن الكفن.

وكان يقول: والله لو أنّ نهركم هذا - يعني بَرَدَى - سال ذهباً وفضة، من شاء خرج إليه فأخذ منه، ما خرجتُ إليه؛ ولو قيل: من مسّ هذا العمود مات، لسرني أن أقوم إليه شوقاً إلى الله وإلى رسوله[1].

٨٥ - [توبة القَعْنَبِي][2]

أنبأنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي[3]، قال: أنا أبو عليّ أحمد بن محمد بن أحمد البُرْدَاني[4]، أنا الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرىء، أنا هلال بن محمد الحفّار، ثنا أبو العبّاس أحمد بن محمد بن الصّباح البزّاز، قال: لم يروِ القعنبيّ عن شعبة[5] غير هذا الحديث الواحد[6]، وله شرح[7]، حدثني بعض القضاة، عن بعض ولد القعنبيّ بالبصرة[8]، قال:

---

(١) ذكر هذا القول الحافظ ابن حجر في التهذيب ١٢/١٥٣. عن أبي مسهر، عن سعيد بن عبد العزيز، عن أبي عبد ربّ الزاهد قال: . . . فذكره نحوه، وفي آخره: قال سعيد: ونحن نعلم أنه صادق - أي: فيما قاله -.

(٢) هو عبدالله بن مسلمة بن قَعْنَب، القعنّبي، الحارثي، أبو عبد الرحمن البصري، أصله من المدينة، وسكنها مدة، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، مات في أوّل سنة إحدى وعشرين ومائتين، بمكة - رحمه الله تعالى. التهذيب ٦/٣١ - ٣٣، والتقريب ١/٤٥١، واللباب ٣/٥٠.

(٣) السِّلفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدمت ترجمته قريباً، قبل قصّتَيْن.

(٤) قال في اللباب ١/١٣٥: «البُرْداني: بضم الباء الموحدة والراء، والدال المهملة، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بُرْدان، وهي قرية من قرى بغداد، خرج منها جماعة من العلماء، منهم: . . وأبو علي أحمد (بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن الحسين بن علي البرداني)، كان فاضلاً حافظاً، توفي سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، في جمادي» أهـ.

(٥) هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، مولاهم، أبو بِسْطام الواسطي، ثم البصري، ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتّش بالعراق عن الرجال، وذبّ عن السنّة، وكان عابداً، من أتباع التابعين، مات - رحمه الله تعالى - سنة ستين ومائة، التقريب ١/٣٥١.

(٦) ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب ٦/٣١ أنّ القعنبيّ يروي عن شعبة، وذكر محقق التهذيب نقلاً عن هامش المخطوطة: ليس له عن شعبة غير حديث: إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى. . الحديث، والله أعلم.

(٧) أي: سبب.

(٨) وهذا إسناد ضعيف بسبب الجهل بالقاضي الذي حدّثه، وكذلك للجهل بولد القعنبي، وهو حريّ =

كان أبي يشرب النبيذ ويصحب الأحداث. فدعاهم يوماً، وقد قعد على الباب ينتظرهم. فمَرَّ شُعبة على حماره والنّاس خلفه يهرَعون.

فقال: من هذا؟ قيل: شعبة.

قال: وأيْش شعبة؟ قالوا: محدِّث.

فقام إليه وعليه إزار أحمر، فقال له: حدّثني. فقال له: ما أنت من أصحاب الحديث فأُحدِّثك. فأشهر سكينه، وقال: تحدّثني أو أجرحك؟.

فقال له: حدّثنا منصور، عن رِبْعِيّ[1]، عن أبي مسعود[2]، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا لم تستحِ فاصنَعْ ما شئت[3]»

= بالتضعيف، لما فيه من اتّهام إمام كبير مثل القعنبي بشرب النبيذ وغير ذلك، والله أعلم.

(١) هو رِبعي بن حِراش - بكسر المهملة، وآخره معجمة -، أبو مريم العَبسي، الكوفي، ثقة عابد، مخضرم، مات سنة مائة، وقيل غير ذلك. التقريب ١/٢٤٣.

(٢) هو الصحابي الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري، أبو مسعود البدري، مات - رضي الله تعالى عنه - قبل الأربعين، وقيل بعدها، التقريب ٢/٢٧.

(٣) رواه من طريق القعنبي، عن شعبة به:

أبو داود في كتاب الأدب، باب (٦) في الحياء، حديث رقم (٤٧٩٧) ٤/٢٥٢، وأوّله: إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى: .. فذكره.

ورواه من طرق أخرى بالزيادة في أوّله.

البخاري أحاديث الأنبياء، باب (٥٤)، حديث رقم (٣٤٨٣ - ٣٤٨٤) ٦/٥١٥.

وفي كتاب الأدب، باب (٧٨) إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، حديث رقم (٦١٢٠) ١٠/٥٢٣.

وابن ماجه في كتاب الزهد، باب (١٧) الحياء، حديث رقم (٤١٨٣) ٢/١٤٠٠.

وأحمد في المسند ٤/١٢١ - ١٢٢.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٥٢٣؛ «قوله: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة: الناس: بالرفع في جميع الطرق، ويجوز النصب، أي: مما بلغ الناس.

وقوله: من كلام النبوة: أي أنه مما ندب إليه الأنبياء، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم...،

قوله: فاصنع ما شئت: هو أمر بمعنى الخبر.

أو هو للتهديد أي: فاصنع ما شئت فإن الله يجزيك،

أو معناه: أنظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان ممّا لا يُستحى منه فافعله، وإن كان مما يستحى منه فدعه.

أو المعنى: أنك إذا لم تستح من الله من شيء يجب أن لا تستحي منه من أمر الدين فافعله، ولا تبال بالخلق. أو المراد الحثّ على الحياء، والتنوية بفضله، أي: لمّا لم يجز صنع جميع ما شئت لم يجز ترك الإستحياء» أ هـ.

وقال - رحمه الله - ١٠/٥٢٣: «وأشير هنا إلى زيادة. على ذلك، قال النووي في الأربعين: الأمر فيه للإباحة أي إذا أردت فعل شيء فإن كان مما لا تستحي إذا فعلته من الله ولا من الناس فافعله وإلا =

فرمى سكينه ورجع إلى منزله. فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فهَراقَهُ، وقال لأمّه: الساعة أصحابي يجيئون، فأدْخليهم وقدِّمي الطعام إليهم؛ فإذا أكلوا فخبِّريهم بما صنعتُ بالشراب حتى ينصرفوا.

ومضى من وقته إلى المدينة، فلزم مالك بن أنس[1]، فأَثَرَ عنه[2].

ثمّ رجع إلى البصرة وقد مات شعبة، فما سمع منه غير هذا الحديث.

٨٦ ـ [توبة عكبر الكردي]

قرأتُ في «الملتقط»[3]، عن بِشْر بن الحارث الحافي أنه قال: اعترضت عكبر الكرديّ، فقلت له: أيش كان أصل رجوعك إلى الله تعالى؟ فقال: كنت في بعض الدحال[4] أقطع الطَّريق، وكان فيها ثلاث نخلات، نخلة منهنّ لا تحمل؛ وإذا بعصفور يأخذ من حَمْل النخلة التي تحمل رطبة فيدعها في التي لا تحمل.

فلم أزل أعدّ عليه عشر مرار؛ فخطر بقلبي: قم وانظر، فنهضتُ، فإذا في رأس النخلة حيّة عمياء ـ يعني: وهو يضع الرطبات في فيها.

فبكيت، وقلت: سيدي! هذه حية قد أمرَ نبيُّك بقتلها؛ أعميتَها وأقمتَ لها عصفوراً يقوم لها بالكفاية؛ وأنا عبدك، أقرّ بأنك واحد، أقمتني لقطع الطريق وإخافة السبيل؟!.

فوقع في قلبي: يا عكبر! بابي مفتوح.

فكسرتُ سيفي، ووضعتُ التراب على رأسي، وصحْت: الإقالة، الإقالة؛ فإذا بهاتف يقول: قد أقلناك، قد أقلناك.

= فلا، وعلى هذا مدار الإسلام.

وتوجيه ذلك أن المأمور به: الواجب والمندوب، يستحيى من تركه، والمنهي عنه: الحرام والمكروه، يستحيى من فعله؛ وأما المباح فالحياء من فعله جائز، وكذا من تركه، فتضمّن الحديث الأحكام الخمسة» أهـ.

(١) هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأَصْبَحِي أبو عبدالله، المدني، الفقيه، إمام دار الهجرة، رأس المتقين، وكبير المثبتين، حتى قال البخاري: أصح الأسانيد كلها: مالك، عن نافع، عن ابن عمر، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين، وقال الواقدي: بلغ تسعين سنة، التقريب ٢/٢٢٣.

(٢) أي: فأخذ عنه الأثر والحديث.

(٣) هو كتاب: ملتقط الحكايات، للإمام ابن الجوزي.

أبو الفضل ـ رحمه الله تعالى ـ وقد تقدمت ترجمته.

(٤) الدحال: جمع دَحْل، وهو حفرة غامضة ضيّقة الأعلى واسعة الأسفل، أساس البلاغة ص ١٢٧.

فانتبه رفقائي، فقالوا: ما لك؟ قد أزعجتنا. فقلت: كنت مهجوراً، وقد صُولحت. فقالوا: ونحن أيضاً كنا مهجورين، وقد صولحنا.

فرمينا ثيابنا وأحرمنا كلنا، فما زلنا كذلك ثلاثة أيام نصيح ونبكي ونحن سكَارى حيارى.

فوردنا اليوم الثالث على قرية؛ وإذا بامرأة عمياء جالسة على باب القرية. فقالت: فيكم عكبر الكرديّ؟ فقال أحدنا: نعم، لك حاجة؟ قالت: نعم؛ لي ثلاث ليال أرى النبيّ - ﷺ - في النَوم، وهو يقول: أعطِ عكبر الكرديّ ما خلّفه ولدك. فأخرَجت لنا ستّين شقّة. فائتزرنا ببعضها، ودخلنا البادية إلى أن أتينا البيت.

٨٧ - [توبة صدقة بن سليمان الجَعْفَري]

وذكر ابن أبي الدنيا[١]، قال: حدثني محمد بن الحسين، ثنا خالد بن عمرو القرشيّ، ثنا صدقة بن سليمان الجَعْفَريّ، قال:

كانت بي شِرَّة[٢] سَمْجَة[٣]؛ فمات أبي؛ فأُبْتُ[٤] وندمتُ على ما فرّطت[٥].

ثم زللت زلّة[٦]، فرأيت أبي في المنام، فقال: أي بنيّ، ما كان أشدّ فرحي بك وأعمالك تُعرض عليّ فنشبهها بأعمال الصالحين.

قال خالد: وكان بعد ذلك قد خشع ونسك. وكنت أسمعه يقول في دعائه في السحر - وكان لنا جاراً بالكوفة -: اللهمّ أسألك إنابة[٧] لارجعة فيها ولا حَوَر[٨]، يا مصلح الصّالحين، وهادي المضلّين، وراحِم المذنبين.

---

(١) هو الإمام عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي، أبو بكر، المعروف بابن أبي الدنيا، وقد تقدمت ترجمة ضافية له.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ١٥٣: «شِرَّة الشاب: حرصه ونشاطه» أ هـ.

(٣) السَّمْج: القبح، مختار الصحاح ص ٦٤. والمقصود هنا: أنه كان نشيطاً في القُبحْ والإساءة حريصاً على فعله.

(٤) أي: رجعت.

(٥) أي: قصَّرْت، مختار الصحاح ص ٢٤٩».

(٦) أي: أخطأت خطيئة، أنظر مختار الصحاح ص ٣٦٣.

(٧) أي: توبة.

(٨) حَوْر: - بفتح الحاء المهملة والواو، ويجوز ضمّ الحاء، وتسكين الواو - وهو النُقصْ، أساس البلاغة ص ٩٨.

٨٨ - [توبة ذي النون المصريّ][1]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج[2]، أنا محمد بن عبد الله بن حبيب، أنا عليّ بن عبد الله بن أبي صادق، ثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن باكويه، قال: سمعت الحسن بن علويه، قال: سمعت يوسف بن الحسين يقول:

لما استأنستُ بذي النون المصريّ، قلت: أيها الشيخ! ما كان بدءُ شأنك؟.

قال: كنت شاباً صاحب لهو ولعب. ثم تبتُ وتركت ذلك، وخرجت حاجّاً إلى بيت الله الحرام ومعي بُضَيْعة[3]، فركبت في المركب مع تجّار من مصر، وركب معنا شابّ صبيح[4]، كأنّ وجهه يشرق. فلما توسّطنا فَقَدَ صاحب المركب كيساً فيه مال. فأمر بحبس المركب، ففتّش من فيه وأتعبهم، فلمّا وصلوا إلى الشاب ليفتشوه، وَثَبَ وثبةً من المركب حتى جلس على أمواج البحر، وقام له الموج على مثال سرير، ونحن ننظر إليه من المركب. وقال: يا مولاي! إنّ هؤلاء اتهموني، وإنّي أقسم يا حبيب قلبي، أن تأمر كلّ دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها وفي أفواهها جوهر.

قال ذو النون: فما تمّ كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ وتلمع.

ثم وَثَبَ الشّاب من الموج إلى البحر، وجعل يتبختر على متن الماء، ويقول: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾[5]، حتّى غاب عن بصري.

فهذا الذي حملني على السِّياحة، وذكرت قول النبي - ﷺ - : «لا يزال في هذه

---

(١) هو ذو النون بن إبراهيم المصري الإخميمي النوبي، أبو الفيض، المعروف بالمصري، أصله من النوبة، وكان من قرية من قرى صعيد مصر على طريق الحاج، يقال لها: إخميم، فنزل مصر، وكان حكيماً فصيحاً زاهداً، وجّه إليه جعفر المتوكّل على الله، فَحُمل إلى حضرته بسرّ من رأى (سامرّاء)، حتى رآه وسمع كلامه، ثم أنحدر إلى بغداد، فأقام بها مُدَيْدَة (تصغير مدّة)، وعاد إلى مصر.
وقيل: إن اسمه ثوبان، وذا النون لقب له، ويقال: إن اسمه الفيض بن إبراهيم، وذو النون لقب، وقد أسند عنه أحاديث غير ثابتة والحمل فيها على من دونه، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، أنظر تاريخ بغداد ٣٩٣/٨ - ٣٩٧، وحلية الأولياء ٣٣١/٩ - ٣٩٧، واللباب في تهذيب الأنساب ٣٥/١.

(٢) أي: ابن الجوزي رحمه الله.

(٣) تصغير بضاعة.

(٤) أي: جميل، مختار الصحاح ص ٧٥.

(٥) سورة الفاتحة، آية رقم /٤.

الأمة ثلاثون، قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن؛ كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحداً»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/٣٢٢ عن عبد الوهاب بن عطاء، أنا الحسن بن ذكوان، عن عبد الواحد بن قيس، عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل أبراهيم خليل الرحمن ـ عزّ وجلّ ـ ، كلّما مات رجل أبدل الله تبارك وتعالى مكانه رجلاً.

قال عبدالله ابن الإمام أحمد ـ عقب الحديث ـ : قال أبي: فيه ـ يعني حديث عبد الوهاب ـ كلام غير هذا، وهو منكر، يعني حديث الحسن بن ذكوان.

قلت: وقد روي حديث الأبدال من طرق كثيرة وعن عدّة من الصحابة، كلٌ يذكر عدداً غير الآخر ومكاناً غير الآخر، مما يشعر بضعف هذا الحديث.

لكن قال السيوطي في النكت: خبر الأبدال صحيح فضلاً عمّا دون ذلك، وإن شئت قلتَ: متواتر وقد أفردته بتأليف استوعبت فيه طرق الأحاديث الواردة في ذلك، والحاصل أنه ورد من حديث:

١ ـ عمر ـ رضي الله عنه ـ : أخرجه ابن عساكر من طريقين.

٢ ـ وعليّ ـ رضي الله عنه ـ : أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وغيرهم، من طرق أكثر من عشرة بعضها على شرط الصحيح.

٣ ـ وأنس: وله ست طرق، منها طريق في معجم الطبراني الأوسط، حسّنة الهيثمي في مجمع الزائد.

٤ ـ وعبادة بن الصامت: أخرجه أحمد بسند صحيح، ـ كذا قال، وقد تقدم أن الإمام أحمد حكم عليه بالنكارة، وهو على أقل تعديل ضعيف الإسناد.

٥ ـ وابن عباس: أخرجه أحمد في الزهد، بسند صحيح.

٦ ـ وابن عمر: وله ثلاث طرق في المعجم الكبير للطبراني، وكرامات الأولياء للخلّال، والحلية لأبي نُعيم.

٧ ـ وابن مسعود: وله طريقان في المعجم الكبير، والحلية.

٨ ـ وعوف بن مالك: أخرجه الطبراني بسند حسن.

٩ ـ ومعاذ بن حنبل: أخرجه الديملي.

١٠ ـ وأبي سعيد الخدري: أخرجه البيهقي في الشُعَب.

١١ ـ وأبي هريرة: وله طريق أخرى غير التي أوردها ابن الجوزي ـ في الموضوعات ـ ، أخرجها الخلّال في كرامات الأولياء.

١٢ ـ وأم سلمة: أخرجه أحمد وأبو داود في سننه والحاكم والبيهقي وغيرهم.

١٣ ـ ومن مرسل الحسن: أخرجه ابن أبي الدنيا في السخاء والبيهقي في الشعب.

١٤ ـ ومن مرسل عطاء: أخرجه أبو داود في مراسيله.

١٥ ـ ومن مرسل بكر بن خنيس: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء.

١٦ ـ ومن مرسل شهر بن حوشب: أخرجه ابن جرير في تفسيره.

وأما الآثار عن الحسن البصري، وقتادة، وخالد بن معدان، وأبي الزاهرية، وابن شوذب، وعطاء، وغيرهم من التابعين فَمَن بعدهم فكثيرة جداً: .

ومثل ذلك بالغ حدّ التواتر المعنوي لا محالة، بحيث يُقطع بصحة وجود الأبدال ضرورة. انتهى نقلاً =

٨٩ - [توبة سكران]

قال ابن باكويه: وحدثنا بكران بن أحمد، قال: سمعت يوسف بن الحسين[1]، يقول:

كنت مع ذي النون المصريّ على شاطىء غدير، فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شطّ الغدير واقفةٍ. فإذا بضفدع قد خرجت من الغدير، فركبَتْها العقرب، فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت.

فقال ذو النون: إن لهذه العقرب لشأناً، فامض بنا، فجعلنا نقفو أثرها؛ فإذا رجل نائم سكران، وإذا حيّة قد جاءت فَصَعِدَت من ناحية سرّته إلى صدره وهي تطلب أُذُنَهُ، فاستحكمت العقرب من الحية فضربتْها، فانقلبت وانفسخت.

ورجعت العقرب إلى الغدير، فجاءت الضفدع فركبتها فعبَرت.

فحرّك ذو النون الرجلَ النائم، ففتح عينيه؛ فقال: يا فتى! انظر مما نجّاك الله، هذه العقرب جاءت فقتلت هذه الحية التي أرادتك.

ثم أنشأ ذو النون يقول:

يَا غَافِلاً وَالجَلِيلُ يَحرُسُهُ ... مِنْ كلِّ سُوءٍ يدِبُّ فِي الظُّلَمِ

كيفَ تَنَامُ العُيُونُ عن مَلِك ... تأتِيهِ مِنْهُ فَوَائِدُ النِّعَمِ

فنهض الشاب وقال: إلهي! هذا فعلك بمن عصاك، فكيف رفقك بِمنْ يطيعك؟ ثم

= عن ذَيْل القول المسدّد في الذبّ عن المسند للإمام أحمد للقاضي محمد صِبغة الله المدراسي الهندي، ص ١١١ - ١١٢.

وعلى القول بصحته يكون ذلك دون تحديد لمكان، ولا عدد معيّن، والله تعالى أعلم وأحكم،

وانظر في هذه المسألة المقاصد الحسنة ص ٨ - ١٠ للسخاوي، ورسالة نظم اللآل في الكلام على الأبدال، له.

ورسالة: الخبر الدال على وجود النجباء، والأوتار والأبدال، للسيوطي، وهي الرسالة التي أشار إليها فيمن ذكرناه في مبدأ كلامه، والله تعالى أعلم.

وأسأل الله تعالى أن ييسِّر لي، الحصول على رسالة السيوطي ورسالة السخاوي، لأجمع ما بهما من أحاديث وأسبرها وأنقحها حتى يتبّين الحقّ في هذه المسألة، والله المستعان على ذلك، فمراد المسلم دائماً معرفة الحق، ليقول به، ويعمل به.

(١) هو يوسف بن الحسين بن علي، أبو يعقوب الرازي، من مشايخ الصوفية، كان كثير الأسفار، وصحب ذا النون المصري وحكى عنه، وكان يُعدّ من أعلم أهل زمانه بالكلام وعلم الصوفية، وقد وُصِف بالزندقة، مات سنة أربع وثلاثمائة، أنظر تاريخ بغداد ١٤/٣١٤ - ٣١٩. وحليه الأولياء ١٠/٢٣٨ - ٢٤٣.

ولّى؛ فقلت: إلى أين؟ قال: إلى البادية؛ واللهِ لا عدتُ إلى المُدُن أبداً!.

٩٠ - [توبة المُرتَعِش][1]

أنبأنا أبو عليّ ضياء بن أبي القاسم، أنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي، أنا هنّاد بن إبراهيم، قال: سمعت أبا عبد الرحمن السُّلَمي[2]، يقول: سمعت جدّي[3]، يقول:

كان المرتعشُ دهقان[4] نيسابورَ يذكر بدء أمره: أنه كان جالساً على باب داره، قال: فإذا أنا بشاب عليه مرقعة وعلى رأسه خرقة. فأشار إليَّ متعرّضاً إشارة لطيفة. فقلت في نفسي: شابٌ جلدٌ صحيح الجسم؛ ولم أردّ عليه جوابه.

فصاح الشّاب صيحة هالتني[5]، قال: أعوذ باللهِ مما خطر في سرك.

قال المرتعش: فغُشي عليَّ؛ فخرَجَت جارية لنا ورأتْني، واجتمع حولي خلق. فما أفقت إلا بعد حين.

فلمّا أفقت لم أرَ الشاب، فتحسّرت على ما كان منّي.

---

(١) هو جعفر، أبو محمد المُرْتعش، من كبار مشايخ الصوفية، وهو نيسابوري، كان من ذوي الأحوال وأرباب الأموال، فتخلّى منها، وصحب الفقراء، وسافر كثيراً، ثم استوطن بغداد إلى أن مات بها سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، تاريخ بغداد ٧/٢٢١ - ٢٢٢، واللباب في تهذيب الأنساب ١٩٣/٣ في ذكره باب المُرْتَعِش، فقال: بضم الميم، وسكون الراء، وفتح التاء، وفوقها نقطتان، وكسر العين المهملة، وفي آخرها الشين المعجمة هذا لقب شيخ عصره أبي محمد جعفر المرتعش. . . .
وذكره أبو نعيم في الحلية ١٠/٣٥٥ - ٣٥٦ وذكر أن اسمه: عبدالله بن محمد، أبو محمد المرتعش، والله أعلم بالصواب.

(٢) قال في اللباب ٢/١٢٨ - ١٢٩: «السُّلَمي: بضم السين، وفتح اللام، ثم لام، نسبة إلى سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر، وهي قبيلة مشهورة. والمنتسب إليها لا يحصون، منهم. . وأبو عبد الرحمن - الراوي هنا - محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السُّلمي الصوفي، وهو ابن بنت أبي عمرو بن نجيد السلمي، له تصانيف في علوم الصوفية لم يُسبق إليها، وكان مكثراً من الحديث، روى عنه الحاكم أبو عبدالله، ومات قبله بسبع سنين، وتوفي ثالث شعبان، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة بنيسابور» أ هـ.

(٣) هو: أبو عمرو بن نجيد السُّلمي، جدّه لأمه، كما تقدم في الترجمة السابقة.
وهذه القصة ذكرها أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ٢٢١/٧ من طريق أخرى عن أبو العباس أحمد بن محمد الدّهّان قال: حدّثنا جعفر المرتعش ببدوّ أمره وخروجه إلى هذا الأمر - يعني التصوف - ، فذكر نحو هذه القصة.

(٤) أي: تاجر، فارسيّ مُعَرّب.

(٥) أي: أفزعتني.

فرأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في المنام، وهو يقول: إن الله ـ عزّ وجلّ ـ لا يجيب سؤالَ مانع سائلهُ.

قال المرتعش: فانتبهت، وفرقت ما نالت يدي؛ وخرجت، فسمعت وفاة والدي، وأخي بعد خمس عشرة سنة؛ وما رجعت إلى نيسابور بعد ذلك.

وصار الشابَ يتبعني أحياناً، فما فارقني ولا تفارقنا إلى اللقاء.

٩١ - [توبة عبد الرحمن القَسّ][1]

أخبرنا أبو بكر أحمد بن المقرَّب بن الحسين الكَرْخِيّ[2]، أنا طرّاد بن محمد الزَّيْنَبِيّ[3]، أنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو علي بن صفوان، أنا عبد الله بن محمد، حدثني أبو زيد النُّمَيْرِيّ[4]، قال: حدثني خلّاد بن يزيد[5]، قال: سمعت شيوخنا من أهل

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي عمّار المكي القرشي، حليف بني جُمَح، كان يُلقّب بالقسّ لعبادته ـ بفتح القاف، وتشديد السين المهملة ـ ، وكان ينزل مكّة، ثقة عابد من التابعين، روى عن أبي هريرة، وابن عمر، وابن الزبير وجابر وغيرهم أنظر تهذيب التهذيب ٢١٣/٦، والتقريب ٤٨٧/١.

(٢) الكَرْخي: بفتح أولها، وسكون الراء، وفي آخرها خاء معجمة، هذه النسبة إلى الكَرْخ، وهو عدّة مواضع منها كرخ سامرّآ، ومنها كرخ بغداد، وكرخ جدّان، وكرخ البصرة وغيرها. أنظر اللباب ٩١/٣.

(٣) قال في اللباب ٨٧/٢ ـ ٨٨: الزَّيْنَبِي؛ بفتح الزاي، وسكون الياء، وفتح النون، وفي آخرها باء موحدّة، هذه النسبة إلى زينب بنت سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس قال: وظنّي أنها زوجة إبراهيم الإمام بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس، أم محمد بن إبراهيم، ينسب إليها كثير، منهم: أبو نصر محمد، وأبو الفوارس طرّاد ابنا محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الإمام..

... وروى طرّاد ـ وهو الراوي هنا ـ عن هلال الحفار، وأبي الحسين بن بشران وغيرهما، روى عنه ابناه محمد وعليّ، وغيرهما» أهـ.

(٤) النُّمَيْري: بضم النون، وفتح الميم، ويكون الياء آخر الحروف وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى نُمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان، ينسب إليه كثير من العلماء وغيرهم، اللباب ٣٢٧/٣.

وأبو زيد هذا، هو: عمر بن شَبّه ـ بفتح المعجمة، وتشديد الموحدة ـ ، ابن عُبيدة بن زيد النميري، أبو زيد بن أبي معاذ البصري، نزيل بغداد، صدوق، له تصانيف من كبار الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وستين ومائتين، وقد جاوز التسعين، التقريب ٥٧/٢.

(٥) هو خلّاد بن زيد الباهلي البصري، المعروف بالأرقط، صهر يونس بن حبيب النحوي، صدوق جليل، التقريب ٢٣٠/١، وانظر تهذيب الكمال ٣٦٣/٨ ـ ٣٦٤.

مكة ـ منهم سليمان ـ يَذْكُرون[1]: أن القَسَّ كان عند أهل مكة من أحسنهم عبادةً، وأظهرهم تَبَتُّلاً، وأنه مرّ يوماً بسلاَّمة جارية كانت لرجل من قريش[2]، فسمع غِنَاءها. فوقف يستمع؛ فرآه مولاها، فقال: هل لك أن تدخل فتسمع؟ فتأبَّى عليه، فلم يزل به حتى تسمّح، وقال: أَقْعِدْني في موضع لا أراها ولا تراني. قال: أفعلُ.

فدخل، فتغنّت، فأعجبتْه. فقال مولاها: هل لك أن أحوِّلها إليك؟ فتأبَّى، ثم تسمّح. فلم يزل يسمع غناءها حتى شُغِفَ بها وشُغِفَتْ به. وعلم ذلك أهل مكة.

فقالت له يوماً: أنا واللهِ أُحبُّكَ. قال: وأنا واللهِ أُحِبُّكِ. قالت: وأحبّ أن أضع فمي على فمك. قال: وأنا واللهِ. قالت: أُحِبُّ أن ألصق صدري بصدرك، وبطني ببطنك. قال: وأنا والله.

قالت: فما يمنعك؟ فوالله إنّ الموضع لخالٍ. قال: إني سمعتُ الله تعالى يقول: ﴿الأخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلا المُتَّقينَ﴾[3]، وأنا أكره أن تكون خلةَ ما بيني وبينكِ تؤول بنا إلى عداوة يوم القيامة.

قالت: يا هذا! أتحسب أنَّ ربّي وربّك لا يقبلنا إذا تبنا إليه؟ قال: بلى! ولكن لا آمن أن أُفاجأ.

ثمّ نهض وعيناه تذرفان، فلم يرجع بعدُ، وعاد إلى ما كان عليه من النسك.

٩٢ - [توبة أبي الحارث الأَوْلاسِيّ][4]

وروَى أبو سعيد، قال: حكَى بعضُ الزهاد قال: قال لي أبو الحارث الأَوْلاسيّ[4]: تدري كيف كان بدء أمر توبتي؟ فقلت: لا.

فقال: كنت شاباً صبيحاً وضيئاً، فبينا أنا في غفلتي رأيت عليلاً مطروحاً على قارعة

---

(١) وذكر هذه القصة ابن أبي خيثمة، كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢١٣/٦.

(٢) سلاَّمة مغنية شاعرة من مولدات المدينة، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد وطبقته، فمهرت في الغناء وحذقت الضرب على الأوتار، وقالت الشعر الكثير، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي من قراء مكة الملقب بالقس لكثرة عبادته، فنسبت اليه وغلب عليه لقبه، وسمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي ولها شعر في رثائه، توفيت نحو سنة ١٣٠ هـ نقلاً عن هامش المطبوعة.

(٣) سورة الزخرف، آية رقم /٦٧.

(٤) قال في اللباب ٩٤/١: «الأَوْلاَسي: بالواو الساكنة بين اللام ألفين، وفي آخرها السين المهملة، هذه النسبة إلى أُوْلاَس، وهي بلدة على ساحل بحر الشام.
منها: أبو الحارث الأُوْلاسي، له كرامات وعجائب» أ هـ.

الطريق. فدنوت منه، فقلت: هـل تشتهي شيئاً؟ قـال: نعم، رمّانٌ. فجئتُـه برمـانٍ. فلما وضعته بين يديه رفع بصره إليَّ، وقال: تاب الله عليكَ.

فما أمسيتُ حتى تغير قلبي عن كل ما كنت فيه من اللّهو؛ ولزمني خوف الموت.

فخرجتُ عن جميع ما أملك، وخرجت أريـد الحج، فكنت أسيـر بالليـل، وأختفي بالنّهار مخافة الفتنة.

فبينا أنا أسير بالليل إذا بقوم على الطريق يشربون، فلما رأوني ذهلوا، وأجلسـوني، وعَرَضُوا عليَّ الـطّعام والشّـراب. فقلت: أحتاج إلى البَـوْل، فأرسَلوا معي غـلاماً ليـدلّني على الخلاء.

فلمّا تباعدتُ عنهم، قلت للغلام: انصرف، فإنّي أستحي منك. فانصرف.

ووقعتُ في غـابة، فـإذا أنا بِسَبُـع، فقلت: اللهم إنـك تعلم مـا تـركتُ، ومِن مـاذا خرجتُ، فاصرف عنّي شرّ هذا السَّبُع. فولّى السَّبُع.

ورجعتُ إلى الـطريق، فـوصَلْت إلى مكّـة. ولقيتُ بهـا من انتفعت بهم، منهـم إبراهيم بن سعد العَلَوِيّ[1].

٩٣ - [توبة أبي الفضل محمد بن ناصر السَّلَامي[2] عن اعتقاد المبتدعة]

قـرأتُ على الشيـخ أبي عبـد الله مـظفّـر بن أبي نصـر البـوّاب، وابنـه أبي محمـد عبـد الله بن مظفّـر ببغداد، قلت لهمـا: حـدَّثكمـا الإمـام الحـافظ أبـو الفضـل محمـد بن ناصر بن محمد بن عليّ بن عمر السَّلَاميّ، قال:

---

(١) أنظر حلية الأولياء ١٠/١٥٥ ـ ١٥٨.

(٢) قال في اللباب ٢/١٦١: «السَّلامي: بفتح السين المهملة، وبعـدها لام ألف مخفّفـة، وفي آخرهـا ميم ـ هذه النسبة إلى رجل وموضع، أما الرجل: فهو سلّامان، بطن من قضاعة.
وأمّا الموضع: فهو مدينة السّلام بغداد، والمشهور بهذه النسبـة... وأبو الفضـل محمد بن نـاصر بن محمد بن عليّ البغدادي الحافظ، كان يكتب لنفسه السَّلامي وكان حافظ بغداد في زمانـه، سمع أبـا القـاسم عليّ بن أحمد البسـري، وأبا محمـد رزق الله التميمي، وأبا طـاهر محمـد بن أحمد بن أبي الصقر الأنباري وغيرهم روى عنه الأئمة فأكثروا، وكانت ولادته سنة سبع أو ثمان وستين وأربعمـائة، وتوفي في شعبان سنة خمسين وخمسمائة» أ هـ.

كنتُ أسمع الفقهاء من أصحاب الشَّافِعِيّ[1] في «النّظاميَّة»[2]، يقولون[3]: القرآن معنى قائم بالذات، والحروف والأصوات عبارات ودَلالات على الكلام القديم القائم بالذات.

فحصَلَ في قلبي شيء من ذلك، حتى صِرْتُ أقول بقولهم موافقةً.

وكنتُ إذا صلّيتُ أدعو الله تعالى أن يوفِّقَني لأحَبِّ المذاهب والإعتقادات إليه. فبقيتُ على ذلك مدّة طويلة، أقول: أللهمّ وفِّقني لأَحَبِّ المذاهب إليك، وأقربها عندك.

فلما كان في أوّل ليلة من رجب سنة أربع وتسعين وأربعمائة رأيتُ في المنام كأنّي قد جئت إلى مسجد الشيخ أبي منصور محمّد بن أحمد المقرىء الخَيَّاط[4]، في مسجد ابن جَرَدَة[5]، والنّاس على باب المسجد مجتمعون، وهم يقولون: إن النّبي - ﷺ - عند الشّيخ أبي منصور.

فدخلتُ المسجد وقصدتُ إلى الزاوية التي كان يجلس فيها الشيخ أبو منصور، فرأيتُ الشيخَ أبا منصور قد خرج من زاويته، وجلس بين يدي شخص، فما رأيت شخصاً أحسنَ منه على نعتِ النّبي - ﷺ - الذي وُصف لنا؛ وعليه ثياب ما رأيتُ أشدَّ بياضاً منها، وعلى رأسه عمامة بيضاء. والشيخ أبو منصور مُقْبِل عليه بوجهه.

فدخلت فسلّمت، فرُدَّ عليَّ السَلام، ولم أتحقق من الرَّادُّ عليَّ لدهشتي برؤية النبيّ - ﷺ -، وجلستُ بين أيديهما.

فالتفتَ إليّ رسولُ الله - ﷺ - من غير أن أسأله عن شيء أو أستفتحه بكلام أصلاً،

---

(١) أي: من المتمذهبين السائرين على مذهب الإمام الشافعي، ولا يعني ممن صحب الإمام نفسه، والأمر واضح، ويدلّ عليه أن الإمام - رحمه الله تعالى - توفي سنة أربع ومائتين، وأبو الفضل ولد سنة سبع أو ثمان وستين وأربعمائة، ومشايخه مهما عمّروا لن يبلغوا مولد الإمام.
والإمام الشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي، أبو عبدالله الشافعي، المكي نزيل مصر، وهو المجدّد لأمر الدين على رأس المائتين، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، رحمه الله تعالى التقريب ٢/١٤٣.

(٢) هي مدرسة مشهورة في بغداد.

(٣) في المطبوعة: يقولون - يعني -: القرآن...، ولا داعي لكلمة: يعني.

(٤) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن عبد الرزاق الشيرازي الأصل، الصفّار الخَيّاط نزل بغداد، ومات فيها، حنبلي المذهب، (٤٠١ - ٤٩٧) هـ. مقرىء، ومن آثاره المُهَذّب في القراءات.

(٥) ابن جَرَدَة: كان من متمولي بغداد، إليه نسبت خرابة ابن جردة ببغداد، والمسجد واقع فيها.

وقال لي: عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ، عليك بمذهب هذا الشيخ، ثلاثاً.

قال الحافظ أبو الفضل؛ وأنا أقسم بالله ثلاثاً، وأشهد بالله ثلاثاً، لقد قال لي رسول الله - ﷺ - ثلاثاً، ويشير في كل مرّة بيده اليمنى إلى الشيخ أبي منصور.

قال: فانتبهتُ وأعضائي ترعد، فناديتُ والدتي رابعة بنت الشيخ أبي حكيم الخَبْري[1] وحكيت لها ما رأيتُ.

فقالت: يا بني! هذا منام وحي، فاعتمد عليه.

فلما أصْبَحت بكّرتُ إلى الصّلاة خلف الشيخ أبي منصور. فلما صلّينا الصبح قصصتُ عليه المنام[2]، فدَمَعَت عيناه، وخشع قلبه. وقال لي: يا بنيَّ! مذهب الشافعيّ حسن؛ فتكون على مذهب الشافعيّ في الفروع، وعلى مذهب أحمد[3] وأصحاب

---

(١) قال في اللباب ١/٤١٨ - ٤١٩: «الخَبْريّ: بفتح الخاء المعجمة، وسكون الباء الموحدة، وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى خَبْر، وهي قرية من قرى شيراز من بلاد فارس، وبها قبر سعيد أخي الحسن بن أبي الحسن البصري.

ينسب إليها. . ورابعة وفاطمة ابنتا أبي حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله المعلّم الخَبْري، كان أبو حكيم من قرية خَبر، فانتقل إلى بغداد، وصار بها معلّماً، وسمعت رابعة من أبي محمد الجوهري، وهي أمّ محمد بن ناصر السّلامي، وكان ابنها محمد يكتب الفارسي لهذا السبب، . . .» أ هـ. .

(٢) رؤيا النبيّ - ﷺ - في المنام حق لا ريب فيه، لأن الشيطان لا يتمثّل به، كما ثبت ذلك عن النبيّ - ﷺ - في الأحاديث الصحيحة - الثابتة.

ولا وحيَ بعد وفاة رسول الله - ﷺ - فإذا رأى النائم النبيَّ - ﷺ - يأمره بشيء في منامه، فيجب عليه أن يعرض ذلك على الشرع الظاهر، فإن وافقه فهو حقّ، وإن خالفه فلا يلتفت إليه، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ١٢/٣٨٩: «إن النائم لو رأى النبيّ - ﷺ - يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بدّ، أو لا بدّ أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المعتمد» أ هـ. وكان قد فصّل الكلام في هذه المسألة، وبما يتعلّق برؤية النبيّ - ﷺ - ، فانظر الفتح ١٢/٣٨٣ - ٣٨٩.

ومما ذكره ونوّه إليه ١٢/٣٨٣ - ٣٨٤ أنه يجب أن تكون رؤيته - ﷺ - في المنام مطابقة لأوصافه الكريمة، فقد كان محمد بن سيرين، إذا قصَّ عليه رجل أنه رأى النبيّ - ﷺ - قال: صف لي الذي رأيته، فإن وصف له صفة لا يعرفها، قال: لم تره، وسنده صحيح.

وأخرج الحاكم - قلت: والترمذي في الشمائل الذي أقوم بتحقيقه أنا والشيخ أحمد زمرلي - من طريق عاصم بن كليب، حدثني أبي قال: قلت لابن عباس رأيت النبي - ﷺ - في المنام، قال: صفه لي، قال: ذكرت الحسن بن علي فشبهته به، قال: قد رأيته، وسنده جيد.

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المرزوي، نزيل بغداد، أبو عبدالله، أحد الأئمة، ثقة حافظ، فقيه حجة، مات - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة، التقريب ١/٢٤.

الحديث في الأصول.

فقلت له: أيْ سيدي! ما أريد أن أكون لونَيْن، وأنا أُشهدُ الله وملائكته وأنبياءه، وأُشهدكَ عليَّ أنِّي منذ اليوم لا أَعتقد ولا أدين الله ولا أعتمد إلاّ على مذهب أحمد في الأصول والفروع.

فَقَبَّل الشيخ أبو منصور رأسي، وقال: وفقك الله، فقبَّلت يده.

وقال لي الشيخ أبو.منصور: أنا كنتُ في ابتداء أمري شافعياً، وكنتُ أتفقّه على القاضي الإمام أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطَّبري[1] وأسمع الخلاف عليه.

فحضرتُ يوماً عند الشيخ أبي الحسن عليّ بن عمر القزويني[2] الزاهد الصالح لأقرأ عليه القرآن، فابتدأتُ أُقرأ عليه القرآن، فقطع عليَّ القراءة مرة أو مرّتين. ثم قال: قالوا وقلنا، وقلنا وقالوا، فلا نحن نرجع إليهم، ولا هم يرجعون إلى قولنا؛ ورجعنا إلى عاداتنا؛ فأيّ فائدة في هذا؟ ثم كرر عليَّ هذا الكلام.

فقلت في نفسي: والله ما عنَى الشيخ بهذا أحداً غيري. فتركت الإشتغال بالخلاف، وقرأت «مختصر أبي القاسم الخِرَقي»[3] على رجل كان يُقْرِىء القرآن.

---

(١) هو طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر، أبو الطيب الطبري، الفقيه الشافعي، ولد بآمل سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وابتدأ بدرس الفقه وتعلّم العِلم وله أربع عشرة سنة، سمع الحديث بجرجان، وبنيسابور، وبها درس الفقه على أبي الحسن الماسرجسي وغيره من المشايخ، وقدم بغداد وسَمِع فيها، ثم تصدّر للتحديث والتدريس، وافتى بها، ثم ولي القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبدالله الضيمري، فلم يزل على القضاء إلى حين وفاته سنة خمسين وأربعمائة، وكان ثقة، صادقاً، ديِّناً، ورعاً، عارفاً بأصول الفقه وفروعه، محققاً في علمه، سليم الصدر، حسن الخلق، صحيح المذهب جيد اللسان، يقول الشعر على طريقة الفقهاء. وقد أخذ عنه أبو بكر الخطيب البغدادي، أنظر تاريخ بغداد ٣٥٨/٩ ـ ٣٦٠.

(٢) هو علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أبو الحسن الحربي، المعروف بابن القزويني، كان أحد الزهّاد المذكورين، من عبّاد الله الصالحين، يقرأ القرآن، ويروي الحديث، ولا يخرج من بيته، إلا للصلاة، وكان وافر العقل، صحيح الرأي ولد في المحرم سنة ستين وثلاثين، ومات ليلة الأحد لخمس خلون من شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، تاريخ بغداد ٤٣/١٢.

(٣) هو مختصر في فروع الفقه الحنبلي.

وأبو القاسم الخَرْقي هو: عمر بن الحسين بن عبدالله، كانت له مصنفات كثيرة وتخريجات على المذهب لم تظهر، لأنه خرج عن بغداد لما ظهر سب الصحابة، وأودع كتبه في إحدى دورها، فاحترقت الدار بما فيها من الكتب، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بدمشق، تاريخ بغداد ٢٣٤/١١ ـ ٢٣٥.

قلت: ومختصره هذا، شرحه المصنِّف الموفق ابن قدامه شرحاً وافياً، وهو المعروف بـ (المُغْني)، =

قال الحافظ: ورأيتُ بعد ذلك ما زادني يقيناً، وعلمتُ أن ذلك تثبيت من الله لي وتعليم، لأعرفَ حقّ نعمة الله عليّ وأشكره، إذ أنقذني من اعتقاد البِدْعَة إلى اعتقاد السُّنَّةِ، والله المسؤولُ الخاتمةَ بالموت على الإسلام والسُّنَّة.

٩٤ ـ [توبة أبي الحسن الهرقاني[1] عن مذهب المتكلمين]

قال الحافظ أبو الفضل[2]: وحدثني الشيخ الصالح أبو الحسن عليّ بن المختار بن عليّ الهرقاني، قال: كان لي رفيقٌ يُعرَف بمحمد بن خُنيس، يقرأ على أبي عبد الله القَيْرَوانيّ[3] المتكلم شيئاً من الكلام من كتاب ابن البَاقِلاني[4]. فوافقته في ذلك.

فرأيتُ ليلة في منامي كأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السّلام ـ على سطح رباط الشيخ أبي سعد الصوفيّ، وهو جالس، وحوله حلقة دائرة. فقلت لبعضهم: ما هذا الجمع؟ فقال لي: هذا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، أما تسلم عليه؟ فجئت ففضضتُ الحلقة، ووقفت تلقاء وجهه، وقلت: السّلام عليكَ يا مولاي أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال لي: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته، ورأيته وهو جالس موازٍ لرؤوس القيام، فبدأني وقال: تريد أن تعتقد؟ قلت: نعم يا مولاي. فقال: عليك باعتقاد أحمد. فقلت: السّمع والطاعة[5].

= وهو من المراجع الكبيرة في الفقة الإسلامي عامة، وفي فقه الحنابلة خاصة.
والخِرَقي: بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء، وفي آخرها القاف، هذه النسبة إلى بيع الخِرَق والثياب. اللباب ١/٤٣٥.

(١) لم أجد هذه النسبة في اللباب، وليس لديّ مرجع في الأنساب غيره.

(٢) هو محمد بن ناصر السَّلامي المذكور في القصة السابقة.

(٣) القَيْرَواني: بفتح القاف، وسكون الياء، وفتح الراء والواو، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى القيروان، وهي بلدة بأفريقية من بلاد الغرب، بناها عقبة بن نافع الفهري، له صحبة ـ رضي الله تعالى عنه ـ. اللباب ٣/٦٩.

(٤) الكتاب هو التمهيد.
والباقلاني، هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري، ثم البغدادي، متكلّم على مذهب الأشعري ولد بالبصرة سنة (٣٣٨)هـ. وسكن بغداد، وسمع بها الحديث، وتوفي ببغداد لسبع بقين من ذي القعدة سنة (٤٠٣) هـ. تصانيفه: التمهيد، واسمه الكتاب كاملاً: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل؛ وأسرار الباطنية، وهداية المسترشدين في الكلام.
أنظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/٣٧٩ ـ ٣٨٣، تذكره الحفاظ ٣/٢٦٣، البداية والنهاية ١١/٣٥٠ ـ ٣٥١، شذرات الذهب ٣/١٦٩ ومعجم المؤلفين ١٠/١٠٩ ـ ١١٠.
والباقلاني: بفتح الباء الموحدّة وكسر القاف بعد الألف، واللام ألف، وفي آخرها نون، هذه النسبة إلى الباقلا وبيعه، اللباب ١/١١٢.

(٥) إلى هنا تنتهي الرؤيا.

فلمّا جاءني رفيقي الذي كنت أسمع معه الكَلاَم، ومعه أصحاب له. قالوا: تعال حتى نمضي إلى أبي عبد الله نقرأ عليه. قلت: اليوم لي شغل.

ثمّ إنِّي اجتمعت بالشيخ أبي منصور في مسجده، فقصصتُ عليه هذه الرؤيا؛ فسُرَّ بها، وقال: ادنُ منّي. فدنوت منه، فقبّل بين عينيْ، وقال: أنت مُرَاد. ودعا بأصحابه وقال: اقصص عليهم الرؤيا، فقصصت عليهم الرؤيا، فقالوا: يجب عليه الشّكر، فقال الشيخ: أنا أُفديه، والشّكر عليَّ، وأخرج ذهباً فاشترى به خبزاً وتمراً، ففرّق على كلّ خاتم القرآن رغيفين ورطل تمر، ومن كان يحفظ البعض أعطاه رغيفاً ونصف رطل تمر.

قال: وقطعتُ المُضِيّ[2] إلى القَيْرَوَاني، ثم اعتقدتُ من يومئذٍ اعتقاد أحمد بن حنبل وأصحاب الحديث، وأنا أدين الله تعالى به إلى يوم القيامة.

* * *

---

(١) أي: القيراوني.

(٢) أي: الذهاب.

اخبار جماعة
من
التوابين

٩٥ - [توبة مُنَازِل بن لاحق][1]

أنبأنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن حمزة السّلميّ في جماعة، قالوا: أنا أبو علي الحسن بن أحمد المقرىء الأَصْبَهَانيّ، أنا أبو نعيم الحافظ، قال: ثنا محمد بن حميد، قال: ثنا عبد الله بن سعيد الرَّقّيّ، قال: ثنا يزيد بن محمد بن سنان، عن أبيه، عن جدّه، قال: حدثني الحسن بن عليّ - رضي الله عنهما[2] - قال:

---

(١) لم أجد لمنازل بن لاحق هذا ترجمة، رغم أن القصة المذكورة هنا تدّل على أنه من التابعين لأنه قابلَ عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - وتكلّم معه.
لكن رأيت في الإصابة في تمييز الصحابة ٤٧٧/٣ في القسم الثالث من حرف الميم، وهو قسم المُخَضْرَمين ذِكْرٌ لرجل يُدعى مُنازل بن أبي منازل السعدي، واسم أبي منازل فِرعان بن الأعْرف، وهي قريبة من هذه القصة، إلا أنه ذكر أنها حدثت مع عمر بن الخطاب بَدلَ عليّ - رضي الله عنهما - ، وذكر فيها أن والده كان مشركاً كثير المال، فسأله بعض ماله فأبىَ عليه، فلوى له يده وأخذ شيئاً من ماله فدعا عليه أبوه في شِعر - وهو غير الشعر المذكور هنا، ولا يشبهه - ، دعا عليه بَلَيّ يده كما لوى ابنه يده، فأصبح ويده ملويّة.
ثم ذكر الحافظ ابن حجر أن في سنده ضعف وانقطاع.
قلت: وسند هذه القصة - التي ذكرها المصنف - لسيت بأحسن حالاً وإسناداً في القصة التي ذكرها ابن حجر ففيها يزيد بن محمد بن سنان، ولم أجد من ترجم له، ولا لأبيه، ولا لجدّه.
ولم أجد ممّن اسمه سنان يروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - سوى سنان بن أبي سنان الدِّيْلِي المَدَني، لكن لا يُعرف أنّ له ابن يروي عنه، أنظر تهذيب الكمال ١٥١/١٢ - ١٥٢ والله تعالى أعلم.
وفيه مخالفة لحديث صحيح، وهو أن الوالد دعا على ابنه بالشرّ، قد صح النهي عن ذلك: فقد قال رسول الله - ﷺ - : لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، ولا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم، رواه مسلم.
وقد تقدم أن منازلاً هذا تابعي فأبوه إمّا أنْ يكون صحابياً أو تابعياً كبيراً - إذ يظهر من خلال القصة أنه كان مسلماً - ، فلا يصحّ منه الدعاء على ولده بالفالج، وهو يعلم النّهي عن ذلك، وهذا مما يؤكد ضعف الحديث، ويكفينا جهالة رواته.

(٢) هو الحسن بن عليّ بن أبي طالب الهاشمي - رضي الله تعالى عنهما - ، سبط رسول الله - ﷺ - ورعانته، وقد صحبه وحفظ عنه، مات - رحمه الله - شهيداً بالسمّ، سنة تسع وأربعين، =

بينا أنا أطوف مع أبي حول البَيْت في ليلة ظلماء، وقد رقدت العيون، وهدأت الأصواتُ، إذ سمع أبي هاتفاً يهتف بصوت حزين شجيّ، وهو يقول:

يَا مَنْ يُجِيبُ دُعا المُضْطَر في الظُّلَمِ ... يا كاشِفَ الضُّرِّ وَالبَلْوَى مع السَّقَمِ
قَدْ نامَ وَفْدُكَ حَوْلَ البَيْتِ وانتبهوا ... وأنتَ عَيْنُكَ يا قَيّومُ لَمْ تَنَمِ
هبْ لي بجودكَ فضل العفو عن جُرُمي[1] ... يا من إليه أشار الخلقُ في الحرم
إنْ كانَ عَفْوكَ لا يُدركْه[2] ذو سرَف ... فمن يجُودُ على العاصين بالكرَم

قال: فقال أبي: يا بنيّ! أما تسمع صوت النادب لذنبه، المستقيل لربه؟ الحقْهُ فلعلّ أن تأتيني به.

فخرجتُ أسعَى حول البيت أطلبه، فلم أجده، حتى انتهيت إلى المقام، وإذا هو قائم يصلّي، فقلت: أجبْ ابن عمّ رسول الله - ﷺ -، فأوجز في صلاته واتبعني.

فأتيتُ أبي، فقلتُ: هذا الرجل يا أبت.

فقال له أبي: ممّن الرجل؟ قال: من العرب. قال: وما اسمك؟ قال: مُنازل بن لاحق.

قال: وما شأنك، وما قصتك؟ قال: وما قصة مَنْ أَسْلَمَتْه ذنوبه، وأَوْبَقَتْه[3] عيوبه، فهو مرتطم في بحر الخطايا[4].

فقال له أبي: عليَّ ذلك، فاشرح لي خبرَك.

قال: كنتُ شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه، وكان لي والد يعظني كثيراً، ويقول: يا بنيّ! احذر هفوات الشباب وعثراته، فإن لله سطوات ونقمات، ما هي من الظالمين ببعيد، وكان إذا ألحّ عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضَّرْب، فلمّا كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة، فأوجعته ضرباً؛ فحلف بالله مجتهداً ليأتينَّ بيت الله الحرام

= وهو ابن سبع وأربعين، وقيل: بل مات سنة خمسين، وقيل: بعدها، التقريب ١/١٦٨.
وعليّ - رضي الله عنه - هو ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عمّ رسول الله - ﷺ - وزوج ابنته، من السابقين الأوّلين، المرجّح أنه أول مَن أسلم، وهو أحد العشرة - أي: المبشرين بالجنة - مات في رمضان سنة أربعين، وهو يؤمئذ أفضل الأحياء من بني آدم بالأرض، بإجماع أهل السنة، وله ثلاث وستون سنة على الأرجح، التقريب ٢/٣٩.

(١) حرّكت الراء بالضمّ لضرورة الشعر.

(٢) تَسْكين الكاف هنا لضرورة الشعر.

(٣) أي: أهلكته، مختار الصحاح ص ٣٣٣.

(٤) أي: واقع في بحر الخطايا لا يجد منه مخلصاً أساس البلاغة ص ١٦٦.

فيتعلَّقَ بأستار الكعبة ويدعـو عليَّ، فخرَج حتى انتهَى إلى البيت، فتعلق بـأستار الكعبـة، وأنشأ يقول:

يـا مَنْ إليه أتَى الحجـاجُ قـدْ قـطعـوا	عـرض المهـامـه[1] من قـربٍ ومن بُعُـد[2]
إنّي أتـيتـك يـا مَـن لا يـخيِّـبُ مـنْ	يـدْعـوه مُبْتهـلاً بـالـواحـد الصَّـمـد
هـذا منـازل لا يـرتـدُّ عـنْ عـقـقـي	فـخـذْ بحـقّي يـا رحْـمن مـنْ ولـدي
وشُـل منْـه بـحـوْلٍ منـك جـانبُـه	يـا مـن تـقـدَّسَ لـم يُـولَـدْ ولـم يَـلد

قال: فوالله ما استتمَّ كلامه حتى نزل بي ما تَرى، ثم كشف عن شقه الأيمن فإذا هو يابس.

قال: فأُبت ورجعت؛ ولم أزل أتـرّضاه، وأخضـع له، وأسـأله العفـو عنّي، إلى أن أجابني أن يدعو لي في المكان الذي دعا عليَّ.

قال: فحملته على ناقة عُشَرَاء[3]، وخرجت أَقْفُو أثره، حتى إذا صرنا بوادي الأراك[4] طار طائر من شجرة، فنفرت الناقة، فرمت به بين أحجار، فَرَضَخَتْ رأسه[5] فمات، فدفنته هناك، وأقبلت آيساً، وأَعْظَمُ ما بي ما ألقاه من التعبير أنّي لا أُعْرَف إلّا بـالمأخـوذ بعقوق والدَيْه.

فقـال له أبي: أبشِـر فقد أتـاك الغـوث، فصلّى ركعتين، ثم أمـره فكشف عن شِقّـه بيده، ودعا له مرّات يردّدهنَّ؛ فعاد صحيحاً كما كان.

وقال له أبي: لولا أنّه قد كان سبقت إليك من أبيك في الدّعاء لك بحيث دعا عليك لما دعوت لك.

قال الحسن[6]: وكان أبي يقول لنا: احذروا دعاء الوالدين! فـإن في دعائهمـا النَّماء والإنجبار[7]، والإستئصال والبَوَار[8].

---

(١) المهامة: جمع مهمه، وهي المفازة البعيدة. مختار الصحاح ص ٤٨٣.
(٢) حُرِّكت العين بالضمّ لضرورة الشعر.
(٣) هي النـاقة التي أتى عليهـا من وقت الحمل عشـرة أشهـر وتجمـع من عِشـار، وعُشَـراوات، وعُشَـرَاء كفقَهَاء. مختار الصحاح ص ١٦٥.
(٤) وادي الأراك؛ وادٍ قرب مكّة، والأراك شجر معروف، واحده أراكة، أنظر مختار الصحاح ص ٣٣٥،
(٥) أي: شَجَّبَ وكَسَرَت رأسه، أنظر مختار الصحاح ص ٨٤، وأساس البلاغة ص ١٦٥.
(٦) أي: ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما -.
(٧) أي: إذا دعوا له بالخير.
(٨) أي: إذا دعوَا عليه بالشرّ، بسبب عقوقه والبوار: الهلاك.

٩٦ - [توبة امرأة من دومة الجندل عن عمل السحر]

قرأت على أبي المعالي عبد الله بن عبد الرحمن السّلمي، أخبركم هبة الله بن أحمد بن محمد الأَكْفاني[١]، قال: أنبأنا أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الله بن إبراهيم بن برزة، قال: أنبأنا أبو الحسن عليّ بن محمد بن عمر الفقيه، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم[٢]، قال: ثنا الربيع بن سليمان، ثنا عبد الله بن وهب، ثنا ابن أبي الزناد[٣]، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - زوج النّبيّ ﷺ - ، أنها قالت:

قدِمَت امرأة من «دومة الجندل»[٤] تبتغي رسول الله - ﷺ - بعد موته، حداثة ذلك[٥]، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به.

قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي! فرأيتها تبكي حتى إنّي لأرحمها؛ تقول: إنّي أخاف أن أكونَ قد هلكتُ، كان لي زوج، فغاب عنّي، فدخلَتْ عليَّ عجوز، فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلتِ ما آمركِ به تجعليه يأتيك.

---

(١) الأَكْفَاني: بفتح الألف، وسكون الكاف، وفتح الفاء، وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى بيع الأكفان، اللباب ١/٨٢.

(٢) هو الإمام المعروف صاحب كتاب: الجرح والتعديل، وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران التميمي الحنظلي، أبو محمد، ولد سنة (٢٤٠) هـ. وكان عالماً، محدثاً، عارفاً بالرجال، فقيهاً، أصولياً، متكلّماً، مفسراً، توفي بالريّ في المحرم سنة (٣٢٧) هـ.

من آثاره: تفسير القرآن الكريم في أربع مجلدات، الجرح والتعديل، الرّد على الجهمية، مناقب الشافعي والمسند في (١٢) مجلداً.

أنظر ترجمته في: تذكره الحفاظ ٣/٤٦ - ٤٨، لسان الميزان، ٣/٤٣٢ - ٤٣٣، البداية والنهاية ١١/١٩١، وشذارت الذهب ٢/٣٠٨ - ٣٠٩، ومعجم المؤلفين ٥/١٧٠ - ١٧١.

- وقد روَى هذه القصة الطبري في تفسيره ١/٣٦٠. وابن كثير في تفسيره ١/١٤١ - ١٤٢ من طريق الرّبيع بن سليمان، وهو ثقة. التقريب ١/٢٤٥.

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي الزّناد: عبدالله بن ذَكْوان، المدني، مولى قريش، صدوق تغير حفظه لما قدم بغداد، ولهذا لم يذكره أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه، ويؤكد هذا أنه لو دخل بغداد لذكره، لأنه مشهور معروف فكان أولى بالذكر من غيره.

وقال الحافظ ابن كثير عقب القصة ١/١٤٢: «هذا إسناد جيد إلى عائشة رضي الله عنها» أهـ. والله تعالى أعلم.

(٤) دوُمة الجندل: بضم الدال وفتحها، وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين، وهي على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل، أي الحجارة، نقلاً عن هامش المطبوعة.

(٥) أي: حداثة وفاته - ﷺ.

فلما أتانا الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبتُ أحدهما وركبت الآخر، ولم يكن كشيء[1] حتى وقفنا بـ «بابل»، فإذا برجلَيْن معلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلم السِّحْر. فقالا: إنما نحن فتنة، فلا تكفري وارجعي؛ فأبيتُ وقلتُ: لا.

قالا: فاذهبي إلى ذلك التنّور فبولي فيه.

فذهبت ففزعت فلم أفعل؛ فرجعت إليهما. فقالا: أفعلتِ؟ فقلت: نعم. فقالا: هل رأيت شيئاً؟ قلت: لم أر شيئاً. فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلى بلدك ولا تكفري؛ فأبيت، فقالا: إذهبي إلى ذلك التنّور فبولي فيه.

ثمّ إنّي ذهبت، فاقشعرَّ جلدِي وخفْت؛ ثمّ رجعت إليهما، فقلت: قد فعلت فقالا: ما رأيتِ؟ فقلتُ: لم أر شيئاً. فقالا: كذبتِ، لم تفعلي؛ فارجعي إلى بلدِك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك.

فذهبت فبلت فيه؛ فرأيت فارساً متقنِّعاً بحديد خرج منّي، فذهب في السماء، وغاب عنّي حتى ما أراه؛ وجئتهما، فقلت: قد فعلت. فقالا: ما رأيت؟ قلت: رأيتُ فارساً متقنعاً بحديد خرج منّي فذهب في السماء حتى ما أراه.

فقالا: صدقت! ذلك إيمانك خرج منك؛ إذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئاً، وما قالا لي شيئاً.

فقالت: بلى! لن تدري شيئاً إلا كان؛ خذي هذا القمح فابذري. فبذرتُ، فقلتُ: أطلعي، فأطلعت، فقلت: الحقي، فلحقت. ثم قلت: افركي ففركت، فقلت: ايبسي، فيبست. ثم قلت: اطحني، فطحنت. ثم قلت: اخبزي فخبزت.

فلما رأيت أنّي لا أريد شيئاً إلا كان، سُقِطَ في يدي[2] وندمت، والله يا أمّ المؤمنين، ما فعلتُ شيئاً قطّ، ولا أفعله أبداً، فسألْتُ أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ، ـ حداثة وفاة رسول الله ـ ﷺ ـ، وهم متوافرون، فما درَوا ما يقولون لها، وكلّهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه؛ إلا أنه قد قال لها ابن عباس ـ أو بعض من كان عنده ـ: لو كان أبواك حَيَّين أو أحدهما[3].

قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنّهم كانوا أهل ورَع وخشية من الله، وبُعَدَاء من التّكلّف والجرأة على الله ـ.

---

(١) في تفسير ابن كثير: فلم يكن شيء.

(٢) أي: ندمت على ما فعلت، أنظر أساس البلاغة ص ٢١٤.

(٣) عند ابن كثير زيادة: قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان.

ثم يقول هشام: ولو جاءتنا مثلها، لوجدَت نَوْكَى[1] أهل حُمْق وتكلّف بغير علم.

٩٧ - [توبة شاب عن اللهو واللعب]

أخبرنا الإمام أبو الحسن البَطَايحي[2] قال: أنبأنا أبو طالب اليُوسُفي، أنا الحسن بن علي التِّمِيمي، قال: أنبأنا أبو بكر بن مالك، قال: ثنا عبد الله بن أحمد، حدثني هارون بن عبد الله، ثنا ثابت البُنَاني[3]، قال:

كان صِلَة بن أَشْيَم[4] يخرج إلى الجبّان فيتعبّد فيها. فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون. قال: فيقول لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فجازوا[5] النَهارَ عن الطريق وناموا الليل، متى يقطعون سفرهم؟ قال: فكان كذلك يمر بهم ويعظهم، قال: فمرّ بهم ذات يوم، فقال لهم هذه المقالة. فقال شابٌ منهم: يا قوم! إنّه والله ما يعني بهذا غيرنا، نحن بالنّهار نلغو، وبالليل ننام. ثم اتّبَع صلة، فلم يزل يختلف معه إلى الجبّان ويتعبّد معه حتى مات، رحمهما الله.

---

(١) النَوْكى: الحمقى، جمع أَنْوَك، أي أحمق. أنظر أساس البلاغة ص ٤٧٧.

(٢) هو علي بن عساكر بن المرحب بن العوام البطايحي، الضرير، مقرىء، عارف بالعربية، من أهل العراق، توفي في شعبان سنة (٥٧٢) هـ. من آثاره كتاب في القراءات، معجم المؤلفين ٧/١٥٠.
وفي المطبوعة: البطائحي، بالهمز، وهو خطأ، وإنما هو البطايحي: بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة، والياء المثناة من تحت بعد الألف وفي أخرها الحاء المهملة، هذه النسبة إلى البطايح، وهو موضع بين واسط والبصرة، وهي عدّة قرى مجتمعة في وسط الماء. اللباب ١/١٥٩.

(٣) هو ثابت بن أَسْلَم البُنَاني - بضم الموحّدة، ونونين مخففين -، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من التابعين، مات سنة بضع وعشرين ومائة، وله ست وثمانون. التقريب ١/١١٥.
والظاهر أن في هذا الإسناد إنقطاع، فعبدالله بن أحمد، هو: ابن حنبل الإمام، وهارون بن عبدالله، هو ابن مروان البغدادي، ثقة، إلّا أنّه وُلِدَ نحو مائة وستين وثابت توفي سنة بضع وعشرين ومائة - كما تقدم -، ولم يذكر في تهذيب الكمال ٤/٣٤٦ فيمن يروي عن ثابت البناني من اسمه هارون بن عبدالله، والله تعالى أعلم.
لكن ذكرها الحافظ أبو نعيمَ في الحلية ٢/٢٣٨ من طريق أخرى عن ثابت بها.

(٤) هو صلة بن أشيم العدوي، أبو الصهباء، تابعي من عباد أهل البصرة وزهادهم، روى عنه أهلها، قتل سنة خمس وسبعين ومائة بكابل، في أوّل ولاية الحجاج بن يوسف، وقد قيل: أنه قتل في ولاية يزيد بن معاوية. الثقات لابن حبان ٤/٣٨٣. وذكره البخاري في التاريخ الكبير ٢/٢/٣٢١ - ٣٢٢ ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وانظر حلية الأولياء ٢/٢٣٧ - ٢٤٢.

(٥) في الحلية ٢/٢٣٨: فحادوا.

٩٨ - [توبة شاب عن الإنهماك في الدنيا]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج(١)، قال: ثنا أبو بكر الصُّوفي، قال: أنبأنا عليّ بن عبد الله، قال: أنبأنا أبو عبد الله بن عبد الله بن باكويه: قال: ثنا إبراهيم بن محمد الفقيه المالكي، قال: ثنا يوسف بن أحمد الواعظ، قال: ثنا العبّاس بن محمد المُطَهِّرِيّ(٢) قال: ثنا الحسن بن أبي مريم العَسْكَرِيّ، حدثني جعفر بن سليمان(٣)، قال:

مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة. فبينا نحن ندور فيها مررنا بقصر يُعَمَّر. وإذا شابّ جالس ما رأيت أحسن وجهاً منه، وإذا هو يأمر ببناء القصر، ويقول: افعلوا، واصنعوا.

فقال لي مالك: ما ترى إلى هذا الشاب وإلى حسن وجهه وحرصه على هذا البناء؟ ما أحوجني إلى أن أسأل ربي أن يخلصه، فلعله يجعله من شباب الجنة، يا جعفر ادخل بنا إليه.

قال جعفر: فدخلنا فسلمنا، فردّ السلام، ولم يعرف مالكاً. فلما عرَّفوه إياه قام إليه، فقال: حاجة؟ قال: كم نويت أن تنفق على هذا القصر؟ قال: مائة ألف درهم.

قال: ألا تعطيني هذا المال فأضعه في حقه، وأضمن لك على الله تعالى قصراً خيراً من هذا القصر، بولدانه وخدمه؛ وقبابُه وخيمه من ياقوتة حمراء، مرصّع بالجواهر، ترابه الزّعفران، وملاطُه المسك(٤)؛ أفْيَح(٥) من قصرك هذا، لا يخرب، لا تمسه يدان ولم يبنه بنّاء، قال له الجليل(٦): كن، فكان؟.

قال: أجِّلني الليلة، وبكِّر عليّ غدوة.

---

(١) أي: ابن الجوزي - رحمه الله تعالى.

(٢) المُطَهِّري؛ بضم الميم، وفتح الطاء، وتشديد الهاء المفتوحة وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى قرية ورجل، أما القرية فهي: مُطَهِّر، من أعمال سارية ما زندران... وأما الرجل فهو جدّ أبي الفضل محمد بن علي بن سعيد بن محمد بن المُطَهِّر.
المُطَهِّري.. اللباب ٣/٢٢٦.

(٣) هو جعفر بن سليمان الضُبَعْي - بضم الضاد المعجمة، وفتح الموحّدة - ، أبو سليمان البصري، صدوق زاهد، لكنه كان يتشيع، من أتباع التابعين، مات سنة ثمان وسبعين ومائة، التقريب ١/١٣١.
ولم أجد للحسن بن أبي مريم - الراوي عنه - ترجمة.

(٤) أي: طينه المسك، أساس البلاغة ص ٤٣٦.

(٥) أي: أوسع وأكبر، انظر أساس البلاغة ص ٣٥١.

(٦) أي: الله عزّ وجلّ.

قال جعفر: فبات مالك وهو يفكر في الشابّ، فلما كان في وقت السَّحر دعا وأكثر من الدعاء.

فلما أصبحنا غدونا، فإذا بالشابّ جالس، فلما عاين مالكاً هشّ إليه[1]، ثم قال: ما تقول في ما قلت بالأمس؟ قال: تفعل. قال: نعم.

فأحضر البِدَر[2] ودعا بداوة وقرطاس، ثم كتب[3]:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمن مالك بن دينار لفلان بن فلان: إنّي ضمنت لك على الله قصراً بدل قصرك بصفته كما وصفت والزيادة على الله؛ واشتريت لك بهذا المال قصراً في الجنة، أفيح في[4] ظل ظليل، بقرب العزيز الجليل. ثم طوى الكتاب ودفعه إلى الشاب؛ وحملنا المال فما أمسى مالك وقد بقي عنده مقدار قوت ليلة.

فما أتى على الشاب أربعون ليلة، حتى صلّى مالك ذات يوم الغداة، فلما انفتل، فإذا بالكتاب في المحراب موضوع، فأخذه مالك فنشره، فإذا في ظهره مكتوب بلا مداد:

هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار: إنّا وفّينا الشاب القصرَ الذي ضمنتَ له وزيادة سبعين ضعفاً.

قال: فبقي مالك متعجّباً؛ وأخذ الكتاب، فقمنا فذهبنا إلى منزل الشابّ، فأقبلنا، فإذا الباب مسود، والبكاء في الدار، فقلنا: ما فعل الشاب؟ قالوا: مات بالأمس.

فأحضرنا الغاسل، فقلنا: أنت غسَّلْتَه؟ قال: نعم. قال مالك: فحدثنا كيف صنعت؟ قال: قال لي قبل الموت: إذا أنا مِتّ وكفنتني اجعل هذا الكتاب بين كفني وبدني. فجعلت الكتاب بين كفنه وبدنه، ودفنته معه.

فأخرج مالك الكتاب؛ فقال الغاسل: هذا الكتاب بعينه والذي قبضه، لقد جعلته بين كفنه وبدنه بيدي.

قال: فكثر البكاء؛.

فقام شاب، فقال: يا مالك! خذ منّي مائتي ألف دِرهم، واضمن لي مثل هذا.

قال: هيهات! كان ما كان، فات ما فات؛ والله يحكم ما يريد. فكلّما ذكر مالك الشابَّ بكَى ودعا له.

---

(١) أي: خفّ إليه وأسرع، مختار الصحاح ص ٢٢٤.

(٢) البِدَر: جمع البدرة، : والبَدْرَة: عشرة آلاف درهم، أنظر مختار الصحاح ص ١٢٤.

(٣) أي: مالك بن دينار.

(٤) في المطبوعة: من، وما أثبتناه أنسب للمعنى، والله أعلم.

٩٩ - [توبة جندي صاحب قصر عن الغناء والملاهي]

قال ابن باكويه: حدثنا عبد الواحد بن بكر، ثنا محمد بن داود الدِّيْنَوَرِيّ[١]، قال: سمعت أبا إسحاق الهَرَوِي[٢]، يقول:

كنت مع ابن الخُيُوْطِي[٣] بالبصرة، فأخذ بيدي، وقال: قم حتى نخرج إلى «الأُبُلَة»[٤]. فلما قربنا إلى «الأُبُلَة»، ونحن نمشي على شاطىء «الأُبُلة» في الليل، والقمر طالع، مررنا بقصر لجنديّ، فيه جارية تضرب بالعود؛ وفي جانب القصر في ظل القمر فقير بخرقتين.

فسمع الفقيرُ الجارية وهي تقول:

كُلَّ يَوْمٍ تَتَلَوَّنْ غَيرُ هذا بِكَ أجمَلْ

فصاح الفقير وقال: أعيديه، فهذا حالي مع الله تعالى.

قال: فنظر صاحب الجارية إلى الفقير، فقال لها: اتركي العود وأقبلي عليه، فإنه صوفيّ. فأخذتْ تقول، والفقير يقول: هذا حالي مع الله؛ والجارية تردِّد، إلى أن صاح الفقير صيحة وخرَّ مغشياً عليه، فحرّكناه، فإذا هو ميت.

فلما سمع صاحب القصر بموته نزل فأدخله إلى القصر، واغتممنا، وقلنا: هذا يكفِّنه من غير وجهه، فصعِد الجندي، وكسر كل ما كان بين يديه، فقلنا: ما بعد هذا إلا خير.

ومضينا إلى «الأبلة» فَبِتْنا وأعلمنا النّاس. فلما أصبحنا رجعنا إلى القصر، وإذا النّاس مقبلون من كل وجه إلى الجنازة، كأنّما نودي في «البصرة»، حتى خرج القضاة والعدول وغيرهم.

---

(١) الدِّيْنَوَرِيّ: بكسر الدال المهملة، وسكون الياء آخر الحروف، وفتح النون والواو، وفي آخرها الراء، هذه النسبة إلى الدِّيْنَوَر، وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين ينسب إليها جماعة من العلماء، اللباب ١/٢٥٦.

(٢) الهَرَوِي: بفتح الهاء والراء، وبعد واو، هذه النسبة إلى هراة، وهي إحدى مدن خراسان المشهورة، ينسب إليها خلق كثير من العلماء في كل فن. اللباب ٣/٣٨٦.

(٣) الخيوطي: بضم الخاء والياء تحتها نقطتان، وبعد الواو طاء مهملة، هذه النسبة إلى الخُيُوط، اللباب ١/٤٧٩.

(٤) هي مدينة إلى جنب البصرة، على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى البصرة، وهي أقدم من البصرة، لأن البصرة مصِّرت في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، وكانت الأُبُله - حينئذ مدينة، نقلاً عن هامش المطبوعة.

وقال في اللباب ١/٢٥ - ٢٦: «بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة، وهي اليوم من البصرة، وقيل: إنها من جنان الدنيا» أ هـ.

وإذا الجنديّ يمشي خلف الجنازة حافياً حاسراً حتى دفن، فلما همّ الناس بالانصراف، قال الجندي للقاضي والشهود: اشهدوا أن كل جارية لي حرّة لوجه الله تعالى، وكل ضياعي وعقاري حبيس في سبيل الله، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار، وهي في سبيل الله.

ثم نزع الثوب الذي كان عليه، فرمى به، وبقي في سراويله.

فقال القاضي: عندي مئزران من وجههما، تقبلهما؟ فقال: شأنك، فأخذهما فاتزر بواحد، واتشح بالآخر، وهام على وجه.

فكان بُكاء النّاس عليه أكثر منه على الميّت.

١٠٠ - [توبة رجل من أعوان السلطان عن الفواحش]

وحُكِيَ[1] عن مالك بن دينار، قال:

كان لي جار يتعاطَى الفواحش، فأتَى إليّ الجيرانُ يشكون منه. فأحضرناه، وقلنا له: إنّ الجيران يشكونك، فسبيلك أن تخرج من المحلّة. فقال: أنا في منزلي، لا أخرج. قلنا: تبيع دارك. قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك إلى السلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم.

قال: فلما أمسينا قمتُ وصليتُ ودعوتُ عليه، فهتف بي هاتف: لا تدعُ عليه فإنّه من أولياء الله تعالى.

فجئت إلى باب داره، ودققت الباب، فخرج، فظنّ أنّي جئت لأخرجه من المحلّة، فتكلم كالمعتذِرْ.

فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إنّي تبت بعد ما كان هذا. ثم خرج من البلد فلم أرَهُ بعد ذلك.

واتفق أنّي خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقة فتقدمتُ إليهم، فرأيته مطروحاً عليلاً، فلم ألبث أن قالوا: مات الشاب رحمه الله.

١٠١ - [توبة فتى من الأزدكان عن التَأَنُّثِ والتَّخَنُّث]

أخبرنا أبو طالب المبارك بن عليّ الصَّيْرَفيّ، أنا أبو غالب شجاع بن فارس الذُّهْلِيّ، انا أبو بكر الخَيَّاط، قال: أنا أحمد بن محمد بن دوست، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان،

---

(١) بصيغة المبني للمجهول، وهذه الصيغة تفيد التضعيف عند علماء الحديث، كما سبق التنويه إلى ذلك مراراً.

قال: أنبأنا أحمد بن محمد، قال: أنبأنا أبو بكر بن أبي الدنيا، قال: وحُدِّثْتُ عن محمد بن الحسين، عن يحيى بن راشد، ثنا رجاء بن ميسور المُجَاشِعِي[1]، قال:

كنا في مجلس صالح المُرِّيّ[2] وهو يتكلم. فقال لفتى بين يدَيه اقرأ يا فتى، فقرأ الفتى: **﴿وأنذِرْهُمْ يوْمَ الآزِفَةِ إذِ القُلوبُ لدى الحَنَاجِرِ كاظِمِينَ ما للظالمينَ منْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾**[3]. فقطع صالح عليه القراءة، وقال: كيف يكون لظالم حميم أو شفيع، والمطالب له ربّ العالمين؟ إنّك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأنكال إلى الجحيم، حفاة عراة، مسودّة وجوههم، مُزْرَقّة عيونهم، ذائبة أجسادهم، ينادون: يا ويلنا، يا ثبورنا، ماذا نزل بنا؟ ماذا حلّ بنا؟ أين يُذْهَب بنا؟ ماذا يُرَاد منّا؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النِّيران، فمرّة يجرُّون على وجوههم ويسحبون عليها منكبِّين، ومرّة يقادون إليها مُقَرَّنين، من بين باك دماً بعد انقطاع الدموع، ومن بين صارخ طائرَ القلب مبهوت، إنّك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك، ولا يثبت له قلبك، ولا تستقرّ لفظاعة هوله على قرارٍ قدمُك.

ثم نَحَبَ[4]، وصاح: يا سوء منظراه، يا سوء منقلباه، وبكَى. وبكى الناس.

فقام فتى من الأزدكان، به تأنيث، فقال: أكلّ هذا في القيامة يا أبا بشر؟.

قال: نعم والله يا ابن أخي، وما هو أكثر؛ لقد بلغني أنهم يصرخونَ في النّار حتى تنقطع أصواتهم، فما يبقى منهم إلا كهيئة الأنين من المدنِف[5].

فصاح الفتى: إنا لله! واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة، وأسفا على تفريطي في طاعتك يا سيداه، وأسفا على تضييعي عمري في دار الدنيا، ثم بكى؛ واستقبل القبلة،

---

(١) المُجَاشِعِي: بضم الميم، وفتح الجيم، وسكون الألف، وكسر الشين المعجمة، والعين المهملة. هذه النسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة من تميم، وهم خلق كثير، اللباب ٣/١٦٤ ـ ١٦٥.
ولم أجد من ترجم لرجاء بن ميسور هذا، كما أن في الإسناد إنقطاع، وهو ظاهر من قول ابن أبي الدنيا: وحُدِّثت.

(٢) هو صالح بن بشير بن وادع المُرِّي ـ بضمّ الميم، وتشديد الراء ـ، أبو بشر البصري، القاضي الزاهد، يروي عن ثابت والحسن البصري، وابن سيرين وغيرهم، روى عنه العراقيون، غلب عليه الخير والصلاح، فلم يحفظ الحديث فخلّط، فترك الإحتجاج به، مات سنة اثنتين وسبعين ومائة، وقيل: بعدها، التقريب ١/٣٥٨، واللباب ٣/٢٠١.

(٣) سورة المؤمن، آية رقم /١٨

(٤) أي: رفع صوته بالبكاء، مختار الصحاح ص ٤٢.

(٥) هو: المريض الذي ثقل عليه مرضه. مختار الصحاح ص ٢٩٢.

فقال: اللهمّ! إنّي استقبلك في يومي هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك؛ اللهمّ! فاقبلني على ما كان فيّ، واعف عمّا تقدّم من فعلي، وأقلني عثرتي، وارحمني ومنْ حضرني، وتفضّل علينا بجودك وكرمك؛ يا أرحم الراحمين، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي، وإليك أنبت بجميع جوارحي، صادقاً لذلك قلبي، فالوَيْل لي إن لم تقبلني.

ثم غُلب فسقط مغشياً عليه، فحُمل من بين القوم صريعاً، فمكث صالح وإخوته يعودونه أياماً، ثم مات ـ والحمد لله ـ فحضره خلق كثير يبكون عليه، ويدعون له.

فكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه فيقول: بأبي قتيل القرآن، وبأبي قتيل المواعظ والأحزان.

قالَ: فرآه رجل في منامه، قال: ما صنعتَ؟ قال: عمّتني بركة مجلس صالح، فدخلتُ في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء.

١٠٢ - [توبة امرأة وهي تطوف حول الكعبة]

أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا علي بن محمد الخطيب الأَنْبَارِيّ، قال: أنبأنا أبو الحسين بن بشران، قال: أنبأنا الحسين بن صفوان، قال: أنبأنا ابن أبي الدنيا، ثنا سعيد بن سليمان الواسِطِيّ[١]، عن محمد بن يزيد بن خُنيس[٢]، قال: قال وُهَيْب بن الورد[٣]:

بينما امرأة في الطواف ذات يوم وهي تقول: يا ربّ! ذهبت اللّذات، وبقيت التبعات؛ يا ربّ! سبحانك، وعزتِك إنك أرحم الراحمين؛ يا ربّ! ما لكَ عقوبة إلا النّار.

فقالت صاحبة لها كانت معها: أُخيَّة، دخلتِ بيت ربك اليوم؟.

فقالت: والله ما أرى هاتين القدمين أهلاً للطواف حول بيت ربي، فكيف أراهما أهلاً أطأ بهما بيت ربي، وقد علمت حيث مشَتا وأين مشَتا؟.

١٠٣ - [توبة رجل عمّا جنت يداه]

أخبرنا أبو الفضل مسعود بن عبيد الله بن النّادر، قال: أنا أبو سعد أحمد بن محمد البغدادي، قال: أنبأنا أبو العباس أحمد بن محمد الظِّهْرَانيّ[٤]، وعبد الوهاب بن منده قالا: أنبأنا أبو محمّد بن محمد ابن يوه، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عمر البنّاني، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد، قال: كتب إليّ أبو عبد الله البَاهِلِي، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد عن إبراهيم بن الحارث، قال:

كان رجل كثير البكاء؛ فقيل له في ذلك، فقال: أبكاني تذكّري ما جنيت على نفسي حين لم استحِ ممن شاهدني وهو يملك عقوبتي، فأخّرني إلى يوم العقوبة الدائمة، وأجّلني إلى يوم الحسرة الباقية؛ والله لو خيرت: أيما أحبّ إليك، تحاسَب ثم يؤمر بك إلى الجنة، أو يقال لك: كن تراباً؟ - لاخترت أن أكون تراباً.

---

(١) هو سعيد بن سليمان الضبّي، أبو عثمان الواسطي، نزيل بغداد، البزاز، لقبه سعدويه، ثقة حافظ مات سنة خمس وعشرين ومائتين، وله مائة سنة. التقريب ١/٢٩٨.

(٢) هو محمد بن يزيد بن خُنَيس، المخزومي مولاهم، المكي، مقبول، وكان من العبّاد توفي بعد العشرين ومائتين، التقريب ٢/٢١٩. وقد ذكر في التهذيب عن ابن حبان قوله: يجب أن يعتبر بحديثه إذا بيّن السماع في خبره، ولم يبيّن السماع في هذه القصة من وهيب فلا يعتبر بروايته.

(٣) هو وهيب بن الوَرْد، الثقة العابد، من أتباع التابعين، تقدّمت ترجمته، وانظر التقريب ٢/٣٣٩.

(٤) الظِّهْرَاني: بكسر الظاء، وبالهاء، وفتح الراء، وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى ظِهْران، وهي قرية [illegible] ٢٩٩/[illegible]

١٠٤ ـ [تَوبة مُلهِي أهل المدينة عن اللهو على يد والدته]

ومن «الملتَقَط»[١]: قال صالح بن عمر: وحدثني أبي، قال: كان بالمدينة امرأة متعبِّدَة، ولها ولد يلهو، وهو مُلْهِي أهل المدينة. وكانت تعِظُه، وتقول: يا بُني! اذكر مصارع الغافلين قبلَك، وعواقب البطَّالين قبلك، اذكر نزول الموت.

فيقول إذا ألحَّت عليه:

كُفِّي عن التَّعذَال واللوْم ... واستيقظي من سِنةِ النَّوم

إنِّي وَإنْ تابعتُ في لذَّتي ... قلبي وَعاصيْتُكَ في لومي

أرْجو منْ إفْضَالِهِ توبَةً ... تنقلُ من قوْمٍ إلى قوْمِ

فلم يزل كذلك حتى قدم أبو عامر البُنَانِي واعظ أهل الحجاز، ووافق قدُومه رمضان، فسأله إخوانه أن يجلس لهم في مسجد رسول الله ـ ﷺ ـ فأجابهم.

وجلس ليلة الجمعة بعد انقضاء التراويح، واجتمع النّاس، وجاء الفتى فجلس مع القوم، فلم يزل أبو عامر يَعِظ ويُنْذِر ويبشّر، إلى أن ماتت القلوب فرقاً، واشتاقت النّفوس إلى الجنّة، فوقعت الموعظة في قلب الغلام فتغيّر لونه. ثم نهض إلى أمه، فبكَى عندها طويلاً، ثم قال:

زَممتُ[٢] للتَّوْبة أجْمَالي ... ورُحْتُ قَدْ طاوعت عُذَّالي[٢]

وأَبْتُ والتوبةُ قدْ فَتَحتْ ... مِن كلِّ عُضو لي أقفَالي

لما حَدَا الحادي بقَلبي إلى ... طاعة رَبي فَكَّ أغْلالي

أجَبْتُهُ لبَّيْكَ من موقِظٍ ... نبَّهَ بالتَّذْكارِ إغْفالي

يا أمِّ هل يقبَلُني سيِّدي ... على الذي قد كانَ من حالي؟

واسوْءَتا إن رَدَّني خائِباً ... ربِّي ولم يرضَ بإقْبَالي

ثم شمّر في العبادة وجَدّ، وكان لا يفطر إلا بعد التراويح، ولا ينام إلا بعد طلوع الشمس.

فقرّبت إليه أمه ليلةً إفطاره، فامتنع وقال: أجد ألم الحمّى، فأظنّ أن الأجل قد أزِف[٣]. ثم فزع إلى محرابه ولسانُه لا يفتر من الذِّكر. فبقي أربعة أيام على تلك الحال.

ثم استقبل القبلة يوماً، وقال: إلهي عصيتك قوياً، وأطعتُك ضعيفاً، وأسخطتك

---

(١) أي: ملتقط الحكايات، لابن الجوزي.

(٢) أي: شددت، أنظر مختار الصحاح ص ٤١٠.

(٣) أي: قد دنا، مختار الصحاح ص ٢٨٥.

جَلَداً[1]، وخدمتك نحيفاً، فليتَ شِعري هل قبلتني؟ ثم سقط مغشياً عليه، فانشجّ وجهه.

فقامت إليه أمه، فقالت: يا ثمرة فؤادي، وقرّة عيني، رُدّ جوابي.

فأفاق فقال: يا أمّاه! هذا اليوم الذي كنتِ تحذِّريني، وهذا الوقت الذي كنتِ تخوِّفيني؛ فيا أسفي على الأيام الخَوَالي، يَا أمّاه! إنّي خائف على نفسي أن يطول في النّار حبسي؛ بالله عليك يا أماه، قومي فضعي رجلك على خدّي، حتى أذوق طعم الذُّل لعله يرحمني، ففعَلَتْ، وهو يقول: هذا جزاء من أساء، ثم مات رحمه الله.

قالت أمّه: فرأيتُه في المنام ليلة الجمعة، وكأنه القمر، فقلت: يا ولدي! ما فعل الله بك؟ فقال: خيراً، رفع درجتي.

قلت: فما كنت تقول قبل موتك؟ قال: هتف بي هاتف: أجِب الرحمن! فأجبتُ.

قلتُ: فما فعل أبو عامر[2]؟ فقال: هيهاتَ! أين نحن من أبي عامر؟

حَلَّ أبو عَامرٍ في قُبَّةٍ وَطَّدَها[3] ذُو العرش للنّاس
بينَ جَوَارٍ كالدُّمى خُرَّد[4] يسْقِينَهُ بالكَاس والطَّاس
يقلنَ بالتَّرخيم[5] خذها فقد هُنيتَها يا واعظَ النَّاس

١٠٥ ـ [توبة دينار العَيَّار عن المعاصي على يد والدته]

ورُوِي أنّ رجلاً كان يُعرف بـ«دينار العَيّار»، كانت له والدة تعظه ولا يتَّعِظ، فمرّ في بعض الأيام بمقبرة كثيرة العظام، فأخذ منها عظماً نخراً فانفتّ في يده، ففكّر في نفسه، وقال لنفسه: ويحك! كأنّي بك غداً قد صار عظمك هكذا رُفاتاً، والجسم تراباً، وأنا اليوم أُقدِم على المعاصي، فندم وعزم على التوبة، ورفع رأسه إلى السماء، وقال: إلهي! إليك ألقيتُ مقاليد أمري، فاقبلني وارحمني.

ثم مضى نحو أمه متغير اللون، مُنْكَسِر القلب، فقال: يا أماه! ما يُصْنَع بالعبد الآبق إذا أخذه سيده؟ فقالت: يُخَشِّن ملبسه ومطعمه، ويغلّ يده وقدمه.

فقال: أريد جبَّة من صوف، وأقْرَاصاً من شعير، وتفعلين بي كما يُفعل بالآبق، لعلّ

(١) أي: صلباً قوياً، مختار الصحاح ص ٩٢
(٢) أي: البُنَاني، واعظ أهل الشام.
(٣) قال في مختار الصحاح ص ١١٥: «وطّد الشيء: أثبته وثقّله»ا هـ.
(٤) أي: عذارى، خفرات، حييّات، أساس البلاغة ص ١٠٧.
(٥) أي: بصوت رقيق ليِّن، أساس البلاغة ص ١٥٩.

مولاي يرَى ذُلّي فيرحمني. ففعَلتْ ما طلب.

فكان إذا جَنَّه الليل أخذ في البكاء والعويل، ويقول لنفسه: ويحكَ يا دينار! ألك قوّة على النّار؟ كيف تعرّضت لغضب الجبّار؟ وكذلك إلى الصباح.

فقالت له أمّه في بعض الليالي: ارفق بنفسك، فقال: دعيني أَتْعَبْ قليلاً لعلي أستريح طويلاً؛ يا أمّي إنَّ لي موقفاً طويلاً بين يدَيْ ربٍّ جليل، ولا أدري أيُؤمر بي إلى الظلّ الظليل، أو إلى شرٍّ مَقِيل، إنّي أخاف عناءً لا راحة بعده، وتوبيخا لا عفو معه.

قالت: فاسترح قليلاً، فقال: الرّاحة أطلب، أتضمنين لي الخلاص؟

قالت: فمن يضمنه لي؟

قال: فدعيني وما أنا عليه؛ كأنَّكِ يا أماه غداً بالخلائق يساقون إلى الجنّة، وأنا أُساق إلىَ النار.

فمرّت به في بعض الليالي في قراءته ﴿فَوَ رَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُم أَجْمَعِين. عمَّا كانوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. ففكّر فيها، وبكَى، وجعل يضطرب كالحيَّة، حتى خر مغشياً عليه، فجاءت أمه إليه ونادته، فلم يجبها، فقالت: قُرَّةَ عيني، أين الملتقَى؟ فقال بصوت ضعيف: إن لم تجديني في عَرْصَة القيامة فاسألي مالكاً[2] عنّي. ثم شهق شهقة مات فيها.

فجهزتْه وغسّلته، وخرجت تنادي: أيها الناس! هلمّوا إلى الصلاة على قتيل النّار؛ فجاء الناس؛ فلم يُرَ أكثر جمعاً ولا أغزر دمعاً من ذلك اليوم.

١٠٦ ـ [توبة رجل عن حب جاريته المغنِّية التي شغلته عن الله]

وقال علي بن الحسين: كان لنا جار من المتعبِّدين قد برز في الإجتهاد، فصلّى حتى تورّمت قدماه، وبكى حتى مرضت عيناه؛ فاجتمع إليه أهله وجيرانه فسألوه أن يتزوّج.

فاشترى جارية ـ وكانت تغنّي وهو لا يعلم ـ، فبينا هو ذات يوم في محرابه يصلّي، رفعت الجارية صوتها بالغناء، فطار لبّه، فَرَام[3] ما كان عليه من العبادة فلم يُطِق.

فأقبلت الجارية عليه، فقالت: يا مولاي! لقد أبليت شبابك، وَرَفَضْت لذّات الدنيا أيام حياتك؛ فلو تمتعت بي؛ فمال إلى قولها، واشتغل باللذات عمّا كان فيه من التعبّد.

---

(١) سورة الحِجر، آية رقم /٩٢ ـ ٩٣.

(٢) يريد مالكاً خازن النار.

(٣) أي: قصد.

فبلغ ذلك أخاً له كان يوافقه على العبادة؛ فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من النّاصح الشَّفيق، والطبيب الرَّفيق، إلى مَنْ سُلِبَ حلاوة الذِّكر، والتَّلَذُّذ بالقرآن، والخشوع والأحزان؛ بلغني أنَّك اشتريت جاريةً بعتَ بها من الآخرة حَظَّك؛ فإن كنتَ بعت الجزيل بالقليل، والقرآن بالقِيَان، فإنّي محذِّرك هادم اللذات، ومنغِّص الشهوات، وموتمَ الأولاد[1]؛ فكأنه قد جاء على غرّة، فأبْكَمَ[2] منك اللسان، وهدَم منك الأركان، وقرّب منك الأكْفَان، واَحْتَوَشَك[3] الأهلِ والجيران؛ وأُحذِّرك من الصيحة إذا جَثت[4] الأمم لهوْل ملكٍ جبّار؛ فاحذر يا أخي ما يحلّ بك من ملك غضبان. ثم طوى الكتاب، وأنْفَذَهُ إليه[5]. فوافاه الكتاب وهو في مجلس سروره، فغصّ بريقه، وأذهله ذلك، فنهض مبادراً من مجلس سروره، وكَسَرَ آنيته، وهجر جاريته، وآلى[6] أن لا يَطْعَمَ الطَّعام ولا يَتوسَّدَ المنام.

قال الذي وعظه: فلمّا مات رأيتُه في المنام بعد ثلاث، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: قدمنا على ربّ كريم أباحنا الجنة. وقال:

أللهُ عوَّضني ذُو العرش جارية	حوراء تَسْقِيَني[7] طَوْراً وتُهَنِّيْني
تقُولُ لي اشربْ بما قدْ كُنْتَ تأمُلُني	وقرَّ عيْناً مع الولدان والعِين
يا منْ تخلَّى عن الدُّنيا وأزعجهُ	عن الخطايا وعيدُ في الطَّواسين[8]

١٠٧ - [توبة شاب وامرأته على يد سري السَّقَطِي][9]

وعن سري السَّقَطي[10]، قال: كنت يوماً أتكلم بجامع المدينة، فوقف عليّ شابّ،

---

(١) أي: متيِّم الأولاد، وقصد بذلك: الموت.

(٢) أي: أخرس، وأسكت، مختار الصحاح ص ٣٩٧.

(٣) أي: اجتمع عليك الأهل، وجعلوك في وسطهم، مختار الصحاح ص ٢١٩.

(٤) تقول: جثا على ركبتيه، إذا جلس عليهما، أنظر أساس البلاغة ص ٥٢.

(٥) أي: أرسله إليه.

(٦) أي؛ وحلف، مختار الصحاح ص ٤٨٦.

(٧) حرِّكت الياء بالفتح لضرورة الشعر.

(٨) قال الإستاذ عبد القادر أرناؤوط: أي في سور القرآن التي فيها: طس، وطسم، كسورة: (الشعراء) و (النحل) و (القصص).

(٩) هو سرّي بن المغلّس، أبو الحسن السَّقطِي، البغدادي المولد والوفاة، كان من المشايخ، المذكورين المعروفين وأحد العباد المجتهدين، صاحب معروف الكرخي، وهو خال الجُنيد بن محمد وأستاذه، توفي في رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وله نحو ثمان وتسعين سنة، ودفن في مقبرة=

حسن الشباب، فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول في وعظي عجباً لضعيف يعصي قويًّا؛ فتغيّر لونه وانصرف.

فلما كان من الغد جلستُ في مجلسي، وإذا بالفتَى قد أقبل، فسلّم، وصلّى ركعتين، وقال: يا سريّ! سمعتُك بالأمس تقول: عجباً لضعيف يعصي قوياً، فما معناه؟ فقلتُ: لا أقوَى من الله، ولا أضعف من العبد، وهو يعصيه، فنهض، فخرج.

ثمّ أقبل من الغد، وعليه ثوبان أبيضان، وليس معه أحد، فقال: يا سرّي! كيفَ الطريق إلى الله؟ فقلتُ: إن أردتَ العبادة فعليك بصيام النّهار، وقيام الليل؛ وإن أردتَ الله فاترك كلّ شيء سواه تصل إليه، وليس إلا المساجد والخراب والمقابر، فقام وهو يقول: والله لاسلكتُ إلا أصعب الطرق، وولى خارجاً.

فلمّا كان بعد أيام أقبل إليّ غلمان كثير، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه؛ إلا أنّ رجلاً جاءني، من صفته كذا وكذا، فجرَى لي معه كذا وكذا، ولا أعلم حاله، فقالوا: نقسم عليك بالله متى عرفت حاله فعرِّفنا، ودَلُّوني على داره.

فبقيتُ سنة لا أعرف له خبراً، فبينا أنا ذات ليلة بعد عشاء الآخرة جالساً في بيتي، إذا بطارق يطرق الباب، فأذنتُ له بالدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه، وأخرى على عاتقه، ومعه زنْبيل[1] فيه نَوَى. فقبّل بين عينيّ، وقال لي: يا سريّ! أعتقك الله من النّار كما أعتقتني من رقّ الدنيا.

فأومأتُ إلى صاحبي أن امضِ إلى أهله فيخبرهم. فمضى، وإذا بزوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه. فدخلتْ وألقت ولده في حجره وعليه حليّ وحُلل، وقالت له: يا سيدي! أرملتني وأنت حيّ، وأيتمتَ ولدك وأنت حيّ.

قال سريّ: فنظر إليّ، وقال: يا سريّ! ما هذا وفاء، ثم أقبل عليها، فقال: والله إنك لثمرةُ فؤادي، وحبيبةُ قلبي، وإنّ هذا ولدي لأعزّ الخلق عليّ، غير أنّ هذا سريّ أخبرني أنّ من أراد الله قطع كلّ ما سواه.

ثم نزع ما على الصبيّ، فقال: ضعي هذا في الأكباد الجائعة والأجساد العارية،

= الشونيزية، وقبره ظاهر معروف، من أقواله: لا يقوىَ على ترك الشهوات إلاّ من ترك الشبهات. تاريخ بغداد ١١٦/٩ ـ ١٢٨.

والسَّقطي: بفتح السين المهملة، والقاف، وفي آخرها طاء مهملة هذه :نسبة إلى بيع السَّقط وهو معروف، اللباب ١٢٢/٢.

(١) هو وعاء معروف، أنظر أساس البلاغة ص ١٨٨، ومختار الصحاح ص ٣٦٣.

وخرق قطعة من كسائه فلفّ فيها الصبيّ[1]. فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحال، وانتزعته منه؛ فحين رآها قد اشتغلتْ به، نهض وقال: ضيّعتم عليّ ليلتي؛ بيني وبينكم الله، وولّى خارجاً، وضجّت الدّار بالبكاء؛ فقالت: إن عدتَ سمعتَ له خبراً فأعلمني، فقلت: نعم.

فلما كان بعد أيام أتت عجوز، فقالت: يا سريّ! بالشونيزية[2] غلام يسألك الحضور، فمضيتُ فإذا به مطروح في تربة، تحت رأسه لَبِنَة. فسلّمت عليه، ففتح عينيه، وقال: يا سريّ! ترى تُغفر تلك الجنايات؟ فقلت: نعم. قال: يُغْفَر لمثلي؟ قلت: نعم. قال: أنا غريق! قلت: هو منجي الغَرْقى. فقال: عليَّ مظالم، فقلت: في الخبر «أنّه يؤتى بالتائب يوم القيامة، معه خصومه، فيُقال لهم: خلوا عنه فإنّ الله تعالى يعوّضكم».

فقال: يا سريّ! معي دراهم من لقط النَّوَى، إذا أنا مت فاشترِ لي ما أحتاج إليه وكفّني، ولا تُعْلِم أهلي لئلا يغيِّروا كفنْي بحرام.

قال سريّ: فجلست عنده قليلاً، ففتح عينيه، فقال: ﴿لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ العامِلونَ﴾[3] ثمّ مات.

فأخذتُ الدراهم، وجئت فاشتريت ما يحتاج إليه، وسرتُ نحوه؛ فإذا الناس يهرعون، فقلت: ما الخبر؟ فقيل: مات وليّ من أولياء الله، نريد أن نصليَ عليه. فجئت فغسلته ودفنّاه.

فلمّا كان بعد مدّة نَفَدَ[4] أهله يستعلمون خبره، فأخبرتُهم بموته، فأقبلَت امرأته باكية، فأخبرتها بحاله، فسألتني أن أريَها قبره. فقلت: أخاف أن تغيّروا أكفانه؟ قالت: لا والله؛ فأريتها القبر، فبكت، وأمرت بإحضار شاهدَيْن، فأحضرتُهما، وأعتقَت جواريها، وأوقفت عقارها، وتصدّقت بمالها، ولزمت قبره حتى ماتَت.

١٠٨ - [توبة امرأة بارعة الجمال أرادت ان تفتن الرَّبيع بن خُثَيْم][5]

أنبأنا محمد بن عبد الباقي، قال: أنبأنا جعفر بن أحمد، قال: أنا أحمد بن عليّ،

---

(١) قال الإستاذ عبد القادر أرناؤوط: هذا من الغلوّ في الزهد، وهو مخالف لهدي رسولنا محمد - ﷺ - في معاملة أهله وولده، ومعاملة أولاد بناته.

(٢) الشونيزية: هي مقبرة بغداد، وفيها دفن كثير من الصالحين.

(٣) سورة الصافات، آية رقم /٦١.

(٤) أي: بعث وأرسل.

(٥) في المطبوعة: الربيع بن خَيْثم، وهو خطأ، وهو كذلك في الخلاصة ص ١١٥، والمثبت كما في =

قال: أنا محمد بن عبد الله الدَّقاق، قال: أنا الحسين بن صفوان، قال: أنا عبد الله بن محمد، حدثني الحسين بن عبد الرحمن، قال: أنبأنا أبو القاسم محرز الجَلَّاب[1]، حدثني سعدان، قال:

أمر قوم امرأة ذات جمال بارع أن تتعرّض للرَّبيع بن خُثَيْم[2] لعلها تفتنه، وجعلوا لها، إن فعلت ذلك، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيَّبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده. فنظر إليها، فراعه أمرها. فأقبلت عليه وهي سافرة[3]، فقال لها الرَّبيع: كيف بك لو قد نزلت الحمَّى بجسمكِ فغيَّرت ما أرى من لونكِ وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملكُ الموت، فقطع منكِ حبل الوتين[4]؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرَخت صرخةً فسقطت مغشياً عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربّها ما أنها كانت يومَ ماتت كأنها جِذْع محترق.

١٠٩ ـ [توبة جار لأحمد بن حنبل]

حدثنا الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي[5]، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا أبو طالب اليُوسُفيّ، أنا أبو إسحاق البَرْمَكيّ[6]، أنا أبو عبد الله بن بطّة[7]، قال: حدثني أبو

= التاريخ الكبير للبخاري ١/٢/٢٦٩، والثقات لابن حبان ٤/٢٢٤، وتهذيب الكمال ٩/٧٠ ـ ٧١، وتذكرة الحفاظ ١/٥٧، والكاشف ١/٢٣٥، وتهذيب التهذيب ٣/٢٤٢، والتقريب ١/٢٤٤.

وهو الربيع بن خُثَيم ـ بضم المعجمة، وفتح المثلثة ـ ابن عائذ بن عبدالله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة عابد مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ـ ﷺ ـ لأحبك، مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين، التقريب.

(١) الجَلَّاب: بفتح الجيم، وتشديد اللام، وفي آخرها الباء الموحدة، هذا الإسم لمن يجلب الرقيق والدواب. اللباب ١/٣١٩.

(٢) في المطبوعة: الربيع بن خَيْثم، وهو خطأ، وقد تقدم التنبيه إلى ذلك، في ترجمته أوّل القصة.

(٣) قال في مختار الصحاح ص ١٥٠: «سفرت المرأة: كشفت عن وجهها، فهي سافِر» أ هـ.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٤٧٣: «الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه» أ هـ.

(٥) أي: ابن الجوزي ـ رحمه الله.

(٦) قال في اللباب ١/١٤٢ ـ ١٤٣: «البَرْمَكي: بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء، وفتح الميم، وفي آخرها الكاف، هذه النسبة إلى اسم وموضع.

أما الإسم فهم أولاد أبي علي يحيى بن خالد بن بَرْمَك، وفيهم كثيرة..

وأما الموضع فالمنتسب إليه أبو إسحاق ـ وهو الراوي هنا ـ. إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي البغدادي، كان سلفه قديماً يسكنون محلة ببغداد تعرف بالبرامكة، وقيل: بل كانوا يسكنون قرية تُسمّى البرمكية، فنسبوا إليها، روى عنه أبو بكر الخطيب، والقاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي وغيرهما توفي سنة خمس وأربعين وأربعمائة» أ هـ.

(٧) هو عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن سعد بن عتبة العَكْبري=

بكر الآجرّي[1]، قال: سمعت ابن أبي الطيّب، يقول: حدثنا جعفر الصّائغ، قال:

كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلِّم عليه، فكأنَّ أحمد لم يردَّ عليه ردّاً تاماً وانقبض منه.

فقال له: يا أبا عبد الله! لِمَ تنقبض منّي؟ فإنّي قد انتقلت عمّا كنت تعهدني برؤيا رأيتُها.

قال: وأيّ شيء رأيت؟

قال: رأيت النّبي - ﷺ - في النّوم كأنّه على علوّ من الأرض، وناس كثير أسفل جلوسٌ. قال: فيقوم رجل رجل منهم إليه، فيقول: ادعُ لي؛ فيدعو له، حتى لم يبقَ من القوم غيري.

قال: فأردت أن أقوم فاستحيت من قبيح ما كنت عليه.

قال لي: يا فلان، لِم لا تقوم إليّ فتسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه؛ فقال: إن كان يقطعكَ الحياء فقمْ فسلني أدعُ لك، فإنك لا تسبّ أحداً من أصحابي. قال: فقمت، فدعا لي. فانتبهت وقد بغّض الله إليّ ما كنت عليه.

قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدّثوا بهذا واحفظوه فإنّه ينفع.

١١٠ - [توبة أبي عمر بن علوان عن نظره إلى امرأة]

أنبأنا الإمام العلاّمة أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكنديّ[2]، أخبر عبد الرحمن بن

الحنبلي، المعروف بابن بطّة، أبو عبدالله، فقيه، محدّث، متكلّم، ولد لأربع خلَون من شوال سنة (٣٠٤) هـ. في عكبرا وتوفي فيها في يوم عاشوراء، سنة (٣٨٧) هـ. من مصنفاته الكثيرة: السنن، المناسك، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة.

أنظر ترجمته في البداية والنهاية ٣٢١/١١ - ٣٢٢ شذرات الذهب ١٢٢/٣ - ١٢٤، ومعجم المؤلفين ٢٤٥/٦.

(١) هو الإمام المعروف محمد بن الحسين بن عبدالله، أبو بكر الآجري، وقد تقدّمت ترجمته.

(٢) هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث الكندي، البغدادي، الحنفي، تاج الدين، أبو اليمن، مقرىء، نحوي، أديب، شاعر، لغوي، محدّث، حافظ، ولد ببغداد في شعبان سنة (٥٢٠) هـ. ونشأ بها، وتوفي بدمشق في شوال سنة (٦١٣) هـ. من تصانيفه: اتحاف الزائر وأصراف المقيم المسافر، حاشية على شرح ديوان المتنبي لعبد القادر الحلبي، وديوان =

محمد[1] القَزّاز، أنا أحمد بن عليّ بن ثابت، قال: حدثني محمد بن الحسن السّاحلي[2]، أنا عمّار بن عبد الله الصوفيّ، قال: سمعت محمد بن حمّاد الرَّحْبي[3]، يقول: سمعت أبا عمر بن علوان، يقول:

خرجت يوماً في حاجة فرأيت جنازةً، فتبعتُها لأصلّي عليها. ووقفت في جملة النّاس حتّى تُدفن. فوقعت عيني على امرأة مُسْفِرة، من غير تعمّد، فلمحت بالنظر[4]، واسترجعت، واستغفرت الله تعالى، وعدتُ إلى منزلي.

فقالت لي عجوز: يا سيّدي، مالي أرَى وجهَك أسود؟ فأخذتُ المرآة فنظرتُ، فإذا وجهي أسود. فرجعت إلى سِرّي[5] أنظر من أين دُهيت[6]، فذكرتُ النظرة. فانفردتُ في موضع أستغفر الله تعالى وأسأله الإقالة أربعين يوماً.

فخطر في قلبي أنْ زُرْ شيخك الجُنَيْد. فانحدرتُ إلى بغداد. فلما جئت الحُجْرة التي هو فيها طرقت الباب، فقال: ادخل، يا أبا عمرو! تُذْنِبُ بالرَّحْبة[7] ويُستغفر لك ببغداد.

١١١ - [توبة فتى شابّ وجارية جميلة أحبّ كل منهما الآخر]

أخبرنا أبو الحسين عبد الحقّ بن عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن يوسف، أنا أبو الحسن عليّ بن محمّد بن العَلّاف[8]، أنا أبو القاسم عبد الملك بن محمّد بن بشران الواعظ، ثنا أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن عليّ الكِنْديّ، أنا أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل السَّامَرِّيّ[9]، أنا أبو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد، عن ابن أبي كامل، عن

= شعر كبير،
أنظر: البداية والنهاية ١٣/٧١ - ٧٤، وسير أعلام النبلاء (جـ ١٣ ق ١٢٤ - ١٢٦)، ومعجم المؤلفين ٤/١٨٩.

(١) في نسخة: عبد الرحمن بن نصر، هامش المطبوعة.

(٢) في نسخة: المناحلي، هامش المطبوعة.

(٣) الرَّحْبي: بفتح الراء، وسكون الحاء المهملة، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الرَّحْبَة، وهي بلدة على فرات، يقال لها رحبة مالك بن طوق. اللباب ٢/١٩

(٤) تقول: لمحه: أبصره بنظر خفيف، مختار الصحاح ص ٨٠.

(٥) أي: إلى نفسي، أتذكر وأنظر في سرّي.

(٦) أي: من أين اصبت بهذه الداهية. وهي الأمر العظيم، مختار الصحاح ص ٥٠٥.

(٧) هي بلدة على الفرات اللباب ٢/١٩.

(٨) العَلّاف: بفتح العين وبعدها لام ألف ثم فاء. يقال هذا لمن يبيع العَلَف ويجمعه. اللباب ٢/٣٦٦.

(٩) السَّامِرّي: بفتح السين، وسكون الألف، وفتح الميم، وفي آخرها راء مشدّدة، هذه النسبة إلى =

إسحاق بن إبراهيم، عن رجاء بن عمر النَّخَعِيّ[1]، قال:

كان بالكوفة فتى جميلُ الوجه، شديدُ التعبُّد والإجتهاد، وكان أحدَ الزهَّاد، فنزل في جوار قوم من النَّخع، فنظر إلى جاريةٍ منهم جميلة، فهويها وهام بها عقله، ونزل بها مثل الذي نزل به.

فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنّها مسمّاة لابن عمّ لها.

واشتدّ عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى، فأرسلت إليه الجارية: قد بلغني شدّة محبّتك لي، وقد اشتدّ بلائي بك لذلك، مع وجدِي بك. فإن شئتَ زرتَك، وإن شئت سهلتُ لك أن تأتيَني إلى منزلي.

فقال للرسول: لا واحدة من هاتَيْن الخصلتين؛ ﴿**إني أخَافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي عذابَ يوم ٍ عَظِيم**﴾[2] أخاف ناراً لا يَخْبو[3] سعيرها، ولا يخمد لهبها[4].

فلما انصرفَ الرسول إليها فأبلغها ما قال، قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله تعالى؛ والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحد؛ وإنَّ العِبادَ فيه لمُشتركونَ.

ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ولبست المُسُوح، وجعلتْ تعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبّاً للفتى وأسفاً عليه، حتى ماتت شوقاً إليه.

فكان الفتَى يأتِي قبرها. فرآها في منامه وكأنّها في أحسن منظر، فقال: كيف أنتِ، وما لقيت بعدي؟ فقالت:

نِعْمَ المَحَبَّةُ يا حبيبي حُبكا ... حُبٌّ يقُودُ إلى خيْرٍ وإحسانِ

فقال على ذلك: إلى ما صرتِ؟ فقالت:

إلى نعيمٍ وعيْشٍ لا زَوَال له ... في جَنَّةِ الخُلْدِ مُلْكٌ ليس بالفَاني

فقال لها: اذكريني هناك فإنّي لست أنساكِ. فقالت: ولا أنا والله أنساكَ، ولقد سألتك ربي، مولاي ومولاك، فأعانني على ذلك بالإجتهاد. ثم ولّتْ مدبرة، فقلت لها:

= مدينة: سرّ من رأى، بالعراق فوق بغداد، وهي مشهورة فخففها الناس، وقالوا: سامِرّا، بناها المعتصم وخربت عن قريب من عمارتها، ينسب إليها جماعة. اللباب ٢/٩٤.

(١) النَّخعِيّ: بفتح النون والخاء، وبعدها عين مهملة هذه النسبة إلى النَّخعَ، وهي قبيلة كبيرة من مذ حج اللباب ٣/٣٠٤.

(٢) سورة الزُمَر، آية رقم /١٣.

(٣) أي: لا يسكن ولا يطفأ، مختار الصحاح ص ٥٠٠.

(٤) لا يسكن لهباً، ولا يطفأ جمرها، مختار الصحاح ص ٩٥.

متى أراكِ؟ قالت: ستأتينا عن قريب.

فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلّا سبع ليال حتى مات، رحمهما الله.

١١٢ - [توبة رجل عن الشّراب والعود بسماع آيات من القرآن]

أنبأنا الشيخ أبو الفرج[١]، أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر، أنا محمد بن أبي نصر الحُمَيْدِيّ[٢]، قال: أنا محمد بن سلامة القُضَاعِيّ[٣]، قال: أنا محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنا أبو مسلم، قال: أنا محمد بن الحسين بنِ دُرَيْد، قال: أخبرنا الحسن بن خضر، أخبرني رجل من أهل بغداد، عن أبي هاشم المذكِّر[٤]، قال:

أردتُ البصرة، فجئت إلى سفينة أُكْترِيها[٥]، وفيها رجل ومعه جارية، فقال الرجل: ليس ها هنا موضع. فسألَته الجارية أن يحملني فحملني.

فلما سرنا دعا الرجل بالغداء فوُضع، فقال: أَنْزِلوا ذلك المسكين ليتغدّى، فأُنزِلتُ على أنّي مسكين. فلما تغدّينا، قال: يا جارية! هاتي شرابك. فشرب وأمرها أن تسقيني، فقلتُ: رحمك الله، إن للضيف حقاً؛ فتَركني؛

فلمّا دبّ فيه النبيذ، قال: يا جارية! هاتي العود وهاتي ما عندكِ. فأخذت العود وغنت تقول:

وَكُنّا كغُصْنَي بانة[٦] ليسَ واحدٌ يزولُ على الخُلّانِ عن رأي واحِدِ

---

(١) أي: ابن الجوزي.

(٢) الحُمَيدي: بفتح الحاء المهملة، وضمّ الحاء، وفتح الميم، وسكون الياء المثناة، من تحتها، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى حُمَيد، وهو بطن من أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ، اللباب ٣٩٢/١ - ٣٩٣.

(٣) قال في اللباب ٤٣/٣: «القُضَاعي: بضمّ القاف، وفتح الضاد المعجمة، وفي آخرها عين مهملة، هذه النسبة إلى قضاعة، شعب عظيم يشتمل على قبائل كثيرة، منهم: كلب، وبلي، وجهينة وغيرها.

وقد اختلف في قضاعة، فقيل: إنه من معد، وقيل: من اليمن، والمنتسب إليه خلق كثير، منهم: القاضي أبو عبدالله - الراوي هنا - محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي القاضي بمصر، سمع خلقاً كثيراً وصنّف كتاب الشهاب، روى عنه جماعة، منهم القاضي أبو بكر الأنصاري ببغداد، وروى عنه بالإجازة. وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وخمسين وأربعمائة بمصر، وكان فقيهاً شافعياً صاحب علوم كثيرة» أ هـ.

(٤) في نسخ: أبي هشام، هامش المطبوعة.
والمُذَكِّر: يقال هذا لمن يذكِّر الناس ويعظهم. اللباب ١٨٧/٣.

(٥) أي: استأجرها.

(٦) أي: شجرة.

تـبـدَّلَ بـي خِـلاً فـخـالَـلْـتُ غـيـرَهُ وَخَـلَّـيـتُـهُ[1] لَـمّـا أرادَ تَـبـاعُـدي
فَلوْ أن كـفِّـي لـم تـردْنـي أبَـنْـتُـهـا[2] ولَم يصْـطَـحِبْها بعـدَ ذلـكَ سـاعِـدِي
ألا قَـبـحَ الـرَّحـمٰـنُ كـلَّ مُـمَـاذِقٍ[3] يَكُـونُ أَخاً في الخَفْضِ[4] لا في الشَّـدَائد

ثمّ التفت إليّ فقال: أتحسن مثل هـذا؟ فقلت: أُحسنُ خيراً منه. فقرأتُ: ﴿إذا الشَّمْسُ كُـوِّرَتْ، وَإذا النُّجُومُ انكَـدَرَتْ، وإذا الجِبالُ سُيِّـرَتْ﴾[5]. فجعل الشيخُ يبكي؛ فلما انتهيتُ إلى قوله: ﴿وَإذا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾[6] قـال الشيخ: يـا جاريـة! إذهبي، فأنتِ حـرّة لوجـه الله تعالى. وألقى مـا معه من الشـراب في المـاء، وكسـر العـود. ثم دنـا إليّ فاعتنقني، وقال: يـا أخي! أترى الله يقبـل توبتي؟ فقلت: ﴿إنَّ الله يُحبُّ التَّـوابينَ ويُحبُّ المتطهرينَ﴾[7].

قال: فواخيتُه بعد ذلك أربعين سنة حتى مات قبلي. فرأيتُـه في المنام، فقلت لـه: إلى م صرتَ؟ قال: إلى الجنّة. قلت: بمَ صرت إلى الجنة؟ قال: بقـراءتك عليّ: ﴿وَإذا الصُّحُفُ نُشِرتْ﴾[8].

١١٣ ـ [توبة شيخ مُهَلَّبيّ[9] وجاريته عن الشّراب والضرب بالعود]

أخبرنا الامام الحافظ أبو موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المَـدِيني[10] إجازة،

---

(١) أي: تركته، وفي نسخة: وباعدته، هامش المطبوعة.
(٢) أي: قطعتها.
(٣) أي: غير مخلص، مختار الصحاح ص ٣٣٢.
(٤) أي في العيشة الهنيئة الغضّة، أنظر مختار الصحاح ص ٢٣٤.
(٥) سورة التكوير، الآيات /١ ـ ٣.
(٦) سورة التكوير، آية رقم /١٠، وتمام الآيات:
﴿وإذا العِشَارُ عُـطِّلَتْ وإذا الـوُحُـوشُ حُشِـرَت وإذا البحـار سُـجِّـرَت، وإذا النُّفُـوسُ زُوِّجَت، وإذا المَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ، بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَت وإذا الصُّحُفُ نُشِرَت﴾.
(٧) سورة البقرة، آية رقم /٢٢٢.
(٨) سورة التكوير، آية رقم /١٠.
(٩) مُهَلَّبي: بضم الميم، وفتح الهاء، وتشديد اللام المفتوحة، وفي آخرها باء مـوحدة، هـذه النسبة إلى أبي سعيد المُهَلَّب بن أبي حفرة الأزدي، أميـر خراسـان، وينسب إليه كثيـر من العلماء نسبـة وولاء، اللباب ٣/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(١٠) هو الإمام محمـد بن عمر (أبـو بكر) ابن أحمـد (أبو عيسى) ابن عمـر بن محمد بن أحمـد المديني، الأصبهـاني، الشـافعي أبـو مـوسى، محـدّث، حـافظ، لغوي، أخبـاري، نسّـابـة، ولـد بمـدينـة أصبهان ـ ولذلك لقّب بالمدِيني ـ في ذي القعدة، سنـة (٥٠١) هـ. وزار بغداد وهمـذان، وسمع من غانم البرجي وجماعة من أصحاب أبي نعيم، وتوفي بأصبهان في جمادى الأولى سنة (٥٨١) هـ. =

قال: أنا أبو الفتح عبد الرزاق بن محمد الشَّرابيّ[1]، قال: أَنا سعيد بن محمد بن سعيد الوليّ، أنا علي بن أحمد الوَاقديّ، أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثَّعْلَبي[2]، قال: أخبرني أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الغازي[3]، قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد الأصبهاني[4]، ثنا الحسن بن محمد البَلْخِي، ثنا أحمد بن الليث، ثنا عمر بن محمد، ثنا أَبو عياش الخَوْلَانِي[5]، قال: حدثني صالح بن عبد الله الخَزَّاز، حدثني إسماعيل بن عبد الله الخُزَاعيّ، قال:

قدم رجل من المهالبة من البصرة أيام البرامكة في حوائج له، فلمّا فرغ منها انحدر إلى البصرة ومعه غلام له وجارية. فلما صار في دجلة، إذا بفتًى على ساحل دجلة، عليه جبّة صوف، وبيده عكازة ومِزود[6]، قال: فسأل الملّاحَ أن يحمله إلى البصرة ويأخذ منه الكِرَاء[7].

قال: فأشرف الشيخ المهلّبي؛ فلما رآه رقّ له، فقال للملاح: قرب واحمله معك على الظلال، فحمله.

فلمّا كان في وقت الغداء دعا الشيخ بالسُّفْرة، وقال للملّاح: قل للفتى ينزل إليها، فأَبَى عليه؛ فلم يزل يطلب إليه حتى نزَل. فأكلوا. حتى إذا فرغوا ذهب الفتى ليقوم، فمنعه الشيخ حتى توضؤوا؛ ثم دعا بزُكْرَة[8] فيها شراب، فشرب قدحاً، ثم سقَى الجارية،

= من تصانيفه الكثيرة: اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفّاظ والأعارف، الأخبار الطوال، عوالي التابعين، وتتمة الغريبين (غريب القرآن، وغريب الحديث) للهروي في مجلد وسمّاه: المغيث.
أنظر ترجمته في: تذكره الحفاظ ٤/١٢٤ ـ ١٢٦، شذارت الذهب ٤/٢٧٣، ومعجم المؤلفين ١١/٧٦، واللباب ٣/١٨٤ ـ ١٨٥.

(١) الشَّرَابي: بفتح الشين والراء، وسكون الألف، وفي آخرها باء موحدة، هذه النسبة إلى الشَّراب واشتهر بهذه النسبة جماعة كان أحدادهم يصنعون الشراب ويحفظونه. اللباب ٢/١٨٩ ـ ١٩٠.

(٢) هو المفسّر المعروف، وقد تقدمت ترجمته، وقيل إن قيل له الثعلبي لقب له، وليس بنسب اللباب ١/٢٣٨.

(٣) هذه النسبة إلى الغزو وجهاد الكفار. اللباب ٢/٣٧٢.

(٤) وفي نسخة: الأصفهاني ـ بالفاء ـ هامش المخطوطة.

(٥) الخَوْلاني: بفتح الخاء المعجمة، وسكون [illegible] وفي آخرها نون، هذه النسبة إلى خولا بن عمرو بن مالك، وقيل بن [illegible] ينسب إليها جماعة من [illegible] أنظر اللباب ١/٤٧٢.

(٦) المزود: ما يُجعل فيه الزاد. مختار الصحاح ص ٩٨.

(٧) أي: الأُجْرة.

(٨) الزُّكرة ـ بضم الزاي ـ: زقّ للشراب، مختار الصحاح ص [illegible]

ثم عرض على الفتى. فأبَى، وقال: أحبّ أن تعفيني. قال: قد أعفيناك، اجلس معنا.

وسقَى الجارية، وقال: هاتي ما عندك، فأخرجَت عوداً لها في كيس، فهيأته وأصلحته، ثم أخذت فغنّت.

فقال: يا فتَى! تحسن مثل هذا؟

قال: أحسن ما هو أحسن من هذا، فافتتح الفتى: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾**، **﴿قُلْ متاعُ الدُّنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لمن اتقى ولا تُظلمونَ فتيلاً. أَيْنَ ما تكونوا يدرككُم الموتُ وَلو كنتُم في بروجٍ مُشَيَّدة﴾**[1]. وكان الفتَى حسن الصوت.

قال: فرجّ الشيخ بالقدح في الماء[2]، وقال: أشهد أنَّ هذا أحسن مما سمعت، فهل غير هذا؟ قال: نعم، **﴿وقُلِ الحقُّ من رَبِّكُم فمن شاء فليُؤمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ، إنّا أَعْتَدْنَا للظَّالمين ناراً أَحاطَ بِهِم سُرَادِقُهَا، وإن يستغِيثُوا يغاثُوا بماءٍ كالمُهْلِ يشوِي الوُجُوهَ بئسَ الشَّرابُ وساءَتْ مُرْتَفَقَا﴾**[3].

قال: فوقعت من قلب الشيخ موقعاً. قال: فأمر بالزُّكْرة، فرمَى بها، وأخذ العود فكسره.

ثم قال: يا فتى! هل ها هنا فَرَج؟ قال: نعم، **﴿قل يا عبادِيَ الذين أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ اللهِ إنَّ اللَّهَ يغفرُ الذُّنُوبَ جميعاً إنَّهُ هو الغَفُورُ الرَّحِيم﴾**[4].

قال: فصاح الشيخ صيحة خرّ مغشياً عليه. فنظروا فإذا الشيخ قد ذاق الموت، وقد قاربوا البصرة. قال: فضجّ القوم بالصُّراخ، واجتمع النّاس ـ وكان رجلاً من المهالبة معروفاً ـ ، فحُمِل إلى منزله، فما رأيت جنازة كانت أكثر جمعاً منها.

قال: فبلغني أنّ الجارية المغنِّية تدرّعت الشَّعر، وفوق الشعر جبّة صوف، وجعلَت تقوم الليل، وتصوم النّهار. فمكثت بعده أربعين ليلة. ثم مَرّت بهذه الآية في بعض الليالي: **﴿وقلِ الحقُّ من ربِّكم فمن شاءَ فليؤمِنْ ومَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إنَّا أعتَدْنا للظالِمينَ ناراً أحاطَ بِهِم سُرَادِقُها وإن يستغيثُوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهْلِ يشوي الوُجوهَ بئسَ الشَّرَابُ**

---

(١) سورة النساء، آية رقم /٧٧ ـ ٧٨.

(٢) رجّ: أي حرك وزلزل. مختار الصحاح ص ٦٣، والمقصود هنا أنه سكب ما فيه من الشراب من ماء البحر، والله أعلم.

(٣) سورة الكهف، آية رقم /٢٩،

(٤) سورة الزُمر، آية رقم /٥٣.

وساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[1]. قال: فأصبحوا، فأصابوها ميّتة.

١١٤ - [توبة أعرابي لسماع آية من القرآن]

قال الثَّعْلَبي[2]: وحدّثنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن بن جعفر المُذَكِّر، ثنا الحاكم أبو محمد يحيى بن منصور، ثنا أبو رجاء محمد بن أحمد القاضي، ثنا أبو الفضل العباس بن الفرج الرِّيَاشي[3]، قال: سمعت الأصمعي[4]، يقول:

أقبلتُ ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة. فبينا أنا في بعض سِكَكها، إذ طلع أعرابي جلفٌ جافّ، على قَعُودٍ[5] له، متقلّد سيفه، وبيده قوس، فدَنا وسلّم، وقال لي: ممَّن الرجل؟ قلت: من بني الأصمع، قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم.

قال: ومن أين أقبلتَ؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمٰن. قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟!. قلت: نعم.

قال: اتلُ عليّ شيئاً منه. فقلتُ له: انزل عن قَعودك. فنزل؛ وابتدأت بسورة الذاريات.

فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وفي السَّمَاءِ رِزْقُكُم وما تُوعَدُون﴾[6]، قال: يا أصمعي، هذا كلام الرَّحمٰن؟ قلت: إي والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد - ﷺ - ، فقال لي: حسبك، ثمّ قام إلى ناقته فنحرها، وقطّعها بجلدها، وقال: أعنّي على تفريقها. ففرقناها على من أقْبَل وأدبر.

ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وجعلهما تحت الرَّحل. وولّى مُدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿وفي السَّماءِ رزقُكُم وما تُوعَدُون﴾

فأقبلتُ على نفسي باللَّوْم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابي، فلما حججت مع

---

(١) سورة الكهف، آية رقم /٢٩.
(٢) هو المفسِّر المعروف أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، وقد تقدمت ترجمته. والثعلبيّ: وقيل أنه لقب له وليس بنسب.
(٣) في المطبوعة: أبو الفضل العباس بن أبي الفرج الرياش، وهو خطأ، والتصويب من الكاشف ٢/٦٠، والتقريب ١/٣٩٨، وهو ثقة، وقد تقدمت ترجمته.
(٤) هو عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعي، صدوق سنّي، وقد تقدّمت ترجمته.
(٥) القَعُود - بالفتح - : البعير من الإبل، وهو البكر حين يركب أي تمكن ظهره من الركوب، وأقلّه سنتان إلى أن يثنّى فإذا أثنى سمّي جملاً، ولا تكون البكرة قعوداً، بل قلوصاً، مختار الصحاح ص ١٠٩.
(٦) سورة الذاريات، آية رقم /٢٢.

الرَّشيد دخلت مكة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق. فالتفتُّ فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مُصْفَاراً، فسلّم عليّ، وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرَّحمن؛ فأخذت في سورة الذَّارِيَات. فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وفي السَّماء رزقُكُم وما تُوعَدُون﴾[1]، صاح الأعرابي: وَجَدْنا ما وعدنا ربُّنا حقاً.

ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فو ربِّ السَّماءِ والأرضِ إنَّهُ لَحَقٌّ مثلَ ما أنَّكُم تَنْطِقُون﴾[2]. فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله، من الذي أغضَبَ الجليل حتى حلف؟! ألم يصدِّقوه حتى ألجؤوه إلى اليمين؟! قالها ثلاثاً، وخرجت فيها روحه.

١١٥ - [توبة أمير من أمراء الأعراب بسبب الصوم]

وحكي عن ابن سمعون[3]، قال: سمعت الشِّبْلِيّ[4]، يقول: كنتُ في قافلة بالشَّام، فخرج الأعراب فأخذوها وجعلوا يعرضونها على أميرهم.

فخرج جِرابٌ[5] فيه سكَّر ولوز، فأكلوا منه، والأمير لا يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ فقال: أنا صائم. فقلتُ: تقطع الطريق، وتأخذ الأموال، وتقتل النَّفْس، وأنت صائم؟! فقال: يا شيخ! أجعلُ للصلح موضعاً.

فلما كان بعد حين رأيتُه يطوف حول البيت، وهو محرم كالشَّنِّ[6] البالي. فقلت: أنت ذاك الرجل؟

---

(١) سورة الداريات، آية رقم /٢٢.

(٢) سورة الذاريات، آية رقم /٢٣.

(٣) هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبَس بن إسماعيل (سمعون)، أبو الحُسين الواعظ، المعروف بابن سمعون ولد سنة (٣٠٠) هـ. ببغداد وكان واحد دهره، وفريد عصره في الزهد والوعظ، علت شهرته حتى قيل: أوعظ من ابن سمعون، توفي في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة (٣٨٧) هـ. تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤ - ٢٧٧.

(٤) هو أبو بكر الشِّبْلِيّ، الصوفي، أختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كبيراً، والشِّبلي نسبة إلى قرية من قرى اشرو سنة كذا في تاريخ بغداد، وفي اللباب: اسروشنة، وهذه القرية يقال لها: شِبْلِية: ولد بسرّ من رأى سنة (٢٤٧) هـ. وكان من أهل الولاية، فقد كان أوّل أمره حاجب الموفق، وكان أبوه حاجب الحجاب ثمّ ولّاه الموفق إمرة دماوند - وهو جبل قرب الرب وكوره -، ثم حضر الشبلي يوماً مجلس خير النّساج، وسمع موعظته، فتاب ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، حتى صار بعد ذلك واحدَ زمانه حالاً ونفساً، وتوفي ببغداد سنة (٣٣٤) هـ. تاريخ بغداد.١٤/ ٣٨٩ - ٣٩٧. والحلية ١٠/ ٣٦٦ - ٣٧٥، واللباب ٢/ ١٨٣.

(٥) الجِراب - بالكسر -: وعاء معروف، مختار الصحاح ص ١٩.

(٦) الشنّ: القربة الخَلِق، مختار الصحاح ص ٢٧٦.

فقال: ذاك الصَّوْم بلغ بي هذا المقام.

١١٦ - [توبة لبيب العابد عن قتل الحيات]

وذكر القاضي أبو علي التَّنُوخِي[١]، قال: كان ينزل بباب الشام من الجانب الغربي ببغداد رجل مشهور بالزهد والعبادة، يُقال له: لبيب العابد. وكان النّاس ينتابونه[٢].

فحدثني لبيب، قال: كنت مملوكاً رومياً لبعض الجند، فربّاني وعلّمني العمل بالسلاح، فصرت رجلاً، ومات مولاي بعد أن أعتقني، فتوصَّلْتُ إلى أن جعلتُ رزقه لي، وتزوجت امرأته. وقد علمَ الله تعالى أنّي لم أرد بذلك إلا صيانتها. وأقمت معها مدة.

فاتَّفَقَ أنّي رأيت يوماً حيّة داخلة إلى حجرها، فأمسكت ذَنبها لأقتلها، فَوَثَبَت عليّ فنهشت يدي فشُلَّت، ومضى زمن طويل على هذا، فشُلَّت يدي الأخرى بغير سبب أعرفه، ثم جَفَّتْ رجلاَي، ثم عميتُ، ثم خَرِسْتُ. فكنت على هذه الحال سنةً كاملةً؛ لم يبق لي جارحة صحيحة إلاّ سمعي، أسمع به ما أكره؛ وأنا طريح على ظهري لا أقدر على كلام ولا إيماءٍ ولا حركة؛ أُسقَى وأنا ريَّان، وأترك وأنا عطشان، وأُطعم وأنا شبعان، وأُمْنَع وأنا جائع.

فلما كان بعد سنة دخلت امرأة على زوجتي، فقالت: كيف أبو عليّ لبيب؟ فقالت لها زوجي: لا حيّ فيُرجَى، ولا ميّت فيُسْلَى[٣].

فأقلقني ذلك، وآلم قلبي ألماً شديداً، فَبَكَيْت وضَجَجْت[٤] إلى الله تعالى في سرّي ودعوتُ، وكنت في جميع تلك العِلل لا أجد ألماً في نفسي. فلمّا كان في بقية ذلك اليوم ضَرَبَ عليَّ جسدي ضَرَباناً شديداً كاد يُتْلِفَني، ولم يزل على ذلك إلى أن دخل الليل

---

(١) هو المحسن بن علي (أبو القاسم) ابن محمد بن داود بن إبراهيم بن تميم التنوخي، البصري، ثم البغدادي، أبو علي، أديب شاعر، أخباري، ولد بالبصرة في ربيع الأول سنة (٣٢٧) هـ. وسمع بها من جماعة، ونزل بغداد، فأقام بها وحدّث، وولي القضاء بعدة نواحٍ، وتوفي ببغداد في المحرّم من سنة (٣٨٤) هـ. من آثاره: ديوان شعر، المستجاد من فعالات الأجواد، والفرج بعد الشدّة.
أنظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/١٥٦ - ١٥٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/٣٦، شذرات الذهب ٣/١١٢ - ١١٣، ومعجم المؤلفين ٨/١٨٥ - ١٨٦.
والتّنوخي، بفتح التاء المثناة من فوق، وضم النون المخفّفة، وقد تقدّم التعريف بهذه النسبة، وأنظر اللباب ١/٢٢٥.

(٢) أي: يأتون إليه مرّة بعد أخرى.

(٣) أي: فَيُنْسَى.

(٤) قال في مختار الصحاح ص ٦٤: «ضجَّ القوم، إضجاجاً: جلبوا وصاحوا، فإن جزعوا من شيء وغلبوا قيل: ضجّوا» أ هـ.

وانتصف، أو جار[1]، فسكن الألم قليلاً، فنمت.

فما أحسست إلا وقد انتَبَهْتُ وقت السّحر، وإحدَى يـديّ على صدري، وقـد كانت طول السنة مطروحة على الفراش لا تنشال، أو تُشال. فحرّكتُها فتحرّكت، ففـرحت فرحاً شديداً، وقوِي طمعي في تفضل الله بالعافية، فحرّكت الأُخْرَى فتحرَّكَت، فقبضت إحـدى رجلي فانقبضت، فرددتها فرجعت؛ وفعلتُ بالأخرَى مثل ذلك، فَرُمْت[2] الإنقلاب، فانقلبتُ وجلست؛ ورمتُ القيام فقمت، ونزلت عن السّرير الذي كنت مطروحاً عليه، وكان في بيت من الدار، فمشيت ألتمس الحائط في الظلمة إلى أن وقعت يـدي على الباب، وأنا لا أطمعُ في بصرِي. فخرجت إلى صَحْن الدار[3]، فرأيت السّماء والكواكب تُزْهِر، فكدت أموت فَرَحاً، وانطلَقَ لساني بأنْ قلت: يا قديم الإحسان، لك الحمد.

ثم صحت بزوجتي، فقالت: أبو علي؟! فقلت: السّاعةَ صرت أبا علي! اسرجي[4]؛ فأَسْرَجت؛ فقلت: جيئيني بمقراض، فجاءت به، فقصصت شارباً كان لي على زيّ الجند.

فقالت لي زوجتي: ما تصنع؟ الآن يعيبك رفقاؤك؛ فقلت: بعد هذا لا أخدم أحداً غير ربّي.

فانقطعتُ إلى الله ـ عزّ وجلّ ـ وخرجتُ من الدّار ولزمت عبادة ربي. قال: وكانت هذه الكلمة: «يا قديم الإحسان لك الحمد»، قد صارت عادته يقولها في حشو كلامه.

وكان يُقال: إنه مجاب الدعوة.

(١) أي: كاد.
(٢) أي: فأردت وطلبت.
(٣) أي: وسطه، مختار الصحاح ص ٢٧٨.
(٤) أي: أضيئي السّراج.

١١٧ - [توبة المعتصم[١] ورجوعه عن قتل تميم بن جميل]

قال[٢]: ووجدتُ في بعض الكتب: قال أحمد بن أبي دُؤاد[٣]: ما رأيت رجلاً قطّ أشرَفَ على الموت؛ فما شغله ولا أذهله عمّا يريد حتى بلَّغه وخلَّصه الله - عزّ وجلّ - إلّا تميم بن جميل، فإنّي رأيتُه بين يدَي المعتصم، وقد بُسِط له النِّطع[٤] وانتُضِيَ له السيف[٥]، وكان رجلاً جسيماً وسيماً. فأحبَّ المعتصم أن يستَنْطِقه لينظر أين منظره من مخبره.

فقال له: تكلَّم، فقال: أمّا إذ أذن أمير المؤمنين، فالحمد لله ﴿الذي أحسَنَ كلَّ شيءٍ خلَقَهُ، وبدأ خَلْقَ الإنسانِ من طينٍ. ثم جَعَلَ نَسْلَهُ منْ سُلَالَةٍ منْ مَاءٍ مَهين﴾[٦] يا أمير المؤمنين! جَبَر الله بك صَدْع الدين[٧]، ولمَّ بك شَعَثَ المسلمين[٨]، إن الذنوب تخرسُ الألسنة، وتخلع الأفئدة؛ وَايم الله! لقد عَظُمت الجَرِيرة[٩] وانقطعت الحجّة، وساء الظنّ، ولم يبقَ إلا عفوك أو انتقامك، ثم أنشأ يقول:

أرى الموتَ بين السَّيف والنِّطع كامِناً ... يلاحِظني منْ حيثُ ما أتلفَّتُ

وَأكبَرُ ظنّي أنكَ اليومَ قاتلي ... وأيُّ امرىءٍ مِمَّا قضى اللَّهُ يَفْلُتُ

وَأيُّ امرىءٍ يُدْلي بعذر وحجَّةٍ ... وَسَيفُ المنايا بينَ عَيْنَيْهِ مُصْلَتُ

---

(١) هو الخليفة محمد (المعتصم بالله) ابن هارون الرشيد بن محمد (المهدي) ابن عبدالله (المنصور) ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، يكنّى أبا إسحاق، ويقال له: الثماني، لأنه ولد بالخلد في سنة ثمانين ومائة في الشهر الثامن، وهو ثامن الخلفاء، والثامن من ولد العباس، وفتح ثمانية فتوح، واستخلف في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، ومات بالخاقاني من سرّ من رأى - التي بناها لما ضاقت بغداد بجنده، وانتقل إليها معهم -، وكان عمره ثمانياً وأربعين سنة. وكان شهماً شجاعاً، واسع الصدر، لينّ الجانب كريم الأعراق.
تاريخ بغداد ٣/٣٤٢ - ٣٤٧.

(٢) أي: القاضي أبو علي التنوخي.

(٣) هو قاضي المعتصم بالله ثم الواثق من بعده، وحامل لواء المحنة بفتنة خلق القرآن، وتقدَّمت ترجمته في ذكر توبة الواثق، وابنه المهتدي.

(٤) النطع فيه أربع لغات: نَطَع كطلع، ونَطِع كتبع، ونَطْع كدرع، ونِطْع كضلع، والجمع: نطوع، وانطاع، وهو بساط من الأديم. أنظر مختار الصحاح ص ٢٧٩. وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٥) أي: وسُلّ له السيف، مختار الصحاح ص ٥٤٦، وأساس البلاغة ص ٤٦١.

(٦) سورة السجدة، آية رقم /٧ - ٨.

(٧) أي: شق الدين وضعفه، أنظر أساس البلاغة ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٨) أي: تفرّقهم، أساس البلاغة ص ٢٣٦.

(٩) الجريرة الذنب والجناية والجريمة، أنظر أساس البلاغة ص ٥٦، ومختار الصحاح ص ١٣٠.

وما جَزَعي من أن أموتَ فإنَّني | لأعلمُ أنَّ الموت شيءٌ مُؤقَّتُ
ولكنَّ خَلْفي صِبْيَةً قدْ تركتُهمْ | وأكبادُهمْ من حَرِّها تَتَفتَّتُ
فإنْ عشتُ عاشوا سالمينَ بغِبْطَة | أذُودُ العِدَى عنهم وَإنْ متُّ موَّتُوا
كأنِّي أراهم حين أُنعَى إليهمُ | وقد لطموا تلك الخدود وصوَّتوا

قال: فاستعبَر المعتصم[1]، ثم قال: يا تميم، قد عفوتُ عن الهفوة، ووهبتُك للصِّبية.

ثم أمر به ففكّ حديده، وخلع عليه، وعقَد له على سقي الفرات.

١١٨ - [توبة لصّ من اللصوص عن التعرّض للناس]

أنبأنا الإمام أبو طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي[2]، أنا أبو الحسين بن الطُّيُوريّ، أنا أبو القاسم عبد العزيز بن عليّ بن أحمد بن الفضل، أنا أبو الحسن عليّ بن عبد الله بن الحسين بن جهضم، ثنا حبيب، ثنا الفضل بن أحمد، ثنا محمد بن مرزوق، قال: حدثني أبي، قال: حدثتني أمة الملك بنت هشام بن حسان، قالت:

خرج عطاء الأزرق إلى الجبّان يصلّي بالليل، فعرض له لصّ؛ فقال: اللهمّ اكفنيه. قال: فجفت يداه ورجلاه.

قال: فجعل يبكي ويصيح: والله لا أعود أبداً؛ قال: فدعا الله له فأُطلق. قال: فاتّبعه اللصّ، فقال له: أسألك بالله من أنت؟ قال: أنا عطاء.

فلما أصبح، سأل: تعرفون رجلاً صالحاً يخرج بالليل إلى الجبّان يصلي؟ قالوا: نعم، عطاء السُّلميّ[3].

قال: فذهب إلى عطاء السُّلمي إلى الخربة فدخل عليه، وقال: إنّي جئتك تائباً من قصّتي كذا وكذا، فادعُ الله لي، قال: فرفع عطاء السّلميّ يدَيه إلى السماء، وجعل يبكي، ويقول: ويحك، ليس أنا، ذاك عطاء الأزرق.

---

(١) أي: جرَت عَبْرَتُه.
(٢) السِّلَفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدّم التعريف بالإسم، وبالنسب.
(٣) هو عطاء السلمي المشهور، من كبار الخائفين بالبصرة، معاصر لسليمان التيمي، أدرك زمان أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري، وجعفر بن زيد وغيرهما، وعنه بشر بن منصور، وصالح المزي، وعبد الواحد بن زياد وغيرهم حكايات ولم يسند شيئاً.
قال ابن عدي: يعدّ من زهاد أهل البصرة، وله كلام دقيق في الزهد، لسان الميزان ٤/١٧٣ ـ ١٧٤. وحليه الأولياء ٦/٢١٥ ـ ٢٢٦.

١١٩ - [توبة يوسف بن أسباط[١] على يد شاب كان يعمل نبّاشاً]

أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن السّلمي، أنا أبو القاسم الحُسَيْني، أنا رشأ بن نظيف، أنا الحسن بن إسماعيل، أنا أبو بكر أحمد بن مروان، ثنا عمرو بن حفص الشَّيْبَانيّ، ثنا ابن خُبَيق[٢]، ثنا أبي، قال:

صحب يوسف بن أسباط فتى من أهل الجزيرة؛ فلم يكلّمه إلّا بعد عشر سنين، وكان يوسف يَرَى من جزعه وفزعه وعبادته آناءَ الليل والنّهار، فقال له يوسف: ما كان عملك؟ فإنّي لا أراك تهدأ من البكاء. فقال له: كنت نبّاشاً. فقال له يوسف: فأيّ شيء كنت ترى إذا وصلت إلى اللحد؟ قال: كنت أرى أكثرهم قد حوَّلوا وجوههم عن القبلة إلّا قليلاً.

قال يوسف: إلا قليلاً، فاختلط يوسف على المكان[٣]، وذهب عقله حتى كان يحتاج أن يُداوى.

قال ابن خُبَيْق: قال أبي: دَعَوْنا سليمان الطبيب ليداويَ يوسف؛ وكان يرجع إليه عقله أحياناً، فيقول: إلا قليلاً، فلم يزل به حتى داواه وصحّ. فلما فرغ وأراد أن يخرج سليمان الطبيب، قال يوسف: أي شيء تعطونه؟ قلنا: لا يريد منك شيئاً. قال: سبحان الله! جئتم بطبيب الملوك، ولا أعطيه شيئاً؟ قلنا: أعطه ديناراً. فقال: خذ هذا فادفعه إليه، وأَعْلِمه أنّي لا أملك غيره، لئلا يتوهّم أنّي أقلّ مروءة من الملوك، فدفع إليه صرّة فيها خمسة عشر ديناراً،

قال: فأخذتُها فدفعتها إليه، وجعل يوسف يعمل الخُوص[٤] بيده حتى مات.

قال أحمد بن مروان: ثنا محمد بن أحمد، ثنا ابن خُبيق، ثنا الهيثم بن جميل قال: حدّثني حبيب قال: قال يوسف بن أسباط:

ورثت عن أبي ضياعاً بخمسمائة ألف بالكوفة. فجرى بيني وبين عمومتي كلام،

---

(١) هو يوسف بن أسباط بن واصل، أبو محمد الشيباني، الزاهد الواعظ، سكن انطاكيّة، وكان من عباد أهل الشام وقرائهم، كان لا يأكل إلا الحلال المحض.
وكان مستقيم الحديث ربما أخطأ، وكان من خيار أهل زمانه. مات سنة خمس وتسعين ومائة، لسان الميزان ٣١٧/٦ - ٣١٨، وانظر حلية الأولياء ٢٣٧/٨ - ٢٥٣.

(٢) هو أبو محمد عبدالله بن خُبَيق، أحد الزهّاد.

(٣) كذا في المطبوعة، والمقصود: على الحال.

(٤) الخوص: ورق النخل، مختار الصحاح ص ٢٢٦، والمقصود أنه كان يصنع منها بعض الأشياء، كالبُسُط وغير ذلك، أساس البلاغة ص ١٢٢.

فشاورت الحسن بن صالح[1]، فقال لي: ما أرى لك أن تخاصمهم؛ إنها من أرض الخراج، فتركتها لله ـ عزّ وجلّ ـ وأنا محتاج إلى فلس، أو كما قال.

١٢٠ ـ [توبة نبَّاش عن نبش القبور]

أنبأنا عبد الرحمٰن بن عليّ الإمام[2]، قال: أنا إبراهيم بن دينار الفقيه، أنا إسماعيل بن محمد بن ملة، أنا عبد العزيز بن أحمد، أنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيّان، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسين[3]، ثنا أبو موسى الطَّرَسُوسي[4]، ثنا هارون بن زياد المِصِّيصيّ[5]، ثنا أبو اسحاق الفَزَاري[6]، قال:

كان رجل يُكْثِر الجلوس إلينا، ونِصفُ وجهه مغطّى، فقلت له: إنّك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى، أطلعني على هذا؟ فقال: تعطيني الأمان؟ قلت: نعم.

قال: كنتُ نباشاً فدُفِنَت امرأة، فأتيتُ قبرها، فنبشت حتى وصلت إلى اللَّبِن. ثم رفعتُ اللَّبِن، فضربت بيدي إلى الرِّداء؛ ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها. فجعلَت تمدّها هي؛ فقلت: أتراها تغلبني؟ فجثيتُ على ركبتي؛ فمددتُ، فرفَعَتْ يدَها فلطمتْني، وكشفَ وجهَه، فإذا أثر خمس أصابع في وجهه.

فقلت له: ثمّ مه؟ قال: ثم رددتُ عليها لفافتها وإزارها، ثم رددتُ التّراب؛ وجعلتُ على نفسي أن لا أنبش ما عشتُ.

---

(١) هو الحسن بن صالح بن صالح بن حيّ، الهمْداني ـ بسكون الميم ـ، الثوري، ثقة، فقيه، عابد، رمي بالتشيع، من أتباع التابعين، مات سنة تسع وتسعين ومائة، وكان مولده سنة مائة. التقريب ١/١٦٧.

(٢) أي: ابن الجوزي.

(٣) في نسخه: إبراهيم بن محمد بن الحسن.

(٤) الطَّرَسُوسي: بفتح الطاء والراء، وضم السين المهملة، وسكون الواو، وفي آخرها سين ثانية، هذه النسبة إلى طَرَسُوس، وهي مدينة مشهورة، كانت ثغراً من ناحية بلاد الروم ساحل البحر الشامي، وهي الآن بيد الأرمن النصارى، أعادها الله ـ تعالى ـ إلى الإسلام ـ آمين ـ، اللباب ٢/٢٧٩.

(٥) المِصِّيصِي: بكسر الميم والصاد المشددة، وسكون الياء تحتها نقطتان، وفي آخرها صاد مهملة ثانية، هذه النسبة إلى المِصِّيصة، مدينة على ساحل البحر، ينسب إليها كثير من العلماء، اللباب ٣/٢٢١.

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، أبو إسحاق الكوفي، نزل الشام، وسكن المِصيصة، وحدّث بها، وكان من أصحاب الإمام الأوزاعي ومعاصرية، وهو: إمام ثقة حافظ، له تصانيف. مات سنة خمس وثمانين ومائة، وقيل بعدها، تهذيب التهذيب ١/١٥١ ـ ١٥٣، والتقريب ١/٤١.

قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي[1]. فكتب إليّ الأوزاعي: ويحك! سله عمّن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة، أحُوِّل وجهه أم ترك وجهه إلى القبلة؟.

قال: فجاءني الكتاب؛ فقلت له: أخبرني عمّن مات من أهل الإسلام. أتُرك وجهه على ما كان، أم ماذا؟ فقال: أكثر ذلك حوِّل وجهه عن القبلة.

فكتبتُ بذلك إلى الأوزاعي. فكتبَ إليّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون ـ ثلاث مرّات ـ، : أما من حُوِّل وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السُّنَّة.

١٢١ ـ [توبة شابّ مُسْرف على نَفْسه على يد إبراهيم بن أدهم]

وروي أن رجلاً جاء إلى إبراهيم بن أدهم، فقال له: يا أبا اسحاق[2]! إنّي مسرف على نفسي، فاعرض عليّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً لقلبي.

قال: إن قبلتَ خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، ولم تُوبقك[3] لذّة.

قال: هات يا أبا اسحاق!.

قال: أما الأولى، فإذا أردتَ أن تعصيَ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فلا تأكل رزقه. قال: فمن أين آكل وكلّ ما في الأرض من رزقه؟.

قال له: يا هذا، أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتعصيَه؟.

قال: لا؛ هات الثانية.

قال: وإذا أردتَ أن تعصيَه فلا تسكن شيئاً من بلاده. قال الرجل: هذه أعظم من الأولى، يا هذا، إذا كان المشرق والمغرب وما بينَهُما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا! أفيحسنُ أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟.

قال: لا؛ هات الثالثة.

قال: إذا أردت أن تعصيَه، وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعاً لا يراك فيه مبارِزاً له، فاعصه فيه. قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهو مطّلع على ما في السرائر؟!.

---

(١) هو الإمام الجليل عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي.
أبو عمرو الأوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والحديث والزهد، ولد في بعلبك سنة(٨٨) هـ.، ونشأ في البقاع، ثم سكن بيروت مرابطاً، وبها توفي سنة (١٥٧) هـ. وكان عظيم الشأن، طُلِب للقضاء فأمتنع، تذكرة الحفاظ ١٧٨/١ ـ ١٨٣، والتقريب ٤٩٣/١.

(٢) هي كنية إبراهيم بن أدهم، وقد سبقت ترجمته.

(٣) أي: و لم تهلكك.

قال: يا هذا، أفيحسن أن تأكل رزقه، وتسكن بلاده، وتعصيه وهو يراك ويرى ما ه به؟!.

قال: لا؛ هات الرابعة.

قال: إذا جاءك ملَك الموت ليقبض روحك، فقل له: أخِّرني حتى أتوب توبة ...وحاً، وأعمل لله عملاً صالحاً. قال: لا يقبل منّي.

قال: يا هذا، فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم ...له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟!

قال: هات الخامسة.

قال: إذا جاءتك الزَّبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النّار فلا تذهب معهم. قال: لا ...وني ولا يقبلون منّي.

قال: فكيفَ ترجو النّجاة إذاً؟!

قال له: يا إبراهيم، حَسْبي، أنا أستغفر الله وأتوب اليه.

ولزمه في العبادة حتى فرَّق الموتُ بينهما.

١٢٢ - [توبة صاحب مِقْثَأَة[1] على يد شاب دمشقي]

أنبأنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفيّ[2] إجازةً، أنا أبو الحسين بن الطُّيوريّ، أنا مسعود بن ...صر السِّجِسْتَانيّ، أنا أبو حازم عمر بن أحمد العَبْدُوِي[3]، أنا علي بن عبد الله بن جهضم، أنا أبو الطيب محمد بن جعفر، ثنا يحيى بن الحسن الرَّازي[4]، ثنا معروف

---

(١) المقثأة: موضع القِثّاء، وهو: الخيار، والواحدة قثاءة، مختار الصحاح ص ١٢، وأساس البلاغة ص ٣٥٥.

(٢) السِّلَفي: بكسر السين، وفتح اللام، وقد تقدم بيان ذلك.

(٣) في المطبوعة: أبو حازم عمر بن أحمد العَبْدِي، وهو خطأ وإنما هو العَبْدُوِي.

وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه العبدُوَيّ، كان إماماً، رحل في طلب الحديث، فسمع أبا بكر الإسماعيلي، وخلقاً كثيراً، روى عنه الخطيب أبو بكر البغدادي، وتوفي يوم عيد الفطر، سنة سبع عشرة وأربعمائة.

والعَبْدُوِي: بفتح العين، وسكون الباء، وضم الدال وسكون الواو، وفي آخرها ياء مثناة من تحتها، هكذا يقوله المحدِّثون، هذه النسبة إلى عبدُويه ـ بضم الدال ـ،

وأمّا النحاة، فيقولون: عَبْدَوي: بفتح العين والدال.

أنظر اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٣١٣ ـ ٣١٤.

(٤) في نسخة: يحيى بن الحسين الرازي.

الكَرْخي[1] قال:

رأيت في البادية شاباً حسن الوجه، له ذؤابتان[2] حسنتـان، وعلى رأسه رداء وعليه قميص كتّان، وفي رجليه نعل طاق.

قال معروف: فتعجّبت منه في مثل ذلك المكان، ومن زيّـه. فقلت: السّلام ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السَّـلام ورحمة الله وبركـاته يـا عمّ، فقلت: أين؟ قال: من مدينة دمشق. قلت: متى خرجت منها؟ قال: ضحْوَة النهار.

قال معروف: فتعجبت، وكان بينه وبين الموضع الذي رأيته فيه مراحل كثيرة

فقلت: له: وأين المقصد؟ قال: مكة. فعلمت أنـه محمول، فـودعته ومضى أره حتى مضت ثلاث سنين.

فلما كان ذاتَ يوم وأنا جالس في منزلي أتفكر في أمره وما كان منه، إذا بإنسـ الباب، فخرجت إليـه، فإذا بصـاحبي، فسلّمت عليه، وقلت: مـرحبـاً وأهـلاً؛ فـ المنزل، فرأيته منقطعاً والهاً[3] تالفاً، عليه زُرْمانِقة[4]، حافياً حاسراً.

فقلت: هيه! أيش الخبر؟ قـال: يا أستـاذ، لا طَفَني حتى أدخلني الشَّبَكة فـ فمرةً يلاطفني، ومـرة يهدّدني، ويجيعني مـرّة، ويكرمني أخـرى، فليته أوقفني على أسرار أوليائه، ثمّ ليفعل بي ما يشاء.

قـال معروف: فـأبكاني كـلامه، فقلت لـه: فحـدّثْني ببعض مـا جـرى عليـ فارقتني.

قال: هيهاتَ أن أبديهَ، وهو يريد أن يخفيه، ولكن بدياً ما فعل بي في طريقي يا مولاي وسيّدي، ثم استفرغه البكاء. فقلت: وما فعل بك؟

قال: جوّعني ثـلاثين يومـاً؛ ثم دخلت إلى قريـة فيها مقثـأة، وقد نُبـذ منها المدوّد

---

(١) هو معروف بن فيروز الكرخي، أبو محفوظ، أحد أعلام الـزهّاد، تـوفي سنة (٢٠٠) هـ. من أقـواله: إذا أراد الله بعبد خيراً، فتـح الله عليه بـاب العمل، وأغلق عنـه باب الجـدل، وإذا أراد بعبد شـر أغلق عليه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل، أنظر حلية الأولياء ٨/٣٦٠ ـ ٣٦٨.

(٢) ذؤابتان: تثنية ذُؤَابة، وهي الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر، أساس البلاغة ص ١٤٠.

(٣) الوَلَه: الحـزن، أو ذهاب العقـل حزنـاً، والحيرة، أنـظر مختار الصحـاح ص ٤٨٤، وأساس البـلاغة ص ٥٠٩.

(٤) الزرمانقة: جبّة صوف، قال أبو عبيد: أراها عبرانيّـة ـ أي: هي كلمة عبـرانية ـ ، وقيـل: هو فـارسيّ معرّب، وأصله: اشتربانه، أي: متاع الجمّال، مختار الصحاح ص ٣١٩.

وطرح، فقعدت آكل منه. فبصُرَ بي صاحب المقثأة، فأقبل إليّ يضرب ظهري وبطني، ويقول: يا لصّ، ما خرَّب مقثأتي غيرك، منذُ كمْ أنا أرصدك[1] حتى وقعت عليك.

فبينا هو يضربني، إذ أقبل فارس نحوه مسرعاً، وقلَب السَّوْط في رأسه، وقال: تعمد إلى وليّ من أولياء الله تعالى تقول له: يا لصّ؟ فأخذ صاحب المقثأة بيدي فذهب بي إلى منزله، فما بقي من الكرامة شيئاً إلا عمله بي؛ واستحلّني، وجعل مقثأته لله ولأصحاب معروف.

فقلت له: صف لي معروفاً، فوصفك لي، فعرفتك بما كنت شاهدتُه من صفتك.

قال معروف: فما استتمّ كلامه حتى دقّ صاحب المقثأة الباب ودخل، وكان موسراً، فأخرَج جميع ماله، وأنفقه على الفقراء، وصحب الشابّ سَنَة، وخرجا إلى الحج، فماتا في «الرَّبَذَة»[2] رحمة الله عليهما.

١٢٣ - [توبة عاص في جوف الليل وموته لسماع آية من القرآن فيها ذكر النّار]

أخبرنا محمد، أنا حمد، ثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: حدثني محمد بن إسحاق الثَّقَفِي، حدثني أحمد بن موسى الأنصاريّ، عن منصور بن عمّار، قال:

حججتُ حَجّةً، فنزلتُ سكّة من سكك الكوفة. فخرجت في ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ في جوف الليل، وهو يقول: إلهي! وعزّتك وجلالك ما أردت بمعصيتي مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكنْ خطيئةٌ عرضتْ لي، أعانني عليها شقائي، وغرَّني سترك المرخَى عليّ، وقد عصيتك بجهدي، وخالفتك بجهلي، ولك الحُجّة عليّ؛ فالآن من عذابك من يستنقذني؟ وبحبل من أتصل إذا قطعتَ حبلك منّي؟ واشباباه! واشباباه.

قال: فلمّا فرغ من قوله، تلوتُ آية من كتاب الله: ﴿ناراً وَقُودُها النَّاسُ والحجارَةُ عليها ملائكةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ . . . الآية[3]. فسمعتُ حركةً شديدة، ثمّ لم أسمع بعدها حِسّاً، فمضيتُ.

---

(١) أي: أراقبك.

(٢) هي قرية من قرى مدينة رسول الله ﷺ، وبها توفيّ أبو ذرّ الغفّاري رضي الله عنه، ودفن فيها، اللباب ١٥/٢.

(٣) سورة التحريم، آية رقم /٦، وتمام هذه الآية: ﴿يا أيُّها الذينَ آمنوا قوُا أنْفُسَكُمْ وأهليكُم ناراً وَقُودُها الناسُ والحجارَةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرَهُم ويَفْعلونَ ما يُؤْمَرُون﴾.

فلمّا كان من الغد رجعتُ في مَدْرَجَتِي[1]، إذا بجنازة قد وُضِعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتني، فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه، مرّ بابني البارحة، وهو قائم يصلّي، فتلا آية من كتاب الله؛ فلما سمعها ابني تفطّرت مرارته فوقع ميتاً.

١٢٤ ـ [توبة امرأة عن الغناء والعود، وتوبة مولاها على يدها]

وجدت في كتاب عن سريّ السقطي[2]، أنّه قال: ضاقت عليَّ نفسي يوماً، فقلت في نفسي: أخرج إلى المارَستان[3]، وأنظر إلى المجانين فيه، وأَعْتَبِر بأحوالهم.

فخرجت إلى بعض المارستانات، وإذا بامرأة مغلولة يدها إلى عنقها، وعليها ثياب حسان، وروائح عطرة، وهي تنشد:

أُعيذُكَ أن تَغُلَّ يدي ... بغير جريمةٍ سَبَقتْ
تَغُلُّ يدي إلى عُنقي ... وَما خانتْ ولا سرقت
وَبَينَ جوانحي كبدٌ ... أُحِسُّ بها قد احترقتْ
وحقِّكَ يا مَدَى أَمَلي ... يميناً برَّةً صدَقَت
فلو قطَّعتها قِطَعاً ... وحقِّك عنك لانطقت

فقلت لصاحب المارستان: ما هذه؟ فقال: مملوكةٌ خُبِل عقلها، فحبست لتصلح.
فلما سمعت كلامه أنشدت:

معشرَ النّاسِ مَا جُننْتُ ولكنْ ... أنا سكرانةٌ، وقلبي صاحِ
لِمْ غَللْتُم يدي ولم آتِ ذَنباً ... غير هتكي في حُبِّه وافتضَاحي
أنا مفتونةٌ بحبِّ حَبيب ... لستُ أبغي عن بابه من براح
فصلاحي الذي زعمتم فسادي ... وفسادي الذي زعمتم صلاحِي
ما على من أحبَّ مولى الموَالي ... وارتضاهُ لنفسه منْ جُناح

قال سريّ: فسمعتُ كلاماً أبكاني.

فلما رأتْ دموعي، قالت: يا سريّ، هذه دموعك على الصِّفة، فكيف لو عرفتَه حقّ المعرفة؟

---

(١) أي: في طريق زمنـ[illegible]ـبي الذي سلكته، أنظر مختار الصحاح ص ٦٢.
(٢) هو سرّي السقطي، الزاهد المعروف، تقدمت ترجمته.
(٣) المارَستان ـ بفتح الراء ـ: دار المرضى، وهو معرّب، مختار الصحاح ص ٢١٣.

فقلت: هذا أعجب، من أين عرَفتني؟

قالت: ما جهلت منذ عرفت أن أهل الدَّرجات يعرف بعضهم بعضاً.

فقلت: يا جارية أراكِ تذكرين المحبة، فلمن تُحبّين؟

قالت: لمن تعرَّف إلينا بآلائه[1]، وتحبَّب إلينا بنعمائه، وجادَ علينا بجزيل عطائه؛ فهو قريب، إلى القلوب مجيب، تسمّى بأسمائه الحسنَى، وأمرنا أن ندعوَه بها؛ فهو حكيم كريم، قريب مجيب.

قال: فقلت لها: فِيم حُبِست؟.

فقالت: قومي عابوا عليَّ ما سمعت منّي[2].

فقلت لصاحب المارستان: أطلقها. ففعل؛ فقلت: إذهبي حيث شئت. فقالت: إنَّ حبيبَ قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإنْ رضي مالكي. وإلا صبرت واحتسبت.

فقلت: هذه والله أعقل منّي، فجاء مالكها ومعه ناس كثير، فقال لصاحب المارستان: وأين بدعة[3]؟ فقال: دخل عليها سري فأطلقها.

فلما رآني عظّمني؛ فقلت: هي والله أولى بالتعظيم منّي، فما الذي تنكر منها؟ فقال: كثرة فكرتها، وسرعة عَبرتها[4] وزفرتها[5] وحنينها؛ فهي باكية راغبة، لا تأكل مع من يأكل، ولا تشرب مع من يشرب؛ وهي بضاعتي اشتريتها بكل مالي ـ بعشرين ألف درهم ـ، وأمّلت أن أربح فيها مثل ثمنها.

فقلت: وما كانت صنعتها؟ قال: مطربة. قلت: ومنذ كم كان بها هذا الدّاء؟ فقال: منذ سنة. قلت: ما كان بدؤه؟ قال: كان العود في حجرها وهي تغني، وتقول:

وَحقِّكَ لانقَضْتُ الدَّهر عَهداً ... وَلا كدَّرْتُ بعدَ الصفو وُدّاً
مَلأت جوانِحِي والقلبَ وَجْداً ... فكيفَ أقرُّ أَوْ أسلو وأهدَا
فيامَنْ ليسَ لي مولىً سِوَاهُ ... تُراكَ تَركتَني في النَّاسِ عبْدَا

قال: فكَسَرَتِ العود وقامت وبكت. فاتهمتها بمحبَّة إنسان. فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثراً. قال: فقلت لها: هكذا كان؟ فقالت:

---

(١) أي: نعمه.
(٢) في المطبوعة: منهم، وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام.
(٣) هو اسم المرأة.
(٤) قال في مختار الصحاح ص ١٦٢: «العَبرة: تحلّب الدمع، وعَبَر الرجل والمرأة: جرَى دمعه» أ هـ.
(٥) أي: تنفسها. أنظر مختار الصحاح ص ١٤٦.

خاطبني الوعظُ من جَنَاني[1] وكانَ وعظي على لساني
قرَّبني منهُ بعدَ بُعْدٍ وخصَّني اللهُ واصطفَاني
أجبتُ لمَّا دُعِيتُ طَوْعاً مُلَبِّياً للذي دَعاني
وخِفْتُ مما جَنيتُ قِدْماً فوقعَ الحُبِ بالأَمَانِ

قال: فقلت له: عليّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وافقراه! من أين لك ثمن هذه؟ فقلت: لا تعجلْ عليّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمنها، ثم مضيت وعينيَّ تدمع، وقلبي يخشع. وبِتُّ ولم أطعم غمضاً، ووالله ما عندي درهم من ثمنها.

وبقيت طول ليلتي أتضرع إلى الله تعالى، وأقول: يا رب! إنّك تعلم سرّي وجهري، وقد اتكلت على فضلك، وعوّلت عليك، فلا تفضحني. فبينما أنا عند السحر إذا بقارع يقرع الباب. فقلت: مَن بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتَى في سبب من الأسباب، من الملك الوهّاب. ففتحتُ الباب، فإذا برجل معه خادم وشمعة. فقال: يا أستاذ! أتأذن لي بالدخول؟ فقلت: ادخل، من أنت؟

قال: أنا أحمد بن المثنّى، قد أعطاني مالك الدّار فأكثر؛ كنت الليلة نائماً، فهتف بي هاتف في المنام: إحمل خمس بَدَرات[2] إلى سريّ، يعطيها لمولى بدعة، يكفّها من الأسر ومن رقّ العبودية السّاعة؛ فلنا بها عناية. فجئت مبادراً بهذا المال، فاصنع به ما شئت.

قال: فخررتُ لله ساجداً وارتقبت الصبح.

فلما تعالى ضوء النّهار، أخذت بيد أحمد ومضيت به إلى المارستان. فإذا الموكَّل به يلتفت يميناً وشمالاً. فلما رآني قال: مرحباً! ادخل، فإنّ لها عند الله عناية؛ هتف بي البارحَة هاتف، وهو يقول:

إنّها مِنَّا ببالٍ ليسَ تخلو مِنْ نوال
قَرُبَتْ ثُمَّ تسمَّت وعلت في كلِّ حال

فحفظتُ هذا القول وكرّرته إلى أن أتَيْتُم. فدخلتُ عليها وهي تقول:

قدْ تصَبَّرْتُ إلى أنْ عِيلَ في حُبِّكَ صبري
ضاقَ من غُلِّي وقيدي وامتهاني فيك صدْري
ليس يخفَى عَنْك أمري يا مُنَى قلبي وذُخري

---

(١) من قلبي.

(٢) بدرات: جمع بَدْرَة، والبدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم مختار الصحاح ص ١٤٢.

أنت لي تعتقُ رقي وتفكُ اليومَ أسري

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلت له: قد جئناك بما ورثت وربح خمسة آلاف. فقال: لا والله! فقلت: بربح عشرة آلاف فقال: لا. فقلت: بربح المثل. فقال: لو أعطيتني الدنيا ما قبلت، وهي حرّة لوجه الله تعالى.

فقلت له: ما القصّة؟ فقال: يا أستاذ! وُبِّخْتُ البارحةَ، أُشْهِدك أنّي خارج من جميع مالي، وهارب إلى الله تعالى؛ اللهمّ كُنْ لي بالسّعة كفيلاً، وبالرزق جميلاً.

فالتفتُّ إلى ابن المثنّى فرأيته يبكي، فقلت له: ما بكاؤك؟ فقال: ما رضيَ بي المولَى لما ندبني إليه؛ أشهدك أنّي قد تصدّقت بجميع مالي لوجه الله تعالى.

فقلت: ما أعظمِ بركة بدعةَ على الجميع، فقامت بدعة، فنزَعَت ما كان عليها، ولبست مدرعة من الشّعر، وخرجت وهي تقول:

هربت منهُ إليه بكَيت منهُ عليه
وحقّه فهوَ مولىً لا زلتُ بين يدَيه
حتى أنال وأحظى بما رَجوتُ لديه

قال سريّ: فأقمت بعد ذلك مدّة حتى مات مولاها. فبينا أنا أطوف بالكعبة، وإذا أنا بصوت محزون من كبد مقروحة، وهو يقول:

قد تشَهَّرتُ بحبِّكْ كيفَ لي منك بقُربك
كيف بي يا نفسُ إن وا خذكِ اللّهُ بذنبكْ
لم يُقاسي أحدٌ يا نفسُ كرباً مثل كربِكْ
فسَلِي رَبَّكِ يأتِيـ ـك الرّضى من عند ربكْ

قال: فتبعت الصّوت فإذا امرأة كالخيال. فلما رأتني قالت: السّلام عليك يا سريّ؛ فقلت: وعليكِ السّلام، من أنتِ؟ فقالت: لا إله إلا الله، وقع التناكر بعد المعرفة، أنا بدعة.

فقلت: ما الذي أفادك الحقّ بعد انفرادك عن الخلق؟ فقالت: أفادني كل المُنَى. وأنشدت:

يا من رأىَ وَحْشَتي فآنسني بالقُرْب من قُربِه فأنْعَشَنِي
هربتُ من مَسْكَني إلى سَكَني نعم ومن مَوْطِني إلى وَطَنِي
يا سَكني لا خَلَوْتُ من سَكَني دهري ويا عُدَّتي على الزَّمن

أَوْحَشَنِي ما فقدت منه فقدْ عاد بإحسانِهِ فآنَسَني
وعدتُ أيضاً وعاد منعطفاً كذلك مُذْ كانَ منه عوَّدَني

ثم قالت: لا حاجة لي بالبقاء، فخذني إليك.

قال: فحرَّكتها فإذا هي ميّتة ـ رحمة الله عليها.

* * *

ذكر خبر جماعة
ممن اسلم

١٢٥ - [توبة أبي إسماعيل النصراني وإسلامه]

أنبأتنا شهدة بنت أحمد بن الفرج الإبَرِيّ قالت: أنا جعفر بن أحمد السَّرّاج، ثنا جعفر الخُلّدِي[١]، ثنا أحمد بن مسروق، ثنا محمد بن الحسين، ثنا عبد الله بن الفرج العابد، قال:

كان بالموصل رجل نصراني يكنّى أبا إسماعيل. قال: فمرَّ ذات ليلة برجل وهو يتهجد على سطحه، وهو يقرأ: ﴿ولهُ أَسْلَمَ مَنْ في السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وإلَيْهِ يُرْجَعُون﴾[٢]، قال: فصرخ أبو إسماعيل صرخة غشي عليه، فلم يزل على حاله تلك حتى أصبح.

فلما أصبح أَسْلَم، ثم أتَى فتحاً الموصليّ[٣] فاستأذنه في صحبته، فكان يصحبه ويخدمه.

قال: فبكى أبو اسماعيل حتى ذهبت إحدى عينيه وعشي من الأخرى[٤]. فقلتُ له يوماً: حدِّثني ببعض أمر فتح، قال: فبكى، ثم قال: أخبرك عنه، كان والله كهيئه،

---

(١) قال في اللباب ٤٥٦/١: «الخُلْدِي: بضم الخاء، وسكون اللام، وفي آخرها دال مهملة، هذه النسبة إلى الخُلْد، وهي محلّة ببغداد.

وأما جعفر بن محمد بن نصير - وهو الراوي هنا - الخُلْدي الخوّاص، أبو محمد، أحد مشايخ الصوفية، له كرامات ظاهرة، فإنّما قيل له الخلدي لأنه كان يوماً عند الجُنيد، فسُئِل الجنيد عن مسألة، فقال الجنيد أجبهم، فأجابهم، فقال - أي الجنيد - : يا خُلْدي من أين لك هذه الأجوبة؟! فبقي عليه.

روى عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، روى عنه أبو حفص بن شاهين، والدارقطني وغيرهما، ومات في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وكان ثقة» أ هـ.

(٢) سورة آل عمران، آية رقم /٨٣.

(٣) هو فتح بن سعيد الموصلي، أبو محمّد، من عباد أهل الجزيرة، ومتقشّفيهم، أنظر الثقات لابن حبان ٣٢٢/٧، والحلية ٢٩٢/٨ - ٢٩٤.

(٤) أي: ضعف بصره في الأخرى، مختار الصحاح ص ٥٢٦.

الرُّوحَانيِّين، معلّق القلب بما هناك، ليست له في الدنيا راحة.

قلت:

عليّ ذاك.

قال: شهدت العيد معه ذات يوم، ورجع بعد ما تفرّق النّاس، ورجعت معه. فنظر إلى الدّخان يفور من نواحي المدينة، ثم بكَى، ثم قال: قد قرَّب النّاس قربانهم، فليتَ شعري ما فعلتَ في قرباني عندك أيها المحبوب؛ ثم سقط مغشياً عليه.

فجئت بماءٍ فمسحت به وجهه فأفاق[1]، حتى دخل بعض أزقّة المدينة، فرفع رأسه إلى السّماء، ثمّ قال: قد علمتَ طول غمّي وحزني وترداد في أزقَّة الدنيا، فحتّى متى تحبسني أيها المحبوب؟ ثم سقط مغشياً عليه.

فجئت بماءٍ فمسحته على وجهه، فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أياماً حتى مات ـ رحمه الله.

١٢٦ ـ [توبة شابّ نصراني وإسلامه]

أنبأنا الحافظ أبو طاهر السِّلَفي[2]، أنا أبو الحسين بن الطُّيُوريّ، أنا عبد العزيز بن عليّ، أنا عليّ بن عبد الله الصُّوفي، ثنا محمد بن داود قال: حدثني حامد الأسود ـ صاحب إبراهيم الخوّاص[3]، قال:

كان إبراهيم، إذا أراد سفراً، لم يحدّث به أحداً ولم يذكره؛ وإنّما يأخذ ركوته[4] ويمشي.

فبينا نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى. فاتّبعته، فلم يكلمني، حتى وافينا الكوفة. فأقام بها يومه وليلته.

ثم خرج نحو القادسية[5]. فلما وافاها، قال لي: يا حامد، إلى أين؟ قلت: يا سيدي! خرجت بخروجك. قال: أنا أريد مكة إن شاء الله، قلت: وأنا إن شاء الله أريد مكّة، فمشينا يومنا وليلتنا.

---

(١) في المطبوعة: فما أفاق، والمثبت هو الموافق لسياق الكلام، وهو كذلك ـ أي: فأفاق ـ على الصواب ـ في نسخ.

(٢) السِّلَفي: بكسر الين، وفتح الميم، وقد تقدم بيان ذلك.

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخَواص، أبو إسحاق، من كبار الصوفيّة، تقدّمت ترجمته.

(٤) الركوة: إناء للماء، وجمعها رِكاء ورَكَوات ـ بفتح الكاف مختار الصحاح ص ٥١٠.

(٥) هي قرية عند الكوفة، بها كانت الوقعة المشهورة زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ، اللباب ٣/٦.

فلما كان بعد أيام إذا شابٌ قد انضمّ إلينا في بعض الطريق. فمشى يوماً وليلة لا يسجد لله ـ عزَّ وجلّ ـ سجدة. فعرَّفت إبراهيم، وقلت: إنّ هذا الغلام لا يصلّي.

فجلس، وقال له: يا غلام! مالَك لا تصلي، والصَّلاة أوجب عليك من الحجّ. فقال: يا شيخ! ما عليّ صلاة. قال: ألست برجل مسلم؟ قال: لا. قال: أيّ شيء أنت؟ قال: نصرانيّ، ولكن إشارتي في النصرانية إلى التوكّل؛ وادّعتْ نفسي أنّها قد أحكمت حال التّوكّل فلم أصدّقها فيما ادّعت، حتى أخرجتُها إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود غير المعبود، أثير ساكني وأمتحن خاطري.

فقام إبراهيم ومشى، وقال: دعهُ يكون معك. فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا «بطن مَرّ» فقام إبراهيم ونزع خُلْقانه[1] وطهّرها بالماء، ثمّ جلس وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. فقال: يا عبد المسيح[2]! هذا دهليز[3] مكة، وقد حرّم الله على أمثالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إنّما المُشْرِكونَ نجسٌ فلا يَقْرَبُوا المسجدَ الحَرَامَ بعدَ عَامِهِمْ هَذا﴾[4] والذي أردتَ أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، فاحذَرْ أن تدخل مكّة، فإنْ رأيناك بمكة أنكَرْنا عليك.

قال حامد: فتركناه ودخلنا مكّة، وخرجنا إلى الموقف. فبينا نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان وهو مُحرم، يتصفّح الوجوه حتى وقف علنيا، فأكبّ على إبراهيم يقبل رأسه. فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهاتَ! أنا اليوم عبدُ مَنِ المسيح عبدُهُ.

فقال له إبراهيم: حدِّثني حديثك.

فقال: جلستُ مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج[5]، فقمتُ وتنكّرت في زيّ المسلمين كأنّي محرم. فساعة وقعت عيني على الكعبة اضمحلّ عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمتُ واغتسلتُ وأحرمتُ. وها أنا أطلبك يومي، فالتفتَ إلينا إبراهيم وقال: يا حامد!

---

(١) أي: ثيابه الخَلِقَة البالية، أنظر مختار الصحاح ص ٣١٥.

(٢) هذه التسمية وقبيلها لا تجوز في شرعنا فإن لفظة عبد إذا أضيفت في شرعنا، إنما تضاف إلى لفظ الجلالة: الله، أو إلى اسم من أسمائه، الحسنى، وما سوى ذلك لا يجوز مطلقاً مثل: عبد النبي، وعبد الحسين وغير ذلك.

(٣) أي: طريق.

(٤) سورة التوبة، آية رقم /٢٨.

(٥) أي الحجّاج،

انظر إلى بركة الصِّديق في النَّصرانية، كيف هـداه إلى الإسلام، وصحبنـا، حتَّى مات بين الفقراء ـ رحمه الله.

١٢٧ ـ [توبة عابد صنم وإسلامه]

وحُكي عن عبد الواحد بن زيد، قال: كنت في مركب، فطرحتنا الرِّيح إلى جزيرة، وإذا فيها رجل يعبد صنماً. فقلنا له: يا رجل، مَنْ تعبد؟ فأومأ إلى الصنم.

فقلنا إنّ معنا في المركب من يُسَوِّي[1] مثل هذا، وليس هذا إله يُعبد.

قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الله.

قال: وما الله؟ قلنـا: الذي في السمـاء عرشُـه، وفي الأرض سلطانه، وفي الأحيـاء والأموات قضاؤه.

فقال: كيف علمتم به؟ قلنا: وجّه إلينا هذا الملِك رسولاً كريماً فأخبر بذلك.

قال: فما فَعَل الرّسول؟ قلنا: أدّى الرّسالة ثم قبضه الله.

قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى، ترك عندنا كتاب الملِك.

فقـال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حساناً.

فأتيناه بالمصحف، فقال: ما أعرف هـذا. فقرأنـا عليه سـورة من القرآن، فلم نـزل نقـرأ ويبكي حتى ختمنا السّـورة. فقـال: ينبغي لصـاحب هـذا الكـلام أن لا يُعْصَى، ثمّ أسلم.

وحملناه معنا، وعلّمناه شرائع الإسلام، وسوراً من القرآن. وكنّا حين جنَّنا الليل[2]، وصلّينا العشاء، وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يـا قوم! هـذا الإله الـذي دللتموني عليـه، إذا جنّه الليل ينام؟ قلنا: لا، يا عبد الله، هو عظيمٌ قيّوم لا ينام.

قال: بئس العبيد أنتم، تنـامون ومولاكم لا ينام؟ فأعجبنا كلامَه.

فلمّا قدمنا «عبَّادان»[3] قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام. فجمعنـا له دراهم وأعـطيناه. فقـال: ما هـذا؟ قلنا: تنفقهـا. فقال: لا إلـه إلّا الله! دللتموني على طـريقٍ ما سلكتمـوها؛ أنـا كنت في جزائـر البحر أعبـد صنماً من دونـه ولم يضيِّعني، يضيِّعني وأنـا أعرفه!

---

(١) أي: يصنع.
(٢) أي: سترنا بظلامه. أنظر مختار الصحاح ص ٤٤٦.
(٣) هي: بُلَيْدة بنواحي البصرة في البحر ـ بحر فارس ـ. اللباب ٢/٣٠٩.

فلما كان بعد أيام قيل لي: إنه في المَوْت. فأتيته، فقلتُ له: هل من حاجة؟ فقال: قضَى حوائجي من جاء بكم إلى جزيرتي.

قال عبد الواحد: فحملتني عيني، فنمت عنده. فرأيت مقابر «عبَّادان» روضة، وفيها قبّة، وفي القبّة سرير عليه جارية لم يُرَ أحسن منها. فقالت: سألتك بالله إلاّ ما عجّلتَ به، فقد اشتدّ شوقي إليه. فانتبهتُ، وإذا به قد فارق الدنيا.

فقمتُ إليه فغسّلته، وكفّنته، وواريته.

فلما جنّ الليل نمتُ، فرأيته في القبّة مع الجارية، وهو يقرأ: ﴿وَالملائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ من كُلِّ بابٍ. سَلامٌ عَلَيْكم بما صَبَرْتُمْ فَنِعْم عُقْبَى الدَّارِ﴾[1].

١٢٨ - [توبة مجوسي وإسلامه وأهل داره]

وقرأت في «الملتقط»[2] أنّ بعض العلويِّين كان نازلاً بـ «بَلْخ»[3] وله امرأة علَويّة[4]، ولها بنات قد أصابهم الفقر. ومات الرجل، فخرَجَتِ المرأة بالبنات إلى «سَمَرْقَند»[5]، خوفاً من شَمَاتَةِ الأعداء.

فاتفق خروجها في شدّة البرد، فلما دخلوا البلد أدخلتهم مسجداً، ومضت تحتال لهم في القوت، فمرّت بجمعَيْن؛ جمعٍ على رجل مسلم وهو شيخ البلد، وجمع على مجوسي هو ضامن البلد.

فبدأت بالمسلم، فشرحت له حالها، وقالت: أريد قوت الليلة، فقال: أقيمي عندي البيِّنة أنّك علويّة، فقالت: ما في البلد من يعرفني، فأعرضَ عنها.

فمضَت إلى المجوسيّ، فأخبرته بالخَبر، وحدّثته ما جرى لها مع المسلم، فبعث معها أهل داره إلى المسجد، فجاؤوا بأولادِها إلى داره، فألبسَهم الحِلَل الفاخرة.

فلمّا انتصَفَ الليل رأى ذلك المسلم في منامه كأنّ القيامة قد قامت، واللواء على رأس محمد - ﷺ -، وإذا قصر من الزمرّد الأخضر. فقال له: يا رسول الله! لمن هذا

---

(١) سورة الرعد، آية رقم /٢٣ - ٢٤.

(٢) أي: ملتقط الحكايات، لابن الجوزي.

(٣) هي: بلد من بلاد خراسان، فتحها الأحنف بن قيس التميمي، زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، خرج منها عالم لا يحصَى من الأئمة والعلماء والصلحاء، اللباب ١٧٢/١.

(٤) أي: منسوبة إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

(٥) بلدة مشهورة بخراسان، ويُنسب إليها جماعة من العلماء.

القصر؟ فقال: لرجل مسلم موحِّد، فقال: يا رسول الله! فأنا مسلم موحِّد. فقال: أقِمْ عندي البيّنة بأنك مسلم موحّد، فبقي الرجل متحيراً.

فقال له: لمَّا قصدَتْكَ العلويّة قلتَ لها: أقيمي عندي البيّنة؛ فهكذا أنتَ أقِمْ عندي البيّنة.

فانتبه يبكي ويلطم؛ وخرج يطوف البلد على المرأة، حتى عرف أين هي، فأرسل إلى المجوسيّ، فأتاه، فقال له: أين العلويّة؟ قال: عندي، قال: أريدها.

قال: ما إلى هذا من سبيل. قال: خذ منّي ألف دينار، وسلّمهم إليَّ. قال: ما أفعل، قد استضافوني ولحقني من بركاتهم.

قال: لا بدّ منهم. قال: الذي تطلبه أنا أحقّ به، والقصر الذي رأيتَه لِي خُلِق، أتُدِلّ عليّ بإسلامك؟ واللهِ ما نمتُ ولا أهل داري حتى أسلمنا على يد العلويّة. ورأيتُ مثل منامك الذي رأيتَ؛ وقال لي رسول الله - ﷺ - : العلويّة عندك وبناتها؟ قلتُ: نعم. قال: القصرُ لك ولأهل دارك، وأنت وأهل دارك من أهل الجنّة؛ خلقك الله مؤمناً في الأزل.

١٢٩ - [توبه يهودي مُحْسِن وإسلامه]

وروي عن ختن[١] أبي عمران اللؤلؤيّ، وكان رجلاً صالحاً يُخَدمّ الفقراء[٢]، وبيته بيت ضيافة، أنه نزل به قوم، فمضى إلى الحاكم يطلب لهم شيئاً، فلم يُعطِه، فمضى إلى يهوديّ، فبعث إلى داره ما يحتاج إليه.

فلما نام الحاكم رأى كأنّه على باب قصر من لؤلؤة حمراء، فهمّ أن يدخله، فمنع منه، وقيل له: إنّ هذا كان لك فدُفع إلى فلان اليهودي، فلمّا أصبح الحاكم مضَى إلى ختن أبي عمران، فسأله عن القصة فأخبره.

فاستحضر الحاكم اليهوديَّ، وقال: لك قصر في الجنة، تبيعه بعشرة آلاف درهم؟ فقال: لا، فزاده، فأَبَى؛ وسأله عن القصّة، فقصّ عليه الرؤيا، فقال اليهوديّ لختن أبي عمران: اعرضْ عليّ الإسلام، فأَسْلَم.

---

(١) قال في مختار الصحاح ص ٤٤٩: «الختن: كلّ من كان قِبَل المرأة، مثل الأب والأخ، وهم الأَخْتَان، هكذا عند العرب، وأما العامة، فَخَتَن الرجل عندهم: زوج ابنته» أ هـ.

(٢) أي: يكرمهم ويجود عليهم، أساس البلاغة ص ١٢١ وأنظر مختار الصحاح ص ٤٠٥.

١٣٠ ـ [توبة مجوسيّ كريم وإسلامه مع أولاده ورهطه]

وعن أبي حفص النيسابوريّ، أنه قال لأصحابه يوماً في وقت الرّبيع: تعالَوا نخرج إلى التنزُّه، فخرجوا؛ فمرّوا بمحلّة، فإذا شجرة كُمَثرى[1] قد أثمرت في دار، فوقف ينظر إليها، فخرج من تلك الدار رجل مجوسيّ شيخ كبير، فقال له: يا مقدَّم الأخيار! هل تكون ضيفاً لمقدَّم الأشرار؟.

فدخل أبو حفص مع أصحابه، وكان معهم من قُرّاءِ القرآن. فأخرج المجوسيّ كيساً فيه دراهم، وقال: أعلم أنكم تتنزّهون ممَّا تصل أيدينا إليه من الطَّعام، فمُر من يشتري لكم شيئاً من السوق؛ ففعلوا.

فلمّا أراد أبو حفص أن يخرج قال له المجوسيّ: لا يمكنك أن تخرج إلا وأنا معك. فأسلم، وأسلم من أولاده ورهطه[2] بضعة عشر نفساً.

١٣١ ـ [توبة مجوسي بغدادي وإسلامه مع ابنه وابنته وكثير من أصحابه]

وجدتُ في كتاب الجوهريّ[3]، قال: حدّث ابن أبي الدنيا أن رجلاً نام، فرأى المصطفى ـ ﷺ ـ وهو يقول له: امضِ إلى المجوسيّ الذي في بغداد، وقل له: قد أُجيبت الدّعوة، فلمّا أصبحتُ، قلتُ: كيف أمضي إلى مجوسيّ؟! فنمتُ الليلة الثانية، فرأيت مثل ذلك. ثمّ رأيت مثل ذلك في الليلة الثالثة.

فلما أصبحت تحمَّلت إلى بغداد، وأتيت المجوسيّ، فوجدته في نعمة عريضه ودنيا واسعة. قال: فدخلت إليه وسلَمت عليه، وجلست. فقال: ألكَ حاجة؟ فقلت: نعم. قال: تكلّم. قلت: في خلوة. فانصرف النّاس وبقي أصحابه؛ فقلت: وهؤلاء، فصرَفهم؛ وقال: قلْ. قلت: أنا رسولُ رسولِ الله ـ ﷺ ـ إليك، وهو يقول لك: قد أُجيبت الدعوة.

---

(١) هو: نوع من الفواكه، واحدة: كمثراة، مختار الصحاح ص ١٨٠.

(٢) قال في مختار الصحاح ص ٢٤٥: «رهط الرجل: قومه وقبيلته، والرهط: مادون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة» أهـ.

(٣) الجوهري عند الإطلاق، هو: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، أبو نصر الفارابي، أصله من بلاد الترك من فاراب، ورحل إلى العراق وقرأ العربية على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي، وسافر إلى الحجاز، وطوّف بلاد ربيعة ومضر» واجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف. عاد راجعاً إلى خراسان، ثم سرح إلى نيسابور، فلم يزل مقيماً، بها على التدريس والتأليف وتعلم الخط حتى توفي بها سنة (٣٩٣) هـ.، وقيل توفي في حدود (٤٠٠) هـ. وكان مبرّزاً في اللغة والأدب.
أنظر لسان الميزان ١/٤٠٠ ـ ٤٠٢، وشذارت الذهب ١٢٣/٣. ومعجم المؤلفين ٢٦٧/٢ ـ ٢٦٨ والجوهري: نسبة إلى بيع الجوهر. اللباب ٣١٣/١.

فقال: أتعرفني؟ قلت: نعم. قال: فإنّي أنكر الإسلام، وأنكر رسالة محمد عليه السّلام. قلت: كذلك قلت، وهو أرسلني إليك.

قال: أرسلك إليّ؟ قلت: نعم. قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله.

ثم دعا أصحابه، وقال: قد كنت في ضلال، وقد رجعت إلى الحقّ؛ فمن أسلم فما في يدَيه له، ومن لم يسلِم فلينتزع مما لي عنده، فأسلم القوم إلا قليلاً.

ثم دعا ابنَه، فقال: يا بنيّ! إنّي كنت في ضلال، وقد أسلمت؛ فما أنت صانع؟ قال: يا أبتِ! أسلم، فأسْلَم.

ثم دعا ابنته، وقال: يا بنية! قد أسلمتُ وأسلمَ أخوكِ، فإن أنت أسلمتِ فرّقت بينكما. فقالت: يا أبت! والله لقد كنت كارهة لاجتماعي به، وأسلَمَتْ.

فقال لي: أتدري الدّعوة التي أُجيبت؟ قلت: لا. قال: لمّا زوجت ابنتي بولدي، وصنعت له طعاماً، ودعوتُ النّاس كلّهم، فأجابوا لِما خوّلني الله من الدنيا.

فلمّا أكل الناس تعبت؛ فقلت للخادم: افرش لي حصيراً في أعلى الدّار أنام شيئاً. فطلعت؛ وكان بجوارنا قوم أشراف فقراء. فسمعت صبيّة وهي تقول لأمها: يا أماه! قد آذانا هذا المجوسيّ برائحة طعامه.

قال: فنزلتُ وحملتُ لهم طعاماً كثيراً، ودنانير كثيرة؛ وكسوة لكل مَنْ في الدّار. فقالت واحدة[1]: حشرَك الله مع جدّي، وقال الباقون: آمين، فتلك الدعوة التي أُجيبت.

١٣٢ - [توبة طبيب نصراني مُحْسِن وإسلامه]

ورُوي أنّ بعض مشايخ الصوفية خرج على أصحابه، وكانوا أربعين رجلاً، وقد أقاموا ثلاثة أيام لم يفتح لهم بطعام، فقال لهم: يا قوم، إن الله قد أباح التسبّب للعباد؛ فقال تعالى: ﴿فامشُوا في مَنَاكِبِها وكلُوا من رِزْقِهِ﴾[2]؛ فانظروا من يخرج منها فليأتِنا بشيء.

قال: فخرج فقيرٌ فمشَى في جانبَي بغداد، فلم يجد من يسأله في شيء، فأخذه

---

(١) في المطبوعة: الواحدة.

(٢) سورة تبارك، آية رقم /١٥، وتمام الآية: ﴿هو الذي جعلَ لكمُ الأرض ذلولاً فامشوا في مَنَاكِبِها وكلُوا من رِزقِهِ وإليه النُّشور﴾.

الجوع والتّعب، فجلس على دكّان طبيب نصراني، والنّاس عليه خلق عظيم، يصف لهم الدواء.

فقال له النصراني: ما بك؟ فلم يرَ أن يشكو إلى نصراني حاله، بل مدّ يده إليه، فمسّ يده. فقال النّصراني عند ذلك: هذه علّة أنا أعرف دواءها؛ يا غلام، امض إلى السوق وائتني برطل خبز، ورطل شواء، ورطل حلواء.

فقال الفقير: فهذه العلّة بأربعين رجلاً. فقال: يا غلام، ائتني بأربعين مثل ذلك.

فأتى الغلام بذلك. فسلّمه النّصراني إلى الفقير، وقال: خذه لمن ذكرتَ.

فأخذه معه الحمّال، ومضى معه إلى الدُّوَيرة[1].

وقام النَّصراني يختبر صدق الفقير. فلما أتى الدُّوَيرة وقف خارجاً منها خلف طاق، حتى دخل الفقير، فوضع الطعام، واجتمع الشّيخ والفقراء، وقدّموا الطعام، فأمسك الشيخ عن الطعام، وقال: يا فقير! ما قصّة هذا الطعام؟ فحكى له القصة بكمالها.

فقال الشيخ: أترضَون أن تأكلوا طعام نصرانيّ وصلكم به دون مكافأة؟ قالوا: ما مكافأته؟ قال: تدعون الله له قبل أكل طعامه بالنّجاة من النار، فَدعَوْا له وهو يسمع.

فلمّا رأى النصرانيّ إمساكهم عن الطعام مع حاجتهم إليه، وسمع ما قال الشيخ، قرَعَ الباب، ففتح له ودخل، وقطع الزُّنّار، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله.

* * *

تمّ الكتاب بعون الله تعالى وتوفيقه انتهيت من تحقيقه والتعليق عليه صباح يوم الخميس أول شهر رمضان المبارك سنة (١٤٠٩) هجرية والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

خالد عبد اللطيف السبع العلمي

طرابلس ـ لبنان

---

(١) هي موضع ببغداد معروف، اللباب ١/٥١٧. وهي غير الدِّويرة ـ كصحيفة ـ القرية التي بنيسابور اللباب ١/٥١٦.

من هدي القرآن الكريم في التوبة(*)

لقد أمرنا الله تعالى بالتوبة فقال: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمنوا تُوبوا إلى الله تـوبةَ نَصـوحاً﴾ أي توبة صادقة جازمة تمحو ما قبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفـه عما كان يتعاطاه من الدناءات.

ووعد القبول عليها فقال: ﴿وهوَ الذي يَقْبَلُ التوبةَ عن عبادِهِ وَيَعْفُو عن السيئات﴾.

وفتح باب الرجاء فقـال: ﴿قل يـا عباديَ الـذين أَسْرَفُـوا على أنفُسهِم لا تَقْنَطُوا من رَحْمَةِ الله إن اللَّهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً إنّه هو الغفور الرّحيم﴾.

وأمرنا أن نلتمس النجاة على عجل: وأن نبادر إلى التوبة قبل دنو الأجل فقال:

﴿إنّما التوبةُ علَى اللهِ للذين يعملونَ السُّوءَ بجهالةٍ ثم يتوبونَ من قَرِيبٍ فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيمـاً. وليستِ التوبـةُ للذين يعملونَ السيئاتِ حتى إذا حضَـرَ أحدَهُمُ الموتُ قال إنّي تبتُ الآن، ولا الذينَ يموتون وهُم كفّارٌ أولئك أَعْتَـدْنَا لهُم عـذاباً أليماً﴾.

وندبنا إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات فقال:

﴿وسارِعوا إلى مَغْفِرَةٍ من ربِّكم وجنَّةٍ عرضُها السَمواتِ والأرضِ أُعِدّتْ للمتقين. الـذين يُنْفقـون في السَّـرَّاءِ والضَّـرَّاء والكـاظِمِينَ الغَيظَ والعـافينَ عن النّـاسِ والله يُحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسَهم ذكروا الله فاستغفروا لذنـوبِهِم، ومَنْ يَغْفِرُ الذنوبَ إلى الله، ولِم يُصِرّوا على ما فعلُوا وهم يَعْلَمُون. أولئكَ جزاؤُهم مَغْفِـرَةٌ من ربِّهم وجناتٌ تَجرِي من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ونِعْمَ أجر العاملين﴾.

(*) ذكر هذا لاستاذ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط، وقد أَبْقَيْتُهُ لما فيه من الفائدة.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوبة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يـا أيها النّـاس توبـوا إلى الله واستغفروه فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرة»، رواه مسلم في «صحيحه» عن الأغـرّ بن يسار المُـزَنِي رضي الله عنه.

وقال أيضاً: «إن الله يبسُط يده بالليل ليتوب مسيء النَّهار، ويبسطُ يده بالنّهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغـربها»، رواه مسلم عن أبي مـوسى الأشعري رضي الله عنه.

وقال: «كل بني آدم خطّاء، وخيرُ الخطائين التوّابون»، رواه أحمد، والترمذي وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبـادي إنّي حرمتُ الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا، يا عبادي كلُّكم ضـالّ إلا من هـديته، فـاستهدوني أهـدكم، يا عبـادي كلّكم جائـع إلا من أطعمته، فـاستطعمـوني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فَٱسْتَكْسُوني أكسُكم، يا عبادي إنّكم تخطئون بالليلِ والنّهـار، وأنا أغفـر الذنـوب جميعاً، فـاستغفروني أغفـر لكم؛ يا عبـادي إنّكم لن تبلغـوا ضرّي فتضـروني، ولن تبلغـوا نفعي فتنفعـوني، يـا عبـادي لـو أنّ أوّلكم وآخـركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقَى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، مـا زادَ ذلك في مُلكي شيئـاً، يا عبادي لو أنّ أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانـوا على أفجر قلبِ رجـلٍ واحدٍ منكم مـا نقص ذلـك من ملكي شيئاً، يـا عبادي لـو أنّ أولكم وآخـركم وإنسكم وجنكم قـامـوا في صَعِيد واحد، فسْألوني، فـأعطيت كـل واحد مسـألته، مـا نقص ذلك ممـا عندي إلا كمـا ينقص المخيط إذا أدخـل البحـر، يـا عبـادي إنمـا هي أعمـالكم أحصيهـا لكم ثم أوْفيكم إياها، فمن وجدَ خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فـلا يلومَنّ إلا نفسه»، رواه مسلم في «صحيحه» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

فهرس الكتاب

ذكرُ التوابين من آحاد الأمم الماضية

أخبار التائبين من أصحاب رسول الله ﷺ

ذكر التوّابين من ملوك هذه الأمّة

ذكر سبب توبة جماعة من الأمّة رحمه الله عليهم

أخبار جماعة من التوّابين

ذكر خبر جماعة ممّن أسلم